

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

المؤلف

الدكتور / كمال السعيد حبيب

بطاقة الفهرسة

الدين والدولة في تركيا المعاصرة	اسم الكتاب:
كمال السعيد حبيب	المؤلف:
طبعة أولى / 1431 هـ - 2010 م	الطبعة:
مكتبة الإيمان - مكتبة جزيرة الورد	الناشر:
	رقم الإيداع:
	التقييم
	الدولي:

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد - القاهرة / ميدان حلیم
خلف بنك فيصل شارع 26 يوليو من ميدان
الأوبرا

012/9961635 - 02/27877574

010/0004046 - 010/0104115

إهداء

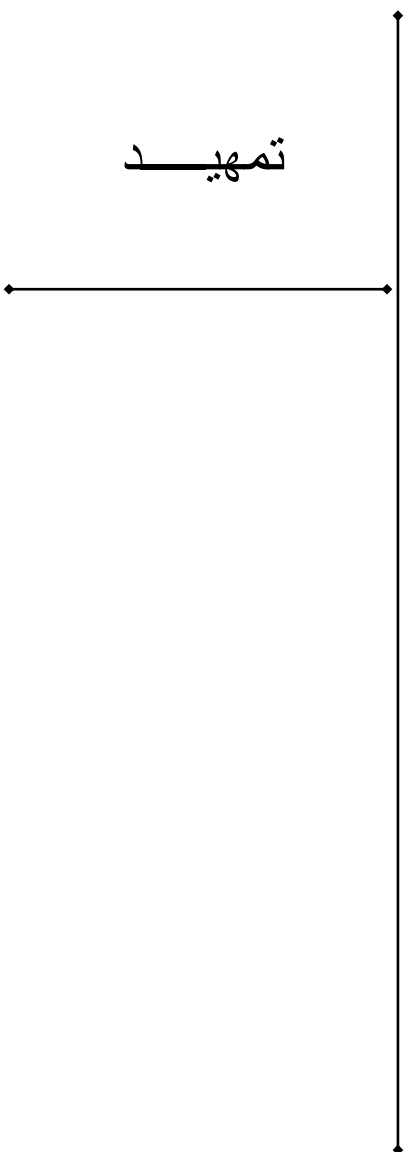
إلي روح السلطان محمد الفاتح وعبد الحميد الثاني
 إلي روح الشيخ عاطف الإسكليبي وسعيد الكردي
 إلي روح الشيخ سعيد النورسي والأديب نجيب فاضل
 إلي روح الأديب محمد عاكف أرصوي
 إلي نجم الدين أربكان
 ورجب طيب أردوغان وعبد الله جول
 إلي كل من ساعدني في إنجاز هذا الكتاب
 راجيا أن يكون جسرا للتواصل بين عالم العرب وعالم الترك

المؤلف

كمال السعيد حبيب

* * *

تمهيد



تمهيد

هذا الكتاب هو خلاصة دراستي للدكتوراه في العلوم السياسية والتي كان عنوانها "الإسلام والأحزاب السياسية في تركيا - دراسة حالة لحزب الرفاه 1983 - 1997م"، وهو استكمال للجهد الذي كنت بدأت في الماجستير عن الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية - دراسة حالة للدولة العثمانية، فقد توقفت في دراستي للماجستير عند أعتاب الدولة الكمالية الحديثه، وحين شرعت للعمل في الدكتوراه كنت حريصا علي الاستمرار لمعرفة ما يجري من استمرار وانقطاع في التجربة التركية الحديثه والمعاصرة في علاقتها بالخبرة العثمانية وهي خبرة ثرية ومؤثرة، والواقع أن "الكمالية الأتاتورية" هي قمة التطور الذي كان قد بدأ في الدولة العثمانية ذاتها منذ عصر السلطان سليم الثالث (1789 - 1807م)، ونشأت منذ ذلك الوقت بيني وبين الحالة التركية رابطة لا أظن أنها ستنفصم، فتركيا نموذج مهم في عالمنا الإسلامي، وهو نموذج جدير بأن نتأمله، وبحكم تخصصي وخبرتي في الحركات الإسلامية حاولت أن أقدم الخبرة التركية لعالمنا العربي لعلها تكون تحت يد العاملين في الحقل الإسلامي ذخرا لمزيد من الفهم والخطو نحو مجالات تتردد الحركات الإسلامية في عالمنا العربي عن الاقتراب منها، فنحن نقدم حزب الرفاه وحزب العدالة والتنمية كخبرات لحزبين كبيرين في نظام علماني ومن ثم فهما يقدمان خبرتهما باعتبارهما أحزابا سياسية تتنافس في المجال السياسي، دون ذهاب لا استخدام الدين كأداة في الصراع الاجتماعي والسياسي، فهناك تمييز ولا أقول فصلا بين المجال السياسي والمجال الدعوي في الخبرة التركية، وخبرة أهل العدالة والتنمية تقول نحن نقدم

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

نفسنا كحزب سياسي وليس كحزب إسلامي لأنه يكون قوة انقسام في مجتمع أغلبية مسلمة، وهناك خبرات عربية استفادت من الخبرة التركية منها خبرة العدالة والتنمية في المغرب، وإلي حد ما خبرة جبهة العمل الإسلامي في الأردن، وبانتظار ما تسفر عنه التطورات هنا في مصر علي جبهة الإخوان المسلمين وجبهة حزب الوسط والمشاريع الإسلامية الأخرى. أذكر أن المناقشين لي في الماجستير والدكتوراه لا حظوا أنني نسيت أن أقدم الشكر لمن قاموا بالإشراف علي، ولم يكن ذلك إغماطاً لحق هؤلاء الأساتذة الكبار علي وإنما كان تعبيراً عن حب وتقدير عميق لهم في نفسي آثرت أن أبقيه لهم بيني وبين ربي، وهأنذا اليوم أقدم الشكر الخالص لهم فهم من أحاطوني بالعناية والرعاية وعلي رأسهم الأستاذ الدكتور علي الدين هلال عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية الأسبق وأستاذ العلوم السياسية الذي أشرف علي رسالتي للماجستير والمستشار الجليل طارق البشري الذي ناقش الرسالة وتابعها معي بصبر القاضي وأناة الحكيم، ثم الأستاذ الدكتور كمال المنوفي عميد كلية الاقتصاد السابق وأستاذ النظم السياسية، والأستاذ الدكتور حمدي عبد الرحمن أستاذ النظم الأفريقية اللذين أشرفا علي رسالتي للدكتوراه، والأستاذ الدكتور جلال معوض (عليه رحمة الله) الذي وضع معي اللمسات الأولى لمشروع الرسالة وفتح آفاقاً مهمة لي قبل أن يغادرنا فجأة وعلي غير ميعاد إلي الدار الآخرة، كما لا أنسي فضل الأساتذة الذين شاركوا في مناقشتي للحصول علي درجة الدكتوراه وهم الأستاذ الدكتور جمال زهران رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة القناة والنائب البرلماني المقاتل والأستاذ الدكتور جابر عوض أستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد، كما أوجه الشكر للدكتورة ماجدة مخلوف رئيسة قسم اللغات الشرقية بجامعة عين شمس والتي لم تبخل علي

بالترجمة للنصوص التركية والنقاش حول قضايا عديدة في الرسالة، كما لن أنسي جهد الصديق سعد عبد المجيد الذي ترجم لبعض اللقاءات والحوارات وسهل من خلال علاقته بجمعية نشر العلم إقامتي في تركيا لأشهر عدة من أجل إنجاز الرسالة، ولن أنسي أبدا مساعدة “حسن بتماز” المسئول في حزب السعادة الذي سهل لي كافة لقاءاتي مع قيادات الحزب وعلي رأسهم أبو الإحياء التركي المعاصر “نجم الدين أربكان”، كما لا أنسي نقاشات هامة حول عالم تركيا مع صديقي ياسين أقطاي أستاذ علم الاجتماع في جامعة سلجوق بقونية، ونقاشاتي مع الباحث “عمر توقات” في اسطنبول، ونقاشاتي مع صديقي أستاذ علم الاجتماع في جامعة فاتح “رجب شانتيورك، ومئات الحوارات التي أجريتها مع فاعلين سياسيين وشخصيات تركية مرموقة أبرزهم “أحمد داود أوغلو” وزير الخارجية التركي و “أكمل إحسان الدين أوغلو” الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي و “سزائي قراقوج” المفكر التركي الكبير، وهذه الحوارات أمل أن تخرج بنصها كاملا في كتاب مستقل في المستقبل، ثم كانت زيارتي العديدة لتركيا من بعد فاتحة لنقاش مستمر حول أوضاعها مع أصدقاء أتراك وباحثين ومتخصصين في الشأن التركي، وكان آخر تلك الزيارات في فبراير عام 2009 لحضور مؤتمر نصرمة غزة الذي دعت إليه الحملة العالمية لمقاومة العدوان، وفي هذه الزيارات ثارت مناقشات عديدة مع قوي اجتماعية وسياسية وفكرية وباحثين أتراك أحاطوني بالعناية والرعاية علي رأسهم “سادات أقيوز” مسئول العلاقات الثقافية ببلدية “بيرم باشا”.

لكل من ساعدني علي إنجاز ذلك العمل العلمي أقدم له شكري
وتقديري، ولا يجب أن أنسي هنا أسرتي: زوجتي وأولادي الذين تحملوا
وضحوا من أجلي.

* * *

مقدمة

“الدين والدولة في تركيا المعاصرة” هو موضوع هذا الكتاب وتركيا اليوم تطرح كنموذج جديد للتوفيق بين العلمانية والإسلام والديموقراطية والحداثة وكثيراً ما يتم الحديث عن النموذج التركي⁽¹⁾، لتسويقه ونقله إلى مناطق أخرى في العالم العربي والإسلامي. ومن ثم فالتعرف علي مايجري داخل هذا البلد مهم لأن له علاقة بما يجري خلف حدوده، خاصة وأن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لخلق نموذج إسلامي متوافق مع الحداثة والعالم الغربي في مواجهة نماذج أخرى ذات طابع راديكالي أو نضالي تمثل تحدياً للنموذج الحضاري الغربي وتتبنى الصدام معه كما في حالة التيارات الجهادية والسلفية أو التيارات الإسلامية السياسية التي تحمل رؤية مضادة للغرب كحزب السعادة في تركيا وتيارات مؤتمر الشرق هناك، وحتى الإخوان المسلمون في مصر، وتقرير مؤسسة “راند” بعنوان “الإسلام المدني الديموقراطي.. الحلفاء والموارد والاستراتيجيات” للباحثة شيريل برنارد وأيضاً تقرير “عقول وقلوب ودولارات” الذي يعبر عن رأي أمريكية تهتم بخلق وتدعيم الاتجاهات الإسلامية التي تتوافق مع الرؤية الأمريكية يعبران عن ذلك⁽²⁾.

(1) عن النموذج التركي والجدل حوله راجع: محمد السطوح، فوكوياما يتحدث إلي وجهات نظر عن الإسلام والأصولية، وجهات نظر، 2002/3/1 والدراسة المهمة: جراهام فولر، النموذج، وجهات نظر، 2004/11/1 يقول: مايسمي بتركيا العلمانية اليوم هو تقليدياً أكثر ما أحبه الغرب عن هذه الدولة ورآه اعترافاً بالمقام الرفيع للنموذج السياسي الثقافي الغربي، لكن تركيا لم تكن أبداً علمانية أصيلة.. وفي موضع آخر يقول: سحق أتاتورك لقوة وهيبة الدين في تركيا الجديدة تركت ندبات روحية واجتماعية بطيئة الالتئام، وأيضاً مراد وهبة، العلمانية بين تركيا ومصر، المصور، 2005/1/14 وللمطالعة والاستئناس يحي الرخاوي.

(2) يمكن مراجعة نص تقرير راند علي مواقع مختلفة علي الشبكة مثلاً:

يقدم الكتاب إسهاماً جديداً لفهم ظاهرة الإحياء الإسلامي في تركيا وانبعثه في سياق كان مفروضاً أن يتواري فيه وفقاً للنظريات الاجتماعية المادية التي تفترض أن المزيد من التحديث والعلمنة سوف يقود لاختفاء الدين، والحالة التركية الإحيائية بما فيها الأحزاب الإسلامية تعبر عن استجابة ذات وجه مقاوم من المجتمع “الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين” (1) تستند لمرجعية حضارية وثقافية يقع الإسلام في قلبها، وهنا يلفت الكتاب لشكل جديد من الفعل الاجتماعي والسياسي هو “النص الديني كفاعل اجتماعي وسياسي” (2) في مواجهة محاولات الدولة لبناء مجتمع فوق عصري وحدائي جديد مستنداً إلى قوة القمع لاستنساخ حالة عن مجتمعات أخرى تنتمي لحضارات مختلفة جرياً وراء وهم اللحاق بالغرب.

www.alwihda.com وهي تنقل مقالاً بعنوان “ماذا يعدون لمواجهة المد الإسلامي” مجلة البيان، ع 2002 ربيع الثاني 1425 هـ ومايو / يونيو 2004 م وموجز للتقرير علي مجلة السنة ع 137 جمادي الأولي 1425 هـ - يوليو / أغسطس 2004 م وبالنسبة لتقرير عقول وقلوب ودولارات فقد نشرته مجلة بو إس نيوز أند ورلد ريبورت في عددها الأسبوعي 18 - 25 إبريل 2005 وموقع المجلة:

www.usnews.com/usnews/news/articles/050425roots.htm.

- (1) الفاعل الاجتماعي هنا هو الذات المسلمة بالمعني الذي قصده “ألان تورين” وهايرماس “حيث يفترض أن الذات المسلمة عليها أن تقاوم التهميش والاعترا ب ك تعبيري عن المسؤولية {نا نه} [الأحزاب: ٧٢]، وكتعبير عن فعل إيماني وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- (2) مثل النص الذي ينظم حياة الناس في تركيا أهم أدوات المقاومة لديهم في مواجهة العلمانية الأتاتورية وراجع مؤقتاً الدراسة المهمة: شريف ماردين، الذاكرة والشعور الجمعي، المؤتمر العالمي الثاني لبيع الزمان النورسي، 27 - 29 سبتمبر 1992 حيث يشير إلى وعي النورسي بضرورة تقديم خريطة توجهه وترشده في حياته اليومية، ولم يركز كما فعل الغزالي في الإحياء علي الفقه والعبادات ولكنه ركز علي محاولة ربط المسلم بالنص والوحي والإيمان والانتماء للإسلام.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

ويلقي الضوء علي نمط العلاقة بين الدين الإسلامي والدولة⁽³⁾ في بلد غالبية سكانه مسلمين 99% وينص دستوره علي أن العلمانية هي أيديولوجية الدولة، وهذا يقود للحديث عن طبيعة العلمانية في تركيا وعلاقتها بالإسلام كدين للأغلبية.⁽¹⁾ هل العلاقة هي علاقة توظيف أم صدام أم تعايش أم أنها تزواج بين هذه الأنماط معا وفق كل حالة وموقف؟ وماهي شروط كل علاقة من هذه العلاقات؟، وهل التطور الاجتماعي والسياسي للمجتمع نحو الانفتاح والتعدد يغير من طبيعة أيديولوجية الدولة ويجعلها تتحول من الصدام إلي التوافق والتعايش؟ أم أن وعي القوي الاجتماعية والسياسية الجديدة القادمة للساحة السياسية هي التي تطرح للنقاش العام ما كان محرما من قبل، ومن ثم تهز أسس الأيديولوجيات

(3) عن العلاقة بين الدين والدولة راجع السفر الضخم: دانيال هيرفيه ليجيه وجان بول ويلام، **سوسيولوجيا الدين**، ترجمة درويش الحلوجي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط1، 2005، وفي مقدمة الكتاب كما فهمت يشير المؤلفون إلي ضرورة الدين وأهميته كمرجعية حاكمة علي أفعال الفاعلين الاجتماعيين؛ إذ لا تصلح مفاهيمهم هم وخبراتهم وحدها لتنظيم المجتمع وينقل عن دوركهايم في كتابه قواعد المنهج العلمي “ ليس بواسطة المفاهيم التي يكونها أولئك الذين يشتركون في هذه الحياة الاجتماعية إنما بواسطة أسباب عميقة تخرج عن سيطرته

الوعي “، ص 9، وهذا هو نفس ما ذهب إليه “ آلان تورين “ ويورجن هابرماس “ من دارسي الحركات الاجتماعية عن ضرورة وجود مرجعية ثقافية لحل الصراعات الاجتماعية بين الفاعلين الاجتماعيين. وهذا الكتاب الذي بين أيدينا يشير إلي عودة دراسات الظواهر الاجتماعية والسياسية المرتبطة بالدين، وماذا نريد أكثر من إعادة قراءة ماركس من منظور علم الاجتماع الديني راجع علي سبيل المثال: كارل ماركس (1818 - 1883) وفردريك إنجلز (1820 - 1895)، ملائمة وحدود التحليل الماركسي للدين، في سوسيولوجيا الدين، م. س. ذ، ص 15 ومابعداها.

(1) ينص الدستور التركي في مادته الرابعة عشر علي “ حظر تطبيق القواعد الدينية ولو جزئيا في كيان الدولة السياسي أو الاقتصادي والاجتماعي والقانوني، ولا يجوز إساءة استخدام المشاعر الدينية في تحقيق مآرب شخصية أو سلطوية “ وتركيا هي الدولة الوحيدة التي ينص دستورها علي العلمانية في العالم الإسلامي وتعتبرها أيديولوجية أصولية لا يجوز مسها أو الاقتراب منها فهي “ ديانة سياسية “.

المحمية بقوة السلطة؟ أم أنهما معاً يعملان لبناء يوتوبيا جديدة تحرر الدولة والمجتمع من الأيديولوجيات المتصلبة ذات الطابع القمعي لمرجعيات أكثر تكيفا مع مطالب المجتمع والنظام السياسي، وما هو دور الإسلام في كل هذا التحول والتفاعل باعتباره العامل الذي يمكننا أن نصفه بالمستقل للتأثير

في العوامل الأخرى باعتبارها متغيرة وتابعة؟، وهل مايسمي “ بالدين السياسي “ (1) الذي تحاول النظم الثورية أن تفرضه علي مجتمعاتها لخلق عالم أفضل - كما في حالة الثورة الفرنسية أو الانقلاب الكمالي في تركيا - ، أو الدين المدني “ (2) وكلاهما مفهومان مختلفين يمكن أن يكونا بديلاً

(1) الدين السياسي هو تعبير عن دين تحاول الدولة فرضه بالقوة من أجل السيطرة علي المجالات التي كان يعمل فيها الدين الموحى به ولعمق وأهمية المجالات التي يمثلها الدين الموحى للناس فإن الدولة بدينها السياسي الجديد لا يمكنها أن تملأ الفراغ الذي فرضته بمحاولة تدمير الدين الموحى به وهنا نكون أمام دين سياسي ذات طابع استبدادي وشمولي هو وجه آخر للعلمانية التي عبرت عنها الكمالية كأيدولوجية سياسية حاولت أن تحل محل الدين الإسلامي وهذه العلمانية توصف بأنها علمانية راديكالية أو عنيفة أو أصولية، وبقدر الحضور الديني في حياة الناس تكون مقاومتهم للدين السياسي الجديد، وبقدر الفشل الذي يمني به الدين السياسي الجديد - وهو لا بد سيفشل تكون عودة الدين الموحى به مرة أخرى لاستعادة الفضاءات التي تم استلابها منه، وهنا نقول: إن مجال عمل الدين الموحى به لا يجوز للدولة أن تقترب منه، كما أن ممارسة الدولة لمجال الحكم والسلطة يتم وفق القواعد السياسية ونظم الحكم والسياسة الشرعية بتعبير العلماء القدامي بحيث يكون هناك نوع من التوازن والتركيب الذي لا يحول الدولة إلى إله ولا يحول السياسة إلى تعبير ديني كما في حالة الدولة الدينية وحالة الدين السياسي كما في تركيا هي في الواقع دولة أصولية ولكن بدين علماني سياسي. عن الدين السياسي في تركيا راجع:

David E. Apter، Political Religion in The New Nations in Clifford Geertz(ed), Old Societies and New States: The Quest For Modernity in Asia and Africa, (New York: The Free Press of Glencoe. 1963) pp 57 - 60.

(2) الدين المدني هو تطويع قيم الدين لعملية دنيوية تمارس من خلال السلوك في المجال الاجتماعي والسياسي بحيث تتماشى مع طريقة الحياة كما هو الحال في أمريكا حيث أصبح الدين المدني هو طريقة الحياة الأمريكية التي تستلهم جذوراً دينية ولكنها تتخذ طابعاً مدنياً وعن الدين المدني راجع: دانيال هرفيه وجان بول وليام، ألكيسي دي توكفيل (1805 - 1859) خصائص الدين في المجتمعات الديمقراطية، م. س. ذ، ص 47 ومابعدا وهو يعتبر أن التقاليد الفرنسية تعبر عن

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

عن الدين الإلهي الذي جاءت به الرسل كتعبير عن حاجة فطرية وإنسانية ومجتمعية وسياسية في حالة الدين الإسلامي؟

المسألة السياسية والاجتماعية في تركيا تبدو ملغزة ومحيرة وإشكالية جعلت مصطلح “الدولة الخفية” أو الدولة العميقة “ أحد التعبيرات المفتاحية لفهم ألباز السياسة التركية، فنحن أمام تنازع حقيقي بين الدين كتعبير عن حاجة روحية وثقافية تعبر عن الهوية والوجود للإنسان والمجتمع في تركيا وبين الدولة التي وضعت نفسها في مواجهة كاملة مع الدين باعتباره قوة رجعية لابد من الإجهاز الكامل عليه والتخلص منه، وهذا التنازع طرح مشكلات ضخمة في الاجتماع والسياسة والثقافة والهوية لاتزال تركيا تعاني منها إلى اليوم. وستظل تعاني مالم تصل لحل هذه المشكلة بين الإسلام والسلطة السياسية بحيث تعترف الدولة بالإسلام كمكون رئيسي للثقافة التركية، عبرت الظاهرة الإسلامية في تركيا عن نفسها بأشكال متعددة بعضها اتخذ طابعاً صوفياً (الطرق الصوفية) وبعضها اتخذ طابعاً علمياً (السليمانيون) وبعضها اتخذ طابعاً إحيائياً إيمانياً (النورسيون) وكان قمة استواء التعبير الإسلامي عن نفسه متمثلاً في ظهور الأحزاب الإسلامية المستقلة منذ عام 1970 م، والسؤال الرئيسي هنا هو كيف استطاع الإسلام أن يصمد في تركيا وينتقل بعد سقوط الخلافة في ظل الجمهورية العلمانية من الاغتراب إلى الاختراق لنصل إلى حالة مدهشة وجديدة ألا وهي وصول أول رئيس وزراء ينتمي للأحزاب الإسلامية في تركيا وهو حزب الرفاه إلى سدة رئاسة الوزراء

الدين السياسي بينما التقاليد الأمريكية علي جانب الأطلسي المواجهة تزواج بين الدين والحياة فيما يعرف بالدين المدني، وفي تركيا اليوم يقاوم الإسلاميون وقطاعات عريضة من المجتمع التركي الدين السياسي الذي تعبر عنه الأيديولوجية الكمالية المتصلبة بحثاً عن علمانية متسامحة أو مؤمنة كما يتحدث البعض، هي أقرب لروح الدين المدني كما تحدث عنها ألكسيس دي توكفيل.

مؤتلفا مع حزب علماني (يونية 1996 - يونية 1997 م)، ثم وصول حزب ذي جذور إسلامية (الإسلاميون الجدد في تركيا أو مابعد الإسلام السياسي) - حزب العدالة والتنمية إلى السلطة (نوفمبر 2002) بعد عام واحد من تأسيسه ليمنح الحياة السياسية التركية معناها عبر خلق حالة سياسية جديدة تعبر عن التيار الرئيسي في المجتمع، وهو أمر افتقدته الحياة الحزبية والسياسية التركية منذ نهاية الستينيات⁽¹⁾، واستطاع هذا الحزب أن يصل بمرشحه إلى سدة الرئاسة وهو “عبد الله غول”، وأن يجعل اختيار الرئيس من الشعب مباشرة، كما حقق فوزا ساحقا في الانتخابات الأخيرة التي جرت في يوليو عام 2007 حيث حصل علي 47% من الأصوات، الإسلاميون المهتمون في تركيا هم من أعطوا للحياة السياسية معناها، فأى تصاريح للأقدار السياسية تلك التي عاشتها تركيا، فبدلا من تحديث الإسلام وتثريه إذ بالإسلاميين الأتراك هم الذين يؤسلمون الحداثة والعصرنة ويقدمون وجها يزاوج بين الإسلام والديموقراطية والحداثة والعصرنة ويثبتون أنهم قادرون علي ممارسة السياسة والحكم وأنهم أكثر وفاء لقواعد الديموقراطية والحفاظ علي النظام

(1) عن فقدان السياسة التركية لنقطة مرجعية أو قوة سياسية مركزية تعبر عن التيار الرئيسي بعد الستينيات راجع: جلال معوض، الأحزاب السياسية والمشكلة الكردية في تركيا مصطفى كامل السيد وصالح سالم زرنوقة (محرران) الأحزاب والتنمية في الوطن العربي وخارجه، القاهرة، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 1997، ص 89 - 110

(2) أشار المفكر الأمريكي “ليونارد بايندر” في كتابه “الليبرالية الإسلامية: نقد للأيديولوجيات التنموية” إلى أنه من المستبعد اعتماد العلمانية كأساس فكري لليبرالية السياسية في الشرق الأوسط وهو يرى أنه بدون التيار الليبرالي الإسلامي لا يمكن بناء ليبرالية سياسية في الشرق الأوسط، وهو يرى أن العلمانية تواجه مأزقا وينخفض معدل قبولها في المنطقة وراجع: السيد يس، الأصول الأمريكية لنظرية الإسلام الليبرالي، النهار اللبنانية، 25 يوليو 2004 .

السياسي أكثر من غيرهم من التيارات العلمانية الأخرى⁽²⁾.

هذه الخبرة التركية يمكن مقارنتها بغيرها من الحركات الأخرى في مناطق أخرى من العالم العربي والإسلامي، بيد أن الخبرة التركية تظل نموذجاً لحالة استوعب فيها النظام العلماني القوي الإسلامية، وتطورت هذه القوي بحكم مشاركتها في الحكم لتصبح أكثر نضجاً ومسئولية تجاه الدولة والنظام السياسي بحيث أصبحت هي التي تطالب بنظام أكثر ديمقراطية وإنسانية.

ينقسم الكتاب إلى أربعة فصول:

الأول بعنوان: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا:

ويناقش بزوغ القوي الاجتماعية التي قاومت العلمانية الكمالية علي أسس إسلامية مثل الطرق الصوفية كالنقشبندية والتيجانية وحركات إحياء العلوم الإسلامية مثل السليمانية و الحركة النورية التي عملت علي إنقاذ الإيمان واستمرار بقاء الإسلام والحركة الثقافية التي مثلها المثقفون الأتراك والتي اعتمدت علي الإسلام في مقاومة التيارات العلمانية الثقافية والسياسية واستطاعت أن يكون لها موطئ قدم قوي في الجدل الثقافي والسياسي في تركيا.

والفصل الثاني بعنوان الإسلام والأحزاب السياسية قبل ظهور

الرفاه: وهو يتعقب العلاقة بين الإسلام وحزب الشعب الجمهوري الكمالي من عام 1922 وحتى عام 1946 وهي بداية التعددية السياسية في تركيا، ثم يلقي الضوء علي علاقة الإسلام بالأحزاب السياسية في فترة التعددية السياسية من عام 1946 وحتى الانقلاب الأول عام 1960 م، ويعرض

لعلاقة الإسلام بالأحزاب السياسية بعد عام 1960 وحتى الانقلاب الثاني عام 1970 م، ثم يوضح كيف استقل الإسلاميون في تركيا بأحزابهم السياسية بعد عام 1970 فيما عرف باسم حركة “الملي جوروش” أي الفكر الوطني - والتي أسسها “أربكان” ويعرض لتطور هذه الأحزاب وأدائها حتي عام 1980 م موعد الانقلاب الثالث في تركيا.

أما الفصل الثالث فهو بعنوان الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م): وهو يتعمق في دراسة حالة حزب الرفاه من التأسيس عام 1983 م وحتى وصوله إلي السلطة عام 1996 م، ثم يعرض لأيديولوجية الحزب وبرنامجه، ثم التنظيم السياسي للحزب والممارسة السياسية له حتي خـروج “أربكان” من رئاسة الوزراء عام 1997م.

أما الفصل الرابع والأخير فهو بعنوان: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام السياسي في تركيا وهو يبحث في التوجهات الجديدة في تركيا والتي ستقود إلي اتساع مساحة التأييد للإسلاميين في الشارع التركي وهنا الإسلاميون يمكن وصفهم بالإسلاميين الجدد كما عبر عن حزب العدالة والتنمية العديد من المراقبين ودعني أقول: إن توجهات التيار المحافظ الذي يمثله حزب العدالة والتنمية والذي يعد الإسلام جزءاً رئيسياً من تكوينه وهويته يحظى بتأييد قطاعات وقوي كانت تؤيد التيارات العلمانية. التدافع بين العلمانية والإسلام في تركيا سوف يقود لانتصار التيار المحافظ الذي يجعل من الإسلام جزءاً من توجهه وأفكاره وإدراكه بدليل أن مجموعة رجال الأعمال العلمانيين والمعروفين بالتوسيع دعموا حزب العدالة والتنمية في معركته مع العسكر والعلمانية الأصولية ممثلة في حزب الشعب الجمهوري.

* * *

الفصل الأول الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

ينقسم هذا الفصل لأربعة مباحث:
المبحث الأول: الطرق الصوفية
ومقاومة العلمانية الكمالية
المبحث الثاني: السليمانيون
وتحدي الحفاظ علي العلوم
الإسلامية
المبحث الثالث: النورسيون
وتحدي إنقاذ الإيمان ونصرة
الإسلام
المبحث الرابع: المثقفون
الإسلاميون من الاغتراب إلي
الاختراق

الفصل الأول:

الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

طرح انتصار حزب "العدالة والتنمية" الكبير في انتخابات 3 نوفمبر 2002 م البرلمانية ما أطلق عليه "بولنت أراس وبولنت جوكاي" **"بداية جديدة لتركيا الإسلام يقع في القلب منها"**، فكما أشارت دراستهما فإن انتقال التصويت من الأحزاب التقليدية لحزب جديد جذوره تعود للإسلام طرح أسئلة جوهرية من مثل: هل تركيا ستصبح دولة أكثر إسلامية، وماذا وراء النصر الانتخابي؟ ولماذا سقطت الأحزاب التقليدية؟ وكيف ستؤثر نتائج الانتخابات علي العلاقات مع أوروبا؟ ولكن السؤال الأكثر تداولاً كان حول العلاقة بين الإسلام والديموقراطية الليبرالية بمعنى هل يمكن أن تكون هناك ديموقراطية في دولة إسلامية وهو ما يتعارض مع جذور التصور الغربي للعالم الإسلامي⁽¹⁾.

(1) Bulent Aras and Bulent Gokay, Turkey After Copenhagen: Walking a Tightrope, Journal of Southern Europe and The Balkans, volume 5, Number2, August2003, p149 - 150.

حيث أشار الباحثان إلي أن هناك قروناً عديدة من سوء الفهم والجهل والتبسيط من جانب الغرب للإسلام والتي صورته علي أنه عنوان للتعصب وأن السلطة السياسية في الإسلام هي تعبير عن الاستبداد والتقاليد الإسلامية عودة للوراء ويجادل الباحثان في أن الإسلام هو تعبير عن قدر عال من الفردية وأنه ليس بالضرورة متعارضاً مع الحداثة. بل إن هناك اتجاهات قوية في العالم الإسلامي تفسر الإسلام بطريقة ليبرالية، كما كان الحال في الدولة العثمانية التي اعتبرت أن الدين هو تعبير عن المجال الخاص بينما النظام الاجتماعي والقانوني الذي كان مستمداً من الإسلام كان لديه مرونة عالية في التعاطي مع سياسات الدولة وكانت تفسيرات القانون متفقة ومتوائمة مع السلوك الليبرالي
وراجع: Op. cit. P. 150.

وسوف نلاحظ أن العثمانية الجديدة التي تعد تعبيراً عن أحد ملامح الإسلام السياسي التركي في الثمانينات هي استدعاء للخبرة العثمانية التي تعبر عن التوفيق بين الحياة الخاصة والعامة وبين

وفي الواقع فإن انتقال التأثير الإسلامي من الأطراف إلي المركز مع صعود حزب العدالة والتنمية جاء نتيجة طبيعية لفشل الخيار العلماني الذي قدمه " أتاتورك " والنخبة وثيقة الصلة به لتركيا كطريق لتحديثها وتغريبها، وهو خيار لم يعر غالبية الشعب التركي أي اهتمام أو إصغاء لصوته، ومن ثم اعتمد علي قوة الجيش لفرض ما تريده هذه النخبة وحدها ومن هنا تعمقت الفجوة بين الجماهير التي همشت لصالح مركز مثلته نخبة علمانية قابضة بقوة علي السلطة عن طريق مؤسسات بيروقراطية في منتهى العنف.

تحولت العلمانية إلي ما يشبه الدولة الدينية في تركيا، حرية التعبير عن المعتقد والضمير الديني مثل حق المرأة في ارتداء الحجاب أصبح سببا لمنع قبولها في الجامعة أو مؤسسات الخدمة المدنية، كما أن القومية التركية الجديدة والتي أنكرت الميراث العثماني ذا الطابع الإسلامي مثلت مشكلة كبيرة في قدرتها علي التواصل أو الفهم من قبل الغالبية المسلمة في البلاد.

ومن هنا فإن الشرعية والسلطة من قبل الدولة الكمالية الجديدة والتي بدا أنها تبدأ من نقطة الصفر أسست علي صيغة صراعية بين المركز العلماني وبين الهامش عميق التدين والتقليدية، وأصبحت أطروحة " أتاتورك " علي المجتمع التركي والمستندة إلي القوة لفرض التحديث موضعاً للتساؤل والشك بل والرفض علي نطاق واسع بين

الدين والدولة وبين الإسلام والغرب وبين الدولة والمجتمع وبين الأقليات والأغلبية ففيها الكثير من الإجابات التي تعبر عن أزمة تركيا المعاصرة وأنا أزعم أن تقاليد حزب العدالة والتنمية هي تعبير معاصر وبشكل واضح عن التقاليد العثمانية المحافظة التي تحترم القيم الدينية ولكنها هي ذاتها ليست دينية.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

التيارات والجماعات المكونة للمجتمع التركي⁽¹⁾.

هذه التيارات الرافضة للعلمانية الكمالية عبرت عن نفسها بقوة اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية وبأشكال مختلفة تراوحت بين استخدام القوة والعنف كما هو الحال مع انتفاضة الشيخ سعيد الكردي سنة 1925م والتي استدعت قوات الجيش لإخمادها وبين العمل من داخل النظام السياسي مستغلة المساحات التي منحتها الأحزاب في فترة التعددية السياسية بداية من عام 1946 للتيارات الإسلامية وعبرت عن معارضتها للنظام الكمالي من داخلها، ثم تكامل التعبير السياسي لهذه القوي عبر بنائها لأحزاب تعبر عنها بشكل مستقل عن الأحزاب الأخرى منذ العام 1969م والتي أعلن فيها "أربكان" عن تأسيسه لحزب النظام الوطني.

وعبرت الطرق الصوفية عن نفسها بشكل انسحابي سري بدت فيه وكأنها تحافظ على الهوية الإسلامية من خطر التهديد الذي تواجهه مع الهجمة الكمالية ولا تزال تمثل إلى اليوم أحد معالم قوة الإسلام في تركيا، وعبرت هذه القوي أيضاً عن نفسها في المجال الفكري والحضاري كما هو الحال بالنسبة للتيار الذي عبر عنه "نجيب فاضل"، "وسرائي قراق" و "عصمت أوزال" وغيرهم.

فهناك تعبيرات متعددة عن الإسلام في تركيا يمكن القول أنها أوجه لظاهرة واحدة ولكن كل وجه له لون وتوجه ومنهج في التعاطي مع الواقع ربما يختلف أو يتقاطع أو حتي يتعارض مع الوجوه الأخرى، ولكنها تصدر جميعها عن موقف واحد من "الكمالية" باعتبارها خطراً

(1) Op. cit. p. 155.

يتهدد الإسلام، وقد استطاعت هذه التيارات والقوي الاجتماعية والفكرية التي تتخذ من الإسلام قاعدة لمعارضة سياسات الدولة وحاضنة لحماية هويتها ووجودها من الاستئصال أن تنتقل من الهامش إلى القلب عبر بناء نخبة إسلامية جديدة تداولت المواقع من النخب العلمانية التي أصبحت غير قادرة علي أن تؤسس قاعدة للتلاحم الاجتماعي يعبر عن الهوية والشرعية والمصلحة القومية لتركيا⁽¹⁾، وتبدل المشهد السياسي التركي من حصار الإسلام ومحاوله استئصاله في بداية القرن الماضي إلي محاصرة العلمانية والأتاتورية في تركيا وتراجعها⁽¹⁾.

ونحن نتعقب كيف أثر الإسلام في التيارات الفكرية والقوي الاجتماعية والسياسية التي قاومت العلمانية الكمالية؟ وماهي الأدوات التي استخدمتها في المواجهة؟ وكيف تحول الإسلام من الهامش بل ومحاوله الإلغاء إلي المركز بحيث أصبح هو قلب النقاش والجدال الفكري والسياسي والمجتمعي في تركيا والعالم الإسلامي.

* * *

(1) عن أزمة العلمانية التركية راجع "أرتو جروك كيركو، أزمة الدولة التركية في رؤي مغايرة، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ع 2، مايو، 1997، ص 4 - 7 وأيضاً راجع هايننس كرامر، تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد، التحدي المائل أمام كل من أوروبا والولايات المتحدة، تعريب فاضل جتكر، العبيكان، 1422 هـ - 2001 م حيث يقول "الكمالية ما هي إلا قاعدة أيديولوجية ولي زمانها وغير صالحة لإدارة نظام ديموقراطي قائم علي الانفتاح وتطوير دولة قومية موحدة ذات مجتمع متعدد الأعراق والثقافات، ص 17 - 18 حيث عنون له هذا الجـزء من الكتـاب

"اهتراء النموذج الكمالي".

(1) لا يعرف الأتراك مصطلح الكمالية ولكنهم يعرفون مصطلح الأتاتورية والمحللون الأجانب لتركيا الحديثة هم الذين ابتدعوا مصطلح الكمالية.

المبحث الأول الطرق الصوفية ومقاومة العلمانية الكمالية

مثلت الطرق الصوفية القاعدة الاجتماعية للدولة العثمانية في بدايات تكوينها، وظلت هذه الطرق مع تبلور مؤسسات الدولة تعبر عن الإسلام الشعبي متوازية مع الإسلام الرسمي تعبيراً عن الطبيعة التعددية للدولة العثمانية⁽¹⁾ التي لم تكن تحتكر لنفسها الإسلام لتتحدث باسمه وحدها، ومن هنا سمحت للتعبيرات الدينية الإسلامية الأخرى مثل المذاهب الفقهية غير الحنفية والفرق غير السنية مثل المذهب الشيعي والطرق التي تعبر عن الإسلام الشعبي بتقاليده الخاصة والتي تختلف بالضرورة عن الإسلام الرسمي الذي تبنته الدولة.

(1) عن الصوفية وعمق تغلغلها في المزاج التركي وتعبيرها عما يعرف بالإسلام الشعبي راجع: محمد فؤاد كوبريللي، *المتصوفة الأوائل في الأدب التركي*، ترجمة عبدالله أحمد إبراهيم، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، (جزءان) الأول برقم 348 والثاني برقم 371 وكلاهما مطبوع عام 2002، وهو يشير إلى أن الصوفية عبرت عن الفوران الشعبي لحركات الطرق في منطقة الأناضول في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر الميلادي، وكيف أنها مثلت ملجأً للجماهير من القلق السياسي والاضطراب الاجتماعي، واضطر الحكام في الدولة السلجوقية إلى أن يتواصلوا مع شيوخها لاستيعاب خطرهم وشعبيتهم من أن تمثل تحدياً لهم، كما أن الشخصية القومية التركية عبرت عن نفسها باستقلال عبر أدب أحمد يسوي ويونس أمره وغيرهما، وتواكب الاكتساح الصوفي أو الإسلام الشعبي مع ظهور الدولة العثمانية التي عبرت عن الإسلام الرسمي الذي عبر عن محاولة لتخفيف العوامل المهرطقة في الإسلام الشعبي الصوفي، وعبرت التقاليد التركية ما قبل الإسلام عن نفسها في الصوفية، وتبني القصر السلطاني الأدب والفن الصوفي حيث لا تزال موسيقى القصر الصوفية هي أهم التعبيرات الفنية لتركيا وكذلك موسيقى المهتر التي كانت تسبق الجيوش العثمانية وبينما عبرت الأولى عن العشق والإلهام والوجد والذوبان فإن الثانية عبرت عن روح الفداء والتضحية والقتال، فالإسلام التركي المعاصر هو مزيج قوي لا يمكن فصله بين التقاليد الصوفية وروح الشريعة والشخصية القومية التركية قبل الإسلام.

وكما هو معلوم فإن معظم سلاطين الدولة كانوا يؤيدون الطرق الصوفية كتعبير عن الإسلام غير الرسمي وانتمي الكثير منهم لهذه الطرق، ومع تشجيع السلاطين لهذه الطرق انتشرت في قطاعات مهمة بين العثمانيين مثل التجار والحرفيين بطوائفهم المختلفة، بحيث تداخلت الحرف مع الانتماء لطرق صوفية معينة كانت تمثل الإطار الأخلاقي الضابط للمنتسبين إليها، وحين كان "أتاتورك" يخوض معركة صراعه مع الخلافة الإسلامية ومعركته للتحرير فإنه تملق الطرق الصوفية وخاصة "النقشبندية" التي شاركت علي نطاق واسع في حروب ومعارك التحرير معه ولذا فإن دستور 1924 ترك الطرق الصوفية حرة بدون أية قيود.

وفي أغسطس عام 1925 ألقى خطاباً في مدينة "قسطموني" التي تنتشر فيها الطرق الصوفية وقال "إن طلب العون والمساعدة من قبور الأموات صفقة علي جبين المجتمع الإنساني المتحضر.. يجب أن تتعلموا أيها السادة أنتم وأفراد أسركم، وعلي الأمة التركية بأسرها أن تعلم أن الجمهورية التركية العلمانية لا يمكن أن تكون بعد اليوم أرضاً خصبة للمشايخ والدروايش وأتباعهم من أصحاب الطريقة، وإذا كان هنالك من طريقة حقيقية فهي طريقة الحضارة المبنية علي العلم.. وعلي مشايخ الطرق أن يفهموا هذا الكلام بوضوح وبالتالي يغلقوا زواياهم وتكايهم عن طيب خاطر وإلي الأبد قبل أن أدمرها فوق رؤوسهم" (1).

وعقب عودته استصدر عددا من القوانين استهدفت الطرق الصوفية بالمنع والحظر ومن أهم هذه القوانين:

(1) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، القاهرة: جواد الشرق للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1421هـ - 2001م، ص 46 - 47.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

- 1- إغلاق الزوايا والتكايا الموجودة بالدولة سواء أكانت وقفاً أو ملكاً لمشايعها.
- 2- إلغاء كل أنواع الطرق وألقاب مشايخها ودرأويشها والأعمال التي يقومون بها للجمهور.
- 3- حظر الملابس والأزياء التي تدل على الطرق وصفاتها وتنويعاتها.
- 4- إغلاق جميع المزارات وقبور الأولياء والسلطين ومشايخ الطرق.
- 5- الحكم علي من يخالف هذه القرارات بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر وغرامة لا تقل عن خمسين ليرة.
- 6- تحويل جميع ممتلكات الزوايا والتكايا من الأساس إلي متاحف الدولة⁽¹⁾.

وتضمن قانون العقوبات التركي مايفيد تجريم تأسيس أو تشكيل أو تنظيم أو إدارة أي جمعية علي أساس ديني أو عقائدي يخالف العلمانية أو يخل بنظامها الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي كما يعاقب كل من ينتمي لهذه الجمعيات أو يدعو إلي الانضمام إليها أو يعمل دعاية لها أو يستغل الدين كأداة سياسية، كما أن النشر أو المساعدة في النشر لمواد تخل بالعلمانية هي جرائم يعاقب عليها القانون⁽²⁾.

(1) راجع: هدي درويش، الإسلاميون وتركيا العلمانية، نموذج الإمام سليمان حلمي، تقديم الدكتور محمد حرب، القاهرة، دار الآفاق العربية، 1418هـ - 1998، ط1، ص 114 - 115.

(2) يشير الدستور التركي العلماني إلي أنه كحكم ثابت استحالة تطبيق القواعد الدينية ولو جزئياً في كيان الدولة السياسي والاقتصادي والاجتماعي والقانوني، كما لا يجوز إطلاقاً لأي أحد أن يسيء استخدام المشاعر الدينية وقيمها المقدسة بغرض تحقيق مآرب سلطوية أو سياسية أو مصلحة

- لجأت الطرق الصوفية في دفاعها المستميت عن هويتها ووجودها إلى العمل السري وأصبحت أكثر تسيساً وعنفاً بشكل لم تعرفه في كل تاريخها، كما هو الحال بالنسبة للطريقة “النقشبندية” والتيجانية “و” السليمانية و” المولوية “والرفاعية، والقادرية والشاذلية والخلوتية والجراحية والملاطية وغيرها من الطرق التي كانت تغص بها الدولة العثمانية⁽¹⁾.

- مثلت المواجهة الكبيرة الأولى بين الدولة والشيخ سعيد الكردي النقشبندي في فبراير 1925 أحد أخطر التحديات التي واجهتها الدولة الكمالية، فهي أكبر انتفاضة للأكراد التي تعرضت هويتهم للتهديد واستندت إلى النقشبندية كطريقة صوفية وهي التي عبرت عن الإطار المرجعي الفكري للحركة والذي استخدم في التعبئة والحشد والدعاية واستخدام الرموز، وكما تشير أحد الدراسات عن الحركة فإنه لا يمكن

شخصية، ويشير قانون العقوبات التركية في مادته 163 إلى أنه يعاقب كل من يؤسس أو يشكل أو ينظم أو يدير جمعية بهدف ديني أو عقائدي تخالف علمانية الدولة وتخل بنظامها الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو القانوني بالسجن من عامين إلى سبعة أعوام ويعاقب كل من ينضم أو يحرض الآخرين بالانضمام إليها بأقل من ستة أشهر.. وكل شخص يقوم بدعاية بهدف زعزعة الأسس العلمانية بأي شكل من الأشكال أو استغلال الدين كآلة سياسية يعاقب بالحبس من عام إلى خمسة أعوام وكل من يقوم بنشر أو المساعدة في نشر ما يخل بالعلمانية يعاقب بالسجن من ستة أشهر إلى عامين وراجع كتاب تركيا 2002، إعداد وكالة “تورك خبر لر، ونص الدستور التركي باللغة الإنجليزية

.The Constitution OF The Repuplic of Turkey, Ankra: 1995, 2Print, Article 24.

(1) تحولت الطرق الصوفية إلى الهجوم على الدولة الكمالية واعتبارها عدواً للإسلام واتخذ فعلها المدافع طابعاً سياسياً وعنيفاً من الناحية الحركية والرمزية وراجع باللغة الإنجليزية:

Cemal Kafader, The New Visibility Of Sufism in Turkish Studies and Culture Life in Raymond litchez(ed) , TheDervish Lodg: Architecture, Art and Sufism in Ottoman Turkey, Berkeley: University of California, 1992, p. 21 - 25.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

إغفال أن العامل الديني كان أحد أبرز العوامل في قيامها، فلقد اعتبر قادة الحركة أن إلغاء الخلافة هو أحد أسباب المروق علي الدين، كما كان إلغاء نظام الخلافة الوراثي في الطريقة النقشبندية والتي كان ينتمي إليها معظم علماء الدين في كردستان تركيا أثر كبير في تأجيج نار الحقد علي الحكومة التركية واتهامها بالابتعاد عن الدين، كان برنامج الحركة وشعارها المعلن هو إعادة الاعتبار إلي الدين وحكم الشريعة وتنصيب سليم أفندي أحد أبناء السلطان عبدالحميد سلطانا وخليفة⁽¹⁾.

وبعد المواجهة الكمالية مع النقشبندية والقبض علي الشيخ سعيد وإعدامه في إبريل 1925 م، قامت حوادث متعددة ذات طابع فردي ضد الكمالية خاصة رفض لبس القبعة وأعلن أحمد حمدي النقشبندي نفسه خليفة للشيخ سعيد.

وفي أروم هاجم الأهالي مبني المحافظة تحت قيادة "خوجة عثمان" النقشبندي وقامت حوادث مماثلة في مرعش وكيره سون، وفي سنة 1930 هاجم الشيخ "محمد النقشبندي" قسبة منمن " وسيطر عليها ورفع البيرق النبوي وقتل ضابطا تصدي له، وقبض عليه ثم مات مسموما في السجن، وفي عام 1935 م قامت ثلاث انتفاضات نقشبندية مرة واحدة.

وفي الأربعينيات والخمسينيات ظهر نشاط الطريقة التيجانية ذات الطابع الصدامي مع الدولة حيث قام التيجانيون بتحطيم تماثيل "كمال أتاتورك" وقبض علي زعيمهم " الشيخ كمال بلاو أوغلو " رجل

(1) إبراهيم خليل العلاف، خارطة الحركات الإسلامية المعاصرة في تركيا علي موقع:

www.alwatanvoice.com/pulpit.php?go=articles&id=34756

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

الأعمال الضليع في القانون سنة 1950 وحكم عليه بالسجن عشر سنوات. وفي فبراير 1954م ألقت السلطات الكمالية القبض علي سبعة عشر من شيوخ الطريقة النقشبندية في ماردين وحاكمت شيخ الطريقة المولوية في يونية 1950 م وشيخ القادرية في مارس سنة 1951 م كما قبضت علي جماعة من الطريقة البكتاشية⁽²⁾.

وبدءاً من الستينيات انتقلت الطرق الصوفية من السرية إلي العلنية وأصبحت جزءاً من الحركة الإسلامية في تركيا، بل إنها أصبحت جزءاً مؤثراً في الحياة السياسية يأخذها السياسيون والأحزاب في تقديرهم لأسباب متصلة بالحصول علي أصواتهم الانتخابية، لكن الطرق الصوفية نأت بنفسها عن ممارسة العمل السياسي المباشر باعتبار أن العمل الاجتماعي والدعوي والأخلاقي هو مجال فعلها الأساسي وحتى لا تدخل في مواجهة مع الدولة تكشف بنيتها التنظيمية فهي محظورة بحكم القانون. واتسم الوجه الصوفي للإسلام في تركيا بعائه للعلمانية وللغرب معا واتخذ الطريق التربوي والدعوي والسلوكي والاجتماعي والتعليمي الثقافي والاقتصادي مجالاً لفعله من أجل ما يمكن وصفه باستراتيجية " اختراق للنظام العلماني المعادي للشريعة من أسفل ".

وتمتاز الطرق الصوفية ببنيته التنظيمية القوية التي تستند إلي مفهوم الطاعة والعلاقة الصارمة ذات الطابع الروحي بين الشيخ والمريد،

(2) عن المواجهات بين الدولة والطرق الصوفية راجع: محمد نور الدين، قبعة وعمامة مدخل إلي الحركات الإسلامية في تركيا، بيروت: دار النهار، 1997، ط1، ص 38 - 39 وأيضاً إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا 1920 - 1980 القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ص 65 وما بعدها وأيضاً الحركة الإسلامية في تركيا حاضرها ومستقبلها، دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا، عمان: دار البشير، 1992 ص 29، ص 42.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

وتنتشر الطريقة بين الجمهور عبر الدعوة إليها ونقل تقاليدها من جانب المريدين الذين بلغوا مرحلة الإجازة وفي تركيا تبدو الطريقة الوعاء الروحي لممارسة الشريعة بحيث نجد ارتباطاً لا ينفصم بين الطريقة والشريعة، **فكل مسلم في تركيا لديه طريقة ومذهب لممارسة دينه**، وربما يكون ذلك أحد تجليات نزعة النظام الحادة وقوة التقاليد وعمقها في الثقافة التركية⁽¹⁾.

ويقدر تقرير للمديرية العامة للأمن في تركيا أن عدد مراكز الطرق الدينية في مدينة اسطنبول وحدها قد ارتفع من 307 مركزاً عاماً 1991 م إلي 560 عام 1996 فيما بلغ عددها في أنقرة نحو 130 مركزاً، وتمثل الطرق الصوفية شبكة اجتماعية ذات طابع مدني تعاوني تمثل سقفاً من الحماية للطبقات الفقيرة والمحرومة من الحرفيين والعمال والطلاب الذين لم يكملوا تعليمهم والطبقات الوسطى الدنيا، **وتعرف الطرق الصوفية حضوراً قوياً حول أحزمة الفقر وأكواخ الصفيح Gecekondu التي تحيط بها ولا سيما في اسطنبول⁽¹⁾**، كما تعرف الطرق نفوذاً قوياً في مناطق شرق تركيا حيث يتضاءل وجود الدولة المركزية هناك بسبب الاضطراب الأمني الناشئ عن المشكلة الكردية.

أولاً: الطريقة النقشبندية:

(1) عن الثقافة التركية ونزعة التقليد والنظام القوي داخلها راجع: كمال السعيد حبيب، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2002، ط1، ص 229 - 237، وغالب الزعماء السياسيين لهم ارتباطات قوية بالطرق الصوفية وعلي سبيل المثال فإن أربكان نقشبندي وتورجوت أوزال نقشبندي وكوركوت أوزال نقشبندي وعدنان مندريس كان وثيق الصلة بالنورسية وكان يرسل أحد مشايخها مراسلات خاصة يقول له فيها: أقبل بكم وكان ذلك ضمن أسباب إعدامه من قبل انقلابي عام 1960 وعن الواقعة الأخيرة راجع النعيمي، الحركات الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 103.

(1) محمد نور الدين، قبعة وعمامة، مدخل إلي الحركات الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 37.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

نسبة إلي محمد بهاء الدين البخاري النقشبندي وهي أقدم الطرق الدينية في تركيا وأكثرها انتشاراً، ويقدر عدد منتسبيها بأكثر من 2 مليون نسمة، وهم يرفضون الذكر الجهري ويهتمون بالذكر الخفي وهم يرفضون الرقص والسماع ويهتمون بالصحة مع الشيخ والإخوان، وهم يتبعون السنة ويعرفون الطريقة بأنها كنز والشريعة مفتاحه لذا معرفة الشريعة أي قواعد الإسلام ومبادئه الظاهرة هي شرط الالتحاق بالطريقة لأن جهل الشريعة قد يوقع في البدع والخرافات⁽²⁾.

والنقشبندية تأثرت بالحركة التي بدأت مع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا ولذا فهي علي وعي بقضايا الإسلام المعاصرة وإن كانت جماعة تقليدية، وربما هم يرفضون وصفهم بالتأثر بهذه التيارات التجديدية وقد يقولون إنهم سلفيون ونحن صوفيون، ولكن التعمق في آرائهم ووضعهم السياسي يكشف تأثرهم بهذه الحركات التجديدية كما يكشف أنهم تعبير عن حركة عقلانية في فهم الدين.

وتأثراً بتفسيرات المنار التي قدمها “محمد رشيد رضا”، هناك نزعة تأويل واسعة عندهم، وهم يهتمون بالوجه الدنيوي للإسلام مثل الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية والعسكرية، وهم يقولون “لو أحسن المسلم علاقته بالله سوف تتحسن علاقاته الأخرى مع المجتمع والدولة”، هم تأثروا بالأطروحات التي قدمتها الحركات الإسلامية التجديدية بعد انهيار الخلافة وبعد ظهور الدولة القومية.

(2) ولد عام 717 هـ - وتوفي عام 791 هـ والنقشبندي كلمة مركبة من العربية والفارسية وتعني نقش محبة الله في قلوب المنتسبين للطريقة بالذكر الدائم، وقد وقعت علي كتاب كبير عن النقشبندية كتبه تركي، فريد الدين آيدن، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها علي موقع: www.saaaid.net/book.4/777.doc. ومن كتبه أشار إلي أنه من السلفيين الأتراك ولهم موقع: www.ikraislam.com.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

- النقشبنديون أصوليون يقدسون الدولة الإسلامية أكثر مما ينبغي وهم في ذلك مثل الحركات الإسلامية يقولون “ نبدأ من الدولة - فهم إسلاميون بهذا المعنى - والنقشبنديون المعاصرون لهم جريدة اسمها “ SAGDUYU صاغ دويو “ أي الرأي السديد بالتركية، ومعظم النقشبنديين يؤيدون حركة “ الملي جورش “ التي أسسها “ أربكان “ وفي الانتخابات النيابية الأخيرة التي جرت في نوفمبر 2002 م أيدت أكبر جماعة نقشبندية حزب السعادة ولم تؤيد حزب العدالة والتنمية وهم يؤيدون حركة “ الملي جورش “ - أي الفكر الملي - لأنهم يرونه أقرب لإقامة الدولة الإسلامية⁽¹⁾.

و تتفرع الطريقة النقشبندية في تركيا إلي عدة أفرع أهمها:

1 - جماعة اسكندر باشا:

أسسها الشيخ “ محمد زاهد كتكو “ واتخذ جامع “ اسكندر باشا “ في اسطنبول مقراً للجماعة منذ عام 1958 م، وهي صوفية نقشبندية وشيخ الجماعة بعده اسمه “ أسعد جوشان “ صهره وزوج ابنته، خرج من تركيا بعد سقوط حكومة أربكان في 28 فبراير 1997 م وله جماعة تتبعه في استراليا ولكنه توفي هناك في حادث سيارة أوائل عام 2002 م، ويترأس الجماعة اليوم ابنه “ محمد “ وهذه الجماعة كان لها أنشطة مهمة جداً وكثير من المثقفين الأتراك عملوا معها وكتبوا في مجلتهم “ إسلام “ ومجلة “ العلم والفن “. ويقدر توزيع “ مجلة إسلام “ بأكثر من مائة

(1) نحن مدينون بهذه المعلومات الثمينة عن الطرق الصوفية بتركيا والتي تنشر للمرة الأولى بهذا التفصيل والاستقصاء باللغة العربية للباحث التركي “ عمر توقات “ الذي التقيناه في اسطنبول في شهر أكتوبر عام 2003 م، وسوف نحيل دائماً إليه بخصوص هذه المعلومات بالإشارة إلي حوار الباحث مع عمر توقات.

ألف نسخة⁽²⁾.

يتمركز هؤلاء في مسجد "اسكندر باشا" الذي تسمت الجماعة باسمه، والنشئ المهم في هذه الجماعة هو أن الشيخ "محمد زاهد كوتكو" هو شيخ "تورجوت أوزال" رئيس وزراء تركيا ورئيس جمهوريتها فيما بعد وهو - أي أوزال - من مريدي الشيخ وأخوه الكبير "كوركوت أوزال" هو أيضاً من مريدي الشيخ، كما أن بعض السياسيين في "الملي جورش" هم من مريدي الشيخ "محمد زاهد كوتكو" الذي يتمتع بتأثير كبير في أوساط النخب المثقفة والنخب السياسية الإسلامية وهو الذي وجه الكثير منهم للعمل السياسي وتأسيس حركات إسلامية لها طابع سياسي وعلي رأسهم "أربكان" نفسه فالمعلومات التي حصلنا عليها من مصادر موثوقة تشير إلى أن "أربكان" استشار الشيخ "محمد زاهد كتكـو" قبل أن يعلن حزبه الأول "النظام" عام 1969م⁽¹⁾. وهو عالم متمكن كان يهتم بقراءة الحديث فيفتح

(2) عن أهمية هاتين المجلتين راجع: جلال معوض، الإسلام والتعددية في تركيا 1983 - 1991، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، يوليو 1994، ص 50 حيث يشير إلى أن توزيع صحيفة "إسلام" 100 ألف نسخة وأن إصدارها بدأ في أنقرة عام 1983 م وانتقل مركزها إلى اسطنبول وتنتشر مكاتبها وفروعها في قونيا وأزمير وأرضروم وقيصري وسيواس وبورصة، وصحيفة العلم والفن وتوزع 20 ألف نسخة شهرياً وبدأ إصدارها عام 1985 ثم انتقل مركزها في العام التالي إلى اسطنبول، وصحيفة المرأة والعائلة وتوزع 60 ألف نسخة، ولهم دار نشر كبيرة يرأسها أستاذ بكلية الإلهيات في جامعة أنقرة بقسم أصول الدين وهو متزوج من كريمة أحد كبار مشايخ الطريقة النقشبندية، وتدعو الرؤية التي تمثلها هذه الصحف إلى عدم تقليد الغرب في نظمه وتقاليده وإلى الانضمام للعالم الإسلامي وليس إلى الاتحاد الأوروبي، ص 50.

(1) حوار المؤلف مع محمد فرنجه أقدم طلاب النور الأحياء وفق ما أفادنا إحسان قاسم الصالحي مترجم كليات رسائل النور وقد التقيته في اسطنبول بوقف العلوم الإسلامية التابع لجماعة النور، حيث كان شاهداً على المناقشات التي دارت بين المجموعة الإسلامية في تركيا من أجل الاستقلال بحزب سياسي وقال: إن "أربكان" وكان رئيساً للغرف التجارية وقتها قال: إنه لا بد من استشارة شيخه في اسطنبول.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

كتاب “رياض الصالحين” ويقرأ منه وهناك كتاب آخر اسمه “رامز الأحاديث” Ramizu, L - Ehadis وهو مكتوب بالعربية وله شرح بالتركية ألفه الشيخ “ضياء الدين جومشخانوي” الذي كان شيخاً لـ “محمد زاهد أفندي كوتكو” وألف هذا الكتاب بالتركية والعربية.

تقدس المجموعات النقشبندية الدولة الإسلامية بتأثير الإسلاميين من الجماعات والحركات المعاصرة علي الصوفية التركية، وكانت مجموعة اسكندر باشا “تؤيد” أربكان “حتى عام 1990 ثم اختلفت معه وارتبطت بحزب الوطن الأم الذي أسسه “تورجوت أوزال” أيام وجوده، ولكنها صوتت لحزب العدالة والتنمية في الانتخابات الأخيرة، وكان الشيخ “أسعد جوشان” تناقش مع “كوركوت أوزال” بشأن تأسيس حزب سياسي إسلامي يعبر عن الطريقة النقشبندية ولكنهم قرأوا الواقع ووجدوا أن هذا لن يكون في صالح المسلمين في تركيا. وأنشأوا بدلا من ذلك حزب “الوطن الأم” أي أن أهم حزب تركي بعد عام 1983 كان نتاج تشاور بين سياسي وبين شيخ طريقة صوفية هي النقشبندية وهو ما يؤكد عمق التأثير الصوفي في الحياة السياسية التركية وعبر الحزب داخله عن أربع اتجاهات وهي:

- الإسلاميون:

ويمثلهم “سليمان جندز” وهو الآن في حزب العدالة والتنمية و “حسن جلال جوزال” الذي كان وزيرا للتعليم والتربية. وكان يصدر مجلة “ترجمان” وقد استقال من السياسة بعدئذ، وهم من بقايا حزب السلامة الوطني.

- ليبراليون:

ويمثلهم مسعود يلماظ وهؤلاء هم من كان يمثل الاتجاه اليميني في حزب العدالة.

- محافظون:

“ محمد كتجلر “ والذي كان وزيراً في الحكومة قبل أن يصل حزب العدالة والتنمية إلى السلطة.

- يساريون:

قطاع منهم ترك اليسار وتبني الأفكار الليبرالية أو الكمالية وهم من بقايا الاتجاه الاشتراكي لحزب الشعب الجمهوري⁽¹⁾.

2 - جماعة " أضي مان " ADIYAMAN:

واتجاه هذه الجماعة من الناحية السياسية يختلف دائماً فهم أيدوا في بعض الأحيان “ الحزب الوطني القومي “ الذي تزعمه “ ألب أصلان توركش “، و “ الاتحاد الكبير “ الذي يرأسه “ محسن يازجي أو غلو “ وفي بعض الأحيان أيد بعضهم “ أربكان “ وبعضهم أيد أحزاباً أخرى مختلفة، وهذه الجماعة شعبية جداً ومنتسبوها من المواطنين العاديين ولعبت الجماعة دوراً كبيراً في هداية هؤلاء الناس وإدخالهم في الطريقة، واشتهر عن شيخها “ محمد راشد أفندي “ بأنه يخلص الناس من الخمر والحياة الكريهة والذي يواجه مشكلة ويريد التخلص من هذه الحياة يذهب إلى الشيخ، فدور الشيخ هنا مركزي في الخلاص من الآثام والعادات السيئة، وتصدر الجماعة مجلة اسمها " سمرقند " وهم يفضلون هذا الاسم، وحتى المحلات التجارية يسمونها باسم " بخاري "

(1) راجع في تكوينات حزب الوطن الأم الذي سمح بوجوده بعد انقلاب 1980 جلال معوض، الإسلام والتعددية في تركيا 1983 - 1991، م. س. د، ص 19.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

أو **سمرقند** " غالباً تيمنا باسم الشيخ " بهاء الدين النقشبندي "، ومعظم المنتسبين إلى الطريقة يدخلون السجائر لأن الشيخ كان متسامحاً في هذه المسألة⁽¹⁾.

3 - جماعة يهي للي YAHYALI⁽²⁾ :

هذه الجماعة يرأسها " علي رمضان أفندي " ومنذ نشأتها الأولى أيدت " أربكان " والفكرة المليية " الملي جوروش " وهي تؤيده لأنها تري أنه يمكن أن يقود إلى تأسيس الدولة الإسلامية، ولهم مجلة اسمها " يني دنيا " أي الدنيا الجديدة - يعتنون بالطلاب ولهم وقف " الصفة " ويساعدون الطلاب ويشجعونهم علي الدراسة خاصة الطلاب الفقراء وغير القادرين في المدن التركية أو من الضواحي أو من الأناضول.

4 - جماعة إسماعيل أغا أو " تشارشما " :

صوفية نقشبندية مركزها في " تشارشما فاتح " وهي ضاحية في اسطنبول ويرأسها الشيخ " محمود الأفندي الأوفي "، نسبة إلي " أوف " وهي ضاحية بمدينة " طرابزون " بالبحر الأسود، وهذه الجماعة تهتم بالمدارس الدينية والشعارات والملابس الدينية الإسلامية مثل الجبة والسروال والعمامة للرجال والشرشف للنساء وهم ممن كانوا يؤيدون " أربكان "، وعندما استضاف " أربكان " وهو رئيس وزراء المشايخ ورجال الدين كان " الأوفي " واحداً منهم وذهب لمقر رئاسة الوزراء بالجبة والسروال، وهم يتجولون بشكل واضح في مدينة " اسطنبول " الرجال والنساء بل والأطفال بملابسهم العثمانية التقليدية، فهي تعبير عن

(1) حوار المؤلف مع عمر توقات بمدينة اسطنبول عام 2003 م.

(2) وهي ضاحية ضمن منطقة " قيصري ".

التمسك بالتقاليد العثمانية التي يرونها تقاليد إسلامية، ويمكن القول إنهم تعبير عن بعث "تيار العثمانية الاجتماعي"، وهم يهتمون بإحياء الحروف العربية الإسلامية في تركيا⁽¹⁾.

فتحوا في كل مدينة بل وضاحية مدارس رسمية وغير رسمية ودرسوا علوم الشريعة للطلاب، وكل من يدرس في هذه المدارس حتي الأطفال يرتدي الثياب التقليدية العثمانية وهم يهتمون بكتاب الشيخ "سرهندي" والمكتوبات "ويدرسه الشيخ للطلاب ككتاب رئيسي بعد القرآن الكريم والحديث كل يوم⁽²⁾ وهم يفهمون الصوفية كما بلورها وجددها الشيخ "أحمد الفاروقي السرهندي في كتابه "المكتوبات" الذي وفق بين التصوف والفلسفة والشريعة مستنداً لعقيدة أهل السنة⁽¹⁾ وهم يكرهون

(1) وقد قمت بزيارتهم بمسجدهم في منطقة "تشرشما" بفتح اسطنبول ولاحظت أنهم يتشددون في استخدام اللغة العربية حتي إن الساعة المعلقة علي حائط المسجد كانت إشاراتها وأرقامها مكتوبة باللغة العربية.

(2) وفي حوار المؤلف مع الشيخ "حسن أفندي" ممثل الجماعة في منطقة "تشرشما" بفتح أفادنا أن الجماعة لا تتعاطي السياسة ولكنها تشارك في التصويت والشيخ يترك لهم حرية الاختيار ولكنهم لا يعطون للشيوخ وفي الانتخابات الأخيرة نوفمبر 2003 صوتوا للعدالة والتنمية والسعادة، وغير المكتوبات "هناك الرسالة القدسية للشيخ" مصطفى عصمت أفندي "والرسالة الخالدية لمولانا خالد البغدادي، وللجماعة دور في ألمانيا وهولندا وإنجلترا، ولها ممثلون في كل المدن التركية، وعندهم تشاور بين الشيخ وممثلي الجماعة في المناطق وهناك لجنة تحت رئاسة الشيخ "محمود الأوفي" تقوم بتفسير للقرآن اسمه "روح الفرقان"، وهم يفصلون فصلاً تاماً بين الرجال والنساء، ويسهلون أمر الزواج علي قدر المستطاع وينصحون أن لا يزيد المهر علي 600 دولار، وهم يحبذون عدم تعدد الزوجات لقوله تعالى {ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج} [النساء: ١٢٩]، وعن الإصرار علي ارتداء الملابس العثمانية قال لنا نحن قاومنا وتمسكنا بهذه الملابس وهذا الإصرار أنتج ثمرات مفيدة جداً ونفع المسلمين أكثر من غيره لأن معناه رفض القيم الغربية الحاكمة والمسيطرة، وقال نحن نتبع السنة ظاهراً وباطناً واجتنب البدعة.

(1) المكتوبات هو أهم المصادر التي تستند إليها الجماعات الصوفية التركية وهو يضاهي لدينا في العربية

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

التلفزيون ولا يدخلونه في بيوتهم مثل التيارات السلفية المتشددة في مصر والعالم العربي والإسلامي، كما أنهم يجتنّبون أشد الاجتناب للموسيقى ويبتعدون بشدة عن أي شيء له صلة بالغرب والثقافة الغربية فهم يحافظون على أنفسهم مما يعتبرونه غول الاكتساح الحضاري الغربي، وتشير المعلومات التي حصلنا عليها إلى أن " عبد الله جول " رئيس الوزراء التركي ينتمي لهذه الطريقة .

5 - جماعة " طوب بشلر " :

يرأسها " عثمان نوري طوباش باشا " وهي تهتم بالمدارس في جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز، ولهم مدارس عديدة هناك بل إن لهم كلية في موسكو ذاتها، أيدوا " تورجوت أوزال " في عهده كما أيدوا " أربكان " أحياناً وأيدوا حزب السعادة في الانتخابات النيابية الأخيرة، وهي جماعة غنية وشيخها من رجال الأعمال وأسرته معروفة بالتجارة ولهم شركات كبيرة معروفة في تركيا مثل " بهاريا " و " وبولارس " وللجماعة مجلة اسمها " أولتن أولك " ALTINOLUK، الكاتب الرئيسي في جريدة " يني شفق " أي الفجر الجديد وهو " أحمد طاشكترن " من

“ إحياء علوم الدين ” للغزالي الذي حاول التأسيس لعلوم الدين وإحيائها في مواجهة الهجمة الصوفية العاتية التي أشرنا إليها من قبل في العالم الإسلامي منذ القرن العاشر الميلادي وحتى القرن الخامس عشر خاصة منطقة الأناضول ويزاوج كتاب الشيخ “ أحمد الفاروقي السرهندي ” الإمام العالم الرباني مجدد الألف الثاني بين الصوفية والشرعية لضبط هرطقات الصوفية بميزان الشرعية، وهو في ذلك أشبه بالجهد الذي قام به “ ابن قيم الجوزية ” في كتابه “ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ” علي كتاب “ منازل السائرين ” لأبي إسماعيل عبد الله الأنصاري المعروف بالخواجه الأنصاري، وراجع أحمد الفاروقي السرهندي، المكتوبات، بدون بيانات نشر ولكن مكتوب عليه باللغة التركية Carsamba - Fatih, Istanbul.

الجماعة وهو المسئول عن تحرير ونشر مجلة الجماعة⁽¹⁾.

6 - أوشك جيلار أو الضوئيون⁽²⁾ :

مؤسس الجماعة من أسرة “ أوشك “ واسمه “ حسين حلمي أوشك “ وتوفي ويرأسها اليوم رجل أعمال اسمه “ أنور أوران “ وهو يملك مجموعة شركات اسمها “ إخلاص هولدنچ “ و “ إخلاص فيناس “ وهي عبارة عن مصرف وجريدة يومية اسمها “ تركيا “ ولهم تلفاز TGRT وهي نقشبندية صوفية وعن الجماعة قال “ سليمان ديمريل “ رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية التركية “ إنها لا تنتظر في المحطة، أي قطار يأتي فهي تتركب فيه “ فهم برجماتيون يؤيدون من يحقق لهم المصلحة وهم يؤيدون أي حزب في السلطة حتي ولو كان يسارياً، فهم مثل جماعة الأحباش في لبنان، ويكفرون سيد قطب والمودودي ويقولون عنه: ” مردودي “.

وينتسبون للشيخ السرهندي ويقولون: إن المسلمين اليوم تفرقوا علي ثلاث فرق: الأولى: علي طريق الصحابة الكرام وهؤلاء هم المسلمون الحقيقيون ونحن نسمةهم أهل السنة أو السني، الفرقة الثانية الشيعة، الفرقة الثالثة وهم الوهابية الفرقتين الأخيرتين يقال لهما ” الفرقة الملعونة “

(1) عن الجماعة راجع محمد نور الدين، قبعة وعمامة، مدخل إلي الحركة الإسلامية التركية، م. س. ذ ولكنه يطلق عليها “ إيرينكوي “ وذكر أن الدركاه “ تدار بواسطة أربعة أشخاص ولكنه ذكر أن مؤسسها “ محمود سامي رمضان أو غلو “ ونرجح المعلومات التي استقيناه عن الجماعة حيث يعتمد محمد نور الدين علي المصادر المكتوبة وليس المقابلات الميدانية.

(2) حوار المؤلف مع عمر توقات في اسطنبول وأشار محمد نور الدين في كتابه إلي تشعبات النقشبندية ولكنه لم يشر إلي الدركاه التي أشرنا إليها وذكر “ دركا هـ منزل “ وهي نقشبندية كردية مع الحقوق الكردية لكنها ضد النزعة الانفصالية، علاقتها جيدة مع الوطن الأم ومع حزب الحركة القومية (اليمني المتطرف) وراجع محمد نور الدين، قبعة وعمامة، ص 40.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

فهم يكفرون المسلمين ويصفونهم بالشرك وأثبتوا هذا في كتاب لشيخهم بعنوان “ القيادة والآخرة “ وهو يقول “ إن الذي فرق المسلمين وشتتهم إلي هذه الفرق هم اليهود والإنجليز وهم يكفرون الشيخ “ محمد بن عبد الوهاب “ ويدافعون عن الإسلام التركي الذي يدعمه العسكر والدولة والذي يعتمد صيغة معدلة من الإسلام تتفق مع الأوضاع العلمانية لتركيا ولهم علاقة قوية مع “ البيرلويون “ وهم ينشرون كتب الصوفية والماتريديّة والأشعرية ويوزعونها مجاناً في جمهوريات آسيا الوسطى وفي أفريقيا وآسيا مثل “ عمدة المقامات “ و “ بركات أحمدية “ ومنتخبات “ ولهم مستشفيات استثمارية كبيرة ويقدم تلفزيونهم الرقص والأغاني وساعة للتفسير كل يوم⁽¹⁾.

ثانياً: الطريقة القادرية:

أكبر جماعة قادرية في تركيا هي جماعة “ حيدر باشا “ ومقرهم في اسطنبول وشيخهم يتراًس حزباً سياسياً اسمه “ حزب تركيا المستقلة “ ويبدو أن المؤسسة العسكرية هي التي تقف وراء إنشاء الحزب لينازع حركة “ الملي جورو ش “ وحزب العدالة والتنمية “ وأعضاء الحزب يقدسون الجيش ويصلون به إلي مرتبة المحرمات التي لا تمس والمثير للاستغراب أن الجيش وقياداته يرفضون رئيس الحزب الذي هو شيخ أكبر جماعة قادرية في نفس الوقت وهو حدث فريد في تاريخ تركيا العلمانية التي تفصل بين الدين والسياسة وتحرم استخدام الدين في السياسة. فلأول مرة يجمع شخص واحد بين مشيخة الطريقة الصوفية ورئاسة حزب

(1) المعلومات التي اعتمدنا عليها هنا استقيناها من لقائنا الميداني مع الأستاذ / عمر الفاروق توقات الباحث المتخصص في شئون الطرق الصوفية في تركيا. وقد حققنا معلوماته بسؤال مصادر أخرى في تركيا لها صلة ومعرفة بهذه الجماعات والطرق.

سياسي في وقت واحد. ولجماعة " حيدر باشا " قناة اسمها MELTEM أي نسيم ولها جريدة يومية اسمها " الرسالة الجديدة " MESAY YENI وهم يعطون منحاً لطلاب الجامعات ويقدمون لهم إمكانية السكن والأكل وللجماعة أيضاً مجلة شهرية اسمها " إجمال "، وقد تختلف بعض المجموعات القادرية عنهم في الفكر السياسي فيؤيدون " أربكان " أو الطيب أردوغان ⁽¹⁾.

ثالثاً: الطريقة التيجانية:

بعد شهر من فوز الحزب الديمقراطي الكاسح في الانتخابات البرلمانية دعا زعيم الطريقة التيجانية " كمال بيلاف أو غلو " إلى إلغاء الأتاتورية والعودة للإسلام، إلا أن حكومة الحزب الديمقراطي ساقته للمحاكم، لكنها اضطرت لتأجيل المحاكمة بسبب التظاهرات العنيفة التي قام بها أنصاره خارج قاعة المحكمة وكان أغلبهم من الشباب، والتيجانية طريقة تأسست في القرن الثامن عشر في الجزائر ثم جاءت لتركيا في وقت غير معروف وكان السلاطين يدعمونها، وهي تتركز في أنقرة والأناضول الأوسط، في مايو عام 1951 م وزعت التيجانية منشوراً في "

(1) أشار محمد نور الدين في كتابه قبعة وعمامة إلى الطريقة القادرية وأشار إلى أنها تري في أمريكا عقبة كبيرة أمام إحياء القومية التركية، وهي تعارض الدخول إلى الاتحاد الأوروبي، ص 41 وعن صحيفة إجمال أشار جلال معوض إليها بقوله " صحيفتنا الإجمال " و " النصح " وتصدران عن أحد أفرع الطريقة القادرية منذ عامي 1983 و 1986 علي التوالي ويصل حجم توزيع الأولي (70 ألف نسخة) والثانية (30 ألف نسخة) شهرياً وبدأ إصدارهما في " طرابزون " بمنطقة البحر الأسود حيث لا تزال تتواجد مراكزها الرئيسية، وتوجد مكاتب وفروع لها في " أنقرة " وقونيا " ويغطي توزيعهما مدناً عديدة تركية أهمها اسطنبول، وتشير أفكارها إلى أن الحضارة الغربية ليس لديها الجانب المعنوي لتحقيق سعادة الإنسان وتركز علي الجانب المادي بينما الإسلام يملك القدرة الثقافية والمعنوية لعلاج هذا القصور من خلال التربية المعنوية للنفس البشرية وتنظيم الرغبات والمطالب وإشباعها في إطار أخلاقي مشروع، ص 49.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

أنقره “ تضمن البرنامج السياسي لها والذي يدعو لوضع دستور جديد يقوم علي أساس الشريعة الإسلامية، ونددت بعباد الأصنام وأتاتورك “ واعتبرته المسئول عن ذلك، وعمد التيجانيون إلي الحفلات الدينية لنشر أفكارهم واعتمدوا العنف في تحطيم ومهاجمة تماثيل أتاتورك “ ففي مدينة “ كير شهر “ حطم أتباع التيجانية تماثلاً لأتاتورك واعتبروه ملحداء، ووقع 70 اعتداءً علي تماثيل “ أتاتورك “ في مختلف أنحاء البلاد وهو ما جعل الدولة تصدر قانوناً تمنع بعض نصوصه الطعن أو الإساءة “ لأتاتورك “ وبموجب هذا القانون حكم علي زعيم التيجانية بالسجن، ولكن أتباعها استمروا في المقاومة فنظموا اجتماعاً حاشداً عام 1951 في مسجد “ أنقره الكبير “ استمر شهراً وهو ما جعل الحكومة تعتقل حوالي ألف منهم، وتشكلت لجنة تحقيق حكومية لمعرفة بواعث نشاط هذه الحركة والتي أفادت بوجود علاقة بينها وبين الإخوان المسلمين وبين حركة “ فدائيان إسلام “، وقدرت بعض المصادر عدد المنتسبين للتيجانية في تركيا أوئل الخمسينيات بـ 300 ألف عضو موزعين في مختلف أنحاء البلاد⁽¹⁾.

(1) عن التيجانية راجع الدراسة المهمة: إبراهيم خليل العلاف، خارطة الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة علي موقع:

www.alwatanvoice.com/pulpit.php?go=articles&id=34756

رابعاً: الطريقة المولوية (2):

ينتسبون لجلال الدين الرومي وهم أصلاً قادريون ومنهم جراحون كانوا يهتمون بالطب النبوي ولهم زوايا تحت عنوان " نقابات " لدعم وتطوير الموسيقى الصوفية الكلاسيكية والتي حازت شهرة واسعة بين المثقفين العلمانيين وبعض المغنيين والمغنيات والفنانين والفنانات الذين لهم توجه ديني وتعبر هذه الطريقة عن طبيعتهم ومزاجهم، وهم لا يتدخلون أبداً في السياسة، وعادة ما يرأس حلقات الذكر مغن معروف خبير متخصص في الموسيقى الكلاسيكية التركية ومن أبرزهم " أحمد أوزخان " وهو رجل مُصلٍّ ومتدين، وقد قدم أغنية صوفية بعد تدخل الجيش عام 1980 م بحضور " كنعان إفيرين " وهو ما أغضبه فقال الرجل " السياسة لا تهمني، أنا قدمت فناً لا صلة له بالسياسة ولا أي شئ "، والطريقة معروفة في أمريكا ولها أنصار هناك وزوايا وتكايا خاصة فتحت في عهد شيخها السابق " مظفر أوزداك ".

(2) عن المولوية راجع الكتاب الضخم والمهم عبد الباقي جلبارلي، المولوية بعد جلال الدين الرومي، ترجمة عبد الله أحمد إبراهيم، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة،

ط1، 2003.

المبحث الثاني:

السليمانيون وتحدي الحفاظ علي العلوم الإسلامية

مثلت حركة السليمانيين رد فعل مقاوم للحفاظ علي العلوم الإسلامية والحروف العربية في مواجهة الإجراءات الكمالية التي ألغت هذه الحروف وقلبتها إلي اللاتينية وهو ما جعل مؤسس الحركة يشعر بضرورة العمل علي بقاء العلوم الإسلامية والحروف العربية للحفاظ علي الهوية الإسلامية، والحركة السليمانية أحد الوجوه البارزة للعمل الثقافي الاجتماعي في تركيا من أجل الحفاظ علي هويتها الإسلامية.

وهي تعبير عن رد فعل إحيائي في مواجهة العلمانية الكمالية قصد منها مؤسسها الإمام "سليمان حلمي طوناخان" ⁽¹⁾ الحفاظ علي اللغة

(1) ولد سليمان حلمي طوناخان بقرية فرحاتلر التابعة لسليسترة عام 1888 م من عائلة أرستقراطية، تخرج من مدرسة "دار الخلافة العالية" عام 1913 م ونجح في امتحان مدرسة القضاء وكان ترتيبه الأول، واصل دراسته حتي نال مرتبة كبير المدرسين في فروع التفسير والحديث عام 1919 م وحصل علي شهادة مدرسة القضاء فأصبح مدرساً عاماً، لم يقبل منصب القضاء، درس القانون الروماني والقانون البحري والتجاري والقانون الدولي المقارن مع الشريعة الإسلامية في كلية السليمانية، وقام بالتدريس عام 1921 ولكن حياته التدريسية لم تستمر طويلاً حيث انتهت بإغلاق المدارس الدينية، وعندما أغلقت الجمهورية المدارس الدينية ووجدت قانون التعليم عام 1924 م رفض "سليمان حلمي" التوقف عن تعليم العلوم الإسلامية وبدأ بتعليم ابنتيه في البيت سرا وكانتا تعلمان زوجيهما وأولادهما، عارض "سليمان حلمي" إلحاق مدارس الأئمة والخطباء بوزارة التعليم القومي كما عارض ربطها برئاسة الشؤون الدينية وأغلق مجلس الأئمة الكبير 465 مدرسة علمية و29 مدرسة من مدارس الأئمة والخطباء وكانت الحكومة تنزل أقصى العقوبات بمن يتولي مهمة التدريس الديني بصفة غير رسمية، بدأ "سليمان حلمي" تدريس العلوم سرا في البيوت والمزارع وإرسال الطلاب للخارج، وافتتح أول مدرسة لتحفيظ القرآن بشكل غير رسمي عام 1951 ثم أصبحت المدارس رسمية، توفي في 16 سبتمبر عام 1959 م وأصرت السلطة علي دفنه في مكان مجهول ورفضت دفنه إلي جوار ضريح السلطان

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

العربية والعلوم الإسلامية والقرآن الكريم أمام التهديد الذي مثلته الدولة الكمالية والتي أعلنت بشكل لا هوادة فيه إلغاء كل المناهج والمدارس والجامعات الإسلامية التي كانت موجودة في ظل الدولة العثمانية واستبدالها بنظم تعليم غربية علمانية تعتمد عليها وزارة التعليم التركية والتي استبعدت بشكل كامل من مناهجها برامج العلوم الإسلامية.

وكما رأينا فإن ضغط الدولة الجديد علي مجتمعها ومحاولة فرض تغييره بالقوة كان لها ردود فعل مختلفة ففرض القبة وإلغاء الطربوش العثماني ولد رد فعل إسلامي مثله الشيخ " عاطف الاسكليبي " والذي دفع حياته ثمناً لرفض القبة والتمسك بالزي العثماني، وإلغاء الطرق الصوفية وزواياها وتكاياها⁽¹⁾ ولد رد فعل تمثل في نشاط الطرق الصوفية السري للحفاظ علي تراثها، وإلغاء الأحرف العربية ومناهج التعليم الديني ومدارس حفظ القرآن الكريم مثل رد فعل " الحركة السليمانية " التي وضعت علي عاتقها استمرار حضور التراث الإسلامي العثماني سرّاً بعيداً عن أعين الدولة فيما يشبه المعجزة المحيرة التي تؤكد أن للأمة وللمجتمع صوته الذي لا يمكن لدولة مصنوعة مهما كانت

محمد الفاتح، وكان الإمام نقشبندياً وراجع عن حياة الإمام هدي درويش، الإسلاميون وتركيا العلمانية، نموذج الإمام سليمان حلمي، م. س. ذ، ص 176 ومابعدها وأيضاً، النعيمي، الحركات الإسلامية في تركيا، ص 47 .

(1) الشيخ عاطف الاسكليبي ولد عام 1876 م وتخرج من كلية الإلهيات عام 1905 م وكتب في مجلتي " بيان الحق " وصراط مستقيم "، دافع عن الخلافة الإسلامية في كتابه طريق الإسلام ورفض تقليد الغرب بارتداء القبة وكتب Frenk ve Mukallitligi ve Islam أي تقليد الفرنج والإسلام وقبض عليه عام 1926 م بتهمة كتاباته ضد القبة وصدر الحكم عليه بالإعدام رغم أنه كتب كتابه قبل صدور قانون ارتداء القبة بسنة وأربعة أشهر وراجع أحمد بركات فهد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، م. س. ذ، ص 47، ومحمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، القاهرة: المركز المصري للدراسات العثمانية، 1414 - 1994 م، ط1، ص 221 - 226 .

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

قوتها أن تسكته أو تخرسه.

- حالة الحركة السليمانية " هي تعبير عن رد فعل الجسد الاجتماعي عبر النصوص والحفاظ علي التراث الإسلامي للحفاظ علي الهوية الإسلامية من الفناء "، هل يمكننا القول إن روح الأمم الذي يعبر عن صوت الحق لا يمكن أن يخفت أو يموت تحت قهر واعتساف الباطل المستند إلي غشم القوة ونزقها وغرورها؟!.

إننا أمام الجدل الرئيسي الذي يمثل الأساس في علاقة الدولة بالمجتمع (الأمة) في الاجتماع الإسلامي فحيث تنحرف الدولة عن مهمتها الرئيسية كتعبير عن الأمة بالتزامها بالمنهج (القرآن والسنة وأقوال العلماء وخبرات التاريخ والأمم والممالك الإسلامية) فإن المجتمع يعبر عن رفضه في مواجهة الدولة لإعلانه التمسك بالمنهج والخبرة والتراث الإسلامي، والدولة الكمالية هنا لا تعبر عن مجرد انحرافها الجزئي عن المنهج (الثقافة والحضارة والخبرة الإسلامية) وإنما تتحول لأداة في يد نخبة متغربة معادية لتقاليد مجتمعها من أجل القضاء التام علي استمرارية مثلثها دولة عالمية هي الدولة العثمانية وكل تراثها العلمي والإسلامي.

وكما قال أتاتورك " إن غلطة آل عثمان وآل سلجوق من قبلهم كان نسيانهم لتركيتهم وانتمائهم للجامعة الإسلامية ونسيانهم جنسيتهم فكانت النتيجة أنها ارتضت الذل والأسر وتدحرجت إلي هدف حقير جعلها مستعبدة في سبيل الله " وكان يخاطب طلبة المدارس بقوله " إن المرشد الوحيد لكم هو العلم ومن السخف والجهالة والتعصب أن نبحت عن مرشد غير العلم "، ومن هنا كان رد المجتمع معانداً مثابراً مصراً للحفاظ علي

الهوية والوجود ذاته، إنها دولة الكفر كما عبر " عصمت أوزال " يواجهها مجتمع الإيمان بعقيدة امتلاك الحق في مواجهة القوة⁽¹⁾.

أولاً: السليمانيون ومهمة الحفاظ علي العلوم الإسلامية :

- الإمام " سليمان حلمي " (1888م - 1959 م) هو من علماء الدولة العثمانية الممتازين عمل بالتدريس والاشتغال بعلوم الدين في أواخر عهد الدولة العثمانية وكان من معارضي الانقلاب ومؤيدي الخلافة وضد التغريب ومدارسه، رفض ثورة الحروف واعتبر أن تغيير حروف الكتابة العربية إلي اللاتينية هو قطع للصلة بين الإنسان التركي وبين تراثه وثقافته وهويته وعبر عن ذلك بقوله: " إن أضر ما يكون بالإسلام والإيمان والعادات والتراث والصناعة والتجارة والزراعة أن تلغي الحروف الإسلامية علي النحو الذي شاهدناه " ⁽¹⁾.

وأمام الخطر المروع لتهديد العلوم الإسلامية والتراث الإسلامي توجه الإمام " سليمان حلمي " إلي زملائه المدرسين محذراً من ضياع علوم الدين والقرآن وقال لهم: " إخواني المدرسين، إنكم اليوم ضمانا الدين فعندنا خمسمائة شخص لو علم كل واحد منا أمور الدين لثلاثة أشخاص في البيوت لأمكننا أن نربي ألفا وخمسمائة شخص فيمد الله بهم عمر الإسلام خمسين عاماً وهو عمر جيل أو جيلين " وبعث المدرسون ببرقية إلي حكومة أنقرة يطالبون فيها الحكومة بالسماح لهم بتعليم تلامذتهم العلوم

(1) عن مفهوم دولة الكفر والذي يملك الإسلام وحده وصم الدولة الأتاتورية بها وكيف يمثل ذلك أداة رمزية لإسقاط شرعية الدولة راجع رسالة الدكتوراة المهمة للباحث التركي " ياسين أقطاي " بعنوان:

Aktay Yasin, Body, Text, Identity, The Islamist Discourse Of Authenticity in Modern Turkey (Metu, Ankara:1997) p. 261.

(1) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. د، ص 217.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

الدينية بلا مقابل ولكن الحكومة ردت عليهم قائلة “ لقد تم قبول قانون توحيد التدريس، وكل من يخالف هذا القانون يستحق العقوبة الشديدة فترجع المدرسون خوفاً من الحكومة.

- قرر الإمام “ سليمان حلمي “ أن يقوم بمفرده بواجب الحفاظ علي علوم الدين والقرآن والشريعة حذر اندثارها أمام هجمة الدولة العلمانية المتوحشة الكاسرة واعتمد برنامج الإحيائي علي إحياء القرآن الكريم بنشر الكتاتيب ومدارس تعليم علوم الشريعة في القرى والمناطق البعيدة عن مركز الدولة وخاصة في الأناضول سرا بعيداً عن أعين الدولة ووشاتها ومخبريها ثم نشر اللغة العربية بين الأتراك وهي مفتاح فهم القرآن الكريم وعلوم الشريعة وأخيراً إحياء علوم التراث في العقيدة والإيمان وفي الفقه والعبادات وذلك بتدريس أمهات الكتب في اللغة والفقه والحديث والتفسير والأصول. كان ينتقل بتلاميذه من مكان إلي مكان في سرية تامة وكان يقول لهم “ نقلتكم من مكان إلي مكان كالقطة التي تنقل صغارها، علم بناته علوم الإسلام ليعلموها لأزواجهم وأبنائهم وأحفادهم، لم يكن يأخذ أجراً من التلاميذ بل كان يمنحهم هو أجر مخاطرتهم بالحضور إلي دروسه، وكان يغير هيئتهم وصنعتهم ليتمكن تعليمهم بعيداً عن أعين الرقابة التي تلاحقه وتحاصره.

- تم القبض علي الإمام “ سليمان حلمي “ وسجنه وتعذيبه ومصادرة كتبه فسجن عام 1936 م واعتقل عام 1939 م ثم سجن عام 1944 م، وعام 1957⁽¹⁾. ولكنه واجه ذلك بإصرار علي استمرار مشروعه الإحيائي بالدعوة الدائمة لطلابه في الذهاب إلي القرى والمدن لفتح

(1) نفس المرجع، ص 222.

المدارس والكتاتيب بها باعتبارها فرض عين عليهم ويقول لهم “ المهم أن تنجح دعوتنا ولا نهتم بالمناصب ونقبل أن نكون عند أذية المصلين بالمساجد، ونجحت دعوته حتي وصل عدد دور الطلبة أكثر من ثلاثة آلاف مدرسة اندرجت تحت اسم “ اتحاد مدارس القرآن “ وسميت أيضاً بـ “ اتحاد رابطة مساعدة طلاب مدارس القرآن ودور التعليم “.

يقول نجيب فاضل “ تعرفت علي “ سليمان حلمي “ أفندي عام 1946 م ومن النظرة الأولي أدركت أنني أمام مثقف حقيقي ومفكر إسلامي طاف الكثير من البلاد “، نحن أمام نموذج لمثقف رسالي يري نفسه موقعا عن الله للناس ويرى أن مسؤوليته هي الحفاظ علي استمرار علوم الأمة وإحيائها في مواجهة بطش السلطة وعنفها، فهو مدرك لمعني حديث النبي صلى الله عليه وسلم: “ العلماء ورثة الأنبياء “ وحين قال مدرسو العلوم الإسلامية في عهد الجمهورية الكمالية: “ إن التدريس لم يعد وسيلة للكسب قائلين فلنودع هذه المهنة أجابهم “ سليمان حلمي “ غاضباً “ التدريس ليس سلة خبز فهي تبليغ كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم للناس⁽¹⁾.

- يرجع تاريخ افتتاح أول مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم التابعة لجامعة الإمام “ سليمان حلمي “ إلي عام 1951 م وكان ذلك بشكل غير رسمي أما أول مدرسة رسمية فكان عام 1952 م أي بعد اكتساح الحزب الديمقراطي للحياة السياسية بعامين، وبافتتاح هذه المدرسة بدأت قوافل الابتعاث إلي الأناضول لفتح المدارس هناك علي خريطة كان يتابعها

(1) هدي درويش، الإسلاميون وتركيا العلمانية، نموذج الإمام سليمان حلمي، م. س. ذ، ص 183.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

الإمام⁽²⁾.

واستطاع تلاميذ مدرسة “سليمان حلمي” أن يتقدموا لمسابقات الوعظ والإفتاء التي كانت تعلن عنها رئاسة الشؤون الدينية وأن يحتلوا أماكن متقدمة فيها بحيث صار قطاع كبير من العاملين في رئاسة الشؤون الدينية هم من خريجي مدارس الإمام “سليمان حلمي” ويقول نجيب فاضل عنهم: “عرفني سليمان أفندي علي هؤلاء الطلبة فدهشت لأمرهم كمن يدهش من العثور علي كنز في حديقة بيته، كنت أظن أن عمل هذه المدارس هو التكرار والحفظ، لكني رأيت أنها بأيدي مسئولين أطهار، هم مهرة في تعيين أهدافهم وتشخيص مشاكل مجتمعهم، ويمكن أن أقول: إنه لا توجد في تركيا مؤسسة مثلها في الوحدة والحجم والرباط الذي يربط هؤلاء الأشخاص هو الشريعة والمدارس القرآنية هذه تستمد قوتها من هذه الرابطة، وإنني أعتبرها أنقي وأصفي العروق في الجيل الإيماني الجديد فمرجه هو هذا الرباط” وعارض “نجيب فاضل” موظفي رئاسة الشؤون الدينية التركية الذين حاولوا استبعاد طلاب السليمانية من التواجد داخل رئاسة الشؤون الدينية بضغط من الدولة العلمانية وقال “إن الذين يتناولون علي المجموعة المعروفة في مجال التعليم الديني بالسليمانيين ويعرقلون نشاطاتهم ما هم إلا ردود أفعال ناتجة من البعد عن الحقيقة والحسد وعدم الثقة بالنفس”⁽¹⁾.

- منهج “سليمان أفندي” التدريس لطلابه من أمهات الكتب العربية علي نفس المناهج العثمانية ولم يصرف وقته لتأليف الكتب لأنه لم يكن لديه وقت لذلك، وحين سئل عن السبب قال “نحن نعلم ما نعلمه للأجيال

(2) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص 221.

(1) هدي درويش، الإسلاميون وتركيا العلمانية، م. س. ذ، ص 188.

فتقوم هذه الأجيال بتأليف الكتب، نحن نعد الآثار التي تؤلف الكتب، وقد رأيت بعض الكتب التي لا تقدر بثمن دفنت في التراب وتلفت فخير لنا أن نربي طلاباً يفهمون الكتب العلمية ويفهمونها لغيرهم، **فينقلون العلوم من السطور إلي الصدور**“ ولكنه خط عدة كتب تمت طباعتها أهمها بعنوان “ترتيب جديد وطريقة حديثة في تعليم قراءة حروف وحركات القرآن الكريم“ و هذا الكتاب يحاول اختصار وقت قراءة وحفظ القرآن من شهور إلي أيام، وله رسالة أخرى بعنوان “رسالة كبريت أحمر“ وهي رسالة تتضمن السلوك الذي يجب اتباعه في الطريقة وله أيضاً كتاب بعنوان “رسالة الرسائل“ وهو كتاب يتحدث عن أهل الحقيقة ويتناول الصحبة وآدابها وأسرار الطريق إلي الله⁽²⁾.

- ينتسب الإمام “سليمان حلمي“ إلي **الطريقة النقشبندية** وشيخه ومرشده فيها هو “صلاح بن مولانا سراج الدين“ وهو الذي نشأ علي قواعد الطريقة وتحدث المصادر عن أن شيخه كان علي صلة بالسلطان عبد الحميد وحكي له عن “سليمان حلمي“ وأنه أخوه في الطريقة، وكان يذهب مع شيخه إلي مدينة “بورصة“، وحذره شيخه من الانشغال بالكرامات التي يمكن أن تبعده عن مهمته الأساسية وهي **إحياء العلم بالقرآن الكريم والتراث الإسلامي**، وتجاوز شيخه في الإمام بحقائق الطريقة وله نسب موصول بسلسلة الطريقة النقشبندية، وكما تشير المعلومات فإن أتباعه كانوا يلتزمون السنة ويجتنبون البدعة والأساس الجامع بينهم هو المحبة، وكان “سليمان حلمي“ يقرأ الأوراد واحداً وعشرين مرة في اليوم ويواظب علي صلاة التهجد والضحي والأوابين

(2) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص 224.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

وظلابه أولوا اهتماماً خاصاً يصلالة التسابيح وكانوا يؤدونها جماعة في الليالي المباركة، وكان الشيخ يتلو أورد الطريقة النقشبندية مساء كل يوم أربعاء ويقول عنها إنها هدية من “ الخضر ” عليه السلام إلى الطريقة النقشبندية، وكان له ارتباط بالطريقة القادرية، والذكر القلبي عندهم له أهمية كبيرة ويرون أنه أقصر الطرق للوصول إلى الله، ومفهوم النور الإلهي مركزي عندهم فهو يقول “ إن كل شئ في الوجود قائم علي الرابطة، فالأرض والقمر والكواكب الأخرى علي رابطة بالشمس، والشمس علي رابطة بالعرش الأعلى، والعرش الأعلى علي رابطة بنور الصفات الإلهية ونور الصفات الإلهية علي رابطة بنور الذات الإلهية⁽¹⁾.

- طلاب “ سليمان أفندي ” ملتزمون بالدين الإسلامي التزاما كاملا ومذهبهم هو مذهب أهل السنة في العقيدة والعمل وهم يتبعون المذهب الحنفي ويرون أن مصدر كل الحقائق هو القرآن الكريم، ويرفض أبناء الإمام “ سليمان حلمي ” إطلاق لفظ السليمانيين علي حركتهم، فلم تكن هذه التسمية معروفة عندهم ولم تطلق إلا بعد وفاته بعشر سنوات، وأول من ابتدع هذه التسمية هو “ صفوت أوماي ” برئاسة الشؤون الدينية ففي تصريح رسمي له قال “ إن السليمانية طريقة تأسست من قبل سليمان حلمي في الثلاثينيات ويديرها حاليا صهره “ كمال قاجار ” واتهمها أنها تقوم بتنظيمات لها أهداف سياسية واقتصادية بهدف الانتشار والتوسع كما اتهمها بأنها تهدف إلى تغيير النظام الأساسي للدولة⁽¹⁾.

- تشير المعلومات إلى أن هناك حوالي ثلاثة آلاف مركز ثقافي يعبر عن السليمانيين في تركيا، ولهم تواجد في أوروبا الغربية وخاصة في

(1) هدي درويش، الإسلاميون وتركيا العلمانية، م. س. ذ، ص196

(1) نفس المرجع ص198 - 199

ألمانيا ولهم مراكز في أنطاليا واسبرطه ومانيسا وأفيون وبوردو وكوتاهية، وأعدادهم تقدر بمئات الآلاف ولهم دار نشر خاصة بهم تسمى " فضيلت "، ولهم صحف يومية، ويعبر عن المدارس السليمانية ما يعرف باسم " اتحاد مدارس القرآن " ثم صار اسمه اليوم " اتحاد رابطة مساعدة طلاب مدارس القرآن ودور التعليم "، ويحقق هذا الاتحاد الأهداف التالية:

- 1- حماية حقوق ومصالح الأعضاء
- 2- عقد محاضرات ومؤتمرات في المجالات الاجتماعية والأخلاقية والمعنوية والاقتصادية.
- 3- تقديم المساعدات النقدية والعينية التي يحتاجها الأعضاء.
- 4- انشاء المباني واستئجارها وافتتاح مرافقها للخدمة.
- 5- القيام بأعمال الصيانة والإصلاح اللازمة لهذه المباني.
- 6- تأسيس الأوقاف⁽¹⁾.

يعتقد تلامذة الإمام أنه الوارث الحقيقي للنبي صلي الله عليه وسلم وهو يملك التصرف في كل كوكب فيه وهذا التصرف مستمر بعد موته، ولذا فهم يشعرون أن روحه وتصرفاته المعنوية باقية.

- له آراء متعددة في قضايا الدين والاجتماع والسياسة فهو يرى أن الجهاد هو جهاد النفس فكان يخصص وقته الأكبر لجهاد النفس وتعليم طلابه اللطائف الخمس وهي القلب والروح والسر والخفي والأخفي ويبين لهم مكان هذه اللطائف في القلب ووظيفة كل منها وكيفية مقاومة أخطارها

(1) نفس المرجع، ص 200

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

وكان يري أن الجهاد بالمال مثل جهاد النفس وجهاد المال عنده هو الأكثر من المؤسسات الخيرية لخدمة الصالح العام ومبدؤه هو “ أن الطالب يعطي المال ولا يؤخذ منه “.

وفي التعليم يري أن أنسب وسيلة للتعليم هي التلخيص واختصار مدة التعليم لأقصر مدة ممكنة، واتباع أسلوب اعتماد الطالب علي نفسه وثقته بها حتي يستطيع القيام بدور المرشد والمعلم في أقصر وقت ممكن.

وفي الحياة يري أن الدنيا سفلية ذليلة، والدنيا والسياسة أداتين لنشر الدين ولا يصح أن يصبح الدين وسيلة للمصالح الدنيوية والسياسية. ويقول “ لا يلهكم القلق علي معيشتكم، فالمعيشة مضطرة للحاق بمن ارتبطوا بالله “ ويقول أيضا “ إن هدفنا في هذه الدنيا هو شحن القلوب بالفيوضات الإلهية وحذر تلامذته من الخلاف علي الدنيا فقال “ إياكم والفرقة والخلاف في الحياة الدنيا واستمروا في القيام بأي خدمات تطلب منكم “، وعن السياسة ومواقفه منها يقول “ ظاهرا مع الخلق وباطنا مع الحق “، ويقول أيضا “ الدين أصل والدنيا والسياسة فرع، قد تكون الدنيا والسياسة وسيلة لانتشار الدين، ولكن أن يكون الدين مطية لمصالح الدنيا وسياستها فذلك حرام “.

- حث طلابه علي متابعة أحداث ووقائع عصرهم وأن يعيشوا زمانهم ويتابعوا مشاكله وأزماته ويكون لهم رؤية وعمل إيجابي تجاه مجريات الأحداث ويرفضوا السلبية تجاه الأحداث وفي هذا الصدد قال “ إن الاهتمام والإيجابية من ديننا وليس عدم المبالاة، وكان يتابع أحداث العالم ويطلب جريدة “ الصباح الجديد “ ليقراً عليه تلامذته التعليقات علي السياسة الخارجية والأخبار الهامة بصورة منتظمة وكان شعاره في ذلك “ من لا يعرف أوضاع العصر لا يكون عارفاً بالله “ وشارك بالرأي في

قضايا المسلمين الجارية في عصره من علي منصة منبر الدعوة والوعظ فقد عارض موقف الحكومة التركية من القضية الجزائرية وكانت تؤيد الموقف الفرنسي وقال " لا أقل من أن ندعو لإخواننا الجزائريين " واستجوب بسبب ذلك أكثر من مرة، وأيد كفاح الفرنسيين للحصول علي الاستقلال وأعلن " إن تركيا قد حل عليها الوبال لأنها صوتت في الأمم المتحدة ضد الجزائر ولصالح فرنسا " وقبض عليه بسبب ذلك⁽¹⁾.

وقف " سليمان أفندي " إلي جانب العاملين في حقل الدعوة والعمل الإسلامي وسانداهم علي قدر إمكانه وأولي اهتمام بالصحافة الإسلامية والنشر وقدم الدعم المادي والمعنوي " لنجيب فاضل " لكي يستمر في إصدار مجلته " الشرق الكبير " حتي إنه باع بيته الوحيد وأنفق ثمنه علي استمرار إصدار تلك الجريدة، وقدم الدعم الكبير " لجواد رفعت أتيلخان " للاستمرار في إصدار كتبه التي توقظ وعي الأمة بأخطار الماسونية والصهيونية في تركيا، وقدم الدعم لكل كتاب أو مجلة أو صحيفة تدافع عن الفكرة الإسلامية ومنها مجلة " أهل السنة " ومجلة " الرجل الحر ".

كانت له صلة حسنة " بالنورسي " يتواصل معه ويطلعه فيها علي المنهج والخدمات التي يقوم بها وعبر " النورسي " عن عمّا يمكن أن نصفه " بالوعي الوظيفي " بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية في تركيا والقائم علي التخصص وتقسيم العمل بقوله عن جهود السليمانيين " إن واجبنا الرئيسي اليوم هو العمل علي صيانة الإيمان، ونحن نقوم بهذا الواجب ولا نقوم بالتدريس أما مهمة تعليم القرآن الذي هو أساس الإسلام ومصدر النجاة المادي والمعنوي ونشره ليس في تركيا فحسب، بل في

(1) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص 229

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

كافة أرجاء المعمورة، فيقوم بها أخي “ سليمان أفندي “ ومعاهد القرآن التي أسسها ويقوم بهذا العمل كله خلال وقت قصير جداً، فالعلوم الإسلامية التي كانت تدرس سابقاً في عشر سنوات أو خمس عشرة سنة تدرس الآن بمراكزه في سنة أو سنتين فتخرج علماء وفقهاء ومفسرين إنها معجزة قرآنية “ (1) وبشكل عام فقد جعل طلابه يتابعون الحياة السياسية ويصوتون في الانتخابات ويشاركون فيها ومنهم من ترشح كنائب في البرلمان وترشح في البلديات.

- تقييم نجيب فاضل لمدارس السليمانيين يبين لنا كيف استطاعت هذه المدارس أن تملأ فراغاً مهماً في حياة المسلمين الأتراك وهو مجال الحفاظ علي علوم القرآن والشريعة والتراث الفقهي التقليدي الذي يخرج متخصصين في علوم الشريعة والفقه واللغة والتفسير والحديث، إنه الاستجابة التقليدية العنيدة في مواجهة الحداثة الناجزة التي جاء بها “ أتاتورك “ يقول نجيب فاضل “ المدارس القرآنية هي الوعاء الذي يصنع بداخله الجيل الإيماني الجديد وهدفها علمي وروحي بحت “، وفي موضع آخر يقول “ في هذه المدارس يدرس كتاب الله ويعلم الناس الحق ويشحن الضمير بالحق وليس في هذه المدارس سياسة بل علم وتشوق “ ويقول “ حرارة الشعور بالوجد تجاه الإسلام وحب الله وحب رسوله في هذه المدارس مثل حرارة أفران الصهر التي يحرص أصحابها علي عدم انطفاء نارها “، ويقول أيضاً “ المدارس القرآنية باعتبارها مادة أنارتها روح معينة هي مؤسسات أنجزها “ سليمان أفندي “ وأتباعه.

ثانياً: التطور التنظيمي لحركة السليمانيين:

(1) نفس المرجع، ص 229

- اتخذت الطريقة السليمانية شكلها التنظيمي والإداري مع " كمال قاجار " صهر الإمام " سليمان حلمي " بعد وفاته عام 1959 م، وشارك " كمال قاجار " في الحياة السياسية فدخل البرلمان نائباً عن حزب الأمة في محافظة " كوتاهية " عام 1965 م وانتقل بعد ذلك إلى حزب العدالة الذي ترأسه " سليمان ديمريل " وظل نائباً عنه لمدة ثلاث دورات متتالية، واختير لعضوية المجلس الأوروبي وبعد انقلاب عام 1980م أُلقي القبض عليه لمدة تسعة أشهر في سجن محافظة " أنطاليا " ثم برئت ساحته بعد ذلك⁽¹⁾، وأصبح " حسين قماش " هو الرجل الأول في الطريقة منذ أوئل التسعينيات⁽²⁾.

- يتسم السليمانيون بالتشدد الصارم في معارضتهم لأتاتورك والنظام العلماني، وهم في نزاع مع رئاسة الشؤون الدينية ويتحفظون علي تمثيلها للإسلام في تركيا، ودخلت رئاسة الشؤون الدينية في تركيا معارك مع أتباع " سليمان حلمي " منذ عام 1965م وذلك بالتضييق علي مدارسها ومراكزها لتحفيظ القرآن وإقصاء أعضائها عن رئاسة الشؤون الدينية واضطرت الجماعة تحت هذا الضغط أن تفتح مساكن للطلاب اعتباراً من عام 1973م، وتهتم الجماعة بتعليم الفتيات العلوم الدينية وفتحت لهن مراكز للتأهيل والتدريب، ويعارض " السليمانيون " السلفية ويطلقون عليها " الوهابية "، ويرون أن تركيا هي " دار حرب " يجب الجهاد لتحويلها إلي دار الإسلام، وتتسم الطريقة بنظام صارم في مركزيتها وعلاقة أعضائها ببعضهم وعلاقتهم بمن هم من خارج الطريقة ولذا فهم يعبرون عن جسد واحد يحمل روح إمامهم، ويستخدم أعضاء

(1) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص 237.

(2) محمد نور الدين، قبعة وعمامة مدخل إلي الحركات الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 47.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

الطريقة صورة " سليمان حلمي " في حلقات الذكر للتوحد معه، وللطريقة مشاريع تجارية متعددة توفر لها مصدر دخل قوي.

- ظلت أفكار السليمانيين مجهولة وغير معروفة وذلك للطابع السري للجماعة ولكن حواراً أجري مع " كمال قاجار " في أواخر الثمانينيات (عام 1989م)، كشف ملامح تفكير الطريقة وتتلخص في:

- أتاتورك بعيد عن الدين الإسلامي.

- الجمهورية لم تبق إماماً يصلي في الجنازات.

- الجوامع تحولت إلي ثكنات.

- تركيا ليست بلداً إسلامياً.

- تركيا دار حرب⁽¹⁾.

- أيدت " الحركة السليمانية " الحزب الديموقراطي وحزب العدالة حتي انقلاب 1980 م لكنها بعد ذلك واعتباراً من عام 1984 م أيدت " توجوت أوزال " زعيم حزب الوطن الأم، كما أنها ساندت " حزب الرفاه " في الانتخابات المحلية التي جرت في 27 مارس 1994 م.

ويمثل " السليمانيون " مركز ثقل بالغ الأهمية في الانتخابات علي الرغم من ابتعادهم عن العمل السياسي المباشر لحرصهم علي الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات ومشاركتهم الفعالة فيها، ولذا عملت الأحزاب اليمينية علي استرضائهم للحصول علي أصواتهم في الانتخابات والتي تمثل كتلة تصويتية كبيرة لا يمكن التغافل عن أهميتها، فالمعلومات تشير

(1) نفس المرجع، ص 48 وعن بعض أفكار الحركة وتطورها وبعض قاداتها راجع، إبراهيم خليل العلاف، خارطة الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ.

إلي أن عدد السليمانيين بلغ 2 مليون شخص بينما تذهب بعض التقديرات إلي أنهم 4 مليون شخص، والتقت “ طانسو شيلر “ مع “ كمال قاجار “ في يناير عام 1995 م لمدة عشرين دقيقة ودعته لحضور افتتاح المركز العام لحزب الطريق القويم، ولم يتعرض “ السليمانيون “ للانقسام بعد وفاة المرشد الروحي لهم، وهم يفصلون بين شخصية المرشد الروحي وبين القائد الإداري، وتمتاز الطريقة بهيكل تنظيمي وإداري يقسم أماكن انتشارها إلي مناطق لكل منطقة مسئول وهكذا وفق النظام الإداري التركي.

ويلاحظ أن هناك تحولات في الجماعة تجعلها أكثر انفتاحاً علي مجتمعها وتفاعلاً معه، ويبدو منهجها اليوم أكثر وضوحاً عما كان عليه من قبل، وأيضاً تنظيماتها وتشكيلاتها الاجتماعية والذي كان غموضها يعرضها للشبهات والاتهامات⁽¹⁾.

* * *

(1) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص 239.

المبحث الثالث:

النورسيون وتحدي إنقاذ الإيمان ونصرة الإسلام

- بديع الزمان سعيد النورسي (1873م - 1960م)، داعية ومفكر إسلامي كردي العرق وله مكانة بارزة في تاريخ التثبيت الإيماني والعقدي والدعوة الإسلامية في تركيا في العقد الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، عاش النورسي " في إطار كيانين سياسيين متعاقبين مختلفين هما كيان الدولة العثمانية (1299 - 1922م)، وكيان دولة تركيا التي أسسها " أتاتورك (1923 - 1938م) علي أنقاض الدولة العثمانية، والنورسي هو مؤسس الحركة الدينية المعروفة باسم " جماعة النور " أو باسم آخر هو " جماعة طلاب النور "، وهم المسلمون الذين ارتضوا فهم مؤسس الحركة للإسلام والإيمان من خلال رسائله التي ألفها وتعرف باسم " رسائل النور " والذين اتخذوا رسائل النور كنبراس في حياتهم الشخصية وعلاقاتهم الاجتماعية وحتى رؤيتهم لتكوين المجتمع المسلم والتعامل مع الدولة العلمانية⁽¹⁾.

- رسائل النور " هي التي ألفها النورسي " وتضمنت أفكاره وأساليبه في معالجة قضايا الإسلام ونشر الدعوة الإسلامية والتربية وتقع هذه الرسائل في 130 رسالة تعالج شتي القضايا الإسلامية الإيمانية والعقدية والفكرية والسلوكية والأخلاقية، ويفسر مترجم " رسائل النور " إلي العربية لنا سبب اقتصار طلاب النور " علي رسائله وحدها كمصدر

(1) محمد حرب، اتجاهات الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، رسالة الخليج العربي مستلة من العدد السابع والثلاثين، السنة الحادية عشرة، 1411 هـ - 1991، ص 111.

أساسي للمعرفة إلي غياب الأسس العقديّة لدى الأتراك ومن ثم فهم يقتصرون عليها في البداية وقد يتجهون إلي أشياء أخرى بعد ذلك مثل “
انسكلوبيديا الصحابة” وتاريخ الأنبياء” وتاريخ الخلفاء”.

ويصف الرسائل بأنها لا مثيل لها في العربية فهي “عقائد حياتية” ومنهج متكامل إيماني حياتي، كيف تعرف الله وتحب الرسول صلي الله عليه وسلم وتعيش مع النفس في صيغة إيمانية بعيدة عن التعليمات فتعبد الله كأنك تراه⁽¹⁾، النورسي شعر أن الإيمان في خطر فنذر نفسه للقرآن حين قال رئيس وزراء بريطانيا “جلادستون” في مجلس العموم رافعاً نسخة من المصحف الشريف “مادام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة علي الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان”⁽²⁾.

- تمثل رسائل النور وفق مترجم رسائل النور - المرجعية الإسلامية الأساسية للأتراك، وإذا كانت جذور الرفاه في النقشبندية فإن النقشبندية جذورها في رسائل النور⁽³⁾، والأصل في رسائل النور “إنقاذ الإيمان”، وفي ذلك يقول النورسي “إن منهج رسائل النور هو الحقيقة وليس الطررق، ورسائل النور هي شعبة من منهج الصحابة، فعصرنا هذا هو عصر إنقاذ الإيمان ليس

(1) حوار المؤلف مع إحسان قاسم الصالحي مترجم رسائل النور إلي العربية ومسئول وقف العلوم الإسلامية في اسطنبول التابع لجماعة النور

(2) تشير العديد من المراجع لهذه الواقعة كأحد أسباب اهتمام النورسي بالقرآن وقضايا الإيمان راجع مثلاً: حسن عبد الرحمن بكير، بديع الزمان النورسي 1379/1294 - 1960/1877 م وأثره في الفكر والدعوة، نسخة إلكترونية، ص43، هذا جعله يقرر تسخير حياته لإعجاز القرآن وربط المسلمين بتعاليمه وقال “لأبرهنن للعالم أن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفائها.

(3) حوار الباحث مع إحسان قاسم الصالحي مترجم رسائل النور.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

إلا “، (4)، هنا النورسي يكرس جهده لقضية جوهرية ومركزية هي الحفاظ على الإيمان الذي يهدده هجمة الدولة الكمالية عليه من خلال مشروعها العلماني الذي اتخذ طابعاً إلحادياً يحاول تحطيم واستئصال كل ماله صلة بالإسلام كمنهج للحياة.

- جدل العلاقة بين العالم أو المفكر وبين المنهج أو ما نطلق عليه “الجدل الذاتي”، أي الشعور بمسئولية المثقف أو المفكر تجاه دفع التهديد الذي يدركه تجاه دينه وثقافته وتاريخه عبر عنه “النورسي” في موقفه تجاه الدولة الكمالية للحفاظ على الإيمان، ويقول في ذلك: “إن الداعي الأشد إلحاحاً إلي تأليف هذه الرسالة هو ما لمست من هجوم صارخ على القرآن الكريم والتجاوز الشنيع علي الحقائق الإيمانية بتزييفها وربط أواصر الإلحاد بالطبيعة وإصاق نعت الخرافة علي كل ما لاتدركه عقولهم القاصرة العفنة وقد أثار هذا الهجوم غيظاً شديداً في القلب ففجر فيه حمماً سرت إلي أسلوب الرسالة فأنزلت هذه الحمم والصفعات علي أولئك الملحدون وذوي المذاهب الباطلة المعرضين عن الحق “ (1).

وللجدل الذاتي في الحركات الاجتماعية الإسلامية دائماً وجه اجتماعي يمكن أن نصفه بـ "الجدل الاجتماعي" أي المدافعة والمناضلة في الفضاء الاجتماعي المتجاوز للذات عبر مخاطبة المجتمع وإيقاظه ودعوته للدفاع عن إيمانه ودينه في مواجهة التهديد العلماني للدولة الجديدة.

(4) سمير رجب محمد، الداعية الإسلامي بديع الزمان النورسي، القاهرة: دار الهاني لطباعة الأوفست، 1986 م ص 269.

(1) سعيد النورسي، نهج رسائل النور في التبليغ، حيث نجد فيها هذا المعنى الذاتي للدفاع عن القرآن الكريم وإنقاذ الإيمان، وهي ضمن الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، سوزلر، ط3، د.ت، ص 22.

وكما يقول النورسي: " أن هذا الزمان لأهل الحقيقة هو زمان الجماعة وليس زمان الشخصية الفردية، وإظهار الفردية والأنانية فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير " (2).

- لم يطرح " النورسي " مشروعه عبر طريقة صوفية تقليدية وإنما عن طريق فضاء أوسع وأرحب من عالم الطريقة المغلق علي المؤمنين بها، ومن هنا نجد ملمحاً لخطاب وعلاقة يمكن وصفها بأنها جديدة حديثة، فالخطاب يناقش قضايا الإيمان والعقيدة واليوم الآخر والرسالة المحمدية وصدقها والإيمان بها بطريقة مختلفة عن الخطاب الديني التقليدي السابق عليه ولا يجاوزها إلي غيرها إلا بالقدر الذي يخدمها، كما أنه يؤسس لعلاقة محورها " مدارس النور " عن طريق قراء رسائله الذي يكونون شبكة للاجتماع حولها والحركة بها، وهو هنا يركز علي إيمان الفرد وتثبيته وحماية عقيدته، ويعمل في نفس الوقت علي ملء الفراغ الاجتماعي الذي نجم عن انهيار المؤسسات الدينية العثمانية بقوة قانون الدولة العلمانية وسطوتها المخيفة . " مفهوم الشبكات الاجتماعية " كما تعبر عنه العلوم الاجتماعية له وجهه الظاهر وهو ما ذكرناه تواً، وله وجهه الخفي الذي يعبر عن تحدي الدولة الجديدة ونزع الشرعية عن إجراءاتها عبر العودة إلي الدين الإسلامي والتمسك به عقيدة وعبادة وشرعية، والشبكة الاجتماعية التي تعبر عنها " رسائل النور ومدارسها " مختلفة عن الطرق الصوفية التقليدية.

(2) حسن عبد الرحمن بكير، بديع الزمان النورسي وأثره في الفكر والدعوة، م. س. ذ، ص 203 وهو يحيل إلي الملاحق لسعيد النورسي وأيضاً سمير رجب محمد، الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي، القاهرة، سوزلر، 1995 - 1416 هـ، ط 2، ص 227 وهو يحيل بالطبع أيضاً إلي الملاحق.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

وفي هذا يقول النورسي “ إن الزمن ليس زمن طريقة بل زمن إنقاذ الإيمان... ولا يدخل الجنة من لا إيمان له خلافاً للتصوف فإنه بدونه يدخل الناس الجنة، فلا يعيش الإنسان بدون خبز ولكن يعيش بدون فاكهة، التصوف هو الفاكهة والحقائق الإسلامية هي الخبز “ (1).

قبل النورسي في تركيا لم يكن هناك ممارسة دينية إسلامية إلا عن طريق وعاء مؤسسي له طقوسه وتعبيراته النظامية الحادة وهو الطريقة الصوفية.

- يعد النورسي هو أول من دعا لتجاوز الطريقة الصوفية إلى فضاء الانتماء لعالم الإسلام (العقيدة والأمة) المتجاوز للزمان والمكان واللحظة الراهنة، ومن الواضح أن “ النورسي “ كان مدركاً لخطر الطرق الصوفية التقليدية القديمة علي “ فاعلية المسلم “ لذلك حاول تجاوزها إلى ما قبل الطرق الصوفية وهي العلاقة المباشرة مع القرآن قبل أن تكون هناك طرق تمارس سطوتها علي وعي المسلم فتسلبه فاعليته وحرية في العلاقة المباشرة مع الوحي.

وهنا أحد ملامح الإحياء والتجديد في دعوة “ النورسي “ تجاوز الطريقة إلى التواصل المباشر بين المسلم والوحي، ويمكننا القول أن “ النورسية “ من منظور العلوم الاجتماعية واقترب الحركات الاجتماعية هي تعبير عن “ حركة اجتماعية محافظة تعمل علي الحفاظ علي القيم وحماية الأخلاق الإسلامية في مواجهة محاولة تبديلها ومحوها من قبل الدولة العلمانية الكمالية، ومن ثم فهي حركة إصلاحية من ناحية ومحافظة من ناحية ثانية وتهدف إلى استعادة القيم الإسلامية لمكانتها

(1) سمير رجب محمد، الداعية الإسلامي ببيع الزمان النورسي، م. س. ذ، ص 307 وهو يحيل إلي المكتوبات.

في الممارسات اليومية وفي الفضاء الاجتماعي لعالم المسلم التركي من ناحية ثالثة.

ويلخص "النورسي" رؤيته للتعامل مع الواقع في الدرس الأخير قبل وفاته بقوله "إن القضية الأساسية هي الجهاد المعنوي لهذا الزمن، ووضع عقبة ضد التخريبات المعنوية إضافة إلى تقديم العون الكامل بكل قوتنا إلى الراحة الداخلية، إن الجهاد المعنوي في الداخل هو العمل ضد التخريبات المعنوية والذي يتطلب خدمات معنوية وليست مادية" (1).

- لم يكن النورسي في كل مراحل حياته وتحولاته الفكرية والسياسية ثوريا بمعنى أنه يسعى لتغيير شامل في الواقع الاجتماعي والسياسي، وإنما هو تعبير عن "النموذج الإصلاحي" الذي يحافظ علي ما هو قائم في سياق رؤيته الإسلامية المستندة إلى القرآن والسنة، ولم يدر بخلده استخدام الوسائل السياسية كأداة للتغيير الاجتماعي أو للوصول إلى السلطة فهو هنا تعبير عن "النموذج الدعوي الفكري الاجتماعي" فلم يكن مطروحا في خطته أو برنامجه في يوم من الأيام السيطرة علي النظام السياسي مطلقا ولا الاشتراك فيه وإنما المقصود تكوين اتجاه إسلامي عام يكون أداة للضغط علي الدولة لئلا تنحرف عن أسس الإسلام لا غير وفي ذلك يقول: "كل مؤمن مكلف بإعلاء كلمة الله، وأن السبب المهم في هذا الزمان هو التقدم ماديا لأن الأجانب تحطمنا تحت تسلطهم بالأسلحة العلمية والصناعية الاستبدادية أما نحن فسنجاهد بسلاح العلم والفنون ضد الجهل والفقر والأفكار المضادة التي تعد من ألد أعداء كلمة الله،

(1) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. د، ص 176 وهو يحيل إلى الملاحق للنورسي وراجع أيضا في هذه النقطة أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة الأمة، م. س. د، 129

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

وسنحيل الجهاد الخارجي إلي السيوف الماسة للبراهين القاطعة للشيعة الغراء لأن التغلب علي المتحضرين يكون بالإقناع وليس لدينا وقت للخصوصية“ (1).

ويمكننا القول: إن الحركة النورية هي تعبير خالص عن تبني منهج الإقناع والتدرج بعيداً عن أي شكل من أشكال استخدام العنف أو القوة فيما يمكن أن نعتبره نموذجاً لدعوات الإصلاح والتجديد المستندة إلي مفهوم " الصبر الجميل " تجاه السلطة السياسية والواقع الاجتماعي معاً. أولاً: الأفكار الأساسية للتيار النورسي:

عبر " النورسي " عن عصره القلق، فقد تقلب في أزمان لها طابع " الانقلاب الكامل " في تركيا أو حتي في العالم كله، فهو قد عاصر عهد السلطان عبد الحميد، ثم شهد ثورة الاتحاد والترقي عليه وخلعه وعاصر ممارسات الاتحاد والترقي العلمانية التي روعت فؤاده وصدمة، كما شارك في الحرب العالمية الأولى وأسر فيها، وشارك في حرب التحرير التي قادها " أتاتورك "، وعاش عن قرب البدايات الأولى لتأسيس الجمهورية وإلغاء السلطنة ثم الخلافة، وشهد الجمهورية وانقلابها الشامل الصادم علي كل ما هو إسلامي وأيقن أنه يعيش في عصر " إنقاذ الإيمان ومواجهة الإلحاد ".

وفي كل مرحلة من هذه المراحل كانت له مساهماته الفكرية والإصلاحية، ومن ثم فنحن أمام شخصية تعرضت لتحولات فكرية ونفسية قاسية وصادمة جعلته ينتقل من المشاركة المجتمعية والسياسية

(1) أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية المعاصرة، م. س. ذ، ص 69 - 70 وهو ينقل عن مجلة كوبرو التي تعبر عن الفكر النورسي في تركيا.

إلى الاقتصاد فقط علي العمل الدعوى الذي ينقذ إيمان الناس ممثلاً في “رسائل النور”، فقد تكون لديه اعتقاد بأن مرحلة سعيد القديم (حتى عام 1925 م) لن تجدي نفعاً مع التحولات المرعبة التي أحاقّت بالعالم الإسلامي، ومن ثم فمرحلة سعيد الجديد (1926 - 1960) تحتاج إلى بناء تكون قاعدته الأساسية جيلاً قرآنياً مسلحاً بعقيدة راسخة سليمة ومن هنا كان عكوفه علي “رسائل النور” وهي عبارة عن أربع مجموعات رئيسية عمدتها هي المجموعة الأولى المعروفة باسم: الكلمات Sozler ومنها تنبثق المجموعة الثانية والموسومة بالمكتوبات Mektubat ومنها تنبثق المجموعة الثالثة المسماة باللمعات Lem, alar ثم المجموعة الرابعة “الشعاعات” Su, alar وهي متفرعة عن سابقتها، وألحق بهذه المجموعات ثلاثة ملاحق هي ملحق “بارلا”، وملحق قسطنطيني” وهي رسائل توجيهية إلى طلبة النور في أساليب خدمة القرآن وفقه الدعوة والقضايا العملية التي تواجههم.

وألف النورسي أيضاً بالإضافة إلى هذه المجموعات الأربع الرئيسية رسائل أخرى مستقلة منها “المدخل إلى النور”، و “مفتاح لعالم النور” وهي آخر رسالة كتبت، والمحاكمات “وترجمة حياة” و “سنوحات” و “مناظرات” و “ديوان حربي عرفي”. ومن ثم فرسائل النور هي عمل موسوعي كبير بلغ حوالي ثمان مجلدات كبار تضمنت آلاف الصفحات وعالجت قضايا متعددة علي فترات زمنية طويلة، وهي التي تعبر عن مجمل أفكار التيار النورسي في تركيا والتي نلخص خطوطها العريضة في الآتي:

1 - الإسلام هو خلاص البشرية المعاصرة في الداخل الإسلامي وعلي المستوي الكوني فهو يقول “إن البشرية التي أخذت تصحو وتتيقظ

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

بنتائج العلوم والفنون الحديثة - أدركت كنه الإنسانية وماهيتها وتيقنت أنه لا يمكنها أن تعيش هملاً بغير دين بل حتي أشد الناس إلحاداً وتكراراً للدين مضطر إلي أن يلجأ إلي الدين في آخر المطاف لأن نقطة استناد البشر عند مهاجمة المصائب والأعداء من الخارج والداخل مع عجزه وقلة حيلته وكذا نقطة استمداده لآماله غير المحدودة الممتدة إلي الأبد مع فقره وفاقته - ليس إلا معرفة الصانع “ والإيمان به والتصديق بالآخرة فلا سبيل للبشرية المتيقظة إلي الخلاص من غفوتها سوي الإقرار بكل ذلك، وما لم يوجد في صدفه القلب جوهر الدين الحق فسوف تقوم قيامات مادية ومعنوية علي رأس البشر وسيكون أشقي الحيوانات وأذلها⁽¹⁾.

2 - القرآن هو المصدر المعرفي الوحيد الذي يمكن الاستناد إليه في استخلاص الأفكار والمعارف التي يتحقق بها صلاح الفرد والجماعة فهو يقول: “ لأبرهنن للعالم أن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها “.

3 - الإيمان والعلم قرينان ولا يعارض أحدهما الآخر، ولا يوجد أي تناقض بين مسائل العلم الحديث والمعني الظاهري لحقائق الإسلام وفي هـ ذاقه ————— **ول:**

“ إن المستقبل الذي لا حكم فيه إلا للعقل والعلم سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامه إلي المنطق والعقل والبرهان⁽¹⁾.

4 - الحرية الحقيقية هي التي تنبع من الإيمان وتعني عدم فرض السيطرة علي الآخرين من ناحية والالتزام بقواعد الإسلام من ناحية

(1) سعيد النورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، م. س. ذ، ص 32 - 331 .

(1) نفس المرجع، ص 53

أخري، فالحرية والإيمان مرتبطان. وفي هذا يقول “ الحرية المطلقة ما هي إلا الوحشية المطلقة بل بهيمية وتحديد الحرية ضرورة من وجهة النظر الإنسانية “ ، “ الحرية الخارجة عن دائرة الشرع إنما هي استبداد أو أسر بيد النفس الأمارة بالسوء أو بهيمية أو وحشية، فليعلم جيداً هؤلاء الزنادقة والمهملون للدين أنهم لا يستطيعون أن يحببوا أنفسهم لأي أجنبي يملك وجداناً بالإلحاد والسفاهة “ (2).

5 - التغيير في الأفراد والمجتمعات يأخذ في اعتباره الزمن والعصر
ويعتمد سنة التدرج واستخدام الوسائل السلمية فهو يقول “ إن من يشق طريقاً في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه، مالم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون “. وفي موضع آخر يقول: “ وضع الله سبحانه وتعالى وجود الأشياء تدرجاً وترتيباً أشبه ما يكون بدرجات السلم وذلك بمقتضى اسمه الحكيم فالذي لا يتأني في حركاته إما أنه يطفر الدرجات فيسقط أو يتركها ناقصة فلا يرقى إلى المقصود(3).

6 - احترام النظام الجمهوري الصالح الذي يعتمد الإسلام مرجعية له
“ إنكم تستطيعون أن تعلموا مدي تقديري لحقيقة الجمهورية الصالحة، علي أن أكبر دليل علي تقديسي للجمهورية هو احترامي لخلفاء الإسلام، فقد كانوا إلي جانب كونهم خلفاء رؤساء جمهورية أيضاً، وكانت حياتهم حياة جمهورية لا في الادعاء اللفظي فقط بل في الحقيقة والواقع(1).

(2) نفس المرجع، ذيل الذيل، ص 11

(3) أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، م. س. ذ، ص 128

(1) مصطفى محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص 138 وأيضاً النعيمي، الحركات الإسلامية المعاصرة، م. س. ذ، ص 82

6 - تأكيد مفهوم الانتماء للأمة الإسلامية وإحياء الوعي بمفهوم الوحدة والجامعة الإسلامية فهو يقول “ نحن جمعية تحوي كل عصر أربعمئة مليون من الأعضاء المنتسبين إليها! وهم في كل يوم يعبرون خمس مرات عن أتم علاقتهم بالدستور العظيم لهذه الجمعية وهم يتسابقون دائماً لتحقيق أهم شعائرها ألا وهو {وُؤُؤُ} [الحجرات: ١٠] فنحن أفراد هذه الجمعية المقدسة العظيمة، وظيفتنا تعريف هؤلاء الإخوة المؤمنين بحقائق القرآن تعريفاً علمياً راسخاً وذلك تعاوناً منا علي إعتاق أنفسنا من سجن الأبدية الذي يتهددنا.

ويقول في موضع آخر “ إن ما يعطيه أرباب السياسة الحاليون في هذه البلاد من رشاي إلي الغرب وإلي الأجانب من تنازلات سياسية ومعنوية عليهم أن يعطوا عشرة أمثالها بل ينبغي لهم أن يدفعوها من أجل إقرار إخوة أربعمئة مليون من المسلمين سنتشكل علي صورة جمهوريات إسلامية متحدة⁽²⁾.

7 - البعد عن السياسة وعدم خوض غمارها فقد رفع شعار “ أعود بالله من الشيطان والسياسة “، وفي الخطبة الشامية أوضح ضرورة تنزيه الدين عن استغلاله من قبل الساسة وقال: “ أرجو أن لا يذهب بكم الظن بأنني بكلامي هذا استنهض هممكم للاشتغال بالسياسة - حاش لله - فإن حقيقة الإسلام أسمى من كل سياسة، بل جميع أصناف السياسة وأشكالها يمكن أن تسير في ركاب الإسلام وتخدمه وتعمل له وليس لأي سياسة

(2) البيان الذي ألقاه النورسي أمام المحكمة التي حاكمته وتبرأ منها بتاريخ 16 / 6 / 1944 وراجع محمد مصطفى، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. د، ص 137

كانت أن تستغل الإسلام لتحقيق أغراضها⁽¹⁾ ويقول أيضاً: “إني أفضل حقيقة واحدة من حقائق الدين علي ألف قضية سياسية من قضايا الدنيا”⁽²⁾ وهو هنا أقرب ما يكون للقبول بالفصل في الممارسة بين السياسة ومشاكلها وقضاياها التي هي في التحليل النهائي نسبية ومتقلبة وبين العقيدة والإيمان والدين التي هي مطلقة وثابتة.

و يعبر عن نفس الرؤية التي يمثلها حزب العدالة والتنمية اليوم في تركيا حيث يري قاداته ضرورة الفصل بين المجال السياسي وبين المجال الديني والعقدي بحيث لا تقحم قضايا الدين في السياسة أو توظف لصالحها دون أن يعني ذلك استبعاد الدين عن الحياة كما تذهب العلمانية.

8 - حقائق الإسلام تمتاز باستعدادها استعداداً كاملاً لدفع أهلها لمراقي التقدم المعنوي والمادي معاً، فيقدر مايتمسك أهل الإسلام بالحقائق الإسلامية يزدادون رقياً وتقدماً وبقدر ضعف تمسكهم بتلك الحقائق يصابون بالتوحش والتخلف والاضمحلال والوقوع في ألوان الهرج والاضطرابات ويغلبون علي أمرهم⁽³⁾.

9 - المستقبل للإسلام كدين وحضارة تستجيب للفطرة الإنسانية وللأشواق الروحية للإنسان المعاصر، والمستقبل للإسلام كعالم وأمة لا بد وأن يكون لها حضورها المستقبلي كقوة عالمية، فعلي مستوي استجابة الإسلام للحاجات البشرية الروحية وانتشاره في كل العالم قال النورسي: “إن أوروبا وأمريكا حبالى بالإسلام وستلدان يوماً دولة إسلامية، كما

(1) سعيد النورسي، الخطبة الشامية، م. س. ذ، ص 68 وعن موقفه من السياسة راجع النعيمي، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ز، ص 57 - 60.

(2) النورسي، الخطبة الشامية، هامش ص 56 - 57.

(3) سعيد النورسي، الخطبة الشامية، م. س. ذ، ص 30 - 31.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

حبلت الدولة العثمانية بأوروبا وولدت دولة أوربية... الإسلام وحده سيكون حاكماً علي قارات المستقبل حكماً حقيقياً ومعنوياً وأن الذي سيقود البشرية إلي السعادتين الدنيوية والأخروية ليس إلا الإسلام.

وعلي مستوي تحقيق الأمة الإسلامية لحضورها العالمي توجد وفق النورسي “ في قلب الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي خمسة قوي لا تقهر وهي في منتهي الرسوخ والمتانة وهي الحقيقة الإسلامية، والحاجة الملحة، والحرية الشرعية، والشهامة الإيمانية، والعزة الإسلامية التي تعلن إعلاء كلمة الله والذي تتوقف علي التقدم المادي والدخول في مضمار المدنية الحقيقية “ (1).

والنورسي في الواقع يجيب علي سؤالين: أحدهما خاص بالعالم الإسلامي وهو سؤال النهضة الأثير كيف يمكن النهوض بالعالم الإسلامي من تخلفه؟ والثاني خاص بحيرة الإنسان المعاصر وقلقه وتوتره واغترابه وتهميشه في ظل سيادة طور جديد من أطوار الحضارة الغربية وهو طور المجتمع مابعد الصناعي - كيف يمكن الحفاظ علي إنسانية هذا الإنسان وبقاء قوي الخير فاعلة في داخله لتحقيق المقصد من خلقه ووجوده وهو الاستخلاف؟

10 - رفض مفهوم العلمانية الذي يبعد الدين كلية عن الحياة فهو يقول: “ إن الإسلام ليس فيه رجال دين بالمفهوم الغربي المسيحي لذا فالمقارنة باطلة، ليس في الإسلام طبقة الرهبان ذلك لأن النص الوارد في أنه “ لا رهبانية في الإسلام يشكل قاعدة رئيسية من قواعد تفكيرنا، ويجب أن يكون كذلك في الواقع أيضاً والمنطق يرفض أن نحمل النتائج الضارة

(1) نفس المرجع، ص 41 - 44

الناجمة من التطبيق السيئ علي هذه الفكرة وأن نجعلها موضع نقاش.. إن الإسلام نظام كامل للحياة فشريعتنا لم تدع وظائفنا التعبدية شيئاً نظرياً وأمرأً منفصلاً عن الحياة بل أدمجتها ضمن هذه الحياة وضمن نظامها، فإن انفصلت عقائدنا تماماً عن قلب الحياة فلا يبقى في أيدينا سوي شيء نظري⁽¹⁾.

11 - اعتماد الوحي (القرآن والسنة) والشرعية كمصدر للممارسة

الإسلامية بعيداً عن الذوق والإلهام والكرامات التي تتبعها الطرق الصوفية ويؤكد أن الآداب الشرعية التي هي ثمرة الوحي أسمى وأعلي من آداب الطريقة المستندة إلي الإلهام لذا فأهم أساس للطريقة هو اتباع السنة النبوية المطهرة“ ويضيف في موضع آخر: “ إن اتباع السنة المطهرة هو طريق الولاية الكبرى وهو طريق ورثة النبي من الصحابة الكرام والسلف الصالح ومن ثم فهو يحذر من انفصال الطريقة عن الشريعة لأن ذلك يعني تمزيق المنهج الشمولي لفهم الإسلام الكامل الموحد⁽²⁾.

12 - تداول الحضارات بين صعود وسقوط، فهو يري أن الحضارة لا

تسير في خط مستقيم حتي يتباعد المبدأ والمنتهي بل يدور ضمن دائرة كدوران كرتنا الأرضية فتارة يرينا الصيف والربيع في حال الترقى وتارة يرينا الشتاء والخريف في حال التدني وكما أن الشتاء يعقبه الربيع والليل يخلفه النهار فسيكون للبشرية ربيع ونهار إن شاء الله ولكم أن تنتظروا من الرحمة الإلهية شروق شمس حقيقة الإسلام فتروا المدنية الحقيقية في ظل سلام عام شامل، ومن ثم فلا يزال المستقبل مفتوحاً أمام صعود الحضارة

(1) أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، م. س. ذ، ص ص50.

(2) حسن بكير، النورسي وأثره في الفكر والدعوة، م. س. ذ، ص 146.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

الإسلامية وعالم المسلمين في الدنيا وامتلاك أسباب النهوض⁽³⁾.

13 - البعد عن استخدام القوة المسلحة في التغيير، فهو يرى أن السلاح سوف يقتل حامله، فالخروج المسلح ضد الحكام المسلمين في الداخل سيصيب أول ما يصيب المسلمين أنفسهم ولن يجني ثمرة هذا الخروج المسلح الداخلي سوى أعداء المسلمين وهو يقول في ذلك: "إن الجهاد المسلح لا يحشد كليا إلا ضد العدو الخارجي.. والجهاد في أي مجتمع مسلم هو جهاد معنوي يتصل بتنوير الأفكار وإصلاح القلوب والأرواح ويكون جهاداً إيجابياً ضد التخريبات المعنوية⁽¹⁾."

فهو يعتمد النضال الداخلي في مواجهة الاتجاهات المادية والإلحادية التي تستهدف عقيدة الأمة ودينها وتراثها سواء أكانت ممثلة للدولة أو كانت تعبيراً عن تيارات فكرية داخل المجتمع، وهذا نوع من الوعي الذاتي العميق لدى النورسي بحدود القدرات التي تملكها الحركة النورية في السياق الاجتماعي والسياسي الذي عبرت عنه دولة علمانية ذات أيديولوجية أصولية متطرفة ومن ثم استبعاد المواجهة المباشرة معها، لكن ذلك لم يكن يعني إقرارها على سياساتها التي عبر عنها بالتخريب المعنوي وإنما رفضها عن طريق طرح بديل لها تمثل في رسائل النور التي تحمل في طياتها مشروعاً مناوئاً للمشروع الذي تحمله الدولة الكمالية.

14 - حذر " النورسي " من الحضارة الغربية المادية ومن مدنيته الزائفة التي تمثل خطراً على الإنسانية واعتبر أن الحضارة الإسلامية هي

(3) سعيد النورسي، الخطبة الشامية، م. س. ذ، ص46.

(1) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص 176.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

التي تحقق السعادة البشرية لغالبية البشر المعاصرين وفي هذا يقول: “ يا أوروبا الثانية! اعلمي جيداً أنك أخذت بيمينك الفلسفة المضلة السقيمة وبشمالك المدنية المضرة السفيهية ثم تدعين أن سعادة الإنسان بهما، ألا شلت يداك وبئست الهدية هديتك ولتكن وبالأعلى عليك وستكون “ وهو يصف إنسان الحضارة الغربية إلي فرعون طاغية ومتمرد ذليل وجبار عاجز غاية ما يصبو إليه تلبية رغبات النفس وإشباع هواها بأي وسيلة وجدت لأنه لا يحب إلا نفسه وهو مستعد للتضحية بكل شئ في سبيلها أما إنسان الحضارة الإسلامية فهو عبد لربه، هين لين، فقير مستغن، ضعيف مستند لقوة الله⁽¹⁾.

ولكنه رغم ذلك يدعو إلي الحوار بين الحضارة الإسلامية والمسيحية⁽²⁾ في مواجهة قوي الإلحاد ويقول في هذا الصدد “ إن علي المسلمين والمسيحيين في هذا العصر عدم الركون إلي الخلافات بينهم بل يلزمهم توحيد قواهم لمحاربة عدوهم المشترك والذي يكمن في المادية والإلحاد وغير المتدينين ذوي النوايا العدوانية “

15 - رفضه الاستبداد السياسي فهو يعرف الجمهورية بأنها عبارة عن العدالة والشوري وحصر القوة في القانون فهو يقول “ أليس من الجناية علي الإسلام أن نستجدي الأحكام من أوروبا ولنا شريعة غراء تأسست قبل 13 عشر قرناً؟ إن هذا الاستجداء شبيه بالتوجه إلي غير القبلة في الصلاة. إن القوة لا بد وأن تكون في القانون وإلا فسيتفشي الاستبداد في الكثيرين، وهو يري المشروطة بأنها المشورة والعدل والقانون ويقول: “ تعلموا المشروطة وعلموها علي أنها المشروعية، والمشرورية

(1) حسن بكير، النورسي وأثره في الفكر والدعوة، م. س. ذ، ص 170 وهو ينقل عن اللغات والكلمات.

(2) أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية المعاصرة في تركيا، م. س. ذ، ص 90.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

هي هدف الحكومة المستمدة من قوله تعالى { فثقّف } [آل عمران: ١٥٩]، { سس } [الشورى: ٣٨]، والمشروطة هي المشروطة الشرعية وهي التي تظهر طالع آسيا وتكشف خط الإسلام بشرط أن تغذي بالشرعية الغراء وحرية رأي الفرد والجماعة. فالديموقراطية عند النورسي مرهونة بالعدالة والشوري والقانون⁽³⁾.

16 - يرفض النورسي النظام الرأسمالي والاشتراكي معا ويرى أن النظام الإسلامي هو الطريق الوسط بينهما فهو لا ينكر حق الملكية وإنما يكتفي بضبطه وتحديده ومن ثم فهو لا يقبل الجمع المفرط لرأس المال ويرى أن للفقراء حق فيه وهو يشجع المشروع الحر لكنه يرفض الاحتكار ويرى ضرورة تدخل الدولة لحماية الطبقات الفقيرة ولكن دون استبداد⁽¹⁾.

هذه هي الخطوط العامة لأفكار التيار النورسي والذي عبرت عنها بشكل رئيسي رسائل النور التي كتبها "بديع الزمان النورسي" والتي كانت تهدف بشكل أساسي إلى حماية إيمان الناس وإنقاذ أصل وجودهم وهو الإسلام أمام "تأله الدولة الكمالية وسلطانها البشع المروع".

استطاعت رسائل النور أن توجد مساحة مهمة لبقاء المشروع الإسلامي حاضراً بقوة في الحياة الفردية والاجتماعية للإنسان التركي في مواجهة مشروع الدولة الكمالية والطبقات العلمانية المتغربة الملتحقة بها فيما يمكن أن نصفه بوضوح بأنه تعبير عن "صمود النص كفاعل اجتماعي وسياسي وفكري وأخلاقي".

لم يكن النورسي ولا طلابه هم الفاعلون الاجتماعيون بتعبير الأداة

(3) سمير رجب محمد، الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي، م. س. ذ. ص 246 - 248

(1) النعيمي، الحركات الإسلامية المعاصرة في تركيا، م. س. ذ. ص 95 - 96.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

التحليلية الرئيسية التي نستخدمها في هذه الدراسة وهي “ الحركات الاجتماعية “ ولكن النص ممثلاً في القرآن والسنة بشكل أساسي ثم رسائل النور والتي كانت تعبيراً عنهما من وجهة نظر العصر الذي كتبت فيه، ومن هنا كان رفض النورسي القاطع لكل ما يحول دون التفاعل المباشر بين المسلم والوحي أو بين الواقع الاجتماعي والنص القرآني والنبوي وتمثل ذلك بشكل أساسي في رفضه التام للطريقة الصوفية التقليدية ومفاهيمها القائمة علي الفناء والإلهام ووحدة الوجود التي تحول الإنسان إلي جزء من الطبيعة يخضع لقوانينها وليس هو الإنسان الذي خلقه الله ليكون خليفته وليسخر قوانين الطبيعة من أجل رفاهية البشرية وسعادتها وسلامها.

ثانياً: تجليات النورية المعاصرة في تركيا:

لم يترك “ النورسي “ جماعة واحدة أو تنظيمًا واضحاً فهو لم يعين خليفة لتلاميذه⁽¹⁾ من بعده وتشير معلوماتنا إلي أن أول جماعة خرجت من النورية هم “ جماعة النساخ “ وهؤلاء كانوا يرون كتابة رسائل الإمام بالحروف العربية العثمانية وعدم كتابتها بالحروف اللاتينية و انطلقوا من اهتمام

“ النورسي “ باللغة العربية وحروفها والتي هي لغة القرآن وتتضمن بداخلها روح الرسائل والجو التاريخي الذي كتبت فيه، بينما يري أعضاء آخرون داخل الجماعة أن “ النورسي “ لم ينص علي ضرورة الكتابة بالحروف العربية وطبعت في عهده بعض كتبه باللاتينية مثل رسالة “

(1) حوار الباحث مع الأستاذ محمد فرنجه وكذلك حواراه مع الأستاذ أورخان محمد علي في اسطنبول في أواخر عام 2003 م، وهي في ذلك اختلفت عن حركات إسلامية أخرى مثل الإخوان المسلمين والتي حسمت اختيار مرشد لها بعد مؤسستها الأول.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

كنجلك رهبري“ أي مرشد الشباب، كما أنه سمح لطلابه بالدراسة في المدارس والجامعات التركية ولكن هذا الفصيل داخل الجماعة انتهى مع الزمن ولم يبق منه أحد يذكر⁽²⁾.

انقسم “ التيار النورسي “ بعد ذلك حول المسألة السياسية خاصة في أواخر الستينيات مع اتجاه الإسلاميين لتكوين كيان سياسي مستقل لهم وكما قال لنا أقدم طالب في مدارس النور اليوم في تركيا كان للنورسي علاقات قوية مع القوي الإسلامية في تركيا في الخمسينيات مثل علاقته بنجيب فاضل و “ جواد رفعت أتيلخان “ الذي عرض علي النورسي “ تأسيس حزب الإسلام الديموقراطي “ ولكنه رفض لعدم تفتيت القوي المعارضة لحزب الشعب الجمهوري العلماني الذي كان النورسي “ يري أن التناقض الرئيسي للحركة الإسلامية هي مع الحزب الجمهوري الذي يمثل الدولة العثمانية.

وبعد انقلاب عام 1960 وتأسيس حزب العدالة بقيادة “ سليمان ديميريل “ دخل الإسلاميون جميعا تحت عباة في مواجهة حزب الشعب وكان شعار “ ديميريل “ في ذلك الوقت “ الذي أصبعه علي زناد البندقية غير الذي أصبعه علي السبحة “⁽¹⁾ وعندما جرت انتخابات مجلس الشيوخ التركي أصبح أحد طلاب النور عضواً فيه وهو “ أحمد توفيق باكسو “، ويبدو أنه كان يمثل التيار الذي يري المشاركة في العمل السياسي داخل “ جماعة النور “ وكان من بين المجموعة الإسلامية الأولى التي قررت خوض الإسلاميين لغمار العمل السياسي مستقلين عن

(2) عن مجموعة النساخ راجع: حسن عبد الرحمن بكير، بديع الزمان النورسي وأثره في الفكر والدعوة، م. س. ذ، ص 216.

(1) حوار الباحث مع محمد فرنجة في اسطنبول عن الحركة النورية وتحولاتها وتطوراتها.

غيرهم من الأحزاب الأخرى، وهذه المجموعة انتقلت من “جماعة النور” إلى أول حزب إسلامي أسسه “أربكان” عام 1969م وهو حزب النظام الوطني.

الغالبية من طلاب النور “لم تكن توافق علي إنشاء حزب سياسي وذلك لأسباب معتبرة عندهم وهي أنهم لم يحسموا بينهم الدخول في العمل السياسي المباشر، وأن الخط الرئيسي في تفكير “جماعة النور” هو إرشاد أهل السياسة وليس الانخراط فيها... فالنورسي يقول للحكام: ابقوا في مكانكم والطريق الصحيح هو كذا وكذا..⁽²⁾ وبشكل عام يمكن القول أن هناك مجموعة من الأفرع تفرعت عن مدارس النور تتفاوت في اجتهاداتها حول التعامل مع الواقع ولكنها جميعاً تعبر عن الفكر النورسي وهذه الأفرع هي:

1 - مجموعة فتح الله كولن:

انفصلت عن المجموعة الرئيسية للنورسية وهي “يني آسيا” عام 1971م، وتنتسب المجموعة إلى مؤسسها وهو “فتح الله” أحد تلامذة النورسي، ورغم أنه لم يره فهو يعبر عن تطور مهم داخل “التيار النورسي” حيث يملك أفقاً واسعاً وله شخصية قيادية تملك استراتيجية يمكن وصفها بالشمول، لا تقتصر فقط على المجالات التقليدية للإسلاميين مثل التربية والوعظ ولكنه تتسع لتشمل مجالات الحياة كلها بما في ذلك

(2) أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، م. س. ذ حيث أشار إلى أن الجماعة عرض عليها أن تؤسس حزباً سياسياً ولكنها رفضت بالإجماع، وهو يشير إلى رفض تعاطي معظم أعضاء الجماعة للسياسة حتى لا تستعدي القوى السياسية العلمانية عليها وحتى تحتفظ لنفسها بحيادها فهي تريد أن تحتضن الجميع، والأمر متروك للضمي الفردي لعضو جماعة النور فهو يعطي لأفضل مرشح من الأحزاب التي يتوسم فيه القدرة علي خدمة الإسلام، ص 321 - 322.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

السياسة، فلديه جريدة يومية مهمة هي Zaman ولديه مجلة أسبوعية هي Acision أي الحركة وهو يتناول السياسة من جانب إبدائه للرأي فيما يجري في العالم الإسلامي وي طرح آراء جديرة بالانتباه حول الإسلام والعلم والديموقراطية والحداثة والدين وأيديولوجية التسامح وأهمية التعليم والاهتمام بالأحداث الجارية، بيد أنهم لا يطرحون أنفسهم منافسين للحكومة أو الدولة ولا يتجهون لبناء حزب سياسي، علي العكس هم يرون أنفسهم جناحاً للدفاع عن الدولة التركية ويتبنون مفهوم "الإسلام التركي" أو ما يطلق عليه "جولن" "إسلام الأناضول" Islam Anatolian الذي يقوم علي التسامح والتصالح مع الدولة والواقع وليس معارضته أو حتى نقده فضلاً عن التعرض له بالتغيير⁽¹⁾.

ولدي هذه المجموعة بنوك غير ربوية وشركات للتأمين وعندهم مؤسسة اقتصادية كبيرة اسمها "آسيا فاننس" رأسمالها يبلغ حوالي 125 مليون دولار وتسعي لعمل استثمارات في جمهوريات آسيا الوسطي، ولهم بنك غير ربوي، وعندهم جامعة خاصة في اسطنبول اسمها "فاتح يونيفرستي" ولهم جامعات منتشرة في منطقة آسيا الوسطي وعندهم محطة تلفزيون اسمها Saman Yolu (STV) أحد مجموعات "مجرة درب التبانة" وعندهم إذاعة اسمها Burc تشمل عموم تركيا وأخري محلية، ويمكن وصف الجماعة بأنها تعبير عن "الإسلام الاجتماعي" الذي يهتم بشكل أساسي بالتواجد في مجالات التعليم والتربية والإعلام والاقتصاد.

ففي مجالات التربية أسست مجموعة "فتح الله جولن" أكثر من مائة

) 1(Bulent Aras and Omar Caha, Fethullah Gulen and His Liberal Turkish Islam Movement, MERIA Journal, 4 December 2000, volume 4. p. 3.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

مدرسة ابتدائية وإعدادية وثانوية ولغة الدراسة بها هي الإنجليزية ومنذ عام 1990 تشارك هذه المدارس في المسابقات الدولية ويحقق طلابها أفضل النتائج في علوم الكيمياء والفيزياء والرياضيات والحاسوب ونصف هذه المدارس معترف بها من قبل الدولة وهي من أرقى المدارس التركية من حيث مستوي التدريس، وخارج تركيا توجد حوالي 200 مدرسة في أغلب قارات العالم في أوروبا وأمريكا وأفريقيا وأغلبها يتركز في آسيا الوسطى، وأنشأت سبع جامعات في آسيا الوسطى وعندما سمحت الدولة بتأسيس الجامعات الخاصة في تركيا سنة 1996 م فتحت الجماعة "جامعة الفاتح" المشار إليها سابقاً وفتحت أبوابها للدراسة عام 1996 - 1997 م.

وأقامت مجموعة "كولن" مدارس للطلبة في أغلب المدن التركية بلغ عددها أربعمئة مسكن بطاقة استيعابية قدرها مائتي ألف طالب وأقامت أيضاً بيوتاً للطلبة الجامعيين بلغت حوالي ستة آلاف تستوعب ما يزيد على مائة وأربعين ألف طالب وطالبة ولها مدارس يحضر فيها الطلاب لدخول امتحانات القبول في الجامعات وعددها يبلغ حوالي مائتي مدرسة تستوعب ما يزيد على 300 ألف طالب وطالبة، ولدى الجماعة ستون ألف طالب تخرج منهم في عام 1993 - 1994 م أكثر من أربعة آلاف طالب وطالبة من كليات مختلفة محلية ودولية. وكما علمنا فإن مدارس مثل "روبرت كوليج وأمريكا كوليج وجالاطا سراي" هي مدارس تابعة للجماعة وهي تخرج أهم طلاب تركيا اليوم والذين يتبوأون أعلى مناصب الدولة فهم يتعلمون بالفرنسية والألمانية والإنجليزية⁽¹⁾.

(1) عن تفصيلات أكثر بخصوص أنشطة مجموعة فتح الله جولين الاجتماعية وخاصة التعليمية راجع: محمد نور الدين، حجاب وحراب، الحملة الكمالية الثانية فتح الله جولين هدفاً، ضياء الرئيس

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

وفي مجال الإعلام لديها جريدة زمان السابق الإشارة إليها منذ عام 1988 م، وهي **تطبع في تركيا في خمسة مراكز**، وفي الخارج في ثلاث عشرة دولة منها وسط آسيا وألمانيا، وتطبع يومياً حوالي **400 ألف نسخة** وفيما يتصل بالقضايا الإسلامية مثل الحجاب والأحزاب التي لها جذور إسلامية والمدارس الإسلامية فإن جريدة زمان تكون مسموعة الكلمة.

والجماعة مجلة اسمها SIZINTI وهي مجلة علمية وأدبية شهرية باللغة التركية ويطلع منها أكثر من مائة ألف نسخة وكان “فتح الله” قد اتخذ منها منبراً لإطلاق آرائه الإيمانية والفلسفية منذ عام 1978 م وتصدر الجماعة مجلة بعنوان yeni umit أي الأمل الجديد، وهي فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر وتوزع حوالي 20 ألف نسخة، ومجلة **إيكولوجي** وتهتم بقضايا البيئة والحفاظ عليها والتلوث والقضاء عليه وهي فصلية ويصدر منها خمسة عشر ألف عدد، ومجلة “فونتين” fountain وهي علمية فصلية تصدر بالإنجليزية وتنتشر في أوروبا وأمريكا. وللجماعة دور نشر وعدد من المطابع وكما قال لنا العديد من المصادر فإن **الإسلاميين يسيطرون علي مايقرب من حوالي ثلث الصحافة الكلية في تركيا ولكنها لم تصل بعد إلي النصف.**

وبالنسبة للإعلام فالإسلاميون يسيطرون علي مايقرب من 10% منه، وتعد مجموعة “جولين” هي أكبر مجموعات جماعة النور وينتسب إليها ما يبلغ حوالي 60% من مجمل منتسبي الجماعة وتشير المعلومات إلي أن عدد أتباعها يتراوح ما بين 200 ألف من الأتباع والأنصار - 4 مليون من المتأثرين بأفكاره وهم ينتمون بشكل أساسي

للكتب والنشر، ط1، يوليو 2001 حيث أورد قائمة مفصلة بحجم وجود مؤسسات التعليم التابعة لجولين، 241 - 248.

للشباب الصغير الذي يعيش في المدن خاصة من الأطباء والأكاديميين والمتخصصين في مجالات عدة، وللجماعة برنامج تثقيفي منتظم يتمثل في الدروس الدورية بحيث يلتزم كل منتسب للجماعة بحضور درسين في الأسبوع لتلقي رسائل النور وعلوم الشريعة الأخرى أو يستمع للدروس المسجلة السمعية أو البصرية، وتنظم الجماعة عدة رحلات ومخيمات صيفية داخل تركيا وخارجها ويرجع الصعود الكبير في اتساع قاعدة أنصار الجماعة إلى اهتمامها بالطلبة والشباب ومشاكلهم وقضاياهم بتأسيسها بيوت الطلبة والمخيمات الصيفية لطلبة الجامعات والمدارس العليا والمراكز الثقافية والتربوية⁽¹⁾.

وليس للجماعة تنظيم كما هو الحال بالنسبة للحركات الإسلامية الأخرى. فلا توجد لها هياكل تنظيمية وإنما الرابطة الأساسية التي تجمع بين المنتسبين للجماعة هي العلاقة مع الشيخ ومع النصوص التي ينتجها فيما أطلقنا عليه “النص كفاعل اجتماعي” فالحركة لا تزال تعبر عن الطابع الصوفي في العلاقة بين الشيخ كإمام وقائد روحي وبين المريدين أو الأتباع وهذه العلاقة ذات طابع رأسي يشبه الهرم حيث يقف الشيخ علي رأسه
ثم طبقات الأتباع التي تتخذ طابع العلاقة الأبوية أو العلاقة مع الأكبر سناً "abi elder brothers" حيث تكون الفكرة والعلاقة الروحية هي الرابط الأقوي بين الأتباع وليس قوة التنظيم. ولمجموعة “فتح الله جولن” موقع باللغة العربية علي الشبكة العنكبوتية عنوانه <http://ar.fgulen.com> وآخر

(1) Bulent Aras and Omar Caha, Fethulla Gulen and His Liberal

“Turkish Islam” Movement, Op. cit, p. 4

<http://meria.Idc.ac.il/journal/2000/issue4/jv4n4a4.html>.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

إصدارات المجموعة مجلة تخاطب الجمهور العربي لبناء جسور للتواصل مع الثقافة العربية ومع العالم العربي اسمها " حراء " وموقعها علي الشبكة www.hiramagazine.com.

وتمثل مجموعة فتح الله جولين " وزنا معتبراً في السياسة التركية بالنسبة لأحزاب اليمين خاصة وهو مايفسر حرص قادة العديد من الأحزاب السياسية علي وجود علاقة خاصة معها فمنذ عام 1994 التقى رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والعديد من قادة الأحزاب السياسية ورجال الأعمال الكبار في تركيا مع زعيمها " فتح الله جولن " الذي كثيراً ما يتم استضافته كأحد الوجوه التركية المهمة في الميدان، ففي عام 1997 م مثلاً زار " سليمان ديمريل " رئيس الجمهورية أحد المؤسسات التابعة لجماعته وأثنى علي النشاط التعليمي للجماعة، وقابله " بولنت أجاويد " زعيم اليسار التركي الذي صرح بعد اللقاء بقوله " الحوار بالكامل كان حول الدين والفلسفة ولم يكن له أبعاد سياسية ووجدت الرجل ودوداً مخلصاً وكان لقاءنا مفيداً "، هذا يدل علي مدي قبول خطاب الجماعة حتي لدي اليسار.

لكن مؤسسة الجيش التي تري نفسها حامية العلمانية في تركيا لا تزال تنظر لمجموعة " جولين " باعتبارها خطراً يهدد المؤسسة العسكرية الاستراتيجية عبر اختراقها، ومجلس التعليم العالي في تركيا " yok " أحد ركائز العلمانية التركية المهمة ينظر هو الآخر بعين محاذرة للجامعات التي تنشئها الجماعة حول العالم وبقيم العراقيل أمام خريجها.

ويتفق مع هذه الرؤية مفكرون علمانيون غلاة من النخبة المثقفة التركية يقولون: " إن الجماعة تستخدم تكتيكات توصلهم لنفس أهداف الإسلاميين ويزعمون أنهم خائفون من أن يكون هذا الوجه الودود ستاراً

لمطامح سياسية تقلب الدولة التركية إلي النموذج الإيراني للدولة الإسلامية، ويعلنون مخاوفهم من دعم الأحزاب العلمانية للجماعة حتي تضمن ولاءها في مواجهة الرفاة“.

بينما تنظر قطاعات مهمة أخرى من النخب العلمانية الفكرية في تركيا لمجموعة “جولن“ باعتبارها أحد أدوات الأحزاب السياسية العلمانية المهمة في تحجيم التيار الذي يعبر عنه “نجم الدين أربكان“ وهي حركة “الملي جوروش“ ويذهبون إلي أن مجموعة “جولن“ يتم دعمها من وزارة الخارجية التركية وأن مخصصات سرية كبيرة حولتها “تانوشيلر“ لدعم الجماعة لاستخدام نفس أدوات أعدائها من الرفاه لمواجهةهم بها، وهو ما يفسر العلاقة المتينة بين حزب الطريق المستقيم وبين الجماعة⁽¹⁾.

وعلي الجانب الآخر يحظي “جولن“ بدعم مجموعة من الوجوه الليبرالية المثقفة المهمة في تركيا مثل الصحفي “محمد ألتان وعلي بيرام أوغلو ومحمد علي بيراند وجنكيز شاندار“ وهؤلاء يجادلون حول أن حل المشكلة التركية يكمن في التوصل لحالة من التوافق في الآراء ولذا فهم يقدرون الوجه الهادئ للإسلام الذي تعبر عنه الجماعة، ويمثل الموقف الناقد للجماعة من الرفاه قبل حله أحد مصادر الدعم لها من الاتجاهات القومية المحافظة⁽²⁾.

وعلي صعيد علاقة “جولن“ بالتيار الذي يمثلته “أربكان“ وحركة الملي جوروش“ فإنها عدائية حيث ينظر أتباع أربكان إلي حركة “جولن“ بأنها مدعومة من الدولة لتعويق حركة الرفاه ومن جانبه يشن “جولن“

) 1(Ibid, p. 5 - 8.

) 2(Ibid, p. 7.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

حملة علي الرفاه ويقول إن النسبة العالية التي حصل عليها في انتخابات عام 1995 ع (21%)، لا تعبر عن قوته الحقيقية في الشارع والتي لا تزيد عن 15% وربما أقل بينما الفارق الذي حصل عليه الرفاه يعبر عن التصويت العقابي من جانب المواطنين ضد حكومات فاشلة. وحمل "جولن" الرفاه مسؤولية الصدام مع الجيش والذي قاد إلى الانقلاب الأبيض عليه في يونيو 1997 م والذي حمى تركيا في تقديره من الانجراف إلى صراع شبيه بما حدث في الجزائر⁽¹⁾.

2 - مجموعة الجيل الجديد Yeni Nasil وآسيا الجديدة Yeni Asya:

رغم أن البعض يفصل بينهما ولكنهما مجموعة واحدة، وهي تمثل الجيل القديم من طلبة النور والمهتمين أساساً بنشر فكره ورسائله ومؤسسها هو "محمد قوتلولار" وتصدر هذه المجموعة جريدة يومية اسمها "يني آسيا" ولها دار نشر بنفس الاسم ولها علاقات قوية مع البرجوازية الإسلامية وتعتمد تكتيكات العمل داخل مؤسسات الدولة وهي دعمت حزب الطريق القويم. ومجموعة "يني آسيا" هي التي دشنت النشاط الصحفي داخل التيار النورسي، وأيدت هذه المجموعة حزب العدالة بزعامة "دميريل" حتى انقلاب عام 1980 م وبعده بنحو شهر أغلقت الجريدة فقام النورسيون بإصدار جريدة جديدة بعنوان Yeni Nesil أي الجيل الجديد ولما أعيدت جريدة "يني آسيا" أصبح الجيل الجديد هم

(1) Turkish daily News, February, 18, 1995 for Rafah Opinion & Milliyet, August, 31, 1997 for Goln View.

ولمزيد من آراء جولن حول مختلف القضايا راجع: www.zaman.com/?syf=fgulen حيث يتوافر العديد من الحوارات حول الديمقراطية والحدثة والإسلام والغرب وغيرها من القضايا.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

المسؤولون عنها ومنذ بداية التسعينيات تقلص تأثير هذه المجموعة بسبب انسحاب أغلب الأعضاء منها وانضمامهم لمجموعة الشوري “، ولهم دار نشر باسم “دار نسل للنشر” وتضائل توزيع جريدة “آسيا الجديدة” من 400 ألف نسخة إلى 2500 نسخة ووفق معلوماتنا فإنهم لا يمثلون سوي 5% من التيار النورسي⁽¹⁾.

3 - مجموعة وقف الزهراء:

يتولي قيادتها “عز الدين يلدرم” وهم تبناوا مشروع إنشاء جامعة باسم الزهراء وهو المشروع الذي حاول “النورسي” إنشاءه في عهد السلطان عبد الحميد ومشروع الجامعة في طريقه إلى الاكتمال، وهم يتولون الدعوة إلى الإسلام وإلى أفكار النورسي وربما تكون هذه المجموعة هي الأقرب لأفكار الرجل وهم يوسعون من مصادرهم خارج رسائل النور ويستعينون في الدعوة بخبراء من خارج الجماعة، وهم أوسع أفقا وأكثر تقبلا للنقد، وتشير معلوماتنا إلى أنهم يمثلون نسبة ضئيلة من التيار النورسي ربما لا تبلغ 5%. ويكثر الأكراد المنتسبين لهذه المجموعة لدرجة أنهم يعرفون بالنورسيين الأكراد، وتصدر المجموعة مجلة بعنوان “نوبهار” باللغة الكردية أي الربيع الجديد، وهم يهتمون ببناء البيوت للطلاب في المحافظات التركية ويرسلون بعض الطلاب للدول العربية للتخصص في الدراسات العربية والإسلامية⁽²⁾.

(1) عن مجموعة “بني آسيا” و “بني نسل” راجع: حسن عبد الرحمن بكير، النورسي وأثره في الفكر والدعوة، م. س. ذ، ص 220 وطارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص 200 - 201.

(2) حسن عبد الرحمن بكير، النورسي وأثره في الفكر والدعوة، م. س. ذ، ص 220.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

4 - مجموعة الشوري:

هذه المجموعة يمثلها ما يقرب من 35% من منتسبي الجماعة وهم يعبرون عن الفكر التقليدي للنورية وهم يهتمون بإنشاء المدارس النورية في تركيا وخارجها، والمدرسة عبارة عن بيت يتم الاجتماع فيه لقراءة رسائل النور “ وتدارسها في مواعيد محددة كل أسبوع، وتهتم هذه المجموعة بالطباعة فلديها ثلاثة دور للنشر هي “ سوزلر والإخلاص والأنوار “ وتقوم بطباعة رسائل النور “ وطباعة الكتب والأبحاث التي تتناول حياة النورسي “ ومؤلفاته وفكره وهي تعمل علي امتداد نشاطها إلي العالم العربي واللغة العربية ولها مركز أبحاث للترجمة اسمه (مركز أبحاث رسائل النور باسطنبول)، وينظم المركز مؤتمرات دولية حول فكر النورسي “ يدعو فيها الباحثين من العالم كله للمشاركة ويتعاون مع المركز في هذه الأنشطة (وقف العلوم والثقافة باسطنبول).

وأشارت بعض الدارسات إلي أفرع أخرى للنورية مثل “ جماعة الخدمة HizmetVakfi “ ولكنها ليست ذات أهمية كبيرة⁽¹⁾.

ويؤيد " النورسيون " اليوم في تركيا حزب العدالة والتنمية " الآق بارتلي " ويرون أنه يعبر عن روح الجماعة التي لا تزال تري أنها لا تعمل بالسياسة ولكن فقط إرشاد السياسيين وتقوية التيارات السياسية التي ترفع سقف العمل الإسلامي والدعوة بعيداً عن الدخول في صدام واضح مع العسكر والدولة التركية العميقة، ولذا فهم يتحفظون علي سلوك “ التيار الأربقاني “ ذات الطابع الصدامي ويرون أنه لم يكن مناسباً للروح التركية.

(1) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص 202 - 203.

وتعتبر المجموعة التي يمثلها " فتح الله جولن " عن أهمية الدولة التركية حتى بصيغتها العلمانية فهي خير من غيابها، فهو لا يري الدولة عدواً مخالفاً في ذلك أغلب الحركات والتيارات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي ويقول في هذا الصدد " لا أستطيع القول إنني أصوب الدولة أو غيرها فيما قامت به من أمور باطلة، إلا أنني أستطيع أن أقول إنني أرجح أشد الدول " لا ديموقراطية " علي " اللادولة " ومن هذه الناحية فأنا ضد ضياع معني الدولة وسقوط هيبتها، ويرفض تسييس الإسلام ويقول: " يمكن أن يختلف الناس في آرائهم ولكن بالنسبة لي تسييس الإسلام خيانة كبيرة لروح الإسلام " وهو يدعو لعلاقة جيدة مع الغرب⁽¹⁾.

وبشكل عام فإنه يمكننا القول: إن التيار النورسي " بأفرعه المتعددة هو تعبير عن حضور وجه الإسلام الاجتماعي والثقافي في الحياة التركية حيث يفتح آفاقاً لمساحات ثقافية واجتماعية جديدة تعبر عن خطاب ورؤي إسلامية متسامحة تتجه نحو الإجماع والتوافق ودمج أتباعها في النظام السياسي القائم دون معاندة له أو تمرد عليه، كما أن مجموعة " جولين " خاصة تشير إلي محاولة حقيقية للتسوية والتصالح بين القيم التقليدية وبين الحداثة المعاصرة وهي أيضاً تعبير عن تمثيل لقطاعات مجتمعية تركية ليس لها علاقة مع الدولة ومن ثم فهي تعبر عن حالة من حالات المجتمع المدني التي استطاعت أن تستقل عن الدولة وتلعب دوراً مميزاً في المجتمع.

والجماعة عبرت في الواقع عن القطاعات الأناضولية المهمشة من

(1) نفس المرجع، ص 206.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

قبل بيروقراطية الدولة الكمالية منذ ظهورها والتي استطاعت أن تنتزع بعض تأثيرها عن طريق قدرتها الاقتصادية المستندة إلى قيم الأناضول الأخلاقية المستمدة من الدين الإسلامي منذ عقد التسعينيات، وتمثل فكرة الخدمة **hizmet والعمل الجاد والتنظيم الجيد والزهّد** كما عبر عنها "ماكس فيبر" أسسا لقوة الفرد والمجتمع والنابعة بشكل أساسي من ابتغاء مرضاة الله ودخول الجنة⁽¹⁾.

والنورسيون هم أيضاً تعبير عن أحد أوجه الإسلام السياسي ولكن عن طريق دعم القوي السياسية التي تحترم حضور الإسلام الاجتماعي والدعوي والفكري وتعبر عن روح المجتمع التركي القائم على التوافق والتوازن والحوار الوسط بعيداً عن المواجهة والصراع والاستبعاد والإقصاء، ومن هنا فإن المشهد التركي اليوم يعبر عن حالة مثالية للبيئة التي يريجوها التـيـار "النورسي" فهو يمارس العمل الدعوي والاجتماعي والفكري والخيري بدون ضغوط من القوي العلمانية وفي نفس الوقت يدعم حزب العدالة والتنمية باعتباره نموذجاً للحالة السياسية المثالية من وجهة نظره فهو يمارس السياسة والحكم وفق الموازين النورية.

* * *

1) (Bulent Aras and Omar Caha, Fethulla Gulen and His Liberal "Turkish Islam", op. cit, p. 9.

المبحث الرابع:

المتقفون الإسلاميون من الاغتراب إلى الاختراق

تمثل تركيا فضاءً متسعاً لاستقبال الأفكار الإسلامية من البلدان الأخرى في العالم العربي والإسلامي وخاصة مصر وإيران وباكستان بشكل أساسي، وكما يقول "علي بولاج": "لو عطس عربي فإنها ستترجم إلى التركية" (1) ويختلف اتجاه المثقفين باختلاف اقترابهم من فهم الإسلام، وبالطبع يوجد تشعب عال بالأفكار ذات الطابع التوفيقي بين الإسلام والقومية وبين الإسلام والعلمانية وبين الإسلام والديموقراطية والحداثة، فالحالة التركية هي تعبير عن البحث عن نقاط للتوافق وتوسيع ماهو مشترك من أجل الوصول لحل وسط بين جميع القضايا ذات الطابع الاجتماعي والسياسي والثقافي.

- حين نقول: مثقف إسلامي في تركيا فنحن أمام نخب هي بالضرورة تعبير عن الحداثة بكل معني الكلمة، فهم تخرجوا جميعاً من الجامعات وحصلوا على شهادات عليا منها وهم يمارسون التفكير والاجتهاد الذي يعبر عن رؤيتهم المستقلة في مختلف قضايا أمتهم من ناحية و غالباً ما يكون مصدر معاشهم وحياتهم من عملهم الفكري والثقافي من ناحية أخرى، وهم يمتلكون تأثيرهم الواسع على تيارات وقوي اجتماعية وسياسية يمثل الإسلام جزءاً من هويتها استناداً إلى مكانتهم الثقافية.

ويمثل الإسلام المرجعية الرئيسية لهؤلاء المثقفين ومن ثم فهم بالضرورة يقفون ضد الدولة الكمالية وممارستها الاستبدادية فهم

(1) حوار علي بولاج مع الباحث في اسطنبول في أكتوبر 2003.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

يمارسون في التحليل النهائي دوراً كفاحياً ذا طابع سلمي يعتمد سياسة النفس الطويل في مواجهة ما يعتبرونه أصولية علمانية تمارسها الدولة في مواجهة مجتمعها الذي يمثل الإسلام جوهر هويته وركيزة حياته ووجوده.

- هم يواجهون أيضاً معركة الأفكار مع الاتجاهات المادية والمعادية للفكرة الإسلامية من المثقفين العلمانيين والوضعيين والماديين وحتى الإلحاديين، لكننا نلاحظ أنه في الفترة من نهاية القرن التاسع عشر وحتى نهاية الستينيات كانت المهمة الأولى للمثقف المسلم في تركيا هي الدفاع عن الإيمان والعقيدة و الفكرة الإسلامية في مواجهة اكتساح الأفكار المادية واللا دينية التي مثلت الرافعة الفكرية للنظام السياسي العلماني والذي أنتج أصولية علمانية متطرفة ضاق بها الإسلاميون ذرعا حتى شعروا بالاغتراب داخل أوطانهم وبلدانهم وثقافتهم، وسوف نلاحظ أنه بينما كان دور المثقف الإسلامي هو المقاومة كان دور المثقف العلماني هو الانتحاق وبينما كان حظ المثقف الإسلامي التهميش والحصار والهجرة من الوطن كان حظ المثقف العلماني التواجد في المركز متقاسما مع النظام المغنم والأضواء والحضور.

- من الأسماء المهمة للمثقفين الإسلاميين الأتراك الذين يعبرون عن حضور الإسلام كفاعل في عالم الثقافة والفكر “ محمد عاكف أرصوي “، نجيب فاضل “ عصمت أوزال “ أمينه شانيلك أوغلو “ سزائي قراقوج “، علي بولاج “ ورجب شانتيورك “ وأحمد داوود أوغلو “ ياسين أقطاي “، “ محمد خيرى كرباش أوغلو “، وأغلب هؤلاء المثقفين يرتبطون بمؤسسات وقفية وجامعية تعكس ارتباطهم بمجتمعهم من ناحية ومحاولتهم تخريج أجيال جديدة تمثل التواصل مع أفكارهم من ناحية أخرى، فدور المثقفين الأتراك يعبر عن محاولات اختراق للمجتمع عبر

القطاعات الوسيطة فيه والتي يمثل الطلاب في الجامعات المجال الرحب لذلك.

وعلي سبيل المثال فإن البروفسور " أحمد داوود أوغلو " هو المسئول عن أحد أهم المؤسسات التي يمكن وصفها بأنها ThinkTank التي تصنع العقول والأفكار كما أنها تمد صانع القرار بالرؤي والأفكار الاستراتيجية، تلك هي **معهد وقف العلوم والفنون**⁽¹⁾ BilimVe Sanat Vakf فمديرها هو المستشار السياسي لرئيس وزراء تركيا وأحد المسؤولين الكبار عن إدارة السياسة الخارجية لتركيا وهو ينتمي لجيل " طيب أردوغان " وجيل " عبد الله غول " الذي وصفه " علي بولاج " بأنه الجيل الثالث في الحركة الإسلامية التركية، ولداود أوغلو⁽²⁾ " كتاباً مهماً بعنوان " الاستراتيجية العميقة " وهو يعبر عن تصوره لتحول تركيا من دولة هامشية إلى دولة مركز لها حضورها المستند إلى تاريخها وثقافتها وروابطها مع العالم الإسلامي والعالم كله وله كتاب مهم بعنوان " الأزمة العالمية بعد 11 سبتمبر " ترجم لعشر لغات.

ورجب شاننورك " يعمل بمؤسسة " الموسوعة الإسلامية " التابعة لوقف شئون الديانة أو " إدارة الأوقاف " ورغم ذلك فهي تتمتع بقدر كبير من الاستقلالية عن الحكومة وطبع من الموسوعة حتي اليوم أكثر من عشرين مجلداً محكماً يعبر عن رؤية الإسلام الصحيحة عن كافة القضايا

(1) Bilim ve Sanat Vakfi, 1997 Bahar Programi Kayit Analizleri, 1997, 39, p4 - 5.

(2) عن أحمد داوود أوغلو راجع مقابله مع قناة الجزيرة بتاريخ 29 / 1 / 2003 م وهي تشير إلى أنه من مواليد 1959 م وتخرج من قسم العلوم السياسية من جامعة البسفور عام 1984 م وحصل علي الماجستير في الإدارة والدكتورا في العلاقات الدولية عام 1990 وعمل رئيساً لقسم العلوم السياسية باليزيا حتي عام 1996، وعنوان الحلقة " السياسة التركية تجاه المخطط الأمريكي الجديد للمنطقة ".

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

وهي تتمتع بثقة كبيرة لدى الباحثين والمثقفين والجمهور التركي والموسوعة تستكتب متخصصين من غير الأتراك في العالم الإسلامي وتصدر الموسوعة كتباً إسلامية كثيرة، والأهم من ذلك أنهم يرسلون الطلاب إلى العالم الغربي للدراسات العليا ولديهم مراكز بحثية وباحثون متخصصون في مختلف التخصصات يعملون في تحرير الموسوعة⁽¹⁾.

و " محمد خيرى قراباش أو غلو " ينتمي لكلية الإلهيات في أنقرة وهي تعبر عما يطلق عليه الأتراك " مدرسة أنقره " وهم يعتمدون على العقل في التأويل ويهتمون بقضايا حديثة مثل العلاقة بين الإسلام والديموقراطية والإسلام والحداثة، والتفسير اليساري للإسلام متأثرون باليسار الإسلامي وبحسن حنفي بشكل خاص من مصر وبفضل الرحمن من باكستان " وهم يصدرن مجلة فصلية اسمها " إسلاميات ". وكانوا يصدرن من قبل مجلة اسمها " مجلة الدراسات والبحوث الإسلامية " .

" وياسين أقطاي " ينتمي إلى قسم الاجتماع في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة " سلجوق " في قونية " أحد المعادل المهمة للإسلام في تركيا وهي الدائرة التي فاز فيها " أربكان " في انتخابات عام 1969 م وظلت الدائرة الانتخابية المفضلة له دائماً بعد ذلك رغم أنه لم يولد فيها.

(1) أهمية الموسوعة الجديدة تبدو مقارنة بالموسوعة التي نشرتها تركيا عام 1932 م وكانت تسمى Hayat Ansiklopedisi أي موسوعة الحياة، وكما يشير أورخان محمد علي في كتابه " سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة " نقلاً عن الموسوعة السابقة في مادة " آدم وحواء " حسب الأساطير الدينية فإن الله قام بخلق الإنسان بعد خلقه الأرض كما خلق امرأة باسم " حواء " ووضعهما في الجنة ولكنهما طردا منها ونزلا إلى الأرض بعد قيامهما بأكل الثمرة التي حرمت عليهما، ومن تناسلها وجد الناس الحاليون، ويستحيل الإيمان اليوم بهذه الأسطورة الدينية ذلك لأن العلم كشف تقريباً عن كيفية ظهور الإنسان " ومادة الإنسان كلها تقوم على فكرة التطور والداروينية وراجع الكتاب، ص 146 - 147

ويصـدر "ياسـين" مجـلة بعـنـوان "تذكـير" وهو ينتمي لجيل الشباب من المثقفين الإسلاميين.

- دور المثقف التركي يعبر عن موقف جدلي مع الدولة العلمانية والتيارات الفكرية الأخرى من خلال منظور يمكن وصفه بأنه "إصلاحي" وليس إحيائي بالمعنى الجذري الذي عبر عنه مثلاً "سيد قطب" في مصر، وحتى قراءة المثقف التركي للمصادر الفكرية لتيارات إسلامية ذات طابع جذري إحيائي مثل "المودودي" و"سيد قطب" ومحمد قطب "تمت عبر المصفاة التركية التي يمثلها المزاج الإصلاحي التركي فأخرجتها في صيغة معدلة ذات طابع مناضل ولكنه في التحليل النهائي "إصلاحي" وليس "جذبياً أو ثوريا".

ربما تكون أهمية الدولة في الثقافة والفكر التركي هي التي جعلت المثقف يقف من الدولة العلمانية موقفاً إصلاحياً لتغيير وجهتها نحو التصالح مع الإسلام وليس من أجل القضاء عليها هي ذاتها، ولعل غالب المثقفين الإسلاميين في تركيا قبلوا بمقولة نقل مهام الخلافة إلى البرلمان التركي الأول الذي تشكل بعد إعلان الجمهورية⁽¹⁾ ومن ثم فالخلافة لاتزال حاضرة وقائمة والدولة الحديثة تعبر عن استمرار جوهرها، بالطبع هنا تفسير له طابع رمزي يحاول التوفيق بين الوضع الجديد واستمرار ماكان

(1) عن تصورات "أتاتورك" عن الخلافة ورؤي الكثير من رفاقه وأعضاء المجلس الوطني الكبير حول بقائها وضرورة الحفاظ عليها ونقل سلطاتها إلى الشعب عن طريق المجلس الوطني الكبير راجع، ماجدة مخلوف، الخلافة في خطاب أتاتورك، م. س. ذ، وهذا الخطاب مترجم للإنجليزية بعـنـوان

"NUTUK" وقد استمر أتاتورك في إلقائه علي المجلس الوطني الكبير لمدة ستة أيام متتالية من 15 أكتوبر إلى 20 أكتوبر عام 1927 م وراجع أيضاً حول الخطابات المختلفة عن الخلافة: وجيه كوثراني، الدولة والخلافة في الخطاب العربي إبان الثورة الكمالية في تركيا (رشيد رضا - علي عبد الرازق - عبد الرحمن الشهبندر)، بيروت: دار الطليعة، يونيو، 1996، ط1.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

قائماً، ومن ثم فهذه الرؤية تعبر عن موقف ثقافي ونفسي مضاد للأطروحة الكمالية التي تقول بعكس ذلك.

- يهتم المثقف التركي عادة بما يوصف في الحركات الاجتماعية الجديدة بالإجابة علي المشاكل اليومية الحياتية للمسلم التركي Every day life بلغة بسيطة بعيدة عن التعقيد والتي تمكنه من الحفاظ علي هويته واستمرار بقاء القيم والثقافة الإسلامية حية في وجدانه وفي نفس الوقت ممارسة حياته وفق الإسلام سواء في المجال العام أو الخاص، وهنا نجد بعداً هاماً متصلاً بمهمة المثقف التركي وهو تقديم الحلول والأجوبة العملية لتمكين المواطن التركي من أن يحيا مسلماً في ظل دولة علمانية وهو ما يمكن أن نعبر عنه “ بفقه الحياة أو المعاش وفق النظام الإسلامي “ وكما يقول “ جراهام فولر “ عن مؤشرات الإحياء الإسلامي في تركيا “ يضاف إلي ذلك ظهور نخبة جديدة من المثقفين الإسلاميين تختلف طريقة عملهم عن طريقة عمل مثقفي سائر البلاد الإسلامية حيث يتبع هؤلاء أسلوباً جديداً في طرح نظرة الإسلام للتاريخ والسياسة والاقتصاد والأخلاق والحكم من خلال كتب ذات لغة سهلة تخاطب أولئك الذين يبحثون عن الجواب حول القضايا المذكورة⁽¹⁾.

أولاً: محمد عاكف رائد المدرسة الإصلاحية :

يمثل محمد عاكف المرجع الفكري لكل المثقفين الإسلاميين الذين

(1) جراهام فولر، الحركة الإسلامية في تركيا، مؤسسة راند التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية وراجعها علي: www.darislam.com/home/alfker/data/feker1516/k8.htm ونحن نعرض لملامح من فكر المثقفين الأتراك الإسلاميين لمعرفة توجهاتهم الفكرية وكيف استخدموا الإسلام كمرجع للمقاومة نستخدم ما يمكن أن نصفه “ التصنيف الجيلي “ - والجيل هنا بمعنى الزمن أو الفترة التاريخية التي مثلها المثقف في دفاعه عن الإسلام بصرف النظر عن عمره.

جاءوا من بعده، فهو ولد في اسطنبول في أواخر القرن التاسع عشر عام 1873 م، وأجاد اللغة العربية ودرس اللغتين الفارسية والفرنسية وتخرج من المدرسة البيطرية باسطنبول وعمل في وزارة الزراعة العثمانية وأتاح له عمله الاطلاع علي العالم الإسلامي والتعرف علي أحواله من قرب، زار البلقان والبلاد العربية وتجول في الأناضول، وكان الأدب هو شاغله وأهله اطلعاه الواسع علي الأدب أن يعمل أستاذاً في جامعة استنبول والقاهرة، رأس تحرير مجلة " الصراط المستقيم " التي تعد المرجع الفكري والثقافي للمقاومة الإسلامية للمثقفين الإسلاميين وحين تغير اسمها إلي " سبيل الرشاد " كتب فيها محمد عاكف. والمجلتان هما الديوان الفكري التركي للآراء والأفكار والمساجلات التي جرت بين المثقفين أنصار الفكرة الإسلامية وأنصار الأفكار المادية.

نظم " محمد عاكف " ديوان شعر بعنوان " صفحات " وموضوعاته تدعو إلي الالتزام بالوحدة الإسلامية ونقد بعض مظاهر الحياة الاجتماعية، وعقد المقارنات بين الشرق والغرب من أجل التوصل إلي الطريق السوي لنهوض المسلمين، زار " برلين " بدعوة من امبراطور ألمانيا لمشاهدة معسكرات اللاجئين المسلمين بها وزار الحجاز ونجد في مهام رسمية لحل بعض المشكلات السياسية، وزار سوريا ولبنان، وشارك في حرب التحرير ونظم قصائد ألهمت حماس المقاومين والمجاهدين، ونظم نشيد الاستقلال ليصبح النشيد الوطني لتركيا وهو يقول فيه:

لا تخف! فلن ينطفئ أوار هذا العلم الأحمر

الساحب في الشفق

إلا إذا أحمَد آخر موقد في بلادي

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

يا أيها الهلال! لا تقطب جبينك هكذا

فأرواحنا فداء لك

عشت حرا منذ الأزل وسأحيا حرا حتي الأبد

أي مجنون هذا الذي يتصور أن يكبلني بالقيود

أنا السيل الهادر، أحطم قيودي لأنطلق⁽¹⁾.

ويدعو " محمد عاكف " المسلمين إلي العودة إلي ما كان عليه السلف
الصالح ففي قصائده يقول:

الذين كانوا يئدون بناتهم

أنظروا كيف صاروا في ثلاثين عاما

ملكوا الأرض ثلاثين ألف عام

فليرجع المسلمون لصدر الإسلام⁽¹⁾.

وعن تضامن العالم الإسلامي يقول:

لن يحيا التركي بدون العربي

ومن ينكر قولي هذا فهو أبله

فالتركي للعربي عينه اليمني وساعده الأيمن

فلندفن الفرقة في قبر النسيان....

(1) محمد حرب، الصراع بين الفكر الإسلامي والمادية في تركيا المعاصرة، بدون بيانات نشر، ص 11.

(1) محمد حرب، الشعر التركي المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم اللغات الشرقية، د. ت، ص 70 - 80.

وأنصت فهناك حكم قاطع لا يستبدل

البعد عن الجماعة بعد عن الإسلام والإيمان⁽²⁾.

وعن نبذ العصبية القومية يقول: “ أين ماكنتم عليه من ملية الإسلام..
وما هذه القومية!

ماذا لو اعتصمتم بمليتكم الدينية

ماهي الألبانية؟ ألها مكان في الشريعة!

إنه كفر وليس بشئ آخر أن تفضل قومك

أهناك تفضيل في الإسلام لعربي علي تركي⁽¹⁾.

وعن النهوض الإسلامي يقول:

لم يلقنونا الأمل وإلا فإن هذا الدين

قد نشر علي الكائنات ظله الأخضر

وصوت الحق قد خنق صوت الضلال

مادام وعد الله لنا هو الحق.

فإن فجر الشرق الأزلي سيشرق

المؤمن لا يقع في اليأس ولو قيد ذرة

اليأس مستنقع قدر

لو وقعت فيه لاختنقت⁽²⁾.

(2) أحمد فهد بركات الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، م. س. ذ، ص 53.

(1) نفس المرجع، ص 51 - 52.

(2) حسين مجيب المصري، تاريخ الأدب التركي، القاهرة، 1951، ص 515.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

هاجر " محمد عاكف " عام 1925 بعد إعلان الجمهورية بسنتين إلى القاهرة واستضافه الأمير " عباس حليم باشا " في حلوان وظل يدرس لطلاب الجامعة المصرية اللغتين التركية والفارسية حتي مرضه الأخير وتوفي عام 1936 م.

وهو أحد الذين تأثروا بجمال الدين الأفغاني " ومحمد عبده " وترجم لهما العديد من آثارهما الفكرية إلى اللغة التركية، وتأثر أثناء إقامته بمصر أيضاً
" بعبد العزيز جاويش " وترجم له " القومية والدين " والإسلام والمدنية " ونقل عن
" محمد فريد وجدي " معركته مع " قاسم أمين " حول حجاب المرأة المسلمة بعنوان " المرأة المسلمة " عام 1909 م، وأكثر من ترجم لهم هو الإمام " محمد عبده " حيث نقل له أكثر من ثلاثين مقالة إلى اللغة التركية وكان أكثرها إثارة في اسطنبول مناقشات الإمام " مع هانوتو " وزير الخارجية الفرنسية بعنوان " رد محمد عبده علي افتراء هاناتو سنة 1915 م "، ثم عمل بين بعنوان
" الأضرار الناجمة عن تناول المسكرات في الحياة الاجتماعية " سنة 1923 م و " إجابة علي الكنيسة الإنكليكانية " عام 1924 م وأيضاً أعمال " سعيد حليم باشا " " المؤسسات السياسية في المجتمع الإسلامي " عام 1921م، والتكوين

وأيضاً: حسين مجيب المصري، الأدب التركي، القاهرة: دار المعارف، سلسلة، كتاب رقم 82، ص 72 ولمزيد من مطالعة شعر الرجل والتعرف علي سيرته راجع: سعد عبد المجيد، عاكف شاعر النشيد التركي علي الشبكة:

www. islam - online. net/iol - arabic/dawalia/mashaheer - jan 2000 /mashaheer - s. asp.

السياسي في الإسلام“، ومن هنا يمكننا القول أن “ محمد عاكف ” كان أحد المصادر المهمة لنقل تأثير المدرسة الإصلاحية والتجديدية إلي المثقفين الأتراك المسلمين والتي لايزال لها حضور كبير عندهم حتي اليوم. وكما يذهب “ فاروق بليسي “، فإن “ عاكف “ تأثر بالجانب التربوي عند “ محمد عبده “ أكثر من تأثره بالطابع الراديكالي لجمال الدين الأفغاني رغم دفاعه عنه علي صفحات “ سبيل الرشاد “ وهو قال: “ أنا أريد ثورة ولكن علي غرار محمد عبده وليس مثل قطاع الطرق الذين يريدون بواسطة سلاح غير حاد أن يتولوا الباب العالي ويعدموا الرجال، فلينسحب كل أشقائك وانسحب أنت نفسك، لا تبقى في هذا المكان، ابني سر في طريق ضيق، وإذا كانت هناك وسيلة فإذهب إلي أوربا غداً⁽¹⁾.

ثانياً: نجيب فاضل رائد المدرسة الإحيائية التركية:

يمثل نجيب فاضل الجيل الثاني من المثقفين الإسلاميين في تركيا والذين ولدوا بعد بداية القرن العشرين فهو ولد عام 1905 م، من أسرة عريقة تعرف باسم " ذو القادر " وهي من الأسر التي حكمت آسيا الوسطي وكان جده رئيساً لمحكمة الجنايات والاستئناف في عهد السلطان عبد الحميد وهو أمضي طفولته في قصر جده، وتعلم في مدارس مختلفة منها المدرسة الأمريكية في اسطنبول والمدرسة البحرية الثانوية، والتحق بجامعة اسطنبول قسم الفلسفة عام 1921 م ثم ابتعث إلي فرنسا فدرس الفلسفة في جامعة السوربون وعاش في باريس علي حد قوله

(1) فاروق بليسي، الثقافة السياسية للإسلاميين في مصر وتركيا الإرث المشترك والخصوصيات، في الإسلام والحداثة، رؤي إسلامية وغربية عن مصر وتركيا، القاهرة، مركز يافا للدراسات والأبحاث، 1993، ص 115 - 117 وأيضاً الكتاب المهم

Yasin Aktay, Body, Text, Identity, The Islamist Discourse of Authenticity in Turkey, Op. cit, p. 149.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

حالة بوهيمية كاملة وعاد إلى تركيا دون أن يكمل دراسته واشتغل موظفاً في عدة مصارف مالية ثم عمل أستاذاً للغة التركية في كونسرفتوار الدولة في أنقرة عام 1938 م ثم مدرساً في كلية الفنون الجميلة في اسطنبول ثم معلماً في روبرت كولج ثم مدرساً في جامعة أنقرة. اتخذ نجيب فاضل من الكتابة مهنة يعيش منها ابتداء من العام 1942 م ولكنه بدأ نظم الشعر عام 1922 م، وبدأ كتابة القصة عام 1932 م وكتب المسرحية عام 1935 م وفي أوئل عام 1943 م أصدر مجلته " الشرق الكبير " وهي أطول المجلات عمراً في تركيا، وكانت تناقش قضايا الاجتماع والأدب والسياسة وصودرت مرات عديدة لمخالفاتها قوانين الصحافة والنشر.

عام 1934 م هو العام الأهم في حياة نجيب فاضل وفكره ففيه التقى

بالشيخ

" عبد الحكيم الأروسي " وهو نقشبندي وجه حياة المفكر والأديب التركي الكبير من الحيرة إلى الإسلام وبدأ نجيب فاضل عهداً جديداً من الوعي والاعتراف بدور القيم في الحياة، وبتحوله إلى الفكر الإسلامي بدأ يلعب دوراً مهماً في تاريخ تركيا السياسي والاجتماعي والثقافي، وهنا يمكننا القول أن " نجيب فاضل " استعاد وعيه الحقيقي وروحه عبر اكتشاف ذاته الحقيقية علي يد شيخ من الطريقة النقشبندية وتحول ذلك المثقف الكبير إلى مريد للشيخ علي المستوي النفسي والروحي.

بدأت رحلة المفاصلة للواقع والحياة التي كان يعيشها إلى حياة جديدة ورؤية جديدة يتحول فيها المثقف إلى رائد لكشف الحقيقة للجمهور في مواجهة الدولة من ناحية والتيارات الفكرية الملتحقة بها من ناحية أخرى، فهو من ذكر الأتراك بأن لهم تاريخ عميق يمتد في جذور

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

الحضارة الإسلامية لما يزيد علي الألف عام، وكانت الأسطورة الكمالية تقول إن التاريخ بدأ مع الجمهورية، وهو من أعلن أن طريق النهضة وسؤالها الملغز والمحير ليس بالارتقاء في أحضان الغرب الذي يعني الانسلاخ من التاريخ والحضارة والثقافة التركية وإنما بمراجعة القيم والعودة إلي الحضارة الإسلامية ونبد التقليد بلا ضرورة ولا معنى.

وقف متحديا جوقة الدولة الكاسحة وصوتها المرعب الذي لا صوت يعلو فوقه بكشفه عن حقيقة التاريخ العثماني وكيف أسهم في بناء الحضارة وأعاد الاعتبار للسلطان " عبد الحميد الثاني " والسلطان محمد وحيد الدين " بل وأعلن إدانته لفترة التنظيمات التي كانت محاولة عقيمة للالتحاق بالغرب ومفاهيمه وتقاليده ومن هنا كانت فكرته المهمة " الشرق الكبير " أي العالم الإسلامي الواسع بكل بلدانه وتاريخه وحضارته وقيمته التي لا تعرف الاستبعاد والعنصرية والغزو والاحتلال ولله في ذلك كتاب مهم بعنوان " نسيج الفكرة ".

وأهمية " نجيب فاضل " كمتقف أنه هو الجسر الذي حفظ الاستمرارية لحضور الفكرة الإسلامية في المجتمع التركي ونقلها إلي الأجيال الجديدة من التيارات الإسلامية في تركيا، خاصة وأنه توفي عام 1983 م. لنجيب فاضل مؤلفات عديدة في كل فنون الكتابة وتلاوينها من السيناريو والمذكرات والدراسات والأبحاث في التاريخ والأدب والدين والتاريخ وله دفاعيات كتبها للدفاع عن نفسه في المحاكم التي وقف أمامها متهما بمعارضة النظام العلماني. ونشير لأهم كتبه وهي " الإطار " عام 1940 و " نسيج الفكرة عام 1959 م ومشاهد من تركيا " عام 1968 م

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

و " الاشتراكية والشيوعية والإنسانية⁽¹⁾.

و " نجيب فاضل " يعبر عن " التيار الثوري " في فكر الحركات الإسلامية التركية فهو أول من تكلم عن " الثورة الإسلامية " قبل إيران في الستينيات وله كتاب اسمه " الانقلاب "، وهو ينتقد المودودي وسيد قطب ويقول: إنهم جعلوا من الإسلام أيديولوجية وهو يرى أن الإسلام له جانب تربوي وأخلاقي وله جانب دنيوي أيضا وهناك جماعة مهمة في تركيا تعرف باسم " جماعة إبداع " يقولون: إنهم تلامذة " نجيب فاضل " وهم يعملون علي تحويل الدولة من العلمانية إلي الدولة الشرعية أو الإسلامية، ورغم كونهم صوفيون نقشبنديون لكنهم يهتمون بالدولة الإسلامية ويقدمونها أكثر مما ينبغي كأن الدولة هي الركن السادس في الإسلام ولهم مجلة يصدرونها باسم " بني نظام " أي النظام الجديد، ولهم دار نشر اسمها " إبداع " وهم منتشرون في بعض المدن المختلفة في اسطنبول وبورصة وأنقرة وفي مناطق الأكراد في شرق تركيا⁽²⁾.

وطورت حركات محلية إسلامية شبابية أفكارها الثورية من خلال مطالعتها لنجيب فاضل وهم ينسبون أنفسهم إليه منهم جماعة تسمى نفسها " بالثورية " ويصدرون مجلة اسمها AK Dogus:İslamci Militar Dergi ⁽³⁾، وهذه أول مرة في تركيا تستخدم تلك التسمية في نهاية الثمانينيات وهم

(1) عن نجيب فاضل راجع: محمد حرب، الصراع بين الفكر الإسلامي والمادية في تركيا المعاصرة،

م. س. ذ، ص 17 - 32 وأيضا: 219 Yasin Aktay, Body, Text, Identity, Op. cit, 225 -

(2) حوار للباحث مع عمر دوران في اسطنبول في شهر اكتوبر عام 2003 م.

(3) عن منظمة " جبهة مقاتلي الشرق الكبير الإسلامي " والتي يرمز إليها في تركيا بـ IBDA ومنظم

" جبهة مقاتلي الشرق الكبير الإسلامي المسلحة " ويرمز إليها بـ IBDA_C ويرأس الأولى

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

لا يزيد عددهم عن ألفين ونسبت إليهم بعض الأعمال العنيفة مثل وضع القنابل في البنوك وتفجير الخمارات والقيام ببعض المظاهرات المؤيدة لفلسطين والجزائر والبوسنة وشعارهم Barbarosa, un Izind Sunni Cezayir أي الجزائر السني علي طريق “ بارباروس ” وهم يرفضون الوهابية والشيعية ويكفرونهم حتي أنهم دخلوا في معارك مع مجموعات الشباب الراديكالية الأخرى المتأثرة بالثورة الإيرانية وهم يرفضون السلفية ولا يحبون المودودي ويتوقفون في “ سيد قطب ” والنورسي “ ومشايخ الصوفية “ ولكنهم يهتمون كثيرا بأحمد بن بيللا.

ثالثا: سزائي قراقوج رائد المدرسة الحضارية:

أسس “ سزائي قراقوج “ جماعة أطلق عليها البعث أي “ دلريش “ Dirilis عام 1960 م، وهو يقصد هنا بعث العالم الإسلامي من غفوته وتفرقه، وكما أوضح للباحث في حوار له معه قال: “ دلريش ” هي أعمق من مفهوم النهوض أو البعث إنما يمكن وصفها بالإحياء، وهو منذ عام 1960 يدعو لفكرة إحياء الوحدة بين الدول الإسلامية وخلق ما يصفه “ بالدولة الإسلامية العالمية “ أي التي تعبر عن العالم الإسلامي كله كما عبرت عنه “ الدولة العباسية “ والدولة العثمانية “ عثمانلي دولتي “، وهو يرى أن الدولة الإسلامية العالمية هي السبيل لحماية العالم الإسلامي من الاكتساح الغربي له وأسس “ سزائي قراقوج “ داراً للنشر اسمها “ دلريش “ أيضا وأصدر أكثر من 55 كتاباً عن هذه القضية.

وهو يرى أن الدولة الواحدة هي تعبير عن الاستجابة لأوامر الشريعة

صالح ميرزا أوغلو “ المحكوم عليه بالإعدام عام 2001 م في تركيا وهو يوضح أن المنظمة الأولى لا تعتمد الأساليب المسلحة في تحقيق أهدافها، وراجع إبراهيم الداوقي، الإسلام التركي، إحياء للمشروع النهضوي المؤجل في الشرق، النهار اللبنانية، 2002/11/29.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

الإسلامية والحضور التاريخي لها لمدة أكثر من 1300 سنة والتحدي المعاصر الذي يفرض علي العالم الإسلامي التوحد، وهو يري أن التمزق الذي تعبر عنه الدولة القومية الحالية هو حالة مصطنعة ويمكن تغييره وأن المثقفين والمفكرين هم الذين يمكنهم القيام بذلك، ويرى أن الدولة الإسلامية هي تعبير عن الملة والأمة ويرى أن الملة هي التعبير الظاهر عن الحضارة والأمة ويفهمها علي أنها دينية " ملة إبراهيم "، والملة هي قماشنة واسعة لكل المسلمين من ناحية ولغيرهم من ناحية أخرى في سياق " الدولة الإسلامية العالمية الكبيرة الواحدة " (1).

ويرى أن " العمق " في العمل السياسي هو الأهم من السطح، فالأحزاب السياسية التي تطفو علي السطح تذهب وتأتي ولكن العمق هو البنية التحتية التي تستند إليها، والبنية التحتية من وجهة نظره هي خلق رؤية وثقافة عامة عبر التربية لحيل من الشباب يؤمن بأهمية الدولة العالمية الإسلامية الواحدة التي تجعل الشاب يؤمن بأن وطنه هوكل العالم الإسلامي وليس مصر أو تركيا أو إيران.

ويقول كما كان عندنا في الحضارة الإسلامية " إحياء لعلوم الدين " في مواجهة النزعة الكلامية والفلسفية، فنحن بحاجة إلي " إحياء علوم المدنية وروح الحضارة الإسلامية " وهو يقول الحركات الإسلامية ركزت علي الإيمان والاعتقاد ونحن نركز علي المرتكز الحضاري.

(1) حوار مع الباحث بمكتبه في اسطنبول عام 2003 في شهر أكتوبر وراجع أيضا سعد عبد المجيد، سزاني قراقوج يحلل وينتقد التجارب الإسلامية التركية، علي موقع إسلام أون لاين نت بتاريخ 2004/2/29 وهو من مواليد عام 1936، طبع من كتابه " الإحياء الإسلامي ثمان طبعات وحوكم بسببه عام 1967 م.

نحن نتحدث عن الإحياء الحضاري، وهو يري أن الخط الإسلامي يكمل بعضه بعضاً، فسبيل الرشاد التي أصدرها مجموعة من العلماء عام 1925 م توقفت في العهد الجمهوري وكانت تهدف للدفاع عن الإسلام ثم عادت للظهور مرة أخرى عام 1945 م، ثم ظهر “نجيب فاضل وحركة الشرق الكبير” ثم “دليرش حركتي”، وكلها تصب في اتجاه واحد، فمجموعة النور تركز علي رسائل النور “وقضايا الإيمان، وحركة الشرق الكبير تركز علي الجانب النفسي والروحي وتدعو للمقاومة، وسبيل الرشاد تدعو لفهم الشريعة والوعظ وشرح مفهوم الإسلام.

وأسس حزباً سياسياً عام 1990 اسمه “ديرليش” أيضاً استمر لمدة سبع سنوات ثم أغلق، ويري أن في تركيا خطين رئيسيين منذ عصر التنظيمات والمشروطية:

الخط الأول هو خط الاتحاديين والذي مثله في تركيا بعد ذلك الحزب الجمهوري فهو استمرار للخط الاتحادي.

وما أطلق عليه هو **خط المخالفين** ومثلهم الحزب الديمقراطي وحزب العدالة وحزب الوطن الأم وهو ما يطلق عليه الديمقراطية المحافظة، فالدولة والعسكر يسمحون فقط بهذين الخطين أو الاتجاهين السياسيين، وهناك تياران آخران خارج ما هو مسموح به وهما التيار اليساري (الاشتراكي والشيوعي) والتيار الإسلامي.. وهذان التياران وفق وجهة نظره يتعرضان للإقصاء والغلق فتتشنأ أحزاب ثم تغلق⁽¹⁾.

يفرق بين الأحزاب الإسلامية والأحزاب السياسية، ويري أن الحزب الذي أنشأه باسم “ديرليش” هو حزب إسلامي بينما أحزاب “أربكان”

(1) حوار الباحث مع سزائي قراقوج بمكتبته في اسطنبول، سبتمبر 2003 م.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

هي أحزاب سياسية لأن من أنشأها وأسسها لم يكونوا جزءاً معبراً عن الدعوة الإسلامية ولكن بوصفهم سياسيين.

ويري “سزائي قراقوج” أن حركة إنقاذ العالم الإسلامي التي بدأت في نهاية القرن الثامن عشر عندما بدأت الدولة العثمانية في الضعف فشلت لأنها استلهمت الأفكار الغربية في الوقت الذي يسعى فيه الغرب لتفكيك العالم الإسلامي والدولة العثمانية، وهو يرى أن حماية مقدرات العالم الإسلامي وموارده مرهونة بقيام تجمع إسلامي واحد يكون تعبيراً عن الإحياء الإسلامي، ويرى أن التوجهات التي تمثلها الدولة القطرية عاجزة عن حماية العالم الإسلامي في مواجهة المطامع الغربية لأنها لم تفكر في المستقبل، وكان تفكيرها منصباً على اللحظة الحاضرة، التفكير في الغد هو ما يمكن أن ينقذ العالم الإسلامي وهو مهمة الساسة والمتقنين معا. ويضيف أن المراهنة على انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي هو نوع من الخيال وهو ليس أمراً جديداً، فرجال التنظيمات راهنوا على الغرب والتوجه إليه ولكنهم فشلوا.

و يؤكد دائماً على أن الوضع القائم هو حدود مصطنعة بين الممالك والشعوب الإسلامية صنعها الأعداء، ومن عوامل إنقاذ العالم الإسلامي الوصول إلى قناعة بأن ما هو قائم ليس حقيقة، الحقيقة هي النظر لبلادنا وأوطاننا ومدننا على أنها ملك لنا جميعاً وأن الواقع مصنوع، وهو وهم التخلي عنه هو طريق الإنقاذ للعالم الإسلامي.

و يرى أن الصراع القائم اليوم بين العالم الإسلامي وخصومه الغربيين هو صراع حضارات وحروب حضارية وهذه ليست قائمة اليوم ولكنها من الماضي، توينبي “أشار إلي أن الأوضاع القائمة في العالم الإسلامي هي نتيجة طبيعية لتمزق وانهيار الدولة العثمانية (فلسطين

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

والمثقف مسلماً، والخلاصة أن يقبض كل منا علي إسلامه بيده⁽²⁾.

فنحن أمام مفكر وشاعر أصيل يعبر في وقت مبكر عن شمول الإسلام كمنهج وقدرته علي تنظيم أوضاع الحياة الاقتصادية عبر نظامه الاقتصادي المتميز والمستقل عن النظم الاقتصادية الأخرى المطروحة علي العالم في ذلك الوقت وهما النظام الشيوعي والرأسمالي، كما أنه طرح النظام الاقتصادي الإسلامي كنظام فرعي داخل نظام كلي هو الإسلام لا يمكن النظر إليه معزولاً عن العقيدة والأخلاق والعبادات والنظرة الإسلامية للحياة.

المثقف التركي يعود إلي الإسلام كنظام للحياة وللدنيا والمعاش والاستخلاف وللإنسان وهو يريد أن يدحض ما يروجه النظام العلماني من عجز الإسلام كنظام للحياة الحديثة، العودة للإسلام كانت وسيلة المثقف الإسلامي للاحتجاج علي النظام العلماني ورفضه للدولة الكمالية والأيدولوجية الفاشية التي كانت تعبيراً عنها.

ثالثاً: أحمد داوود أوغلو رائد المدرسة المؤسسية :

يعبر “ أحمد داوود أوغلو “ عن الجيل الثالث في الحركة الإسلامية التركية كما أوضحنا - وهو من مواليد مدينة “ قونية “ عام 1959 م ويمكن وصفه بأنه رائد المؤسسة في أوساط المثقفين الإسلاميين الأتراك فهو هنا لا يعبر عما أطلق عليه “ ياسين أقطاي “ في رسالته

(2) عبد الرازق بركات، أربعون ساعة من الخضر، القاهرة، دار الزهراء للنشر، 1412/ 1992، ص 286 - 290، وأحمد بهجت، الأهرام، 7 يناير 1993 م وأيضاً:

Yasin Aktay, Body, Text, Identity, op. cit, p. 225 - 234.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

المهمة للدكتورة " دياسبورا⁽¹⁾ المثقف التركي " وإنما يعبر عن تجذر وجوده داخل مؤسسات الحكم وإدارة الدولة.

هنا الجيل الذي يمثل " أحمد داوود أوغلو " ليس هو جيل اغتراب المثقف التركي داخل وطنه بعد سقوط الخلافة الإسلامية ولكنه جيل جديد يتجاوز هذا الاغتراب.

فأحمد داوود أوغلو " هو أول شخص من خارج النخبة العلمانية يخترق وزارة الخارجية التركية ليكون كبير مستشاري رئيس الوزراء ووزير الخارجية برتبة سفير وفي كتابه الأشهر " العمق الاستراتيجي " يتحدث داوود أوغلو " عن السياسة الخارجية التركية وكيفية تحول تركيا من دولة طرف أو هامش إلى مركز استناداً إلى ميراثها التاريخي والثقافي وموقعها الجيوبوليتيكي فهوليتيكي " بعد الحرب العالمية الثانية وجدت تركيا نفسها بميزان العولمة والإقليمية في شكل غير مؤهل من الناحية الاستراتيجية والنفسية وذلك عندما تأكد لها أنها غير مؤهلة حتي مع الوضع في الاعتبار تراكمها المعرفي والنفسي بالشكل الذي يؤهلها لعمل تكتيكي أو لوجيستي وهو الدور الذي تخلت عنه تركيا وهي تواجه مشكلات تتعلق بالأمن والسياسة الخارجية بشكل جاد في مناطق تقع خارج حدودها مثل البوسنة وأذربيجان، وهو ما

(1) تستخدم الدراسات الثقافية مفهوم " الدياسبورا " بمعني المتحدثين باسم مواطنيهم الذين لم يبرحوا أرض الوطن، ومن ثم لم يعد المفهوم يشير فقط إلى المهاجرين بعيداً عن أوطانهم وإنما المواطنين الذين احتلوا المواقع الخلفية وأصبحوا مهمشين، ومن هنا فإن الدلالة التي يعيها هنا مفهوم الاغتراب أو الشتات بالنسبة للمثقف التركي يعني تغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ضد هويته وضد ثقافته بحيث أصبحت ثقافته مهمشة ووجوده نفسه ومن هنا شعوره بالاغتراب وهو داخل وطنه الذي لم يعد يعطيه معني الوطن وراجع في الموضوع: زيوردين ساردار وبورين فان لون، الدراسات الثقافية، ترجمة وفاء عبد القادر، مراجعة وإشراف وتقديم إمام عبد الفتاح إمام م. س. ذ، ص 137.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

وضع تركيا أمام حقيقة أنها مضطرة لإعادة تقويم مقاييس الثقافة والجغرافيا والاقتصاد والسياسة والأمن والتحرك من خلال الموقف الذي كشف مرة أخرى عن مكانتها الدولية⁽¹⁾. ويضيف “ يمكن لتركيا أن تكون ذات إمكانيات تشكل مجال نفوذ ذاتي وتقوية مكانتها الدولية في القرن القادم إذا ما استطاعت التجديد السياسي الداخلي الراسخ والمؤثر مستفيدة من إمكانياتها الجيوبوليتيكية والجيواقتصادية وميراثها التاريخي الغني وعمن هذا الطريق فقط ”

“ يستمر لتوضيح منظوره الجديد للعلاقات الدولية بقوله: “ رغم التغيرات الدينامية التي شهدتها النظام الدولي في السنوات الأخيرة، فقد ظلت تركيا في مظهرها الخارجي ثابتة بمنأى عن التغيير سواء باعتبار مكانتها في العلاقات الدولية أو بنائها الداخلي... ورغم أنه يمكن القول أن كل الأحزاب السياسية سرعان ما أصبحت في حالة اختناقات حادة فإنها لم تقطع خطوات تحقق تغيرات ثقافية وسياسية واقتصادية بالمعنى الحقيقي والنظام الذي رسمته النخبة الحاكمة لتركيا لم يتلاءم مع المثالي والمتوقع المتعلق بحقيقة الدور الملائم للمجتمع التركي والموروث التاريخي، وصار المجتمع التركي في محاولة للتعرف من جديد علي ذاته وهذه المحاولة هي امتداد طبيعي لأزمة الهوية التي يعيشها، فقد أفلست سياسة فرض الهوية التي تنحاز لأوروبا والتي دأبت عليها النخبة السياسية منذ مايزيد علي نصف قرن.

ولم يكن هذا الإفلاس ذا جانب واحد فرغم كل الضمانات التي أعطتها النخبة ضد الهوية الإسلامية فإن أوروبا لم تنظر إلي المجتمع

(1) أحمد داوود أوغلو، الدولة العميقة، Stratejik Derinlik حصلنا علي بعض فصول من الكتاب باللغة التركية ولكن بدون بيانات نشر وقمنا بترجمتها من ص 79 - 100.

التركي بوصفه قطعة من أوروبا، كما أن الانتظار علي أبواب أوروبا لا يمكن أن يتلاءم مع المجتمع التركي الذي يشعر بشكل قوي بهويته التي تكونت من موروث تاريخي قوي هو صاحبه، وكان فرض الهوية المعمول به في السياسة الداخلية هو عبارة عن بيئة ضاغطة ترفض كل أنواع التعددية والخيارات، أما تأثير فرض الهوية علي السياسة الخارجية فقد تمثل في وجود سياسة خارجية ذات جانب واحد.. وتبدو تركيا الآن أكبر من أن تقوم بدور الجسر بين الشرق والغرب فحسب... وأصبح المثار هو المصير الذي ينتظر أي مجتمع يرضي لنفسه أن يقوم بدور الجسر متجاوزين بذلك عن نفسية تثق في هويتها بقوة⁽¹⁾، أولئك حققوا إنعاش المدنية التي فتحت أفق الإنسانية، أما الدولة العثمانية فقد قدمت نظاماً عالمياً خاصاً بها في مفهوم العلاقات الدولية، وكونت مدنية جديدة بنظرية الإسلام الحاكم وبمفهوم يري أن في التنوع ثراء وليس صراعاً، وذلك في منطقة هي أكثر المناطق في تاريخ المدنية الحديثة تتصف بالتنوع وعدم التجانس.

وفي موضع آخر يتحدث “داوود أوغلو” عن علاقة الموروث

(1) عن علاقة الهوية بالسياسة الخارجية راجع: م. حاقان يافوز، الهوية التركية والسياسة الخارجية: صعود العثمانية الجديدة، مرصد، السنة الأولى، ع 1، شتاء 1999، ص 7 حيث يري أن الهوية هي أساس المصلحة القومية، والعثمانية الجديدة التي رفع لواءها تورجوت أوزال يقع الإسلام في قلبها يقول “.... أعتقد أن أقوى العوامل المحددة للهوية في هذا المجتمع هو الإسلام، فالدين هو الذي يؤلف بين مسلمي الأناضول والبلقان، إذن فالإسلام هو الرابط القوي الذي يمكن من التعايش والتعاون بين مختلف الجماعات المسلمة، فأن تكون تركيا في الفضاء العثماني السابق يعني أن تكون مسلماً أو عكس ذلك، ص 12، ويلعب المثقفون الإسلاميون دوراً مزدوجاً فهم من ناحية يفهمون الأحداث الدولية من خلال الإطار الإسلامي الثقافي الذي صنعوه ثم يعيدون تفسير المفاهيم والرموز الإسلامية في علاقة بالسياقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ص 22، تغلغل أشخاص متدينين في أعلي المناصب في مختلف مستويات الدولة أصبح له تأثير مهم علي إعادة صياغة المصلحة القومية، ص 29.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

التاريخي والثقافة السياسية لتركيا فيقول “أهم عامل تاريخي يفرق بين الثقافة السياسية لتركيا وغيرها من المجتمعات هو ذلك الموروث التاريخي لتركيا كانت مركزاً لحضارة أسست نظام سياسي خاص بها في الماضي، وقد جلبت الحضارة الجديدة جبهة ضد هذا المركز السياسي وجعلته يفقد علاقته بمرور الوقت ويؤثر على البنية السياسية... العنصر الأساسي الذي يفرق بين الثقافة السياسية التركية وبين المجتمعات الأخرى هو ذلك التوتر الموجود بين عناصر الاستمرار التاريخي الذي يهب من العصور السابقة ويستمر تأثيره في المجتمعات وبين الانكسار التاريخي الراديكالي الذي يعد الأساس الأيديولوجي للنظام السياسي، ولا يوجد ذلك الانكسار التاريخي الذي يوجه النظام السياسي في أي مجتمع وبين المؤسسات والهوية التي تحقق الاستمرارية في البنية التحتية الثقافية المؤثرة في المجتمع كما هو في تركيا ففي حالة الثورة الفرنسية والبلشيفية والمجتمعات اليابانية الذي اعترته رغبة تجديد إلى حد الولوج، لكنه في كل هذه الحالات لم يحدث ذلك الانكسار التاريخي الذي محا عناصر الاستمرارية مثلما حدث في السياسة العثمانية - التركية⁽¹⁾.

... المشكلة الأساسية التي تعيشها تركيا اليوم هي مشكلة الانسجام والتوافق بين موروث الثقافة السياسية وبين النظام السياسي الذي تأسس على طلب الالتحاق بمحيط حضارة أخرى من قبل النخبة السياسية الحاكمة...”

(1) راجع أحمد داوود أوغلو، Stratejik Derinlik، م. س. ذ، ص 81 - 82 ولمزيد من التفصيل حول الرؤية السياسية لداوود أوغلو راجع: أحمد داوود أوغلو، تركيا والديناميات الأساسية في الشرق الأوسط، فصلية شئون الأوسط، أكتوبر 2004، ع 116، ص - 6533 والدراسة فصل من كتابه العمق الاستراتيجي: مكانة تركيا الدولية.

و يرى أن الحضور التاريخي للموروث بدأ يعبر عن نفسه بقوة في تركيا في السنوات العشر الأخيرة من القرن الماضي بدنياميته الجديدة تتفق مع معطيات مابعد الحرب الباردة سواء علي المستوى الخارجي أو الداخلي، فالعثمانية الجديدة كما عبر عنها “تورجوت أوزال”، والإسلامية كما عبر عنها “أربكان”، وفي مواجهتها اتجاه التغريب المتطرف العلماني، وفي الانتخابات التي جاءت بحزب العدالة والتنمية عام 2003 كان ذلك تعبيراً عن وعي الجماهير التركية بضرورة التصويت للاتجاه الذي يعبر عن الاستمرارية للموروث التاريخي الحضاري من ناحية وفي نفس الوقت يعبر عن توازن معين في العلاقات الدولية يعطي الاعتبار لعلاقات تركيا بمحيطها الشرق أوسطي والممتد لآسيا الوسطي والبلقان والذي يجعل منها دولة مركز صانع للسياسة الخارجية وليس مجرد تابع أو ملتحق بسياسات الدول العظمى.

وكما هو معلوم فإن “داوود أوغلو” يرفض مفهوم “الحزب الإسلامي” لأن الحزب برأيه هو قوة انقسامية وليست موحدة أما الإسلام فهو عنصر موحد أي قاسم مشترك ولا يجب تقليص دور الإسلام إلي مجرد التعبير عن مجموعة سياسية أو حزب سياسي لأننا سنجد مجموعات ستذهب لاحتكار الإسلام والحديث باسمه “ويري” داوود أوغلو “أن الإحياء الإسلامي هو تعبير عن موجة إحياء عالمية للدين في جميع المراكز الحضارية الرئيسية وليس أمراً خاصاً بالعالم الإسلامي وحده، وتوقع أن هذا الإحياء سيستمر؛ لأنه استجابة طبيعية للحدثة التي سادت في الخمسينيات والتي أدت إلي إعادة الدين والأخلاق إلي الحياة السياسية، فهي رد فعل علي رفض القيم الأخلاقية التي سادت العالم خلال مرحلة التنوير والتحديث.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

ويرفض “داوود أوغلو” أن يكون هناك تصنيفات للمفاهيم من منظور غربي مثل “الإسلام الليبرالي” أو “الإسلام الراديكالي”، تطلق في العالم الإسلامي أما عندما يتعلق الأمر بمجتمعات أخرى مثل - المسيحية أو الهندوسية أو اليهودية، فلا نجد حديثاً عن المسيحية الراديكالية _____
المسيحية الليبرالية بل نجد الحديث عن “القيم الأخلاقية التي قد تكون محافظة أو راديكالية” (1).

وهو من أسس لفكرة “الديموقراطية المحافظة” والتي تعتمد علي التكامل التدريجي بدون إخلال بالمؤسسات الاجتماعية الموجودة في البلاد والمحافظة هي سياسة ا لوفاق بين قوي المجتمع المختلفة، وهو يرى أن المجال الحاكم للتعامل مع الواقع هو تحقيق المقاصد بصرف النظر عن الآليات التي يمكنها تحقيق ذلك وهذه المقاصد هي الضروريات الخمس التي عبر عنها بحماية الحياة وحماية الفكر والدين والممتلكات وتحقيق العدل ويمكن لأي آلية أن تكون شرعية طالما حققت تلك المقاصد والقيم، وانطلاقاً من هذا يرى أن مسئولية المفكرين الإسلاميين هي تفسير وترجمة النظم السياسية وآليات وقتنا الحاضر ومحاولة تحقيق انسجام وتجانس جديد بين قيم المجتمع والآليات التي يمكن العثور عليها في الهياكل القائمة، وهو بذلك يرى أن الإسلام والديموقراطية يلتقيان باعتبار أن الديموقراطية آلية لتحقيق القيم المقاصدية الإسلامية، وهو يرى أن هناك أربع آليات في الديموقراطية تلتقي مع القيم والمقاصد الإسلامية

(1) عبد الوهاب المسيري، انسجام القيم الثابتة والآليات المتغيرة علي الدوام، موقع الوحدة الإسلامية علي الشبكة <http://alwihdaah.com/view.asp?cat=1&=1315> وهو تعليق علي حوار في الأهرام ويكلي مع أحمد داوود أوغلو نقلا عن الجزيرة نت بتاريخ 2005/1/27.

وهي:

- الشرعية العقلانية للسلطة السياسية.
- المشاركة السياسية كأحد سبل تكوين السلطة السياسية.
- المسؤولية السياسية للقادة والمسؤولين السياسيين.
- احتمال تغيير السلطة السياسية من خلال الانتخابات⁽¹⁾.

نحن إذن أمام نموذج واقعي للمفكر السياسي الذي يشارك في الحكم والسلطة واتخاذ القرارات السياسية لتغيير المجتمع نحو ما يراه هو مواريث تاريخية كونت الهوية التركية ومن ثم نحن أمام نمط لشكل جديد من المثقفين لا يعبرون عن الاغتراب أو “الدياسبورا” وإنما يعبرون عن الاختراق الذي ينقل المجتمع إلى توازنه النفسي بدون هزات كبيرة ومن هنا اعتبرنا “أحمد داوود أوغلو” تعبيراً عن المدرسة المؤسسية في الثقافة الإسلامية التركية وإذا كان الحزب الذي يمثله لا يصف نفسه بأنه حزب إسلامي لكن “أوغلو” هو تعبير عن المثقف التركي المسلم الذي يؤسس لاسترداد المجتمع التركي لتكامله واتزانه عبر ما هو قائم وفي حدود الممكن.

رابعاً: عصمت أوزال والنظام الإسلامي المستقل :

“عصمت أوزال” كان يسارياً ثم ترك اليسار وأعلن أنه تحول إلى الإسلام، وهو أديب وشاعر وفيلسوف ويطرحه دارسو الحركات

(1) عبد الوهاب المسيري، نفس المرجع، ولمزيد من المعلومات عن فكر “أحمد داوود أوغلو” راجع فهمي هويدي، الشرق الأوسط 2005/4/1 م، ع 9621 وأيضاً محمد نور الدين، **منظر الاستراتيجية التركية الجديدة** أحمد داوود أوغلو، تركيا من بلد طرف إلى بلد مركز، السفير 2004/8/12.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

الإسلامية في تركيا علي أنه المناظر لسيد قطب في مصر بحيث يمكن المقارنة بينهما، وكان له تأثيره القوي ولا يزال علي التيارات الإسلامية والفكرية في تركيا.

والسؤال الجوهرى لـدي “ عصمت أوزال “ هو كيف يمكن للمسلم أن يحقق وجوده كمسلم بعد سقوط الخلافة الإسلامية؟ وفي ظل نظم علمانية، فلم تكن الخلافة فقط مجرد تعبير عن الجسد السياسى لعالم الإسلام والمسلمين بل كانت هي التجسيد الحقيقى لوجود الأمة والشريعة ذاتها، بحيث أن غيابها يعنى تغيير صفة العالم الذى يعيش فيه المسلم، فلم يعد العالم الذى يعيشه المسلم بعد سقوط الخلافة يمثل داراً للإسلام بل أصبح داراً للحرب، ومن هنا حالة “ الدياسبورا “ أي الاغتراب التى تم التعبير عنها في عالم ما بعد الخلافة، كما عبر عنه المثقفون الإسلاميون في تركيا.

ويتحدث “ عصمت أوزال “ عن الترابط القوي بين اختفاء دولة الخلافة وبين الحداثة والعلمنة التى أصابت عالم الإسلام وفصلت بين الثقافة الإسلامية وبين الساسة الإسلاميين حتي إن أولئك الذين يعملون لإحياء المجتمعات الإسلامية عبر إعادة تجسيد الوجود السياسى للمسلمين فإنهم لا يتحدثون عن عودة الخلافة مرة ثانية، ويبقى السؤال المركزى في فكر

“ عصمت أوزال “ هو كيف يمكن للمسلم أن يتعامل مع عالم ما بعد سقوط الخلافة؟.

وإذا كان سيد قطب أعطي أهمية للنظرية علي الممارسة فإن “ عصمت أوزال “ تحدث عن صياغة الممارسة الإسلامية في الواقع العملى، وهو يرى أن هناك نظاما عالميا مسيطراً وهذا النظام العالمى له

حضوره القوي وتأثيره علي حياة المسلمين ونظمهم وعاداتهم، ومن ثم فهو يري أن مقاومة هذا النظام تفرض علي المسلمين أن يمتلكوا هم نظمهم الخاصة، وهو يري أن الجمهورية الكمالية ليست إلا استجابة لمطالب النظام العالمي وأنها وظفت تركيا من أجل الموقع المحدد لها والمطلوب منها في النظام العالمي.

وفسر التحولات التي شهدتها تركيا نحو التعددية وظهور أحزاب وحكومات يمينية علي أنها مطالب الكمالية للبقاء والاستمرار، وقرأ ما قدمه

“ حزب الوطن الأم “ بقيادة أوزال علي أنه إحياء للكمالية، بل إنه ذهب إلي أن حكومة “ أربكان ” ومشاركتها في النظام الجمهوري ليست تعبيراً عن مقاومة للإسلاميين بقدر ما هي استجابة للمطالب الكمالية، ومن ثم فهو يري استمرار المقاومة من جانب المسلمين وليس الاستيعاب داخل ماكينة النظام السياسي المرعبة، وهو يفسر تراجع التصويت لحزب الشعب الجمهوري باعتباره أدي مهمته التي تبدو “ موضة قديمة “ لم تعد “ الدولة الكمالية “ بحاجة إليها بعد أن تشربت مؤسساتها العلمانية ولم تعد بحاجة لحزب يدافع عنها.

كما أن النظام أصبحت لديه القدرة والخبرة علي أن يبقي مسيطراً بما في ذلك استيعاب أولئك الذين يقاومونه، ومن ثم فهو يري أن وجود نظام سياسي مستقل للإسلاميين في تركيا كتعبير عن هو يتهم هو نقطة فارقة في تفكيرهم في عالم ما بعد الخلافة. ذلك لأن المسلم في تركيا مواجه بدولة وبنظام سياسي ذات طبيعة غير شخصية ومن ثم فهو يتدخل في كل لحظة وفي كافة التفاصيل التي تخص الناس، كما أن كل الطرق التي جاءت من خارجه محاولة مقاومته تم السيطرة عليها وإجهاضها، ومن ثم

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

" فعصمت أوزال " لديه موقف متشائم من النظام والدولة التركية وهو يدعو إلي ضرورة التسلح بقدرة لا متناهية من أجل التغلب علي نزعة التشاؤم هذه.

ويتساءل " أوزال " دائما عن كيف يمكن للمسلم أن يبقي متسلحا بنزعة المقاومة في مواجهة نظام شيطاني كهذا، إنه يري أن ذلك ممكن فقط برفض الاستيعاب والبقاء داخل هذا النظام، النظام يمكن أن يهزم فقط بعناصر من خارجه حتي لو لم تكن علي علم بمنطقه، ومن ثم فإن الإسلاميين لن يمكنهم تحقيق أي انتصار علي النظام من الداخل⁽¹⁾.

هو لا يدعو إلي نظام سياسي بديل وإنما يدعو إلي تبني معتقدات تدين النظام وتدمغه بعدم الشرعية وذلك غير ممكن إلا عن طريق الإسلام الذي يمكنه أن يصف هذا النظام من خارجه بالكفر الذي لا يعني فقط الإلحاد وإنما يعني إخفاء ما هو ظاهر، ومن ثم فإن بقاء الإسلام والتقاليد الإيمانية واضحة لاشية فيها لتصم النظام بأنه لا يعبر عن الإسلام هو أحد أهم أدوات المقاومة وفق " عصمت أوزال "، إنه يدعو إلي الرفض علي مستوي العقل والشعور أو بالتعبير الإسلامي علي مستوي العقيدة والإيمان.

و يري أن السنة النبوية هي أحد المصادر المهمة لمقاومة النظام من خارجه عبر إحياء التقاليد الإيمانية في الممارسة اليومية للناس، ومن ثم يمكن بناء جسد اجتماعي بل وهوية سياسية تستند إلي المصادر الإسلامية الصحيحة بعيداً عن التعصب لجنس أو قومية.

(1) عن عصمت أوزال ورؤاه الفكرية والفلسفية راجع:

yasin Aktay، Body, Text, Idenitty, The Islamist Discourse of Authenticity in Modern Turkey, Op. cit, pp255 - 269.

إنه يعود ليقول: إننا نعيش في دولة "الدياسبورا"، تلك الدولة التي لا تحكم بالإسلام ولا تمكن الناس من ممارسة حياتهم وفق الشريعة، إنها دولة ما بعد الخلافة، ومن ثم فممارسة العبادات والشعائر الإسلامية خارجها وقبل ذلك كله الاحتفاظ بالعقيدة والإيمان المستندة إلى الإسلام الصحيح هي وسيلة المقاومة.

ولأوزال مواقف قوية تجاه النخب المتغربة وهو يري أن "في تركيا أمتين ولا بد من توحيدهما" واحدة تلك التي تحكم والأخري المحكومة وبينما الأولى تعبر عن النظام العالمي فإن الثانية تعبر عن الداخل ومهمة الفئة الحاكمة أن تبقى المحكومة تحت سيطرتها في سياق النظام الدولي.

وله مواقف حادة من العلمانية فحين تحدث البعض عن ضرورة عقد اجتماعي علماني للجميع، قال "تركيا ضد الإسلاميين لأنها في حاجة لسماع صوت هذه الأمة منذ عام 1945م، والآن نتحدثون عن حوار بين الإسلاميين والعلمانيين، هؤلاء الذين قاتلتهم هم أنفسهم الذين يحاولون استعادة حقوقهم الأساسية منذ عام 1945 م، تلك الحقوق التي اغتصبت من قبل المجموعة التي رفعت شعار تحديث تركيا بإسقاط الخلافة وتأسيس الجمهورية.

والآن تحت شعار العقد الاجتماعي تريد استعادة المواقع التي حققها الإسلاميون منذ عام 1945م، والتي أسقطت فترة الحزب الواحد، قبل الحديث عن عقد اجتماعي علماني علينا الحديث أولاً عن الانتهاكات التي تعرض لها الإسلاميون وعلي الجميع أن يتساءل ماذا حدث؟ نحن لم نشأ بعد لأنفسنا"، وهو يجادل حول أن العلمانية أخضعت المسلمين تحت سيطرتها باسم سيادة الدولة القومية، ثم هي تأتي اليوم لتتحدث عن التوفيق والتصالح، إن ذلك معناه مكافأة المخطئ، ويتساءل هل ناضل أحد من

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

الناس من أجل العلمانية أم أنها فرضت عليهم قسراً من جانب السلطة، إننا هنا في تركيا نبدو وكأن شخصاً سرقت نقوده ثم اعترف من سرقة بالسرقة، فهل نتوقع من الشخص الذي سرقت نقوده أن يقول حسناً سوف أشارك في الأموال المسروقة مجرد المشاركة فقط، إن الشخص الذي له الحق في استعادة هذه الأموال هو مالكها الأصلي والحقيقي⁽¹⁾.

وتطرقت مؤلفاته وكتاباته المتعددة والواسعة الانتشار في تركيا للكتابة حول قضايا ذات طابع فلسفي مثل العلاقة بين الحضارة والاعتراب والتكنولوجيا والتي تدعو إلى مقاومة مفاهيمها - كما تطرحها الحضارة الغربية - عن طريق التمسك بالطريقة الإسلامية في الفهم والتفكير، وهو يرى أن هذه المفاهيم الثلاثة هي تعبير عن System في ذاتها ولكي يمكننا كمسلمين التفكير وفق الطريقة الإسلامية الصحيحة فإنه لا بد من مواجهة هذه المفاهيم الثلاثة وتحديد موقفنا كمسلمين منها.

ويرى أن التكنولوجيا تنحو بالإنسان المعاصر بعيداً عن المفهوم الحقيقي للإنسانية فيما يطلق عليه مفهوم الاعتراب Alienation والذي يمثل أحد المفاهيم الرئيسية في العلوم الاجتماعية الغربية وهو يعبر عن اكتفاء الذات واستقلاليتها ومن ثم فمواجهتها لمحنة أو حادثة تنزع منها صفتها الإنسانية بقدراتها الطبيعية، ويتبنى “أوزال” الرؤية الإسلامية للإنسان والتي تدعو إلى فكرة الاستعلاء على الجانب المادي في الإنسان وقيود الطبيعة والظروف التي يوجد بها عن طريق علاقتها الروحية والعقيدة مع الله سبحانه وتعالى، فالاعتراب في مفهوم “أوزال” هو رحلة للهروب من الظروف الطبيعية المسيطرة، وابتلاء الإنسان كخليفة

(1) Ibid, 269 - 272.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

الله هو عين ما يحقق له صفته الإنسانية لأنه ورث عن الله شيئاً غير الطبيعة المادية له، ووفقاً له فإن الكلمة العربية التي تعني الإنسان مشتقة من التزامل والمرافقة والاجتماعية والجمال والصدقة واللفظ، ومن بين كل المخلوقات فإن الإنسان وحده هو خليفة الله، فالاعتزاب الذي يعني أخذ الإسلام بقوة يكون أمراً مرغوباً فيه وليس شيئاً سيئاً، هو يؤكد على المفهوم الإسلامي للإنسان والذي يعني عنده دائماً الوعي بعدم التصالح مع الكفر أو التهادن معه والاعتقاد أن وعد الله حق وأنه لا محالة قادم⁽¹⁾.

“ عصمت أوزال “ تسيطر عليه فكرة النظام System والتي تعني تعبيرات ثلاث هي النظام العالمي، الحضارة العالمية، النظام الداخلي وهو يرى أن المقاومة هي الوسيلة الوحيدة لهذه المستويات الثلاث عن طريق إحياء العقيدة الإسلامية والإيمان بالله وتصديق وعده وإحياء الممارسات الإسلامية التشريعية والتعبدية في الحياة العملية للمسلم والوعي الدائم بخطورة الكفر وعدم التهادن أو التصالح معه، ومن ثم فهو يقول بضرورة استقلال المسلمين بنظام خاص لهم لكي يمكنهم مقاومة النظام المسيطر عليهم بمستوياته الثلاث، ومن ثم تمثل فكرة “ الدياسبورا “ تعبيراً عن عقيدة لديه تقول إن الحق ومنهج الأنبياء والرسول لا بد من انتصاره في النهاية⁽²⁾.

خامساً: مثقفون وتيارات إسلامية أخرى:

هناك مثقفون إسلاميون من تيارات مختلفة فكرية وثقافية في تركيا

) 1(Ibid, pp273 - 277.

) 2(Ibid, pp277 - 279.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

ولهم تأثيرهم في الواقع الاجتماعي والثقافي تركيا وأهم هذه التيارات وهؤلاء المثقفون:

1 - اليسار الإسلامي.. التيار العقلاني:

هم متأثرون بفكر حسن حنفي في مصر وفكر فضل الرحمن في باكستان ويطلقون علي أنفسهم “ اليسار الإسلامي، ومعظمهم أساتذة في كلية الإلهيات بأنقره ويصدرون مجلة “ إسلاميات “ وللتعرف علي أفكار هذا الاتجاه نرصد الموضوعات والقضايا التي تعرضت لها هذه المجلة، من هذه القضايا “ الإسلام والديموقراطية “ و “ التصوف والصوفية ” و “ العثمانيون والدولة العثمانية “ بمناسبة مرور 700 سنة علي تأسيسها، قضايا المرأة، الاستغلال الديني أو استغلال الدين “ عدد خاص عن “ عيسي عليه السلام “ بمناسبة مرور 2000 سنة علي ميلاده، رئاسة الشؤون الدينية ودورها وفعاليتها ونقد أعمالها، قضية الحجاب “، مشكلة علمانية القيم الدينية وأثرها علي الفكر الإسلامي، الخطابات الدينية في تركيا، الدين والتشدد والعنف، التفسير اليساري للإسلام، التبشير والحوار، المظاهر الدينية في تركيا، السياسة والأخلاق، العولمة والدين، العلويون في تركيا وأصول اعتقاداتهم، الشريعة مفهوماً وتاريخاً وتطبيقاً “، قضايا العلوم الإسلامية وفيها تحدثوا عن القرآن والتاريخ، والتجربة الأندلسية، والإسلام والثقافة اليونانية، والإسلام والحداثة، وموضوعات أخرى تتعلق بقضايا العلوم الإسلامية معرفياً ومنهجياً مثل مشكلات حول فهم القرآن وحول ثبوت وفهم الرواية الحديثية وغير ذلك من القضايا التي

تتعلق بمستقبل الإسلام والفكر الإسلامي⁽¹⁾.

وفي حوارنا مع الدكتور “محمد خيرى” سألناه عن المعيار الذي يميزون به بين ما هو تقليدي وتجديدي قال: **عدم الاكتفاء بالحلول القديمة والأخذ بالعلوم العصرية للضرورة**، وهو يرى أنهم يمثلون تياراً تجديدياً الهدف منه هو الأمة كلها وليست الدولة القطرية ومحاولة مواجهة التحديات الغربية والسعي لبناء نظام معرفي جديد بتفسير جديد ومناهج جديدة لمواجهة المشاكل التي تواجه العالم الإسلامي.

وهو يقول: **إنهم متأثرون بأمين الخولي في قضايا المنهج وبسید قطب في التفسير وبحسن حنفي وفضل الرحمن في الفلسفة والفكر**، وعن نفسه ذكر أنه تأثر بموجة الترجمة للفكر الإسلامي من خارج تركيا من مصر وباكستان وإيران والتي قامت بها الحركة الإسلامية في تركيا، ويعتقد أن إنتاج الفكر الإسلامي الجديد والأصيل لا يكون إلا بخلق جو يعتمد علي النقد الذاتي ونقد الغرب، ومعرفة العلوم الإسلامية وحدها لا تكفي بل لا بد من معرفة التقنيات الجديدة وبناء صيغة جديدة للعلوم الاجتماعية.

وقال هم بدأوا قبل عشرين سنة أصدروا مجلة جديدة اسمها “**مجلة الدراسات الإسلامية**” بتمويل من وقف إسلامي في أنقرة اسمه “**وقف التعاون الاقتصادي والثقافي التركي**” يموله أطباء متدينون واستمر ذلك لمدة عشر سنوات وتركنا هذا الوقف لأسباب إدارية ومنذ 8 سنوات تصدر

(1) حصلنا علي هذه الموضوعات والقضايا من الدكتور محمد خيرى قرباش أوغلو في حوارنا معه بأنقرة في إبريل 2005 وعن اليسار الإسلامي التركي وتأثير فضل الرحمن عليه راجع مقال أستاذ العلوم السياسية التركي مصطفى أقيول، حجة مقنعة لتجديد الإسلام علي الشبكة العنكبوتية: www.islamdaily.net/AR/Contents.aspx?AID=2093.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

مجلة “إسلاميات” وجميع الأساتذة من كلية الإلهيات بجامعة أنقره ويقودهم رئيس القسم “محمد سعيد خطيب أو غلو” وتلقي المجلة اهتماما في الأوساط العلمية والأكاديمية في تركيا وتصدر أعدادا عن العالم الإسلامي ومشاكله وقضاياها من المغرب إلي أندونيسيا وتستفيد من إسهامات المفكرين في هذه البلدان وتحاول إقامة علاقات معهم علي المستوي الرسمي وغير الرسمي وهم بصدد تأسيس دار للنشر باسم “إسلاميات”، لترسيخ هذه الأفكار والدعوة إليها، والمجلة لا تمثل أي تيار سياسي ولكنها تتبنى المعايير العلمية المحكمة.

وهم يقبلون العلمانية علي مستوي الإدارة بمفهوم الحياد تجاه الدين وينادون بمجتمع إسلامي وهم يرفضون تبني الدولة لمذهب معين كما في إيران ويرون أن النموذج الماليزي هو الأقرب لتوجهاتهم، وهو يقولون بالديموقراطية ولكن عبر إشمامها بالمبادئ الإسلامية، فالديموقراطية لا تختلف عن الاستبداد في أيدي الظلمة، وهو يدافعون عن إعطاء حقوق واسعة للمرأة بما في ذلك العمل كقاضية وحتى كرئيسة للدولة فلا يجب منعها من المشاركة في المجتمع بشكل كامل باسم الإسلام، وهم يتبعون أهل الرأي في الفقه الإسلامي ويقدررون أفكارا المعتزلة و يتحفظون علي العديد من أفكار الإسلاميين في تركيا باعتبارها أفكار تقليدية من وجهة نظرهم كما في حالة موقفهم مثلا من حزب الرفاه فهم يعارضونه في كثير من أطروحاته،

ويرون المعارضة السياسية السلمية ولكنهم لا يتبنون العنف لأنه يقود إلي الفتن، وهم يتحفظون علي دور رئاسة الشؤون الدينية التركية الذي يقتصر علي إدارة المساجد وتنظيم رحلات الحج والإفتاء علي مستوي الأفضية والبلدان ونشر بعض الكتب الإسلامية ويطالبون باستقلالها عن الدولة

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

وتوسيع اهتمامها بقضايا المجتمع، وهم لا يرون النص في الدستور علي أن يكون الإسلام هو دين الدولة ولكن أن يكون الإسلام قوياً وحياً⁽¹⁾.

وأفادتنا مصادر مستقلة أن أحد أهم أعمدة هذا التيار “ يشار نوري استوك “ وهو عميد كلية الإلهيات في جامعة اسطنبول وكان عضواً في البرلمان وممثلاً لحزب الشعب الجمهوري ويؤمن بمفهوم الإسلام التركي المعادي للعرب والعربية بما في ذلك الدعوة لقراءة القرآن بغير العربية في الصلاة وله كتاب اسمه “ البناء الجديد للإسلام Yeni Dan Yapılanma وكتاب آخر اسمه “ الإسلام القرآني “ Quran Islami وهو يكتب يومياً في جريدة “ ستار “ و يرفض الإسلاميين الترائيين ويتهمهم باستغلال الدين ويزعم أنه يفهم الإسلام الحقيقي والآخرين يستغلونه، وهم يرفضون السنة ويتحدثون عن تاريخية القرآن وهم يرفضون الحجاب، وهناك أحد ممثليهم “ متين أوزمير “ يرفض عذاب القبر، ويجددون منهجية علم الحديث ويرون أن تأثير الفهم السياسي للحركة الإسلامية علي تركيا يتراجع بسبب التطور الفكري للحركة الإسلامية وتأثير مفكرين ليبراليين غربيين علي الحركة الإسلامية من أمثال “ نعوم شومسكي “⁽¹⁾.

ومن الواضح أن التيار العقلاني الذي تمثله مجلة “ إسلاميات “ كغيره من التيارات العقلانية الموجودة في العالم الإسلامي لا يحظى بقبول شعبي وتأثيره يكون في نطاق النخبة الفكرية، لكنها بشكل عام تثير حراكاً وجدلاً

(1) حوار مطول مع الدكتور محمد خير ي قرباش أوغلو في أنقرة، ثم اسطنبول في إبريل عام 2005 وذلك لحضور “ المؤتمر الدولي للمنظمات الأهلية في العالم الإسلامي “ في اسطنبول بتاريخ 30 إبريل 2005.

(1) حوار الباحث مع عمر توقات باسطنبول في أكتوبر عام 2003 م.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

بين التيارات المهمة بالفكر الإسلامي في المجتمع، وبطني أن مفكرها يتأثرون بانتشار الإسلام الكاسح في أوساط المجتمع وهو ما يجعلهم أكثر اقتراباً من فهم التيارات الرئيسية للإسلام.

2 - اتجاه الموسوعة الإسلامية:

من التيارات الأكاديمية المهمة التي لها تأثير قوي على أجيال الطلاب والشباب في تركيا ما يطلقون عليه في تركيا " اتجاه الموسوعة الإسلامية التركية " ISAM وهذه الموسوعة هي هيئة مستقلة وإن كان الذي ينفق عليها وقف تابع لرئاسة شئون الديانة ولها مبني كبير وباحثون يعملون في مختلف التخصصات الإسلامية مثل الفقه والتاريخ والشرعية وعلاقة الإسلام بالغرب وهم - أي الباحثون - يمثلون مركز الأبحاث وهيئة التحرير التي تخدم الموسوعة، ومعظمهم تم ابتعاثه للغرب لدراسة قضايا تتعلق بالإسلام.

بلغ عدد المجلدات التي أنجزتها الموسوعة عشرين مجلدا ضخما لكتاب من مركز أبحاث الموسوعة وكتاب آخرين متخصصين من العالم الإسلامي وتتميز مادة تحريرها بالحياد والعلمية وأهم من يمثل تيار باحثي الموسوعة

“ رجب شانتيورك ” وهو حصل علي رسالته للماجستير في “ التحديث وعلم الاجتماع في العالم الإسلامي بحث مقارنة بين تركيا ومصر ” Islam Dnyasinda Modernlesme ve Toplumbilim ودراسته عن الدكتوراه بعنوان “ تشريح شبكة رواة الحديث من 610 - 1505 م، من البعثة وحتى وفاة السيوطي وهي باللغة الإنجليزية Narrative Social Structure: Anatomy of Hadeath Transmisson Network CE 610 - 1505.

وكما أوضح لنا " رجب شانتورك " قال " ادعائي أنه كان عند المسلمين واسطة فكرية علمية لحل المشاكل الاجتماعية وإيضاحها قبل وصول العلوم الاجتماعية الغربية وهذه الواسطة هي الفقه الإسلامي بمعناه العام. هم كانوا يوضحون المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والتربوية وينتجون حلولها من وجهة النظر الفقهية واستمر ذلك حتي عام 1839 م حيث حدث صراع بين الفقه الإسلامي وهو النموذج القديم وبين العلوم الغربية فكلاهما له منطق ورؤية مختلفة⁽¹⁾.

في البداية المفكرون العثمانيون حاولوا التوفيق بينهما وأول عالم اجتماع تركي " ضيا جوكالب " حاول تأسيس علم اجتماع من منظور أصول الفقه
" أصول الفقه الاجتماعي "، وحاول تأليف أفكار " دوركهيم " بأفكار الفقهاء لإيضاح وحل المشاكل الاجتماعية، وقال بتعاون الفقهاء وعلماء الاجتماع في حل المشاكل⁽²⁾، بحيث يقوم علماء الاجتماع بدراسة الحالات وجمعوا المعطيات ويقدموها للفقهاء ليخرجوا الأحكام الفقهية بناء عليها.

عارضه " سعيد حليم باشا " الذي كان يدعو إلي تجديد الفقه الإسلامي بحيث يغنيها عن العلوم الاجتماعية الغربية ولكن نأخذ العلوم الطبيعية من الغرب، فالغرب عليه أن يأخذ منا العلوم الاجتماعية والأخلاقية لأن درجة تطورها عندنا تشبه تطور العلوم الطبيعية عنده،

(1) حوار الباحث مع رجب شانتورك في مبني الموسوعة الإسلامية باسطنبول في اكتوبر 2003 وقد قدر لنا أن نتحاور مع العديد من الباحثين العاملين فيها مثل د. عاكف أيدين مدير الموسوعة الإسلامية

(2) عن تطور علم الاجتماع التركي ودور ضيا جوكالب فيه راجع: رجب شان تورك، تطور علم الاجتماع في تركيا، قصة البحث عن هوية جديدة، المجلة الاجتماعية القومية، سبتمبر 1989، ع الثالث، المجلد السادس والعشرون، ص 77 - 85.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

بينما تخلف العلوم الطبيعية عندنا يمكن مقارنتها بتخلف العلوم الاجتماعية والأخلاقية في الغرب، هو رفض فكرة التأليف والتوفيق بين العلوم الاجتماعية الغربية والفقهاء الإسلاميين⁽¹⁾ وهذه هي فكرة الصراع الجوهرية والأساسية في تركيا.

علم الاجتماع الغربي ← صراع الفقهاء

النظام الاجتماعي كالأُسرة والعلاقات الشخصية، والاقتصادي كالخراج والزكاة ونظام الملة والسياسة مع العالم الخارجي كل هذا كان مصدره الفقهاء وأصوله ومبادئ الاستصحاب والمصالح المرسلة وغيرها وتلك كانت مسئولية العلماء، وهذا النقاش انتهى عام 1920 مع انتهاء الدولة العثمانية وكان من يقول بكفاية علوم الإسلام لتنظيم أوضاع المجتمع لديهم مجلة اسمها “إسلام مجموعة سي”، وبعد الجمهورية توقف هذا النقاش الفكري لأن هناك دولة جديدة سياستها الرسمية التغريب فلا حاجة للنقاش.

كان التركيز علي تطبيق سياسة الغرب ولم يكن هناك مجال للنقاش الفكري، كان هناك أمل في العلوم الاجتماعية الغربية وإيمان قوي بالحل العلمي Scientisim، فالحل هو العلوم الغربية الوضعية، بها سنحل كل مشاكل تركيا ونتخلص من التخلف ونلحق بركب التقدم مثل الأمم الغربية. لكن هذا لم يحصل ومرور الزمن عمل ضد تلك الفكرة وبدأ الناس

(1) عن سعيد حليم باشا مقال قيم علي موقع الوراق بعنوان “أعلام ضائعون: سعيد حليم باشا“.

www.alwaraq.com/core/dg/rar - indetail?id=750.

وعن اجتهاداته الفكرية راجع، محمد رشيد رضا، سعيد حليم باشا، المنار، المجلد 23، الجزء 2، فبراير 1922، جمادي الآخرة 1340 وذكره محمد إقبال في تجديد الفكر الديني كأحد رواد الإصلاح.

يتساءلون أين الحل العلمي والعلماني الغربي وبدأ الشك في الخطاب الرسمي وهذا ما فتح الباب واسعا للبديل ومن هنا ظهر " علم الاجتماع التركي " الذي يقول: إن تركيا لها ظروف مختلفة عن ظروف المجتمعات الغربية ويجب أن يكون لدينا علم اجتماع خاص بتركيا وفي الثمانينيات ظهر علم الاجتماع الإسلامي الذي يقول إن المجتمعات الإسلامية الغربية لها ظروف خاصة ومختلفة عن المجتمعات الغربية ويجب أن يكون لنا علم اجتماع خاص كمسلمين وليس كأتراك⁽¹⁾.

ورجب شانتورك " لا يوافق علي أي من الاتجاهين، لا العلوم الغربية ولا القومية التركية ولا الإسلام السياسي تصلح كإطار مرجعي وهو يستخدم مصطلح " الأدمية " أي البشر جميعا وأخذ المصطلح من الفقه الحنفي ويعتبر مرجعيته هي " العالمية " أي العالمين، الناس جميعاً، فالعلماء العثمانيين والقداامي كان عندهم إطار مرجعي عالمي اهتموا فيه بمشاكل البشر جميعاً، فأبوحنيفة دافع عن حقوق الأدميين وتكلم عن " العصمة الأدمية " فمن له صفة الأدمية له حقوق حفظ الضرورات الخمس من الدم والمال والنسل والعقل والدين⁽²⁾ والعصمة بالإيمان أو الأمان، وهو يرى أن الفكر الإسلامي اليوم انقطع مع فكر العلماء القداامي فأصبح يهتم بمشاكله الخاصة ويقدم المسلمين علي أنهم ضد باقي البشر.

(1) رجب شان تورك، تطور علم الاجتماع في تركيا، قصة البحث عن هوية جديدة، م. س. ذ، ص 90 - 93

(2) فكرة العالمية وتجاوز الحدود القطرية والقومية وحتى مفهوم الولاء الإيماني نجده واضحاً في الفكر العثماني فهناك فكرة الرعاية والمسؤولية تجاه العالم والخلق قوية جداً في الفكر العثماني وهنا اللمة الجديدة التي يقدمها رجب شانتورك هنا، فكرة " الأدمية " وعصمة الإنسان وكونه إنسان أو آدمي يفرض له حقوقاً هي فكرة جديدة ومهمة رغم أن أبا حنيفة هو الذي وضعها والعثمانيون هم من مارسوها.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

نحن نأتي من تقاليد امبراطورية.. طبيعتها القدرة علي التوليف بين الأضداد هم عاشوا قدر قدرتهم علي التوليف بين الأضداد في العناصر والأفكار والمعتقدات والأعراف والأجناس والطبقات والمذاهب والعصائب المختلفة، وحين فشلوا في هذا انتهت الامبراطورية، لم يستطيعوا الحفاظ علي هوية شاملة لجميع العناصر الموجودة في الامبراطورية، أهم ميزة في الفكر التركي هو التوليف بين الجديد والقديم بين الإسلام والغرب وهذه تسمى “ استراتيجية البقاء “ وهذا مايجعل حزب العدالة والتنمية تعبيراً عن روح الشعب التركي، ولذا تجد الحركات الإسلامية عندنا لم يكن لديها صراع مسلح مع الدولة أو انقطاع مع المجتمع.

ولذا العلمانية التركية هي علمانية لا تعبر عن تقاليد المجتمع التركية لأنها إقصائية ففي قضية الحجاب أكثر من 70% يطالبون بحق المحجبات في ارتداء الحجاب، وهو يري أن المستقبل في تركيا لمن يكون لديه القدرة علي عمل أوسع ائتلاف بين طبقات الشعب وفئاته وتياراته وقواه الاجتماعية المختلفة وكما في العلوم السياسية Big Leaders are Big Collection Buliders، وكثير من الناس لا يفهمون كيف يدخل هؤلاء الاتحاد الأوربي وهم مسلمون، هؤلاء لا يفهمون الطابع التوليقي والموروث التوفيقي الذي عبرت عنه الدولة العثمانية. وهو يري أن الخطاب العثماني لم يكن فيه كلمة “ غرب “ فهي جديدة والخطاب الإسلامي التقليدي لم يكن ضد جغرافيا أو قوم ولكنه كان ضد الجاهلية والكفر.

وهو يري أن التراث مهم في فهم الحاضر ولابد من التوليف بينه وبين المعاصرة، فلا يمكن بناء لغة جديدة أو دين جديد أو حقوق جديدة منفصلة

عن البناء الاجتماعي الموروث وعلي سبيل المثال لا يمكننا فهم القرآن بدون التراث، فالفقه يكون واسطة بينك وبين القرآن، الأخذ المباشر من القرآن يكون هناك فجوة.. المجتمع لا يقبل هذا، لا بد من البناء علي مانجد في المجتمع والثقافة وننتقل من هناك وإلا تبدو كأنك مثالي لا علاقة لك بالواقع، وحين يأتي أحد ويقول الآية تقول كذا والقرآن يقول كذا والحديث يقول كذا، قول لهم: كيف كان فهم وتطبيق المسلمين عبر القرون لهذه الآيات والأحاديث، أنت لست الأول الذي تقرأ هذه الآيات، ملايين المسلمين قرأوا وطبقوا.. هذا هو المنظور الاجتماعي والتاريخي المأخوذ من أصول الفقه⁽¹⁾.

ويبدو أن التوليف كما قدمه لا يعني الاعتساف فعنده لا يجوز الأخذ من أصول الفقه بعض الأدلة التي توافق غرضنا ونترك الأدلة الأخرى وفق مقتضيات العصر الحديث، فتركيز المحدثين علي فكرة المصلحة بغض النظر عن الأدلة الأخرى لأنهم تصوروا أن ذلك يسهل لهم تغيير الفقه الإسلامي وتحديث المجتمع لكن أحداً لم يثق فيهم ولم يتبعهم فهذا تركيز متحيز علي جزء واحد من نظام شامل، وهو مايقود إلي تشوش واضطراب فكري وهذا لا ينتج أصالة، الأصالة تأتي من استعمال نظام وتطبيق قواعد من خلال آليات تفاعل داخلية بين عناصر النظام نفسه لكنه

(1) هنا رجب شانتورك يبدو تقليديا ولكنه كباحث في علم الاجتماع يري أن التواصل مع خبرة من سبق وممارسته هي السبيل الوحيد للتعامل مع الواقع والعصر الجديد، وأحد المنطلقات التي يراجعها الإحيائيون في مصر علي سبيل المثال هي قضية تفهم الخبرة والتعامل مع التراث السابق في الممارسة وراجع مثلاً كمال حبيب، تحولات الحركة الإسلامية والاستراتيجية الأمريكية، القاهرة: مصر المحروسة، 2006، ط1.

الفصل الأول: الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

لو تشوش فهذا لا ينتج فكراً أصيلاً⁽¹⁾.

هذه هي أهم التيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا وهذه التيارات بتنوعها وتشعبها وطيدة الصلة بالأحزاب السياسية فهي تبدو وكأنها القاعدة الاجتماعية لها، وفي الحالة الإسلامية فإن هذه التيارات تمثل تعبيرات متنوعة عن الوجه الإسلامي في تركيا وهي عادة ما تقف في الانتخابات مع الأحزاب الإسلامية والتي تقف مدافعة عن مطالبها، ومن هذه التيارات تجد الأحزاب الإسلامية مناصرين لها لا يقلون في العادة عن 20% من المصوتين في الانتخابات المحلية أو العامة ومن هنا كان التعرض لها بالشرح وثيق الصلة بالفصل التالي وهو “الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه”.

* * *

(1) المصلحة كدليل معتبر في الشرع وهي المعروفة بالمصلحة المرسلة وهي تلك التي تتوافق مع أدلة النظام الفقهي الأصولي ولا تعمل ضده.

الفصل الثاني الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

هذا الفصل يتضمن أربعة مباحث:
المبحث الأول: الإسلام وحزب
الشعب الجمهوري (1922 -
1946م)

المبحث الثاني: الإسلام والأحزاب
السياسية في فترة التعددية الحزبية
(1946 - 1960م)

المبحث الثالث: الإسلام
والأحزاب السياسية في تركيا بعد
الانقلاب الأول
(1960 - 1970م).

المبحث الرابع: أحزاب الملي
جوروش والحياة السياسية في
تركيا

(1970 - 1980م).

الفصل الثاني:

الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

يتحدث هذا الفصل عن نمطين من الأحزاب عرفتتهما تركيا قبل ظهور الرفاه، النمط الأول عبر عنه حزب الشعب الجمهوري الذي أسسه “ كمال أتاتورك “ وهيمن علي الحياة السياسية في تركيا منذ عام 1923 م وحتى فترة التعددية الحزبية عام 1946 م وهو تعبير عن الحزب الذي يعبر عن الأيديولوجية الكمالية العلمانية في صيغتها المتصلبة والتي تعادي الدين وتكرس الشمولية والعسكرة في المجتمع والدولة وترتقي بأيديولوجيتها إلي مستوي المقدس فيما عرف باسم “ الدين المدني “ الذي حاول به حزب الشعب الكمالي ملء الفراغ الذي خلقه بهدم كل البني والمؤسسات التي عبرت عن الدين الإسلامي.

و النمط الثاني وهو “ الأحزاب المحافظة “ والتي عبر عنها الحزب الديمقراطي برئاسة عدنان مندريس والذي حكم تركيا طوال عقد الستينيات وحزب العدالة بعد انقلاب عام 1960 ثم حزب الوطن الأم بعد انقلاب عام 1980 فهذه الأحزاب تبنت أيديولوجية مضادة للأيديولوجية الكمالية ولنمط علمانيتها يعقوبية القائمة علي إكراه الناس علي السلوك الذي تقرر له الكمالية كأيديولوجية شمولية وطالبت هذه الأحزاب المحافظة بضرورة احترام القيم الإسلامية والتراث الحضاري للعثمانيين واحترام عادات وتقاليده المجتمع والتوصل لعلمانية إنسانية تحترم كرامة الناس واختياراتهم ولدولة تحترم القانون وتعبر عن المجتمع والشعب وفق صيغة عادلة ودستورية تساوي بين الجميع.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

خبرة الأحزاب الإسلامية التي عبرت عن " الملي جوروش " مثلت مذاقاً جديداً فهي أكثر من كونها حزبا محافظاً؛ لأنها تحمل مشروعا يتواصل مع المرجعية الإسلامية بشكل واضح لا لبس فيه، وهي تعادي الكمالية والعلمانية وتسعي لتغيير قيم المجتمع ومؤسساته لتعبر عن مفاهيمها النهضة التي تختلط فيها القومية بالإسلام لكن المرجعية الإسلامية لها تبقى هي الأعلى.

قواعد اللعبة السياسية والنظام الحزبي في تركيا كما عبر " سزائي قراقوج " لم يصمم ليتسع للأحزاب الإسلامية ومن هنا كان الرفض لها وإرغام " أربكان " وأحزابه كل مرة علي الخروج من العملية السياسية، ربما يكون فهم الجيل الثاني من الإسلاميين الجدد لطبيعة النظام الحزبي التركي هو الذي دفعهم لتبني أيديولوجية " الديموقراطية المحافظة " ليكونوا تعبيراً عن الاستمرارية المتوافقة مع النظام الحزبي التركي.

يقول " محمد ياشار " في كتابه الهام " الأحزاب السياسية في تركيا.. دور الإسلام " في بلد مثل تركيا لا يسمح الدستور وقانون العقوبات بأي خروج أو انحراف عن العلمانية، ولا يمكن للمرء أن يتوقع رؤية تصريحات دينية مكشوفة وصريحة لقادة الأحزاب أو في برامجها، إنما يجب علي المرء محاولة اكتشاف أي دلالات ضمنية يمكن أن تقودنا إلي تأكيد أكبر علي الدين، فقد يلجأ بعض السياسيين أحيانا أثناء خطبهم السياسية، ولأنهم يشعرون أنهم مقيدون بقوانين تمنعهم من استخدام الدين أو توظيفه في أغراض سياسية يلجأون إلي التلميح عما يريدون قوله وكأنما يقولون لجمهورهم: " انظروا في عيني وأنتم سوف تفهمون ما أعنيه " وهذا يعني أن السياسيين لا يستطيعون التحدث بحرية أكثر من هذا فيما يخص ذلك الموضوع وأن المستمعين عليهم أن يستنتجوا حقيقة

مقاصدهم.

نحن إذن نخوض في حقل ألغام حين نحاول رصد العلاقة بين الإسلام والأحزاب السياسية في تركيا أو حين نحاول فهم العلاقة الجدلية بين الإسلام والسياسة في تركيا، ولكن الحقيقة التي لا يمكن لأي باحث أن يتجاهلها هي أن الحضور الإسلامي في تركيا رغم علمانيتهما الصارمة لا يزال قويا وأنه لم يمت أبدا كما أنه لم يغط في سبات عميق. والدليل على ذلك ظهور صحوة إسلامية في تركيا عبرت عن نفسها بشكل قوي لا يمكن أن تخطؤه العين في رحلات الحج وبناء المساجد والإقبال على التعليم الديني بمدارس الأئمة والخطباء، وظهور كتابات إسلامية في الصحف والمجلات التركية وأيضا فيضان الإعلام التركي المسموع والمرئي الذي يتبنى المقولات والأفكار الإسلامية⁽¹⁾.

بل إنها أي - الصحوة الإسلامية تجاوزت المجال الفردي التعبدي إلى المجال السياسي العام، ويكفي أن نشير إلى أن تركيا العلمانية هي التي عرفت وصول أول حزب سياسي يحمل أجندة إسلامية إلى الحكم وهو " حزب الرفاه " في 27 يونية 1996 م والذي حصل على 22% من أصوات الناخبين الأتراك في الانتخابات التشريعية عام 1995. لكن

(1) عن الصحوة الإسلامية في تركيا راجع مثلا:

Uriel Heyd, s, Revival Of Islam IN Modern Turkey (Jersualem: The Hebrew University Press, 1968). and Bernard Lewis, Islamic Revivel In Turkey, International Affairs, vol, xxv111, NO. 1, 1952.

فدنيا مجلات وصحف مثل " ترجمان " والملي جازيت " وصباح " وكتاب أعمدة مهمين مثل نجيب فاضل كسيكورك، وكمال بولاف أوغلو وزبير يتك. وهناك دراسة مهمة عن تطور التعليم في تركيا لعثمان أوجن باللغة التركية وعنوانها " Turkiye Maarif Tarihi أي تاريخ التعليم في تركيا وهي من خمسة مجلدات وترصد تطور التعليم من عام 1939 - 1943.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

العلمانية الكمالية ضاقت به ذرعا وانقلبت عليه فيما عرف “ بانقلاب ما بعد ” الحداثة “ واضطر “ أربكان “ أن يخرج من السلطة في يوليو عام 1997م⁽²⁾. بل إن حزب العدالة والتنمية الذي يحكم تركيا اليوم، ورغم تأكيد قاداته علي أن الحزب ليس دينيا لكنه يستلهم القيم الإسلامية والتاريخ العثماني كمرجعية له فيما يسميه “ الديموقراطية المحافظة “ Muhafazakar Demokrasi⁽³⁾.

سوف نلاحظ دائما أن أحد الثوابت في الممارسة السياسية التركية هي حضور الإسلام بدرجة (ما) ولكنه حضور لطيف لا يمكن الإمساك به وإنما استشفافه واستنشاقه والشعور الحميم به.

وكما أشرنا من قبل فإن الدولة الكمالية لم تشأ أن تُلغى الدين الإسلامي ولكنها أرادت احتكاره لنفسها هي وحدها دون المجتمع وبدت في ذلك كما لو كانت تعبيراً عن “ ثيوقراطية علمانية “ تعيد إلي الأذهان ثيوقراطية الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى، لكن الثيوقراطية لا تمارس في الخبرة الكمالية عن طريق مؤسسة

(2) مؤقنا راجع المقالة المهمة علي الشبكة الإليكترونية بعنوان “ الديموقراطية ضحية ثيوقراطية

تركيا العلمانية “ علي موقع: <http://www.ii-pt.com/web/arabi>

(3) عن مفهوم الديموقراطية المحافظة راجع: برنامج حزب العدالة والتنمية باللغة التركية والإنجليزية علي موقع الحزب علي الشبكة الإليكترونية حيث يؤمن بمفهوم الديموقراطية وحقوق الإنسان والعلمانية ولكنها ذات الوجه الإنساني التي تؤمن بالتعددية والتنوع واحترام حقوق الإنسان والأسرة واحترام قيم الناس التي ينحازون إليها باعتبارها جزءاً من حرية المعتقد والتفكير والتعبير، هي علمانية متسامحة كما في أوروبا وليست العلمانية الثيوقراطية المتوحشة كالتي فرضها أتاتورك. وفي لقاء للباحث مع أحد نشطاء الحركة الإسلامية في تركيا واسمه “ عمر دوران “ شرح لنا مفهوم الديموقراطية المحافظة بأنها تعبير عن التكامل التدريجي والتغيير التدريجي بدون إخلال بالمؤسسات الاجتماعية الموجودة في البلاد، وهي تعبير عن سياسة الوفاق بين قوي المجتمع المختلفة. وراجع موقع حزب العدالة والتنمية علي الشبكة الإليكترونية، <http://www.akparti.org.tr>

الكنيسة وإنما عبر الجمهورية الكمالية وحزبها الأوحـد الذي احتكر الحياة السياسية لنفسه بما في ذلك السلطة الدينية بتنظيمها وتفسيرها وتأويلها. وسنحاول التعمق لمعرفة العلاقة بين الأحزاب السياسية التركية وبين الإسلام منذ إعلان الجمهورية الكمالية عام 1923م.

هذا الفصل يتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: الإسلام وحزب الشعب الجمهوري (1922 - 1946م)

المبحث الثاني: الإسلام والأحزاب السياسية في فترة التعددية الحزبية (1946 - 1960م)

المبحث الثالث: الإسلام والأحزاب السياسية في تركيا بعد الانقلاب الأول

(1960 - 1970م).

المبحث الرابع: أحزاب الملي جوروش والحياة السياسية في تركيا

(1970 - 1980م).

* * *

المبحث الأول:

الإسلام وحزب الشعب الجمهوري (1922 - 1946م)

مجلس الأمة الكبير الذي أسسه أتاتورك عام 1920 استغل فيه الدين الإسلامي للظهور بمظهر المدافع عنه في مواجهة سلطة الخليفة " محمد وحيد الدين "، فالمجلس افتتح يوم الجمعة الموافق 23 إبريل، وكان برنامج الافتتاح متضمنا صلاة الجمعة بمسجد " حاجي بايرام ولي "، وأعلن عن قراءة القرآن والبخاري في مركز الولاية يوميا ويتم قراءة دعاء ختم القرآن أمام الدائرة المخصصة.

ويتم الدعاء عقب الخطبة لصاحب الخلافة حضرة سلطاننا، وبالنظر إلي تكوين مجلس الأمة الكبير فإن هناك 61 شيخا معمما و8 من مشايخ الطرق الصوفية أي أن 18% من أعضاء المجلس كانوا علماء دين ومشايخ للطرق الصوفية، وهؤلاء كانوا طلائع المدافعين عن قوانين الشريعة وقواعد الدين⁽¹⁾ وكانوا هم المرجع للشعب في كل تعاملاته الدينية والشرعية من المهد إلي اللحد وهو ما أعطي الانطباع بأن حركة " أتاتورك " هي حركة إسلامية.

أولا: تأسيس حزب الشعب الجمهوري :

(1) راجع تفصيلات المظاهر الدينية التي استغلها كمال أتاتورك في افتتاح مجلس الأمة التركي الكبير في: الصفصافي أحمد المرسى، التطور الديمقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة، القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، 1425هـ - 2004م، ج1، ص 47 - 49 حيث أورد تقدم الشيخ عبد الرحمن مبعوث سينوب بطبعته الدينية وحمل علي رأسه غطاء أخضر فوقها مصحف وشعرة مباركة من لحية النبي صلي الله عليه وسلم ومن خلفه أعضاء المجلس من العلماء والمشايخ والمعممين وعلية القوم والقادة العسكريين للانتقال من الجامع للمجلس حيث تتصاعد علي الطريق التكبيرات والتهليلات والدعوات والتأمين، ص 48 - 49.

استمر مجلس الأمة الكبير الأول حتي عام 1923 م، وكان المجلس الأول يضم بين جنباته توجهات متباينة أثارت مخاوف "أتاتورك"، وهو ما جعله يؤسس "جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول والروملي" التي صارت فيما بعد "حزب الشعب الجمهوري" مع أول انتخابات عامة جاءت به إلي السلطة في تركيا بحيازته الأغلبية في مجلس الأمة الكبير الثاني، وأصبح "كمال أتاتورك" هو رئيس مجلس الأمة ورئيس حزب الشعب الذي حصل علي رخصة قانونية رسمية في التاسع من سبتمبر عام 1923م، وتشكلت أول وزارة تمثله برئاسة "فتحي أوقيار" في 14 أغسطس عام 1923م.

- نحن الآن أمام حزب واحد يسيطر علي الحياة السياسية بشكل مطلق ولا توجد معارضة له داخل البرلمان (مجلس الأمة) كما كان في المجلس الذي سبقه بعد بداية حرب التحرير 1919م، وأقر المجلس بمعارضة عالية الصوت لكنها غير حاسمة معاهدة لوزان وانتهت توابع حرب الاستقلال⁽¹⁾. وكان أول قرار يتخذه المجلس الجديد نقل عاصمة

(1) معاهدة لوزان تم توقيعها في 24/7/1923 م وكانت بمثابة الاعتراف الدولي العالمي بحكومة أنقرة وإسقاط معاهدة سيفر التي وقعتها حكومة السلطان في 20/8/1920 م ووقعت معاهدة لوزان مع حكومة أنقرة بريتانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان واليونان ورومانيا ودولة السلاف الصرب والكروات وصادقت عليها أمريكا وروسيا وبلجيكا، وكانت مفاوضات الصلح بدأت بعد توقيع "اتفاقية مودانيا" التي ثبتت وقف إطلاق النار مع اليونان وأكدت انتصار الجيش التركي في 11/10/1922 وتشير المصادر إلي أن اللورد "كرزون" الوزير البريطاني في المؤتمر أفهم "عصمت إينونو" ممثل تركيا أنهم لن يمنحوا الاستقلال إلا بشروط أربعة عرفت فيما بعد بشروط كرزون الأربعة وهي: أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام، وأن تقوم بإلغاء الخلافة، وأن تتعهد بالقضاء علي كل حركة يمكن أن تقوم لإحياء الخلافة وأن تستبدل تركيا القوانين الوضعية بالشريعة الإسلامية وأن تضع لنفسها دستوراً مدنيا بدلاً من الدستور العثماني المستمد من

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

الحكومة والبلاد إلى أنقره مع التعهد بالدفاع والحفاظ علي اسطنبول.

وأضيفت مادة إلي الدستور التركي تقول “ أنقره هي مركز الحكومة، وستظل مركز الحكومة الأبدي، ولم تستمر وزارة “ فتحي أوقيار “ أكثر من شهر، وبسبب القلق في الأوساط السياسية والثقافية من توجهات “ أتاتورك “ الديكتاتورية، استقالت وزارة “ أوقيار ” في 27 أكتوبر 1923م.

وفي 29 أكتوبر صرح “ أتاتورك “ المجموعة النافذة داخل حزب الشعب في اجتماع خاص بقوله: “ أيها الأصدقاء.. غدا سنعلن الجمهورية “، وأمام مجلس الأمة طرح الموضوع علي النواب الذين وافقوا بالإجماع علي إعلان الجمهورية، وقام أحد أعضاء المجلس المعممين وهو الشيخ راسخ خوجه وقال “ إن أكثر أشكال الحكومات توفيقاً من الناحية الدينية هو الشكل الجمهوري “ ثم صاح هاتفاً “ تحيا الجمهورية “ وهدرت الأصوات خلفه “ ياشاسين جمهوريت “، وأصبحت تركيا دولة جمهورية في ليلة 29 / 10 / 1923م، وزكي “ أونونو “ أتاتورك “ ليكون رئيساً للجمهورية، الذي يختار رئيس الوزراء، الذي يختار بدوره الوزراء ويعرضهم علي رئيس الجمهورية ثم يعرضون علي المجلس، وأصبح “ أونونو “ رئيس الوزراء ورئيس حزب الشعب الذي تخلي “ أتاتورك “

الشريعة الإسلامية، وراجع: معروف عمر كول، في السياسة والقانون الدولي، ترجمة عادل كرمياني علي موقع:

www.sardam.info/sardam%20al/%20arabic17109.htm

وأيضاً: 14 - 14. shtml - hist/qarn14 www.fustat.com/c نقلا عن مجلة الأمة، 14ع، ربيع الثاني 1402 هـ

عن رئاسته ليكون رئيساً للجمهورية⁽¹⁾.

- لدينا تقاليد سياسية جديدة تعتمد " السلطوية " و " المؤامرة "، وما يمكن أن نطلق عليه " الإخراج المسرحي " للسياسة، وهو ما صدم قطاعات مهمة من الساسة والصحافة والمثقفين والبرلمانيين الذين أسسوا حزبا جديدا أطلقوا عليه " ترقى برور جمهوريت فرقه سي " أي " الحزب الجمهوري التقدمي "، وحتى الآن الخلافة لم تلغ ولا تزال موجودة في اسطنبول وهو ما جعل بعض القادة المعارضين لأتاتورك ينضمون للخليفة ويزورونه، كما شنت صحافة اسطنبول حملة علي قادة " أنقرة ".

وهو ماجعل " عصمت أينونو " يقول " إن رأس الخليفة التي لا تزال الرغبة تداعبها في التدخل بمقدرات الأمة سوف نبادر إلي قطعها "، واعتبر " الخلافة " زائدة في التاريخ العثماني وأنه لا بد من إلزتها⁽¹⁾، ونوقشت خطة إلغاء الخلافة بين " أتاتورك " وأينونو " وعرضت علي المجموعة البرلمانية لحزب الشعب وأعد مشروع قانون إلغاء الخلافة⁽²⁾ ووقع عليه الشيخ " ثروت "

(1) نفس المرجع، ص 82 - 83 وأيضاً هـ. س. أرمسترونج، الذنب الأغبر، م. س. ذ، ص 193 وفي الموضوع راجع أيضاً عبد العزيز محمد عوض الله، الحياة الحزبية في تركيا الحديثة، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، 2002، ص 17.

(1) محمد رشيد رضا، مجلة المنار، المجلد 23، الجزء 10، ص 772 تورد الجدل حول الخلافة من جانب أتاتورك ومن معه خاصة رضا نور وكيف أن الأغلبية كانت تعارضهم وأن أتاتورك والذين معه وظفوا الدين لصالحهم.

(2) نفس المرجع، ص 85 - 86 وعن إلغاء الخلافة راجع أيضاً أرمسترونج، الذنب الأغبر، م. س. ذ، ص 200، وتذكر بعض المراجع أن إلغاء الخلافة الإسلامية وفرض القوانين العلمانية كان جزءاً من صفقة بين بريطانيا وبين النخبة التركية العلمانية الجديدة وعلي رأسها كمال أتاتورك صديق الإنجليز وعميلهم وفق هذه المراجع، بحيث يمنح لتركيا الاستقلال في مقابل إلغاء الخلافة وفرض القوانين العلمانية والحصول علي إقليم الموصل وراجع علي سبيل المثال: إبراهيم

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

مبعوث بورصة " والشيوخ
" صفوت " مبعوث " أورفه "، ووافق البرلمان علي ثلاثة قوانين هي:

1 - إلغاء الخلافة وإخراج أفراد الأسرة العثمانية إلي خارج البلاد في ظرف عشرة أيام، وتؤول قصورهم وممتلكاتهم إلي الشعب.

2 - إلغاء وكالة الأوقاف الشرعية.

3 - إلغاء وكالة الأركان الحربية العمومية.

- أصبحت تركيا دولة جمهورية علمانية لا تصدر قراراتها أو سياستها عن مرجعية دينية، وكان لا بد من إصدار دستور جديد لها عرف " بقانون التشكيلات الأساسية رقم 491 " في 20 من إبريل عام 1924م، وظل هذا الدستور هو دستور تركيا حتي عام 1960 م.

وبمطالعة الدستور نجد أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام في المادة الثانية منه، كما أن المرأة لم تكن تتمتع بحق التصويت والترشيح، وتعرض هذا الدستور لحوالي سبع تعديلات كانت باتجاه ترسيخ العلمانية وجعلها ديناً بديلاً للدولة الجديدة، ففي عام 1937 تم تعديل المادة الثانية من الدستور⁽¹⁾ لتقرأ علي النحو التالي " الدولة التركية هي جمهورية قومية مركزية علمانية ومتطورة "، وكما يقول " محمد ياشار " أنه من الممكن أن نتصور أنه عندما توفي أتاتورك عام 1938م، كانت البلد كلها

الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1407هـ - 1986م، ص 27 - 33 وهو يعتمد علي مذكرات رضا نور بشكل قوي والتي نشرتها مجلة المجتمع الكويتية. ويؤكد ذلك علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي، دمشق، 1982.

(1) Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, The Role Of Islam, Op. cit, p4. وعن دستور تركيا الأول عام 1924 م راجع: الصفصافي أحمد مرسي، التطور الديمقراطي في تركيا الحديثة، م. س. ذ، ص 88 - 90.

1925م⁽¹⁾.

- أعلن حزب الشعب قانون " إقرار السكون " في 4 مارس 1925 م، والذي تضمن ضرورة سحق " ثورة الشيخ سعيد " عسكريا، ثم القضاء علي التحركات التي تهدد أمن الدولة، واتهم الحزب " الجمهوري التقدمي " بالرجعية، وبدعم التمرد ضد الجمهورية، وتعرضت الصحف الإسلامية للإغلاق ومنها صحيفة " سبيل الرشاد " وصحيفة " توحيد أفكار " وتعرض الشاعر " محمد عاكف أرسو ⁽¹⁾ للمساءلة، وشن حزب الشعب الجمهوري حملة تكميم الأفواه للمتقنين والصحف التي تعارض الحزب وسياسته، كما عرفت البلاد حملة تصفيات واسعة بلغت أوجها ضد من اتهموا بمحاولة اغتيال " أتاتورك " عام 1926⁽²⁾.

- هنا سوف نلاحظ أن ما أطلقنا عليه " التيار المحافظ " هو تعبير عن رؤية فكرية وسياسية تدعو للتعددية واحترام حقوق الإنسان وفي نفس الوقت الدعوة لاحترام الدين والمعتقدات الدينية وأخذها في الاعتبار بحسبان أن الشعب التركي أغليته مسلمة، وهذا التيار هو المعادل الموضوعي في الحياة السياسية التركية للتيار العلماني الاستنصالي الذي

(1) عن الحزب الجمهوري التقدمي وكيفية تكوينه وأعضاؤه وأفكاره راجع: نفس المرجع، ص 93 - 99.
(2) عن تفصيلات القمع والإرهاب الدموي التي أشاعتها محاكم الاستقلال التي كانت محاكم عسكرية راجع: أرمسترونج الذنب الأغبر مصطفى كمال، م. س. د، ص 206 - 210 حيث ذكر أن كمال أتاتورك كان يوقع الحكم علي معارضيه بالإعدام من رفاقه السابقين دون أن تهتز في وجهه عضلة واحدة وهو يضع سيجارته جانبا ويوقع علي الحكم بالموت علي ذلك الصديق القديم الحميم، وكان " بالد علي " رئيس هيئة المحكمة يفتخر ويتباهي بأنه حكم بالشنق علي عدد من الأتراك يفوق العدد الذي حكم عليه أي تركي منذ عهد السلطان " محمود الثاني ". وحتى عام 1926 كان حزب الشعب قد نشر الرعب والخوف بين الناس وأرسي تقاليد الجاسوسية والخلط بين الإدارة والحزب الذي انتشر في ربوع تركيا، ويمكننا القول إن التقاليد التي أرساها أتاتورك في تركيا استلهمتها نظم الحزب الواحد والأنظمة العسكرية التي عرفتها دول العالم الثالث بعد الاستقلال.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

يمثله حزب الشعب الجمهوري وخلفاؤه، وهذا التيار سوف يعرف بالضرورة دخول التيارات الإسلامية والمناهضة للعلمانية الاستثنائية تحت مظلته، سوف نرى ذلك في الحزب الديمقراطي بقيادة “ عدنان مندريس “ ثم حزب العدالة وريث الحزب الديمقراطي ثم حزب الوطن الأم بقيادة “ تورجوت أوزال “ وأخيرا “ حزب العدالة والتنمية “ بقيادة “ رجب طيب أردوغان “.

ثانيا: حزب الشعب وعلمة الجمهورية التركية:

- تبني حزب الشعب الجمهوري أيديولوجية عبرت عنها مؤتمراته

وهو
“ الجمهورية والعلمانية والملية والشعبية والدولتية والانقلابية “، وكما
يقول
“ أرمسترونج “ فإن أتاتورك الذي يقبض علي حزب الشعب وعلي
الجمعية الوطنية وعلي الدولة بكاملها أراد أن يهدم كل التاريخ والتراث
التركي قبل أن يبدأ في بناء الجمهورية العصرية الجديدة، وفي سعيه لذلك
قام بالإجراءات التالية:

1 - حذف من الدستور المادة التي تنص علي أن الإسلام هو دين الدولة “ قانون 9 إبريل 1928 م “ وأبطل وظيفة شيخ الإسلام واستبدلها بوظيفة مدير الأمور الدينية، وأعلن فصل الدين عن الدولة ولم يعد رئيس الجمهورية يقول “ أقسم بالله العظيم “ في صيغة اليمين التي يحلفها كرئيس للجمهورية ولكن يقول “ أقسم بشرفي بألا أعمل عملا يضر بسعادة الأمة ولا بسلامة الوطن ولا يمس سيادة الأمة المطلقة التي لا يحدها شرط ولا قيد وأقسم بشرفي أن أكون وفيا لمبادئ الجمهورية “.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

2 - أمر بكتابة القرآن الكريم باللغة التركية الجديدة، وترجمته إلى اللغة التركية، وأحل اللغة التركية محل اللغة العربية في الصلوات والدعوات، فإذا ذكروا اسم الله قالوا “ تاكري ” ويقولون “ تاكري أولودر ” أي الله أكبر.

3 - طهر اللغة التركية من الكلمات الدخيلة عليها من الكردية أو الفارسية أو العربية أو اليونانية وألف لجنة لوضع معجم لها ودعا رجال الصحافة والإعلام ورجال العلم لمعاونة اللجنة في مهمتها وبث الدعوة لاستعمال اللغة التركية في كل شئ (المراسلات، السينما، التليفون، الشكاوي والظلمات، قوائم الطعام، العرائض والعقود، وجميع مراسلات الجهات الحكومية) ومن يخالف يحكم عليه بغرامة فإذا عاد منع نشاطه حتي لو كان بائعا متجولا.

4 - غير الأعلام العربية بأعلام تركية.

5 - جعل لكل عائلة لقبا تركيا لسهولة تمييز الأشخاص ولسهولة معرفة العائلات التي ينتسبون إليها، وصار لكل عائلة تركية اسم خاص تعرف به، فمصطفى كمال حذف اسم “ مصطفى ” وسمي نفسه “ كمال أتاتورك ” أي أبو الأتراك وعصمت “ سمي نفسه “ عصمت أونونو “.

6 - أبطل المحاكم الشرعية “ 17 إبريل 1924م ” وأحل محلها محاكم نظاميه.

7 - أبطل الحجاب والنقاب وصارت المرأة التركية سافرة الوجه، واختلط النساء بالرجال واشتركن معهم في كافة مظاهر الحياة، في السينما، والمسرح، والنوادي العامة السياسية والعلمية والرياضية وفي الأعمال التجارية والمالية والإدارية، وفي الإدارات والمصالح الحكومية.

8 - سن قوانين وضعية، فأخذ القانون المدني من سويسرا (في 4 إبريل 1924م)، وقانون العقوبات من إيطاليا، والقانون التجاري من ألمانيا وإيطاليا وقانون المرافعات من سويسرا وألمانيا، وقانون الجنايات من ألمانيا، وأدخل فيها كلها أوفق الأحكام الواردة في القوانين الفرنسية.

9 - ألغي وزارة الأوقاف والأمر الدينية.

10 - أحل التقويم الميلادي محل التقويم الهجري (مرسوم 26 ديسمبر 1926).

11 - أبطل استعمال المقاييس والموازين الشرقية واستعاض عنها بالمقاييس والموازين الغربية ليسهل المعاملات التجارية بين تركيا والبلاد الأوروبية.

12 - أبطل استعمال الأرقام العربية واستبدالها بالأرقام الأفرنجية (مرسوم 24 مايو 1928) كما أبطل الحروف العربية واستبدالها بحروف أفرنجية، وأجبر جميع الموظفين علي استخدام الحروف الأفرنجية، وأمر بعزل كل موظف يستعمل الحروف العربية، كما أمر بحرمانه من جنسيته التركية، وأمر بعدم الإفراج عن المسجونين بعد انتهاء مدة عقوبتهم إذا لم يتعلموا القراءة والكتابة بالحروف الأفرنجية.

13 - أبطل لبس الطربوش بالنسبة للموظفين من 3 سبتمبر عام 1925 م، وبالنسبة لكافة الأتراك من 20 نوفمبر من نفس العام، واستعاض عنه بالقبعة، واستبدل الملابس الشرقية بالملابس الغربية وحذا النساء حذو الرجال ولبسن الملابس الغربية والقبعة الأفرنجية.

14 - أبطل جميع التكايا، والطرق الصوفية وصادر أملاكهم.

15 - ساوي بين الرجل والمرأة في كل شئ في الحقوق السياسية

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

والواجبات الوطنية وفي الحقوق المدنية والانتخابات والتجنيد والمواريث (قانون 5 ديسمبر 1934) وأصبح النساء يُنتخبُن ويُنتخبُن، وأنشِجَتْ 17 سيدة في الجمعية الوطنية الكبرى (عام 1935)، واشتركن في الوزارة

مثـل
“ خالدة أديب “ وفي القضاء والتدريس والمحاماة والهندسة والمجالس البلدية وفي حزب الشعب وفي التدريس والمجمع العلمي.. الخ.

16 - جعل العطلة الأسبوعية يوم الأحد بدل يوم الجمعة، واستبدل التحية الشرقية بالتحية الغربية⁽¹⁾، ولم يكن أمر هذا التحول الثوري العنيف والمفاجئ تعبيراً عن حاجة تركية إليه، وإنما استجابة لوهم خاص في رأس

“ أتاتورك ” سول له أنه بتغيير القوانين والنظم العثمانية القديمة واستبدالها بقوانين غربية فإن ذلك سوف يغير حياة الناس إلى النمط الغربي ويجعل منهم أناساً متحضرين ومتمدنين علي حد قوله - لقد أراد أن يجعل من التركي المسلم العثماني الشرقي غربياً في روحه وتقاليده وتاريخه ولغته ونظام حياته الخاص والعام، ولو استحضرنّا مقولة السفير العثماني إلى فرنسا أيام السلطان أحمد الثالث “ محمد أفندي “ وهو يصف الإفرنج علي أنهم نمط من البشر والحضارة مختلف عن الترك فقال بعد وصف طويل “ وبالجملـة خذ تركياً واقبله رأساً علي عقب يتمثل أمامك

(1) اعتمدنا بشكل أساسي في رصد عمليات الهدم التي قام بها أتاتورك علي كتاب: عزيز خانكي بك، ترك وأتاتورك، المطبعة العصرية، مصر، الفجالة، د.ت، ص 30 - 57 وراجع في الموضوع نفسه: محمد مفتي الجرايرلي، تقرير عن تركية وانقلاباتها الحديثة بعد الحرب، مرفوع إلي وزارة الخارجية المصرية، مطبعة مصر، د.ت، وهو يشرح التحولات الثورية التي قام بها أتاتورك في تركيا ويبدو أنه كتب قبل كتاب عزيز خانكي المشار إليه، إذ كانت الجمعة لا تزال الأجازة الرسمية قبل أن يتقرر الأحد أجازة رسمية، ص 28 - 50، وفرضت التحية بالإشارة بالرأس داخل المكاتب الحكومية بينما فرضت التحية برفع القبعة في الشارع.

الإفرنجي " وهاهي " الجمهورية الكمالية "، تغلب التركي رأسا علي عقب لتجعل منه إفرنجيا.

وفي كل ما صدر عن التغييرات المرعبة التي حاول إرساءها كان تبريرها الرغبة في الالتحاق بعالم الغرب المتحضر والمتمدن والانفكاك من عالم الشرق المتدين المتخلف⁽¹⁾، لحد أن بعض الدراسات الموثوقة نقلت عن معلقين أتراك أن " أتاتورك كان يود أن تكون " تركيا " مسيحية، وحيث أن لم يمكنه تحويل الأتراك عن الإسلام فقد حاول أن يضعف تأثيره بوسائل متعددة⁽²⁾.

وهنا الجمهورية الكمالية العلمانية وجدت نفسها في صدام مع مجتمعتها الذي لم يعد قادرا علي استيعاب هذه التحولات العنيفة والجذرية أو فهمها أو التجاوب معها، إنها حالة فريدة ربما لم يعرفها العالم من قبل حتي إبان الحكم اللينيني - الستاليني.

فالدولة الكمالية تحت عنوان التغريب والتحديث اللذين أصبحا ذا معني واحد تجد نفسها في صدام عات مع الجماهير استخدمت فيه كامل سلطتها بالمفهوم الواسع لتجبر المجتمع علي ما تريده و الذي هو ما يريده " أتاتورك " الذي أصبح عنوانا لأيديولوجية فاشية متصلبة " هي الكمالية " (3).

1) (Philip Robins, Turkey And The middle East (London: Pinter Puplichers, Royal Institue OF International Affairs, 1990) p. 7.

(2) وفي نفس الموضوع راجع أيضا: شيرين هنتر، الحركة الإسلامية وأبعادها المعادية للغرب، شؤون الأوسط، خريف 2002، ع 108، ص 64 - 65.

3) (Hugh Poulton, Top Hate, Grey Wolf and Crescent, Turkish Nationalism and The Turkish Republic, U. K: C. Hurst, 1997, p, 102.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

ثالثاً: الكمالية في مواجهة المجتمع :

قاوم الشعب التركي الإجراءات الكمالية فكانت هناك معركة كبيرة هي معركة “ الطربوش والقبعة ” إذ رفض التركي أن يصلي بالقبعة واعتبرها عنواناً للكفر وتقليداً للغرب، وكثير من العلماء أفتوا بحرمة ارتدائها بل إنهم أفتوا بكفر من يعتّمها، لأن المسألة هنا طرحت في إطار صراع ثقافي متصل بتهديد الهوية الإسلامية فأنتوروك قال: “ إذا أردنا أن نكون شعباً متمديناً فينبغي أن نرتدي ثياب المتمدينين الدولية، أما الطربوش فهو رمز الجهل ” ⁽¹⁾، وكان من قبل إبان حرب الاستقلال يستنفر الناس للمقاومة قبل أن يأتي الكفار ويرغمونهم علي ارتداء القبعة، لقد كان ارتداؤها يعني الكفر والارتداد عند المواطن التركي العثماني المسلم.

وفي مرعش قال أحد علماء الدين وهو علي المشنقة: “ إن القبعة من علامات الكفر ولبسها كفر، وأنا أحمد الله أنني أموت دون أن ألبسها

وهناك في الواقع العديد من الدراسات التي توافرت علي رصد الكمالية كأيديولوجية متصلة وديكتاتورية منها:

H. C. Armstrong, Grey Wolf - Mustafa Kamal - An Intimate Study of Dictator(London: Arthur Barker, 1932) p. 244 .

Suna Kili, Kemalism (Istanbul: Ropert College Research Center, 1969) And Mehmet Dogan, kemalism (Istanbul: Alternatif Universtie, 1992).

وهناك العديد من الدراسات التي تعاملت مع شخصية كمال أأتورك باعتبارها شخصية نرجسية. يغلب عليها المزاج السوداوي الحزين والذي يجعل مثل هذا القائد يميل للخيال وعدم الواقعية راجع مثلاً:

Volkan. V. D. 1980, Narcissistic Personality Organization and “REPRATIVE” Leadership, International Journal Of Group PSYchotherapy 30: 131:52

Andro Mango, ATATURK(London: Johan Murray, 2004) pp 500 – 510.

وانظر عرضاً لهذا الكتاب في: البيان الإماراتية، بيان الكتب، 2005/5 /23 م.

(1) أر مسترونج، الذئب الأغبر، مصطفى كمال، م. س. د، ص 215.

“ويروي أحد شهود العيان المسنين “ كنت أمر من الميدان الذي كان يتدلي فيه المشنوقون، لم يكن هناك أحد باستثناء بعض الجندرمة، وبدأت الرياح تهب، ولا أستطيع أن أنسى منظر اللحي البيضاء وهي ترف مع الريح “، وأعدم أحد رجال الدين لأنه كتب رسالة في تحريم القبعة قبل صدور قانون ارتدائها بعام⁽¹⁾، وأثر بعض علماء الدين ترك البلاد علي قبولهم لبس القبعة.

- عارض “ حزب الترقى الجمهوري “ الوجه اللاديني لسياسات حزب الشعب بسفور أشد إصرارا فقد أعلن أن التوجهات الكمالية لادينية ومعادية للإسلام، واستمع الشعب لصيحته فالتحق به خلق كثير بل ولبي ندائه عدد كبير من الضباط الذين استقالوا من الجيش واستعدوا للجهاد تحت لوائه، وزلزل حزب الشعب زلزالا كبيرا، وشن “ أتاتورك “ عليهم حملة خطابية لتأليب الشعب عليهم قال في إحداها: “ هل ينتظر من قوم دستورهم بيرق يرفعونه بأيديهم أن يكونوا حسني النية؟ أليس هذا هو بيرق الخداعين الذين استغلوا الجهال والمتعصبين وعباد الخرافات منذ قرون ليحققوا مآربهم الشخصية؟ “.

(1) إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 40، راجع فتوي عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية عن لبس القبعة والتي كانت إجابة لسؤال مفتي المسلمين ببلاد اليونان في عزيز خانكي بك، ترك وأتاتورك، م. س. ذ، ص 39. راجع محمد عرفه، المنار، المجلد 27، الجزء الأول، وهو بيان أصدره المعهد الديني بالاسكندرية وتأثر بمسألة فرض القبعة في تركيا ودعا البيان لرفضها، ولمحمد رشيد رضا نفسه عدة فتاوي في المنار حول ارتداء البرنيطة وقد ذكر أنها في ذاتها ليست حراما وأن المسلم يمكنه ارتداء أي زي إلا إذا كان ارتداؤه سببا لمفسدة أخرى كترك الصلاة أو ترك عادات المسلمين واتباع الغربيين وراجع محمد رشيد رضا، المنار، المجلد 26، الجزء 6، صفحة 416.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

وفي الأشهر الأولى من عام 1925م كان الرأي العام في ولايات الأناضول الشرقية يؤمن أن الدين قد ضاع “دينك الدن كيتديكي” وبأن لا بد من العمل السريع وقاد هذه الحركة كما أوضحنا الشيخ سعيد الكردي النقشبندي - الذي شرع أتباعه في مهاجمة بعض المدن، وأعلنت التعبئة الجزئية وهوجمت معاقل التمرد في مارس 1925م.

وقبض علي الشيخ وأعدم في نفس العام، وأضيفت مادة جديدة لقانون الخيانة الوطنية “وطن خيانتی قانونی” ونصت علي أنه لا يجوز أن تتكون جمعيات تستند في تحقيق غاياتها السياسية علي الدين أو المقدسات الدينية وعلي أن كل من يؤسس جمعية من هذا القبيل أو يشترك فيها هو خائن للوطن “وطن خائنی”⁽¹⁾. لقد ثار أتباع الشيخ “سعيد الكردي النقشبندي” ضد ما اعتبروه “إصلاحات إلحادية” “atheistic reforms”⁽²⁾.

هذه أول حركة لها طابع صوفي تقاوم حزب الشعب الجمهوري، وفي “سيواس” قويت الدعاية وكثرت المنشورات ضد اللادينية الكمالية وضد لبس القبعة وفي “قيصرية”، أعلن أحمد حمدي النقشبندي نفسه خليفة للشيخ
 “سعيد”، وفي أرضروم هاجم الأهالي مبني المحافظة تحت قيادة خوجه “عثمان” ونشبت حوادث مماثلة في “مرعش”، وغيرها من الأقاليم⁽³⁾.

(1) أحمد السعيد سليمان، التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة، القاهرة: دار المعرفة، يناير 1961، ط1، 70 - 72.

(2) (John Parker, M. P and Charles Smith, Modern Turkey) London: George Routledge&Sons, ltd, 1940(pp. 148 - 149).

(3) إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. د، ص 50.

- في عام 1930 وفي مواجهة المعارضة الدينية المتزايدة لمشاريع "الباش معلم" فكر في أن ينظم المعارضة بحيث تكون مستأنسة لا تصدر عن رأي حقيقي في مواجهة مبادئ حزب الشعب الجمهوري، واستدعي سفيره في باريس "فتحي أوقيار" وأذن له في تأسيس "الحزب الجمهوري الحر" سر بست جمهوريت فرقة سي"، وكان برنامج الحزب الجمهوري ينص على أنه "جمهورية قومي" ولاديني"، كما أنه صنيعة "أتاتورك" للضغط على "عصمت أونونو" ولإظهار أن هناك معارضة حزبية في تركيا للعالم الخارجي.

فقد كان النظام الديكتاتوري موضعاً للانتقاد في الغرب، وكانت المفاجأة أن الجماهير خرجت في الزوارق والسفن والفلوكات متجهة لتقابل السفينة التي جاء بها "فتحي أوقيار" إلى أزمير وهي تهتف "ليحيا فتحي بك.. وليحيا الحزب الجمهوري الحر"، وكان المشهد كله تعبيراً عن رفض الجماهير لحزب الشعب الجمهوري ولسياسة كمال أتاتورك، وبدأت الجماهير التي جاءت لميناء أزمير كعملاق بمئة ألف رأس كما وصف أحد المعلقين⁽¹⁾.

بيد أن المعارضة الدينية المعادية لإجراءات "أتاتورك" والممثلة بشكل أساسي في الطريقة النقشبندية انضمت للحزب الجديد، وما لبثت

(1) عن تفصيلات وافية حول نشأة الحزب الجمهوري الحر ومبادئه وأعضائه والمداولات التي جرت بين "أوقيار" و"أتاتورك" وعن الانقلاب الذي أحدثه الحزب في الحياة السياسية التركية بما لم يكن متوقعا راجع: الصفصافي أحمد مرسي، التطور الديمقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة، الجزء الأول،

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

الأمر أن تطورت بسرعة حيث تحولت المعارضة النقشبندية إلى معارضة مسلحة بقصبة “ منمن “ بقيادة الشيخ محمد “ (2) الذي صورته حزب الشعب الجمهوري علي أنه رجل مجنون، ونفذ حكم الإعدام في المدنيين المشاركين في الحادث بلا محاكمة وتم تهجير أهالي قصبة “ منمن “ لأنهم وقفوا موقف المتفرج، وقبض علي زعماء “ الحزب الجمهوري الحر “ رغم أنهم كانوا أغلقوا الحزب قبل هذه الأحداث بثلاثة أسابيع.

وتم طرد الضباط المنتمين للطريقة النقشبندية. وظلت الحكومة تحتفل بذكرى الضابط “ قوبيلاي “ علي أنه شهيد بينما كان الأهالي يحتفلون بذكرى الشيخ “ محمد “ ولذا أوقفت الدولة الاحتفال⁽¹⁾.

- الدلالة التي يقدمها “ الحزب الجمهوري الحر “ هي أن الشعب التركي قد آيس من سياسة “ أتاتورك “ الفاشية التي بدت فيها الدولة كوحش مفترس في مواجهة مجتمعا، وهو ما جعل المجتمع يضج بالسخط المكتوم، وما أن وجد مساحة للتعبير عن غضبه حتي استغلها لأقصى حد ممكن.

ولعل الكلمات التي قالها والد الصبي الذي قتل يوم مجيء “ أوقيار “ لأزمير وخروج الناس في فيضان جارف لمقابلته تعكس مدي نقمة الشعب التركي بعد ست سنوات عجاف من حكم حزب الشعب الجمهوري لتركيا “ الولد فداء لك ومستعدون لتقديم المزيد، المهم أن تنقذنا، الخلاص علي

(2) أحمد السعيد سليمان، التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة، 73 - 74

(1) إبراهيم الدسوقي شتا الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 50 - 51.

يديك “ (2).

وفي الانتخابات البلدية التي جرت عام 1930 وشارك فيها الحزب الجمهوري الحر “ حصل علي 30 بلدية من مجموع البلديات التي وصلت 205 ولكن فتحي أوقيار كتب في مذكراته “ الحزب الحر كان يكسب في كل مكان ندخل فيه الانتخابات، وانهزم حزب الشعب بشكل غير متوقع، وكان الجميع بدون استثناء يعرفون ذلك، وكان من الواضح للعيان أنه لو استمرت هذه الظروف علي ما هي عليه فإن حزب الشعب الجمهوري سيفقد أغليتيه، وسيسقط من السلطة في انتخابات مجلس الأمة الكبير التي تقترب، وأظن أن هذه النتائج قد أثرت جدا في نفس الغازي “ (1).

وكما تشير المراجع المختلفة فإن القوانين العلمانية التي فرضها أتاتورك لم تتجاوز المدن الكبرى، لكنها بقيت هامشية وغير محسوسة بالنسبة للغالبية العظمى من الشعب التركي والذين يقطنون الأرياف والذين تزيد نسبتهم عن 80% من مجمل السكان وهؤلاء ظلوا يعيشون وفق التقاليد الإسلامية، بل إن الإسلام ظل ينظر إليه باعتباره أمرا لا يمكن التضحية به أو الاستغناء عنه للعديد من النخب الحضرية، كما أن النخب التي استصوبت العلمانية واعتبرتها دينا بديلا متأثرة في ذلك بالكمالية ظلت معزولة عن الجماهير الإسلامية الكارهة لها، ولم يجد حزب الشعب

(2) الصفصافي أحمد مرسى، التطور الديمقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة، الجزء الأول، م. س. ذ ص 118.

(1) الصفصافي أحمد مرسى، التطور الديمقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة، الجزء الأول، ص 127.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

بدا من الاستجابة لفيضان المشاعر الإسلامية لهذه الجماهير في أواخر عام 1940 حين دخل في منافسة مع الحزب الديمقراطي وذلك للحصول علي أصواتها⁽²⁾.

رابعا: جدل العلاقة بين الدين والدولة بعد وفاة أتاتورك :

- عقب وفاة أتاتورك في نوفمبر عام 1938م وانتخاب “ عصمت أونونو “ رئيسا للبلاد في اليوم التالي مباشرة، وفي الاجتماع الطارئ لحزب الشعب الجمهوري عدلت اللوائح حتي يمكن انتخابه رئيساً للحزب مدي الحياة وأن يكون “ أتاتورك “ هو مؤسسه ورئيسه الأبدي⁽³⁾، واسـ_____تمر “ أونونو “ في محاولة إخضاع تركيا للعلمانية بشكل أكثر ضراوة فقد زاد من العقوبات المفروضة علي المعارضين لقانون القبعة عام 1941، واستصدر قانوناً يفرض الأذان باللغة التركية⁽¹⁾. وعمق من تبعية الإدارة للحزب، وأعلي من مفهوم الدولتية علي حساب الحرية الفردية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية للعمال والجماعات المختلفة وفرض المزيد من الرقابة علي الصحف والمطبوعات وعمق من الطابع الديكتاتوري للدولة⁽²⁾.

(1) Hugh Poulton, Top Hat, Grey Wolf and Crescent, Turkish Nationalism and Turkish Republic, opcite, pp. 168 – 170.

(3) الصفصافي أحمد مرسي، التطور الديمقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة، الجزء الأول، ص 135.

(1) صبري توفيق همام، الإسلام والعلمانية بين السياسي والثقافي، مجلة الديمقراطية، ع 14، 2004/4/1، ص 104.

(2) الصفصافي أحمد المرسي، التطور الديمقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة، الجزء الأول، ص 138، فلم يكن مسموحاً للعمال بالإضراب، وحين صدر قانون الجمعيات عام 1938م منع بشكل بات أي جمعيات تكون مبنية علي أساس منفعة مشتركة، ولم يسمح بتشكيل أحزاب سياسية

بيد أن التحالف الاقتصادي الاجتماعي الذي قامت عليه الجمهورية بدأ يتعرض للتفكيك، وظهرت قوي اجتماعية واقتصادية جديدة منوئة للتحالف العلماني الجمهوري، كما أن الفساد والانتهازية والنهب وتغليب المصالح الشخصية انتشر بشكل واسع بين فئات المتنفعين من التداخل بين شبكات حزب الشعب الجمهوري وبين الدولة التركية فيما يعرف بظاهرة الحزب الواحد في الدول المتخلفة⁽³⁾.

وكما يشير " كمال كربات " فإن أيديولوجية حزب الشعب الجمهوري التي قامت علي فكرة منع الصراع بين الطبقات كان عليها إما أن تقضي علي الظروف المنتجة للصراع أو التسليم بقبول التطور الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع ووضعه في الحسبان⁽⁴⁾، وهنا تبدو مشكلة بنيوية عكستها " الأيديولوجية الكمالية اللادينية " وهي الفجوة بين البني السياسية للدولة وبين البني الاقتصادية والاجتماعية والدينية لها، وهو ما عبر عن توتر وقلق كان لا بد من أن يقود لما يطلق عليه "

ومنع الجمعيات الماسونية التي كانت تباشر نشاطها إبان الفترة الكمالية، وأعطى للبوليس الصلاحية الكاملة للقبض علي أي شخص بدون إذن نيابة وحبسه إلي ماشاء الله، وفرض رقابة علي الصحف اليومية والمطبوعات الجديدة.

(3) عن ظاهرة الحزب الواحد في الدول المتخلفة أو الفاشية راجع: أسامة الغزالي حرب، الأحزاب السياسية في العالم الثالث، م. س. د، ص 150 وما بعدها.

(2) Kamal H. karpat, Turkey, s Politics: The transition to Multi - Party System (Newjersey: Princeton University Press, 1959) pp. 32, 48 - 64.

(1) عن الوظيفة التطويرية للنظم السياسية راجع: حامد ربيع، مذكرات في النظرية السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، غير منشورة، عام 1978 م.

علي سبيل المثال فإن اللجنة التي ألغت كتاب " تاريخ " ونشرته وزارة المعارف التركية سخرت من الشريعة الإسلامية التي وجدت لتستجيب لمطالب الحياة في الجزيرة العربية منذ أربعة عشر قرناً، كما سخرت من اجتهادات الفقهاء التي وصفتها بالبدائية واعتبرت القانون السويسري أوفي لمطالب الحياة الاجتماعية لتركيا الحديثة وراجع، أحمد السعيد سليمان، التيارات القومية في تركيا المعاصرة، م. س. د، ص 63

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

الوظيفة التطويرية للدولة“.

- بدت الاستجابة للتطور من قبل حزب الشعب الجمهوري تجاه الإسلام الذي كان الأكثر تضرراً و تعرضاً للإهانة والازدراء⁽¹⁾، فتقرر عودة الوعاظ إلي الجيش في سنة 1940 كأول خطوة رسمية عبرت عن إعادة الاعتبار للدين الإسلامي، وأعيدت مقررات التعليم الديني في المدارس الابتدائية، وفي دورات الوعاظ، وأعيد تأسيس كلية الإلهيات وافتتحت عام 1949 م⁽²⁾.

وتقرر ترجمة دائرة المعارف الإسلامية التي كتبها مجموعة من المستشرقين إلي اللغة التركية، وارتفعت أصوات الإنتلجنسيا الإسلامية لتنبيه إلي أن دائرة المعارف الاستشراقية تنطلق من رؤية معادية للإسلام وقرر هؤلاء وعلي رأسهم " أشرف أديب " أن يصدروا دائرة معارف خاصة بهم تحت عنوان " دائرة المعارف الإسلامية التركية " وانضم إلي " الإنتلجنسيا الإسلامية الجديدة " بعض كبار الضباط الذين تقاعدوا أمثال " فوزي مردين " والذي تفرغ للأبحاث الدينية وتفسير القرآن الكريم⁽³⁾.

وتشير المعلومات الصادرة عن وزارة العدل في فترة ما بعد أتاتورك إلي أن هناك 89 قضية عرضت علي المحكمة عام 1947م وخضعت لقانون العقوبات منها 29 لمؤذنين قبض عليهم لرفعهم الأذان باللغة العربية ورفض الانصياع للقانون الذي يفرض رفعه بالتركية، بينما قبض

(2) Hugh Poulton, Top Hat, Grey Wolf and Crescent, Turkish Nationalism and Turkish Republic, opcite, pp.

(3) إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. د، ص 58.

علي 569 شخصا لارتدائهم الطربوش أو العمامة أو غطاء الرأس وليس القبعة⁽¹⁾.

وبدأت العلمانية تطرح علي النقاش العام حتي داخل حزب الشعب الجمهوري نفسه الذي أكد في بياناته الصادرة عن مؤتمراته العامة أنه حزب علماني وأن العلمانية التي تستبعد الدين من الحياة العامة ومن السياسة هي الطريق للنجاح واللاحق بالحضارة المعاصرة، وأن السماح بتقرير التربية الدينية في المدارس الابتدائية كمادة اختيارية تستبعد كل التفسيرات المتعصبة التي تتعارض مع الدين الإسلامي الحقيقي، وفي عام 1946م ثار جدل في الجمعية الوطنية حول ضرورة دعم الروح الوطنية في مواجهة الشيوعية بالدين، وفي عام 1947 اقتنع بعض أعضاء الحزب الجمهوري بما أثير في الجمعية الوطنية بأهمية الدين لحماية السلوك الأخلاقي، وأن السياسة المعادية للدين من جانب الحكومة تدمر الأخلاق⁽²⁾.

- رغم المقاومة من جانب التيارات اللادينية المسيطرة علي حزب الشعب الجمهوري فإن العلمانية الكمالية المتصلبة أصبحت في مأزق، وأنه لا بد من تأويل جديد لها يستبعد الروح العدائية الكامنة في داخلها للدين الإسلامي⁽³⁾.

وظل السؤال حول الدين مطروحا بقوة في وسائل الإعلام التركية

(1) Mehmet yasar geyikdagi, political parties in turkey, Op. cit, p. 65.

(2) Ibid, p 67.

(3) يصف " نظام مارديني " العلمانية الأتاتورية بأنها " دين علماني بديل، وأنها أصولية علمانية في طبعة قومية فاشية " وراجع: نظام مارديني، الديمقراطية التركية مسرحا لجدل الإسلام والعلمانية، الحياة، أكتوبر 2001، ص10

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

المرئية والمسموعة وحتى داخل الجدل الرسمي في الجمعية الوطنية ذاتها. ولاحظ بعض المشاركين في هذا الجدل أن الدين محترم في الحياة الخاصة ومنفتح علي المحيط الاجتماعي في العالم الغربي، وانتهي هذا الجدل إلي ضرورة تكيف التقاليد والتعاليم الدينية الإسلامية مع التأويلات العلمانية التي تستلهم قواعد العلم والتي يمكنها تخفيف الصراع بين الدين والعلمنة. واقترح المتجادلون ضرورة توافر المزيد من رجال الدين المتنورين لمحاربة الخرافة والخزعات المنتشرة بين العامة، ولقطع الطريق علي الأيديولوجيات المعادية للجمهورية من البزوغ والانتشار⁽¹⁾.

- سمح للمدارس الدينية الخاصة بمباشرة عملها في سبتمبر عام 1947م وفق قانون المدارس الخاصة، وقررت وزارة التعليم أن فتح مثل هذه المدارس يكون بناء علي طلب رسمي، وأنه لا توجد مقررات أكثر من تلك التي تفرضها الحكومة، وأن اللغة التركية هي التي تستخدم داخل هذه المدارس بما في ذلك قراءة القرآن والصلاة، وحذرت تعليمات وزارة التعليم من أولئك الذين يحاولون استخدام الدين بطريقة أو أخرى في التأثير علي الناس.

وفرض قرار وزارة التعليم الذي جعل من مادة الدين اختيارا في المدارس الأولية قيودا مثل ألا تكون حصة الدين خصما من وقت حصص المواد الأخرى، وأن الرسوب في مادة الدين أو النجاح لا يؤثر

(1) عن التيارات المتعددة حول تأويل العلمانية راجع: صبري توفيق همام، الإسلام والعلمانية بين السياسي والثقافي، م. س. ذ، ص 104 - 105 حيث يقسم هذه التيارات إلي محافظين يرون أهمية الدين لتطوير الجانب الروحي للفرد والمجتمع، وهو نظام تربوي لا يمكن الاستغناء عنه، والمعتدلون وهم أقرب للمحافظين ويرون الدين تعبيرا عن حرية الضمير والاعتقاد الذي تقرها الجمهورية التركية، ومؤيدو العلمانية وهم الذين يرون الدين الإسلامي عاملا معوقا للتقدم والاتحاق بالحضارة المعاصرة ومن أبرز هؤلاء رجب بكر السكرتير العام للحزب الجمهوري.

في الانتقال إلى الصفوف الأعلى، ومن الضروري لالتحاق الطلبة بفصول تعلم مادة الدين أن يكتب أحد الوالدين طلباً رسمياً بذلك إلى إدارة المدرسة، وتعتمد المقررات علي كتب منشورة من قبل رئاسة الشؤون الدينية وأجازتها للدراسة وزارة التعليم التركية.

وفي 20 مايو عام 1948 قررت وزارة التعليم علي وجه السرعة فصولاً دراسية للأئمة والخطباء " Imam ve Hatip kurslari "، وبدأت في يناير عام 1949م بأنقرة واسطنبول، وتبعتها بعد ذلك مدن أخرى، هذه الفصول الدراسية التي كانت مدتها عشرة أشهر أعطيت للمتخرجين من المدارس المتوسطة وغيرها، ومع نهاية عام 1949 تخرج من هذه الفصول ما يقرب من خمسين شاباً، وأثناء الاحتفال بتخرجهم أكدوا أنهم لن يستغلوا مكانتهم في إشاعة التعصب الديني، وأنهم سيظلون أوفياء للروح العلمانية، وأوقفت هذه الفصول الدراسية حين أصبحت الدراسة منتظمة في مدارس الأئمة والخطباء عام 1951م.

وفي يونية عام 1949م أيضاً وافقت الجمعية الوطنية علي تأسيس كلية الإلهيات في أنقرة والذي صرح وزير التعليم التركي " بأنها لن تكون كالمدارس الإسلامية التقليدية وإنما ستكون كالمصباح الذي يفرع الخرافة ويلقيها في سلة المهملات "، ونظر إلى هذه المظاهر الجديدة باعتبارها عودة للدين الإسلامي⁽¹⁾.

(1) اعتمدنا علي رصد التحولات الدينية في تركيا في هذه الفترة بشكل أساسي علي كتاب:

Mehmet yasar. Op. cit, p 67 - 68.

كتاب في تركيا في الدينية للتحولات الدقيقة المتابعة أيضاً وراجع:

Hugh Poulton, Top Hat, Grey Wolf and Crescent, Op. cit, p. 170.

وأيضاً الكتاب المهم :

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

- كل ذلك الجدل والنقاش والقرارات المتصلة بالدين يتم في ظل سياق علماني صارم يقوده انكشارية الكمالية الجدد الذين حرصوا على ألا تكون هناك أية قوانين دينية متعارضة مع العلمانية.

ومع ذلك فإن السياسيين الذين فضلوا أن لا يعلنوا معارضتهم للدين قد ازدادت أعداهم بشكل ملحوظ حفاظاً على دعم الجماهير لهم، فالحقيقة التي لم تستطع العلمانية الكمالية أن تخفيها هي إصرار الشعب التركي على العودة للقيم الدينية والتي لعبت الدور الأهم في حياتهم اليومية منذ دخولهم للإسلام. فلم يعد بالإمكان منع المعتقدات الدينية من التعبير عن نفسها بين الناس، بل إن ما كان يعد من المحظورات الدينية وفق القوانين العلمانية للكمالية ظل يعمل بقوة في بعض الأماكن، و المعارضة للعلمانية الغالية بدأت تعبر عن نفسها داخل الحزب الجمهوري نفسه، ومع التحول ناحية نظام التعدد الحزبي عام 1946 م فإن التيارات الدينية سوف تعبر عن نفسها داخل فضاء أحزاب المعارضة.

* * *

Feroz Ahmad, The Turkish Experiment in Democracy, 1950 - 1975, (London: Hurst, 1977) pp. 21, 38.

وتشير "سوزانا بكيرنج" إلى أن كلية الإلهيات افتتحت عام 1900 ثم أغلقت عام 1919م لتصبح قسم العلوم الدينية، وشهدت انخفاضاً في طلبتها ما بين عام 1924 - 1933م، وتأسست عام 1933 م كلية الإلهيات في جامعة اسطنبول ولكنها أغلقت عام 1936 م وهي التي عبرت عن قمة الصعود العلماني للأيديولوجية الكمالية وراجع:

Susannah Pickering, Eslamic Eduction and The state in Turkey since 1980, (London University, 1992).

المبحث الثاني:

الإسلام والأحزاب السياسية في فترة التعددية السياسية (1946 - 1960م)

- العلمانية الأتاتورية حملت في داخلها بذور تناقضاتها التي لا تزال تركيا تتحمل أعباءها في أزمت أخطرها أزمة الهوية، كما أن أزمة الشرعية لاحقتها أيضا فهي تقدم نفسها للمواطن التركي وللعالم باعتبارها نموذجا للحدثة والعصرية والعقلانية والتقدم في مواجهة الارتداد والتخلف والرجعية، ولكن الممارسة عكست مدي تخلف وانحطاط هذه الأيديولوجية التي عكست روحا فاشية متصلبة هزمت في الحرب العالمية الثانية.

ولم يعد ممكنا تعيشها مع العصر وقيمه الجديدة، كما أن التطورات الداخلية في تركيا خاصة الأشواق الدينية التي قمعت بقوة وعنف غير مسبوقين كانت تبحث لها عن متنفس وبدا أن النظام السياسي العلماني للحزب الواحد أضيق من التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عاشتها تركيا حتي داخل الحزب الجمهوري نفسه.

أولا: إعلان التعددية الحزبية وظهور الحزب الديموقراطي :

- هذه التطورات كان لا بد أن تجد لها متنفساً وهذا ما شعر به “ عصمت أينونو ”، ووجد أنه لا مفر من إعلان التعددية الحزبية خاصة وأن

“ أتاتورك ” سبق له وأن حاول اصطناع حزب معارض من قبل هو “ الحزب الجمهوري الحر ”، فأتاتورك كان لديه شعور قوي بأن أحد أدوات العصرية والالتحاق بالغرب هو أن يكون هناك أكثر من حزب سياسي

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

واحد.

وفي نوفمبر عام 1945م أشار " عصمت أينونو " إلى أنه حان الوقت لإجراء تعديل رئيسي في نظام الحزب الواحد لكي نجعله متلائماً مع متطلبات العصر، فالنقص الرئيسي في النظام هو فقدان حزب معارض وأعلن أنه " للبقاء مع متطلبات البلاد والتعايش مع جو الحرية، والديموقراطية فإنه سيكون بالإمكان تكوين حزب سياسي آخر ".

- تشير المصادر إلى أن هناك سبباً داخلياً هو مناقشة لائحة الإصلاح الزراعي الذي تبناه حزب الشعب الجمهوري والذي جوبه برفض من بعض أعضاء الحزب، وسبب خارجي وهو توقيع تركيا علي اتفاقية تأسيس الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، والمطالبة بضرورة الالتزام بالاتفاقيات الدولية والمعايير الجديدة للنظم السياسية التي تحترم حقوق الإنسان وتمنح الناس حق الحرية والاختيار بما في ذلك الحق في الانتخابات الحرة بين أحزاب متنافسة.

وعبرت المجموعة المعارضة من الحزب الجمهوري عن نفسها بشكل قوي عند مناقشة ميزانية وزارة التجارة عام 1945م وإعدادها تقريراً يطالب بالحرية والديموقراطية والمراقبة والشفافية وتعدد الأحزاب، ورفضت الهيئة البرلمانية للحزب التقرير، ثم طردت المجموعة المعارضة التي كان يتزعمها " فؤاد كوبريللي "، " وعدنان مندريس "، " وجلال بايار "، " ورفيق قورالتان " (1).

(1) عن التطورات التي عرفتتها تركيا بعد الحرب العالمية الثانية والتي قادت إلى نظام التعدد الحزبي يمكن مراجعة العديد من المراجع: الصفصافي أحمد المرسي، التطور الديمقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة، الجزء الأول، حرب الاستقلال والجمهورية الأولى 1918 - 1960، م. س. د، ص 141 - 164، وأيضاً:

- أسست المجموعة التي طردها " حزب الشعب " حزبا جديدا باسم " الحزب الديمقراطي "، في السابع من يناير عام 1947 م بزعامه " جلال بايار "، وكان هو الحزب الثاني في تركيا بعد حزب " النهضة القومية " (1).

وهكذا دخلت تركيا مرحلة سياسية جديدة هي مرحلة التعددية السياسية والحزبية، وكما يشير " أحمد السعيد سليمان " في كتابه " التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة "، الحزبان كانا يمثلان في البداية جبهة متحدة ضد التيار الإسلامي الذي لم يضعف أبدا في الأناضول، فالحزب الديمقراطي وإن كان أقل في عدائه للدين من الحزب الجمهوري ولكنه كان حزبا " لا دينياً " (2). وجرت انتخابات المجالس البلدية الأولى في تركيا في ظل نظام تعددي وبانتخاب مباشر من الشعب في 26 مايو 1946 م، ولم يدخلها الحزب الديمقراطي.

تحول سلوك الحزب الجمهوري ليتجاوب مع الحالة السياسية الجديدة فألغى العديد من القوانين المقيدة للحريات والتي غل بها الحركة السياسية والمجتمعية للبلاد، وأجريت الانتخابات العامة في 21 يوليو 1946 م،

Bernard Lewis, The Emergence Of Modern Turkey (London: oxford university press, 1968) pp. 254 - 270.

وأيضاً:

kamal H. Karpat, Turkey, s Politics: Ttransition To Multi - Party System, Op. cit, p. 143 - 146..

(1) عن حزب النهضة القومية راجع: عبد العزيز محمد عوض، الحياة الحزبية في تركيا الحديثة، م. س. د، ص 43 حيث يذكر أن حزب النهضة القومي دخل الانتخابات المحلية عام 1946 م، واستطاع أن يحقق بعض النجاح، كما دخل انتخابات عام 1950 ولم ينجح في الحصول على أية أصوات، وأسس الحزب رجل الأعمال التركي " نوري داميراغ " وتأسس الحزب في يوليو عام 1945 م.

(2) أحمد السعيد سليمان، التيارات القومية في تركيا المعاصرة، م. س. د، ص 77.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

ورغم تردد قادة الحزب الديمقراطي في دخول الانتخابات لكن قواعد الحزب طلبت منهم دخولها فاستجابوا، وكان مؤيدو الحزب الديمقراطي من معارضي الجمهوريين يتعاضمون بشكل مذهل لدرجة أن الحزب صار له تنظيماته في كل أقاليم تركيا وحتى قراها.

وانضم للحزب المارشال “ فوزي جاقماق “ المشهور بتدينه وشرفه واستقامته وحب الناس له وكان له مكانة متميزة بين الجماعات الدينية، واتخذ الحزب الديمقراطي شعار “ كفاية.. خلاص “ (1) وفي هذه الانتخابات استطاع الحزب الديمقراطي أن يحصل علي 64 مقعداً معظمها في المدن الكبرى، وأن يحصل علي 18 مقعداً في اسطنبول من مجموع 27 مقعداً ولم تعلن النتائج إلا بعد ثلاثة أيام (2).

(1) الصفصافي أحمد مرسي، التطور الديمقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة، الجزء الأول، م. س. د، ص 158 حيث يشير إلي أن الأفيش الانتخابي للحزب الديمقراطي كان “ خلاص.. كفاية “، وكانت الجماهير تلتف حول الحزب بشكل غير مسبوق، كما أن منع الأحزاب اليسارية والدينية جعل المعارضة الدينية واليسارية معا تحاولان التعبير عن معارضتهما تحت لافتة الحزب الديمقراطي، ومن المصادفات القدرية المثيرة أن تكون حركة “ كفاية “ هي التي فجرت الوعي المصري بضرورة التغيير والإصلاح للنظام المصري نحو ديموقراطية تعددية حقيقية عام 2005، وأصبحت كلمة “ كفاية.. خلاص “ هي الياقطة أو المظلة التي تتحرك تحتها القوي الاجتماعية والسياسية المصرية الرافضة لممارسات الحزب الوطني الحزب الوحيد في البلاد الذي يسيطر علي موارد الدولة السياسية ويبدو معه النظام الحزبي في مصر كما لو كان نوعاً من الحزب الواحد، وهو هنا يشبه لحد كبير حزب الشعب الجمهوري الذي كان يحكم تركيا بعد الحرب العالمية الثانية، كما أن الحالة المصرية يمكن مقارنتها مع الحالة التركية في هذه الحقبة. وعن الحزب الجمهوري ونشأته راجع: إبراهيم العريس، الحزب الديمقراطي يخرج إينونو من الحكم، الحياة، 22 مايو 200. وذكر المقال أن عهد “ إينونو “ كان من أسوأ عهود الاستبداد في تركيا إذ كان من لا يمكنه دفع الضرائب القاسية التي تفرضها الدولة يذهب لمعتقلات السخرة.

(2) ظل والي اسطنبول لا يريد إعلان النتائج لمدة ثلاثة أيام والناس تنتظر علي أحر من الجمر، وزاره المارشال فوزي جاقمق وطاليه باحترام كلمة الناس وإعلان النتائج. نفس المرجع، ص 160.

- بدا واضحاً أن الديمقراطية دقت بقوة وسرعة لم تكن متوقعة الأبواب التركية، وأن قوي المعارضة للعلمانية الكمالية متجذرة بقوة في قلب المجتمع التركي الباحث عن الديمقراطية والحرية بكل حيواته التي لا يمكن حصارها أو مدافعتها⁽³⁾.

ووفق ما رواه " رجب بكير " أشد الكماليين تطرفاً فإنه لما كلف بتشكيل الوزارة الجديدة عام 1946 م، وكان في مبني مجلس الأمة الكبير تجمع علي الجانب المواجه للمبني جموع غفيرة من الناس البسطاء ولما رأته هتفت " يحيا الديمقراطيون "، وفي انتخابات عام 1950 م فاز الحزب الديمقراطي بأغلبية مقاعد البرلمان التركي بنسبة بلغت 53.6% مقابل 40% لحزب الشعب الجمهوري وأصبح " جلال بايار " رئيساً للجمهورية و " عدنان مندريس " رئيساً للوزراء وظل الحزب يحكم تركيا حتي عام 1960 حين قام انقلاب جمال كورسيل " بقيادة لجنة الوحدة الوطنية Nuc.

ثانياً: الأحزاب الإسلامية الجديدة إبان التعددية السياسية :

- مع كسر شوكة حزب الشعب الجمهوري وعدم وضوح موقف الحزب الديمقراطي من الدين، استقال المارشال " فوزي جاقماق " من الحزب الديمقراطي وأسس حزباً مستقلاً هو حزب الأمة عام 1948م وانضم إليه التيار الديني داخل الحزب الديمقراطي، وأكد حزب الأمة علي حرية الوجود والمعتقد للأفراد لممارسة الدين باللغة التي يختارونها. وقال السكرتير العام للحزب: " إن مبادئ العلمانية تمنع الدولة من التدخل في القضايا ذات الطبيعة الدينية ".

(3) نفس المرجع، وهو ينقل عن جريدة " الجمهورية " التركية عام 1946 م في 26 يوليو.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

وفي 4 فبراير عام 1949 م تم رفع الأذان باللغة العربية في “المجلس الوطني الكبير”، وعلقت صحيفة Kudret المتحدثة بلسان “حزب الأمة” إن الحكومة هي المسؤولة عن ذلك لأنها منعت حرية التعبير عن الضمير “، بينما قالت جريدة ULUS الناطقة بلسان حزب الشعب “إننا إذا سمحنا للرجعيين بترتيل الأذان اليوم، فإنهم سوف يطالبون غداً بالشريعة وإعادة الخلافة الإسلامية “ (1).

وطالب الحزب الديموقراطي وحزب الأمة بإلغاء المبادئ الستة للكمالية من الدستور، إذ لا يجوز إبقاءها ضمنه مع التعددية الحزبية وقبل " **ينونو** " هذا الجدل وحذفت مبادئ الحزب الكمالي من الدستور التركي، وأصبح لحزب الأمة وجوده المؤثر في الخمسينيات، فقد دخل الانتخابات البرلمانية وحصل علي مقعد واحد، ولكن التوجهات الإسلامية الواضحة للحزب جعلت الحزب الديموقراطي وبموافقة من الحزب الجمهوري يتخـذ قراراً بحلـه قبل انتخابات 1954م بحجة أنه يستغل الدين في السياسة، ولكن محكمة النقض التركية ألغت قرار الحل، بيد أن الحزب أعاد تشكيل نفسه من جديد باسم “ حزب الأمة الجمهوري “، وحصل علي خمسة مقاعد في انتخابات عام 1954 م (1).

(1) Mehmet yasar. Op. cit, p. 70.

ونصت المادة الثانية عشرة من برنامج حزب الأمة علي “ حرية الضمير والاعتقاد لكل مواطن وحقه في ممارسة عبادته باللغة التي يريدها “، وعن واقعة الأذان في البرلمان فإن شابين دخلا خلصة ورفعوا الأذان الذي كان ممنوعاً منعاً باتاً.

(1) عن حزب الأمة وبرنامجه راجع طارق عبد الجليل السيد، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، دراسة في الفكر والممارسة، القاهرة: جواد الشرق، ط1، 2001 - 1421 هـ، ص 64 فهـ يـذكر “ يقدر الحزب قيمة العقيدة والأخلاق والأعراف والعادات والتقاليد والمشاعر العظيمة في تشكيل

- شهدت الخمسينيات انتعاشاً واسع النطاق للطرق الدينية مثل “التيجانية” والنقشبندية “والبكتاشية” والقادرية “، وتأسس عام 1951م حزب جديد اسمه “الحزب الديمقراطي الإسلامي” أسسه “رفعت جواد أتليخان” المعروف بعدائه الشديد للماسونية واليهودية، وكان يسعى لسد الفراغ الروحي الذي كانت تعيشه البلاد في ذلك الوقت، ولكنه أحيل للمحكمة بتهمة استخدام الدين في السياسة، وأغلق بعد ستة أشهر من تأسيسه، فقد تضمنت المادة الأولى لبرنامج “إن رابطة الحزب التي هي المبادئ المقدسة وعقائد الأمة ستحمي من كل تدخل”.

أما المادة الثالثة فنصت علي “ستلغي المبادئ التي لا تتفق مع مطالب وميول الأمة” وهو ما اعتبرته المحكمة مخالفاً للدستور، ورغم عدم تحقيقه نجاحاً أو تأثيراً يذكر لكنه وقف ضد المد الشيوعي ونظم هجمات علي اجتماعات الأحزاب اليسارية ومثقفها وهو ما أزعجهم وأخافهم منه⁽¹⁾.

النظام الاجتماعي فهي لا يمكن أن تتغير أبداً وتظل دوماً خارج سيطرة الدولة “ وأيضاً عبد العزيز محمد عوض الله، الحياة الحزبية في تركيا الحديثة، م. س. ذ، ص 54

(1) عن الحزب الديمقراطي الإسلامي راجع: نفس المرجع، 65 وأيضاً أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، حاضرها ومستقبلها، دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا، م. س. ذ، ص 30. وأيضاً إدريس بوانو، معادلات خفية في الصراع بين التيار الإسلامي والتيار العلماني في تركيا، المستقبل العربي، ع يناير 2004، ص 70، وكان “جواد رفعت أتليخان” أسس عام 1947 حزباً اسمه “حزب المحافظين” اعتمد علي الأسس الإسلامية في برنامجه، وأغلق قبل أن يبدأ نشاطه، وهو نفسه كان من مؤسسي حزب النهضة الوطني ذات التوجهات الإسلامية أيضاً ولجواد رفعت أتليخان كتاب مترجم إلي العربية بعنوان “أسرار الماسونية”، وعدة كتب أخرى منها “الخطر المحيط بالإسلام” إسلام صاران تهلكة “، وأيهما لتركي اعرف عدوك “تورك أوغلي دوشمانك طائي”، والدولة الخفية “ كيزلي دولت “، وراجع جواد رفعت أتليخان، أسرار الماسونية، ترجمة نور الدين الواعظ وسليمان محمد أمين القابلي، هدية مجلة الأزهر، ذو القعدة 1405 هـ. وعن وضع الماسونية في تركيا

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

وتأسست أحزاب أخرى مثل حزب "الدفاع عن الإسلام"، وحزب "النهوض الوطني" وكلها أحزاب ذات فلسفة إسلامية⁽²⁾ ورغم أن الحزب الديمقراطي كان تعبيراً عن اختلاف مع الحزب الجمهوري في بعض المضامين السياسية وليس في جذورها أو أصلها، لكن نجاحه الكاسح في انتخابات عام 1950 نظر إليه باعتباره عصراً جديداً في التاريخ التركي لأنه للمرة الأولى منذ الجمهورية يأتي حزب إلى السلطة تعبيراً عن الإرادة الشعبية للجماهير، وتحدث نائب للحزب الديمقراطي في الجمعية الوطنية الوطنية قائلًا: "أتاتورك كانت رئاسته تعبيراً عن الاستقلال، وأينونو "رئاسته تعبيراً عن مولية، و"بايار" رئاسته تعبيراً عن الحرية، وفي أنقرة قال خطيب مسجد "تاج الدين" في أنقرة: "الحمد لله أننا تحررنا من حكومة حزب الشعب"،⁽¹⁾

ثالثاً: الحزب الديمقراطي وبدايات الإحياء الإسلامي في تركيا :

- قدم الحزب الديمقراطي رؤية جديدة للإسلام تراه عقيدة وديناً للأتراك كالمسيحية بالنسبة للمجتمعات الغربية ومن ثم لا بد من احترامها، فكما أن الأقطار الأوروبية هي مسيحية المعتقد إلا أن أنظمتها السياسية علمانية والشئ نفسه ينطبق على الدين الإسلامي فهو دين الأتراك مع الاحتفاظ بالعلمانية كنظام سياسي.

وتاريخها راجع، أورخان محمد علي، كيف ولماذا أغلق كمال أتاتورك المحافل الماسونية في تركيا، المجتمع الكويتية، ع 1586، 2004/10/13.

) 1(Karapat, Turkey, s politics Transition To multi - Parti System, op. cit, P. 283 - 285.

) 2(Mehmet yasar. Op. cit, P. 74.

وعبرت عن ذلك صحيفة الحزب ZAFAR بقولها: “إن الحزب الديمقراطي قد وضع المبادئ النقية للإسلام أمامه، فهو المرشد والمساعد للعلم والتقدم والفضيلة والأخلاق الحسنة”. وفي التصريحات المتكررة لقادته قالوا: “لارجوع عن فصل الدين عن الدولة، إلا أن تركيا بلد مسلم وستبقي كذلك” (2).

بل إن “مندريس” قال “نعلم بأن تركيا مسلمة وستبقي مسلمة، ويجب عدم إبقاء الطفل بعيداً عن تعاليم الدين الذي يعد حقاً من حقوقه الطبيعية” وكذلك الشروح الإسلامية (3).

- سمح الحزب الديمقراطي بعودة الأذان باللغة العربية، وأن تكون الصلاة باللغة العربية، وعودة تلاوة القرآن لبرامج الإذاعة التي تبث من أنقرة، وعودة حصص التربية الدينية للمدارس، وتخصيص حصص من ميزانية الدولة للتعليم الديني في مدارس الأئمة والخطباء، وفي قونية قدم أعضاء في الحزب الديمقراطي مذكرة إلي مؤتمر حزبي محلي عام 1951م تطالب بعدم حظر العمامة للرجل أو الحجاب للمرأة، أو استخدام اللغة العربية، وإعادة الاعتبار للأحكام الشرعية في المعاملات مع المطالبة بإباحة تعدد الزوجات (1).

(2) راجع هذه التصريحات لمندريس في: أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها ومستقبلها، م. س. د، ص 39 - 40.

(3) نفس المرجع، ص 5 وهي جزء من خطاب ألقاه في مدينة “قونية” عام 1954م.

(3) Mehmet yashar, op. cit, p. 76 - 77.

حيث أشار إلي أن تلاوة القرآن الكريم من إذاعة “أنقرة” بدأت مع الاحتفال باليوم الأول من شهر رمضان وبدأت بعشر دقائق في الصباح ومثلها في المساء. وصرح “مندريس” أن جعل الأذان باللغة التركية في عهد “أتاتورك” كانت تفرضه ظروف الثورة، لكنه اليوم يمثل جرحاً للضمير الديني ويتناقض مع حرية الضمير والاعتقاد، وقال إمام مسجد في اسطنبول “إن العالم الإسلامي من حولنا يؤذن بالعربية والترجمة للتركية شئ معيب”.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

وتقررت حصص التربية الدينية عام 1956 علي المدارس الثانوية، وأعيد فتح معهد الدراسات الإسلامية في اسطنبول عام 1959م، ونشطت حركة النشر والمطبوعات الإسلامية، وزاد عدد النساء اللواتي يرتدين الحجاب في تركيا. كما زاد عدد الأشخاص الذين يبادرون إلي بناء المساجد بشكل ملحوظ منذ عام 1950 م، وزاد عدد المراكز الإسلامية التي بنيت بالجهود المالية الذاتية، وزاد عدد الحجاج الذين يرغبون في أداء فريضة الحج، كما زاد عدد زوار مشاهد ومقابر أولياء الله الصالحين.

ولوحظ زيادة أعداد الصائمين في شهر رمضان. وزادت أعداد الذين يصلون الجماعات في المساجد ويظهرون التبجيل تجاه الأئمة والوعاظ، وزاد الاقتباس والاستشهاد من القرآن الكريم بين العامة، وانتشرت المكتوبات الدينية في الأماكن العامة كالمتاجر، ووسائل النقل، وبدأت الطرق الصوفية ذات الطابع الشعبي في العودة من جديد، وانتشرت الرسائل الدينية التي يطبعها الأفراد علي نفقتهم، وازداد الاهتمام بما يجري في الأقطار الإسلامية الأخرى، وزاد عدد الطلاب الذين يلتحقون بكلية الإلهيات. وزاد عدد الجمعيات الإسلامية الأهلية⁽¹⁾، وشهدت مديرية الشؤون الدينية توسعا هائلاً في اختصاصاتها.

- شهدت الخمسينيات عنف المواجهة بين “ الكمالية “ و “الإسلام“،

ويصف مصطفى محمد، المشاعر الجياشة لمسلمي تركيا عند عودة صوت المؤذن من جميع المنارات بالأذان الله أكبر فيقول “ فما تري تركيا موحداً إلا وخر في الطرقات ساجداً شاكرًا لله عز وجل، داعياً بالخير لعننان مندريس وراجع مصطفى محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، ألمانيا الغربية، ط1، 1984 - 1404 هـ، ص 20.

(1) عن مؤشرات العودة للدين في المجتمع التركي في فترة الخمسينيات راجع بشكل أساسي:

Mehmet yashar, op. cit, p. 77.

Hugh Poulton, Top Hat, Grey Wolf and Crescent, Turkish Nationalism And Turkish Republic (London: Hurst&Company, 1997) p.171.

فعلي سبيل المثال فإن أحد نواب الحزب الديموقراطي عن "سامسون" كتب في أكتوبر عام 1952 م في مجلة *Buyuk Cihad* "أي الجهاد الأكبر وذكر "أنه ليس حقيقة أن الأمة متمنة لقيام "أتاتورك" بالثورة.. الأمة يجب أن تبحث عن حل في القرآن الكريم".

وأشاد أحد الأئمة بالعمامة في خطبته وتحدث عن خطر الاختراق الغربي للأمة، بينما كانت عناوين الدوريات الإسلامية تصدر بمانشيتات من قبيل "إلي أي حد تم تدمير الأجيال" أو "لماذا تنوح هذه الأمة؟"، وعبرت الطريقة التيجانية عن احتجاجها على الكمالية بطريقة عنيفة فذهبت تدمر وتكسر تماثيل أتاتورك "في الفترة ما بين 51 - 52 م لأنها منافية للإسلام⁽²⁾.

وتعرض الكاتب الصحفي العلماني "أحمد أمين يالمان" لهجوم بسبب تنظيمه لمسابقة ملكات الجمال اللواتي ظهرن وهن شبه عاريات، وتحرك الحزب الديموقراطي فأدان "نجيب فاضل" الذي كان يصدر مجلة "الشرق الكبير *Buyuk Dogu*، وأدان "أشرف أديب" الذي كان

(2) اصطدم أصحاب هذه الطريقة مع رجال الشرطة وهم يحاولون تحطيم تماثيل أتاتورك ولذا قبض علي "علي بيلو أوغلو" ومجموعة من مريديه وقدموا للمحاكمة عام 1952 م، وقضت المحكمة عليهم بعقوبة تراوحت بين 5 - 10 سنوات بينما فرضت الإقامة الجبرية علي شيخ الطريقة، وتلاشت الطريقة التيجانية من تركيا عام 1925، لكنها عادت مرة أخرى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية عندما أصبح "كمال بيلو أوغلو" رجل الأعمال التركي الضليع في القانون بتجديد هذه الطريقة وأصبح شيخاً لها، كما شنت السلطات حملة واسعة علي الطريقة النقشبندية عام 1954 م في ماردين وقبض علي 17 منهم، وحاكمت شيخ الطريقة المولوية في يونية عام 1950 م، وشيخ القادرية في مارس 1951 م، وقبضت علي جماعة من البكتاشية وراجع إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 66، واستنتت الدولة قانوناً لحماية تماثيل أتاتورك من العدوان وكذلك ذكر سيرته بسوء. وعرف باسم قانون "حماية أتاتورك" وراجع المطلب الأول من الفصل الثالث من هذه الدراسة بعنوان الطرق الصوفية وتجلياتها المعاصرة في تركيا حيث أشرنا إلي الطريقة التيجانية ومعارضتها للكمالية، ص 291.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

يصدر مجلة “سبيل الرشاد” وأوقفت المجلتان، وقبض علي الشباب الذين هاجموا “أحمد أمين يالمان” (1).

- مع تزايد المؤشرات التي تؤكد علي التحول ناحية الإسلام في تركيا، فإن معارضي الحزب الديمقراطي ركزوا علي ضرورة عدم استخدام الدين في السياسة والذي يمكن أن يقود إلي تدمير المجتمع، وطالبوا بمعاملة الصحف الإسلامية مثل “أهل السنة” وطريق الإسلام “وطريق الله” كالصحف اليسارية المتشددة التي تم إغلاقها، وكان الحزب الديمقراطي يؤكد علي مفهومه للعلمانية التي تمنع استخدام الدين في السياسة ولكنها في نفس الوقت تحترم حرية التعبير والتفكير والضمير وتحترم الإسلام كدين للأتراك. وظهر داخل الحزب الديمقراطي جناح إسلامي قوي عام 1953م، وهو ما دفع مندريس لمهاجمة الميول الإسلامية لبعض أعضاء البرلمان داخل الحزب.

وقال “الحزب الديمقراطي ليس قسماً داخلياً أوفندقا يقبل أناساً يخالفون أفكاره ومبادئه.. إن الحزب يوافق علي جميع المظاهر الدالة علي احترام الإسلام في تركيا ولكنه يعارض الأحكام الشرعية لأن العمل من جديد بمقتضاها يؤدي إلي إرباك الدين بالسياسة وبليلة الشئون

(1) أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. د، 37 - 38، وقد جرح أحمد أمين بلمان جرحاً بالغاً ولم يقتل، وتعاون مع توجهات الشرق الكبير الحزب الديمقراطي الإسلامي، وعن حياة نجيب فاضل راجع:

www. bab. com ولد عام 1904 ومات عام 1983 م، وكان يلقب بسلطان الشعراء وله تأثير فكري هائل علي حركات الشباب الإسلامي في تركيا. ومثلاً راجع تأثير نجيب فاضل علي “عبد الله جول” وزير خارجية تركيا الحالي وأحد كوادر الحركة الإسلامية الطلابية في تركيا فترة السبعينات //www. islamonline. net/Arabic/famous/2002/11/article وأيضاً تأثيره علي “طيب أردوغان”.

الدينية“ (1).

وطرد مندريس من الحزب تسعة نواب كان من بينهم اثنان من الوزراء السابقين عام 1955 م، وقطع عشرة نواب علاقتهم بالحزب للعمل كمستقلين، وحذا حذوهم ستون نائباً، وتشكل حزب جديد علماني هو حزب “ الحرية “ بزعامة فوزي لطفي قره عثمان أوغلو نائب “ مانسيا “، وإبراهيم أوقتم “ بيروسة “، وجمع الحزب حوله تسعة وعشرين نائباً ليكون بذلك أهم قوة في المجلس الوطني الكبير، وهذا في الواقع كان أحد الأسباب التي عززت التوجهات الإسلامية للحزب الديمقراطي، فالانشقاقات العلمانية داخل الحزب جعلته يتجه بشكل تلقائي ناحية القوي والاتجاهات الإسلامية(2).

- هناك مؤشرات لا تخطؤها العين علي استخدام الحزب الديمقراطي للدين في أغراض سياسية، فالمعلومات تشير إلي وجود علاقة بين “ مندريس “ و “ نجيب فاضل “ الكاتب الإسلامي ذو النزعة المتشددة حيث كان يحصل علي الدعم بين الحين والآخر من الحزب الديمقراطي الذي مول جريدة الشرق الكبير التي كان يصدرها، والانطباع العام هو أن الحزب الديمقراطي كان يلجأ لنجيب فاضل حين يكون محتاجاً لدعمه في مواجهة التيارات اليسارية والتيارات الإباحية المعبرة عن الماسونية.

كما أشار " مندريس " في حملته الانتخابية عام 1957 إلي أن تركيا في السبع سنوات المنقضية بني بها أكثر من 15 ألف مسجد، وأدت نجاة مندريس “ من حادث تفجر طائرته قرب “ لندن عام 1959 م،

(1) نفس المرجع، ص 46.

(2) (Hugh Poulton, Top Hat, Grey wolf and Crescent, Op.cite, p 172).

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

فيما اعتبره الناس معجزة - إلي الاقتراب بقوة من الإسلام، و الابتعاد عن العلمانية والإصلاحات الكمالية التي تعرضت للهجوم والنقد وهو ما جعل العديد من الباحثين ينظرون إلي الحزب الديمقراطي نفسه كأحد تجليات “ الإحياء الإسلامي ” في تركيا⁽¹⁾.

ووظف الحزب الديمقراطي الاتجاهات الإسلامية المتزايدة بين الناس لدعوتهم إلي الانضمام للجبهة الوطنية Vatan Cephesi وهو ما وصفه “ أينونو “ بأنه تقسيم للبلاد وتهديد لوحدها، واتخذ الهجوم المتبادل بين “ الحزبين “ الديمقراطي “، “ والجمهوري “، طابعاً دينياً حتي قيام الانقلاب الأول عام 1960 والذي كان استباقاً من الجيش والقوي العلمانية لقطع الطريق علي المظاهر الإسلامية التي أعطت الانطباع بأن تركيا في طريقه_____لل_____تخلص من “ الكمالية “ والعودة إلي ذاتها وجذورها وتقاليدها المستمدة من الإسلام⁽²⁾.

وبشكل عام فإن الإسلام ظل حاضراً وبقوة في حسابات الأحزاب التركية حتي أكثرها علمانية وقت الانتخابات بالذات، فقد تعاون مثلاً عصمت “ أينونو “ مع حزب الأمة الجمهوري ذات الجذور الإسلامية،

(1) Ibid, p. 173.

وراجع أيضاً: feroz Ahmad, The Turkish Experiment in Democracy:1950

(London:C, Hurst, 1977) p. 372, 1967

(2) إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 69 حيث يميل إلي أن الحزب الديمقراطي في النصف الثاني من عقد الخمسينيات بدأ يتحول فعلاً ناحية إدراك أن الإسلام هو قدر تركيا، وتشير بعض المراجع إلي اعتقاد الجيش بأن دعم الحزب الديمقراطي للنورسيين سوف يقود إلي عودة تركيا مرة أخرى لتكون دولة دينية، راجع طارق عبد الجليل السيد، الحركات الإسلامية ف تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص 60 وهو ينقل عن شريف ماردين في كتاب مكتوب باللغة التركية بعنوان الدين والسياسة في تركيا Turkiyede Din ve Siyaset.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

وكانت القاعدة التصويتية لحزب الشعب الجمهوري في وسط الأناضول تأتي من الطريقة البكتاشية، كما كان العلويون الشيعة في تركيا يصوتون له علي اعتبار أن العلمانية الكمالية تحميهم كأقلية من التمييز والاضطهاد⁽¹⁾.

رابعاً: حركة النور والأحزاب السياسية بعد إعلان التعددية :

- نشير إلي علاقة " حركة طلاب النور " بالأحزاب السياسية في فترة مابعد الخمسينيات باعتبارها أحد تجليات الإحياء الإسلامي في هذه الفترة، وكان السماح لها بالتعبير العلني عن نفسها وتخفيف الضغوط عليها تعبيراً عن الاعتراف بأهمية الدين والإيمان في حياة الناس وهو التوجه الذي بدأ يظهر بقوة في تركيا حتي داخل " حزب الشعب الجمهوري " نفسه بعد الحرب العالمية الثانية - كما أسلفنا - و انعكس ذلك علي حركة " النور " التي قادها وأسسها الشيخ " سعيد النورسي ".

فمع عام 1949م تبدأ المرحلة الثالثة من مراحل تطور حياة الشيخ كما أرخها المتابعون لمسيرته وسيرته، وهذه المرحلة تبدأ منذ خروجه من سجن

" أفيون " وحتى وفاته عام 1960 م.

كان " النورسي " في هذه الفترة يرسل الرسائل إلي السياسيين ورجال الحكم يحثهم فيها علي اتباع الشرع والاسترشاد بالإسلام الذي هو الحل الصحيح لكل مشاكل الأمة. وشهدت هذه الفترة فك الحصار عن رسائل وطلاب النور الذين أصبحت حركتهم قانونية وعلنية وغير مجرمة بناءً علي حكمين من المحاكم التركية التي أقرت بالإجماع أنه " لا توجد

(1) (Hugh Poulton, Top Hat, Grey wolf and Crescent, op. cit, p. 172).

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

أية فعاليات أو نشاطات سياسية لبديع الزمان النورسي وهو لا يدعو لتشكيل أية جمعية سياسية أو طريقة صوفية ومؤلفاته بأجمعها إيمانية وعلمية وهي تفسير للقرآن الكريم،، وانتشرت "رسائل النور" بشكل واسع جدا بين جموع الشعب التركي بكافة فئاته وطبقاته وتشير التقديرات إلي أن مايقرب من مليون نسخة من رسائل النور تم تداولها بين الناس بعد عام 1950، وأن أكثر من هذا العدد قرأها.

- مع مجئ الحزب الديمقراطي إلي الحكم أرسل "النورسي" رسالة تهنئة لرئيس الجمهورية "جلال بايار" وأعلن تأييده للديموقراطيين، ورغم ذلك استدعي "النورسي" للمحكمة عام 1952م في اسطنبول بسبب نشر أحد طلاب الجامعات التركية رسالة "مرشد الشباب"، وبرأت المحكمة الشيخ النورسي،، وكانت المحكمة في ذاتها تعبيراً عن الميدي الذي تغلغل في "رسائل النور" في نفوس الجماهير التركية الذين ضاقت بهم المحكمة التي حاكمت "النورسي".

وفي انتخابات عام 1957م الذي فاز الحزب الديمقراطي فيها في مواجهة حزب الشعب الجمهوري صوت فيها "النورسيون" للحزب الديمقراطي،، بل إن سعيد النورسي "صوت بنفسه لصالح الحزب الديمقراطي تقديراً لاستجابة حكومته لبعض مطالب النورسيين الدينية ومنها إعادة السماح بزيارة الأضرحة وعلي رأسها ضريح "مولانا جلال الدين الرومي"، والذي وافقت الحكومة علي إحياء ذكرى وفاته.

- بعد عام 1956م أعيد الاعتبار للفكر النورسي الذي تم الاعتراف به رسمياً وتبرئته من قبل علماء متخصصين من رئاسة الشؤون الدينية التركية الرسمية ومن أساتذة الجامعات في كليات الحقوق، بل ومن أساتذة

ينتمون للتيارات اليسارية ذاتها. وسمح لأول مرة في تركيا بنشر حياة النورسي تحت عنوان “ بديع الزمان “.

ويشير رأي أحد المحاكم القضائية في رسائل النور إلى التحول الفكري الكبير في نظرة القضاة إلى الإسلام فهم يقولون “ إن جرائم المتهمين هي قراءة تفاسير القرآن وشراؤها وحملها، فدين الشعب هو الإسلام، والكتاب الأساسي لهذا الدين هو القرآن، فقراءة تفاسير القرآن لا تخل بالنظم الأساسية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بل تقويها بالكتب المحتوية لمعاني القرآن، والشروح الدينية تحافظ علي النظم وهذه ضرورة لا بد من قبولها، وفي هذا المعني قال نائب اسطنبول في المجلس الوطني الكبير “ علي فؤاد باشكيل “ : “ إن اتهام العقيدة النورسية هو اتهام للإسلام، فالنورسية ليست ذنباً، وإنما هي رجوع إلى الإسلام والإيمان الحقيقي الصافي “.

- وفي سياق التوتر بين التيار العلماني والتيار الإسلامي في تركيا أواخر الخمسينيات قبض علي عدد من طلاب النور علي إثر حملة إعلامية علمانية علي “ حركة النورسيين “، ومثلت المحاكمات التي تعرض لها أنصار النورسي “ ساحة لكشف الأضواء علي الصراع الفكري في تركيا بين العلمانية والإسلام، كما كانت سبباً في ترسيخ فكرة “ الإيمان “ في مواجهة المادية واللا دينية، وتعد المرافعات التي قدمها المحامون للدفاع عن أفكار “ النورسي “ ومشروعه الإيمان وثائق مهمة لمعرفة وكشف ماتعرضت له الدولة التركية علي يد الكمالية والعلمانية، وكانت في الوقت نفسه وثيقة إدانة لعصر أتاتورك والجمهورية.

وتوفي “ النورسي “ عام 1960 حيث تم نقل رفاته بعد ذلك إلي مدينة

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

“إسبرطة“ علي يد الانقلابيين حيث دفن في مكان لا يزال مجهولاً⁽¹⁾.

وبشكل عام يمكن القول إن عقد الخمسينيات في تركيا كان هو عصر التأسيس لظهور الحركة الإسلامية المعاصرة والتي ستعبر عن نفسها بشكل سياسي مستقل فيما بعد، وكان هو عصر عودة الإيمان واحترام الإسلام كدين في مواجهة التيارات الإلحادية التي عبر عنها حزب الشعب الكمالي، وكان تعبيراً عن تراجع العلمانية ومحاولة تكيفها مع حرية العقيدة والضمير لأغلبية المجتمع التركي فيما يمكن وصفه بانحطاط العلمانية التي أرساها “أتاتورك“، وبدأت الحداثة هي التي تتأسلم فيما يمكن وصفه بـ “أسلمة الحداثة“ بدلاً من السياسة الكمالية التي كانت تريد للإسلام أن يتعصرن فيما عرف بسياسة “تحديث الإسلام“. وكما سنري لن نستطيع الانقلابات الدورية التي شهدتها تركيا فيما بعد - أن تؤثر سلباً في المنجزات الإسلامية والديموقراطية التي تحققت في الخمسينيات في مواجهة العلمانية الشمولية رغم أنها عبرت وبثبات لا يتزعزع عن الوفاء للميراث الكمالي وللعلمانية.

* * *

(1) اعتمدنا علي المعلومات الواردة في المتن عن النورسية علي الكتاب المهم: أورخان محمد علي، سعيد النورسي، رجل القدر في حياة أمة، القاهرة، دار الفضيلة، وهو المرجع الأساسي الذي يعتمد عليه مثلاً أحمد نوري النعيمي في كتابه الذي اعتمدنا عليه هو الآخر أيضاً، أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. د، ويشير “شريف ماردين“ إلي أن الصعود الكبير “للنورسية“ كان في عقد الخمسينيات حيث اعتمد علي الدعاية الواسعة لأحد مراكزها المهمة في العاصمة الألمانية “برلين“، كما يشير إلي أن معظم منتسبيها في تركيا يأتون من القرى الصغيرة في الأناضول، راجع الكتاب المهم بالإنجليزية:

Serf Mardin, Religion and Social Change in Turkey: The case of Bediuzzaman said Nursi, (Albany: state University of New york press, 1989).

المبحث الثالث: الإسلام والأحزاب السياسية في تركيا (1960 - 1970م)

- مثلت مرحلة التحول الديمقراطي في تركيا وكسر احتكار حزب الشعب الجمهوري للحياة السياسية بفوز الحزب الديمقراطي باكتساح في انتخابات عام 1950 م الحدث الأهم علي الإطلاق في تاريخ تركيا المعاصرة، ومثل مجئ “ عدنان مندريس “ إلي السلطة تحدياً واضحاً لسلطة البيروقراطية العسكرية ومصالحها و التي اعتبرت نفسها حامية للميراث الكمالي العلماني فقد أكد علي أن الأمة التركية بكاملها هي الحارسة علي الإصلاحات وعلي الجمهورية.

ورفض الحزب الديمقراطي أن يقرر مصير البلاد النخبة البيروقراطية - العسكرية عبر تحالفها الوثيق مع الحزب الجمهوري والدولة الكمالية فقال “ جرت العادة علي أن يحكم شخص واحد فقط، وعلي ألا تشارك في صنع السياسات سوي فئات قليلة، ولكن مع ثورتنا الديمقراطية اكتسب ملايين المواطنين الحق في التصويت وأصبحوا يؤثرون في مجال إدارة بلادنا “، وفي مناسبة أخرى قال: “ قديماً كان من الممكن أن يتأمر ثلاثة أفراد للاستيلاء علي الكرسي من فرد رابع، بينما ترقب الأمة الأمر عن بعد، كانت هذه هي السياسة في ذلك الحين، وكان مصير البلد بأكمله يتحدد عن طريق هذا الفرد أو ذاك، أما الآن فإن الأمة برمتها وعبر أنحائها كافة هي التي تحدد مصير البلد، ولا يتوق هذا البلد لأن يصبح مسرحاً لمغامرات دموية.. ولهذا السبب فإننا مصممون شأننا شأن الغالبية العظمي من مواطني الأمة التركية علي التغلب علي هذه

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

المغامرات وهؤلاء المغامرين⁽¹⁾.

- كان "أتاتورك" قد عمل علي إبعاد الجيش عن السياسة بإلزام الضباط الذين انتخبوا للبرلمان بالاستقالة من الجيش، كما أن قانون الجزاء التركي العسكري يجرم المشاركة في المنظمات السياسية أو المظاهرات أو الكتابة أو التحدث في المسائل السياسية للجند والضباط، بيد أن طابع "الدولة العميقة" يتجلى بإعطاء الجيش دوراً في حماية التعاليم الكمالية التي قامت عليها الجمهورية التركية علي قدم المساواة مع حماية الحدود التركية، ورغم انفصال رئاسة الدولة التركية عن قيادة الجيش بعد موت "أتاتورك" إلا أن الجيش ظل مؤسسة ذات طابع خاص يقوم بالإشراف والمراقبة لمجمل العملية السياسية والتدخل لضبطها مؤقتاً إن شعر أنها تتجه نحو تهديد العلمانية والكمالية.

أولاً: انقلاب 1960 وظهور مفهوم الإسلام التركي (TIS):

يبدو أن ضباط الجيش الذين تهددت أوضاعهم الاقتصادية مع مجيء الديموقراطيين إلي السلطة بدأوا التعاطي مع السياسة، وظهرت عصبية صغيرة عام 1954م في اسطنبول ثم في أنقرة لمناقشة الوضع السياسي، وبحلول عام 1957م طرحت فكرة الانقلاب العسكري في أوساط هؤلاء الضباط وإعادة "إينونو" إلي السلطة، بيد إن قائد القوات المسلحة التركي

"جمال كورسيل" نظم مع مجموعة أخرى من الضباط وكونوا قيادة عليا

(1) رضا هلال، السيف والهلال، تركيا من أتاتورك إلي أربكان، الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي، القاهرة: دار الشروق، 1999 - 1419هـ، ط1، ص100 وهو ينقل عن صحيفة الجمهورية والحوادث التركيتان عام 1960.

ونفذوا انقلاب ليلة 27 مايو 1960 م⁽²⁾.

وفي إعلان الجيش للشعب عن انقلابه ذكر أنه أنهى حكم الحزب الديمقراطي وأن الجيش هو الذي يتولى السلطة التنفيذية والتشريعية، وأن الانقلاب لا يستهدف شخصاً أو جماعة، وتأسست "لجنة الوحدة الوطنية" "MILLI BIRLIK KOMITESI" تحت قيادة الجنرال "جمال كورسيل" والذي ترأس الحكومة المؤقتة التي شكلت لجنة للتحقيق مع المسؤولين والوزراء السابقين في الحزب الديمقراطي وانتهت في سبتمبر عام 1961م ومثل أمامها 592 شخصاً وحكمت بالإعدام علي جلال بايار وعدنان مندريس ووزير الخارجية والمالية ونفذت الأحكام بحقهم باستثناء "جلال بايار" التي خففت عنه العقوبة بسبب تجاوز سنه قانوناً لحكم الإعدام الذي خفف إلي المؤبد⁽¹⁾، وعاشت البلاد حالة من عدم الاستقرار السياسي رغم وجود دستور جديد.

- أجريت الانتخابات الأولى بعد الانقلاب في أكتوبر عام 1961م، و

(2) عن انقلاب 1960 راجع: سيار الجميل، العرب والأتراك، الانبعاث والتحديث والعثمنة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997، ط1، ص 199، وأيضاً رضا هلال، السيف والهلال في تركيا، م. س. ذ، ص 112 - 113

(1) تشير أغلب المراجع إلي أن "أينونو" هو الذي تدخل لدي الانقلابيين لمنع إعدام "جلال بايار"، بيد أن الدكتور محمد حرب ذكر أن عدم إعدامه راجع لتجاوزه السن القانونية للإعدام وراجع: محمد حرب، آليات الحركة الإسلامية في تركيا، السياسة الدولية، يناير 1998، ع 131، ص 128 وهو يذهب إلي أن الإسلاميين في تركيا اعتبروا "عدنان مندريس" مات شهيداً، وعن الجيش والسياسة في تركيا راجع: معتز سلامة، الجيش والسياسة في تركيا، السياسة الدولية، يناير 1998 م، ص 123 حيث يعتبر أن الانقلابات العسكرية في تركيا هي أنصاف انقلابات وأنها لا تأخذ طابعاً دموياً، وهو يذهب إلي أن سنياريو الانقلابات العسكرية متكرر، ص 124، وحكمت محكمة "ياسي أضا" علي 11 شخصاً آخرين بالإعدام منهم قائد الجيش الجنرال "أردلهون" ورئيس الجمعية الوطنية "رفيق كورتان" ولكن الإعدام لم ينفذ بحقهم واستبدلت العقوبة بالسجن مدى الحياة.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

شهدت البلاد لأول مرة في تاريخها محاولة تشكيل حكومة ائتلافية بسبب عجز الأحزاب الجديدة عن الحصول على الأغلبية في المجلس الوطني الكبير، وبسبب عمق ما بين هذه الأحزاب من اختلافات فإنها فشلت في تكوين ائتلاف للحكم، ولم يمكن التوصل إلى اختيار رئيس للجمهورية، وهو ما قاد لتدخل الجيش ثانية لحسم المواقف المتأرجحة واختار " جمال كورسيل " رئيساً للجمهورية والذي كلف " أينونو " بتشكيل أول حكومة ائتلافية .

ولم يستطع " أينونو " إنجاز برنامجه، وبدأت الحياة السياسية متنافرة ومضطربة وهو ما قاد لمحاولة انقلابية جديدة في فبراير 1962م بزعامة الكولونيل " طلعت أيدмир "، وأحبطت المحاولة وألقي القبض على القائمين بها من صغار الضباط الحالمين بإصلاحات راديكالية.

وأقر المجلس الوطني الكبير: " قانون حماية النظام للقضاء على أية محاولة انقلابية جديدة "، بيد أن فشل الأحزاب السياسية في حل مشكلات المواطن قــــاد إلى محاولة انقلابية جديدة في مايو 1963م والتي أحبطت هي الأخرى وأعدم قائدها وستة من زملائه⁽¹⁾، وظلت الأوضاع السياسية مضطربة حتى عام 1965م حين حصل حزب العدالة الذي يقوده " سليمان ديمريل " على الأغلبية وحده في البرلمان.

ويعد الدستور الجديد الذي جاء به الانقلاب أحد إنجازاته فقد منع احتكار حزب واحد للحياة السياسية، وأنشأ مجلساً للشيوخ ومحكمة

(1) عن الطبيعة المعقدة لمجموعة العسكريين الذين قاموا بانقلاب 1960م راجع " رضا هلال، السيف والهلال في تركيا، م. س. ذ، ص 113 - 115 وأيضاً، سيار الجميل، العرب والأترك، الانبعاث والتحديث والعثمنة، م. س. ذ، ص 200 - 203.

دستورية وأعطى للصحافة وللجامعات استقلالهما، ولكنه من الناحية الأخرى نص علي تأسيس “ مجلس الأمن الوطني “ ليصبح تعبيراً رسمياً عن **هيمنة الجيش علي الحياة السياسية وتدخله فيها**، بحيث أصبحنا أمام نظام سياسي يتداخل فيه السياسي والعسكري بشكل لا يمكن فصله⁽²⁾.

- شهد عقد الستينيات تجزراً للإسلام في نفوس الشعب التركي الذي اتجه أبناؤه للالتحاق بمدارس الأئمة والخطباء التي اتسعت وزادت زيادة ملحوظة تراوحت بين 45 ألف طالب في أوائل الستينيات لتصبح 50 ألفاً في أوائل السبعينيات، وتزايد بناء المساجد بشكل ملحوظ معتمداً علي الجهود الذاتية للنخبة الإسلامية المالية الصاعدة، ففي الفترة ما بين عامي 1960 - 1964م بني ما يقرب من ستة آلاف مسجد، وانتشرت حلقات تحفيظ القرآن علي نطاق واسع تحت إشراف إدارة الشؤون الدينية الرسمية، وزادت المطبوعات الإسلامية المبسطة التي تعلم الدين والعبادات والأخلاق خاصة أطفال المدارس والشباب، وظهرت كتب لتعليم اللغة العربية، ومجموعات لخطب الجمعة، ومجموعات لكتب التاريخ الإسلامي التي تركز علي فترة صدر الإسلام والفترة العثمانية، وترجمات لكتب السنة مثل البخاري ومسلم وبعض أعمال أبو حامد الغزالي، وظهرت أيضاً ترجمات لكبار المفكرين الإسلاميين في مصر وباكستان خاصة كتب أبو الأعلى المودودي و سيد قطب وأبو الحسن الندوي، وأعدت دائرة معارف إسلامية جديدة أكثر تعبيراً عن روح الإسلام وبيعت فصلاتها بأسعار رخيصة، وترجمت كتب عن اللغات الأوروبية تتحدث عن إسهام المسلمين في الحضارة الغربية، وقدر عدد

(2) (Bernard Lewis, The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed, article of “ Dastur ” Turkey, Leiden: 1966.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

الكتب الإسلامية المطبوعة في منتصف الستينيات بثلاثمائة كتاب ولكنها كانت تباع بأعداد مهولة جداً⁽¹⁾.

وفي دراسة مسحية عام 1960 أجريت علي الطلبة الذكور في مدرسة الرفاه الاجتماعي في أنقرة وأكاديمية علوم الاقتصاد والتجارة في " إسكيشهر " عن اتجاهاتهم الدينية تبين أن 40.3% من العينة أجابت بأن الدين يمثل شيئاً مهماً في حياتهم، و27.6% أعطوا نفس الإجابة بينما ذكر 32.1% بأنه يمثل أهمية أقل⁽¹⁾.

- أمام كل هذا وخلافا لما كان متوقعاً وأشيع علي نطاق واسع أن انقلاب 1960 CNU⁽²⁾ " سوف يهاجم الإسلام ويعيد الاعتبار للعلمانية

(1) راجع هذه المؤشرات في: إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 86 - 88.

(2) (Hugh Poulton, Top Hat, Grey wolf and Crescent, op. cit, P. 176). وهو هنا يؤكد علي أن الإسلام يمثل عاملاً مهماً في تكوين الشخصية التركية، بينما وجدت دراسات غربية أخرى متحيزة تتحدث عن أهمية القومية التركية علي الإسلام مثل دراسة: " روبرت سبنسر " عن الهوية في تركيا والذي حاول فيها أن يظهر أن القومية كصفة للتركي أقوى من الإسلام بناء علي دراسة مسحية قامت علي سؤال لعمال أحد مصانع النسيج في تركيا وهو كيف ترون أنفسكم؟ وأجاب 50.3% منهم بأنهم أتراك وأن 37.5% أجابوا بأنهم مسلمون، وذكر " سبنسر " أن دراسة شملت تركيا كلها أفادت نفس النتيجة ومن هنا فإن العلمنة حولت الهوية نحو القومية ولم يعد الدين يمثل حاجة للأتراك، ويرد عليه أحمد النعيمي بالقول " إن العامل التركي الذي أشار إلي 37.5% بأنهم مسلمون تمثل نسبة عالية، وعليه لا تتفق مع " روبرت سبنسر " الذي يقول: إن القومية كصفة للتركي أقوى من الإسلام، والسبب واضح وهو أنه علي الرغم من الإعلام المنظم للدعاية عن النظام العلماني، إلا أن ذلك لم يستطع أن يغير من موقف الأتراك عن الإسلام، وراجع، ص 9.

(2) يشار عادة إلي لجنة الوحدة الوطنية التي أصبحت أعلى سلطة تشريعية في البلاد وعبرت عن الانقلاب الجديد وتكونت اللجنة من 38 ضابطاً هم الذين نفذوا الانقلاب خمسة منهم برتبة جنرال و15 برتبة كولونيل و12 برتبة مقدم و6 برتبة نقيب وكان أبرز زعماء الانقلاب الجنرال " جمال كورسيل "، والجنرال جمال مدان أوغلو، والكولونيل ألب أرسلان توركيش الذي قاد

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

الكمالية المتشددة، وأنه سيعيد الأذان إلى التركية ويغلق المساجد. علي العكس فإن “ لجنة الوحدة الوطنية “ التي مثلت السلطة التشريعية والتنفيذية للانقلابيين كانت أكثر تعبيراً عن التكيف مع التوجهات الإسلامية، فهي أعلنت ضمن أهدافها تمتع المواطنين بحرياتهم الدينية بدون أية قيود بما في ذلك حرية العبادة دون استغلال للدين في الأغراض السياسية، كانت هناك رغبة تمثل موضع إجماع لقادة الانقلاب وهي جعل الإسلام أداة قومية في يد الدولة وحدها لمنع جماعات المصالح المحافظة والأحزاب السياسية من استغلاله.

هنا الدولة لا تعادي الدين ولكنها تحتكره لنفسها حتى لا يكون أداة في يد غيرها من القوي السياسية والاجتماعية في مواجهتها. ونفت لجنة الانقلاب الشائعات التي تحدثت عن تغيير الأذان إلى التركية أو قراءة القرآن الكريم بها⁽¹⁾.

وفي جولة بالأناضول قال قائد الانقلاب “ جمال جورسيل “: الإسلام

الاتجاه المتطرف داخل اللجنة هو وأربعة عشر ضابطاً والذي كان يريد تأجيل الانتخابات النيابية والبقاء في الحكم لمدة أربع سنوات.

(1) وتشير بعض المصادر إلى أن “ جمال كورسيل “ زار أحد المعاهد الإسلامية وألقى كلمة هناك شرح فيها باختصار ضرورة تطويع الإسلام وفق المزايا والسجايا التركية، وطالب بترجمة القرآن الكريم إلى التركية وتتركيب العبادات والأذان، إلا أن رئيس الشؤون الدينية “ بيلمه أفندي “ لم يتأخر في إبداء معارضته لهذا الموقف، وأعلن أن ذلك غير ممكن علي اعتبار أنه لا يجوز تغيير ما تم التعود عليه منذ 1400 عام، لذلك لا يجوز تتركيب العبادات أو ترجمة القرآن، وكان هذا هو الموقف الرسمي للمؤسسة الدينية ممثلة في إدارة الشؤون الدينية. وراجع: أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة، م. س. ذ، ص 10 وأيضاً ما أشارت إليه البحوث التي أجراها ريتشارد سكوت الأستاذ في أكاديمية الخدمات الاجتماعية الأمريكية في القرى التركية عام 1965 م بأن المجتمع التركي وبضغوط من رجال الدين أصبح يري الكتابة العربية كحاجة لا يمكن الاستغناء عنها، لأنها لغة القرآن، لذا يجب ترتيب القرآن بالعربية، ويعتقد رجال الدين “ العلماء “ في تركيا أن دراسة الأطفال الدينية لا تتم في المدارس بل في الجامعات. وراجع نفس المرجع، ص 10.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

أمرنا بالعمل والتقدم نحو الكمال، ومن يتهم ديننا بأنه كان سببا لتخلفنا فهو مخطئ، لا، السبب في تخلفنا ليس هو الدين وإنما أولئك الذين قدموه لنا بصورة خاطئة، الإسلام هو أكثر دين في العالم قوة وقدسية وحيوية، فهو يطلب من الذين يؤمنون به أن يحققوا التقدم والحكمة السامقة. ولكن لقرون عديدة قدم الإسلام لنا بصورة سلبية وغير صحيحة، وهذا ما جعلنا متخلفين عن بقية دول العالم“ (2).

- أكد الانقلابيون علي أن الإسلام عامل مهم في تشكيل الثقافة التركية ومكون حيوي للشخصية القومية التركية، ولذا من الحكمة للدولة أن تسيطر عليه لمنع استغلاله من جانب الجماعات الرجعية والمتطرفة، ولذا قبلت بما أنجز من تغييرات مؤسسية في عصر الحزب الديموقراطي لصالح الإسلام مثل بناء مدارس الأئمة والخطباء والمعهد الإسلامي العالي (Yüksek İslam Enstitüsü) ولكنها جعلت مناهجها أكثر عصرية بإضافة مقررات في الاقتصاد والفلك والقانون المدني وعلوم الاجتماع وأكثر من ذلك فالخطب والمواعظ الدينية صارت أكثر استنارة وتقدماً (1).

وعمل الانقلابيون علي إحياء مفهوم "تريك الإسلام"
 Turkification Of Islam أو ما يطلق عليه "الإسلام التركي" أي الإسلام المتكيف مع مطالب الدولة التركية ورؤاها وأيديولوجيتها العلمانية عن طريق تحديثه وإصلاحه من الداخل بطريقة لا تستدعي الرفض والمقاومة كما كان الحال مع "الأتاتورية" التي حاولت فرض ذلك بأوامر تسلطية وبيروقراطية من أعلي. وفي هذا المعني قال جمال كورسيل قائد الانقلاب والرئيس التركي

1) (Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cit, p. 89 - 90.

2) (Ibid, p. 90.

الرابع: “ إن النهج الذي نتبعه سيوصلنا إلي اليوم الذي سيأتي فيه مطلب ترتيل القرآن والأذان باللغة التركية من أسفل، من الشعب نفسه “ (2).

- يشير “ جاكوب لاندو “ إلي أن الأفكار التي سادت الساحة السياسية في تركيا في عقد الستينيات تمثلت في الآتي:

- 1 - الإسلام مرغوب فيه من الناحية الأخلاقية كطريقة للحياة.
- 2 - ضعف إيمان المسلمين هو الذي قاد إلي انهيار الدولة العثمانية والعودة إلي الإيمان هي طريق عودة تركيا قوية وعظيمة.
- 3 - لا يوجد تعارض أساسي بين العلمانية والإسلام، والعلمانية التركية ليست ضد الإسلام، وبالعكس فإن العلمانية المستنيرة هي دعم للإسلام وحماية له.
- 4 - لا يوجد تعارض بين القومية التركية والإسلام، فهما مكملان لبعضهما، وكلاهما أساس مقدس لتركيا.
- 5 - الإسلام عنصر مهم في الثقافة التركية.
- 6 - الإسلام ليس قوة رجعية ويمكنه التعاطي مع الثقافة الغربية⁽¹⁾.

ثانيا: الإسلام والأحزاب السياسية في الستينيات :

عن مواقف الأحزاب السياسية التركية بعد الانقلاب من الإسلام نلاحظ أن حزب العدالة AP وريث الحزب الديمقراطي ظهر للوجود السياسي لأول مرة، وكذلك حزب تركيا الجديد YTP، وبقي من الأحزاب القديمة حزب الشعب الجمهوري CHP، وحزب الفلاحين الوطني

(2) رضا هلال، السيف والهلال، م. س. ذ، ص 136.

(1) 2 (Hugh Poulton, Top Hat, Grey wolf and Crescent, op. cit, p. 174 - 175.)

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

الجمهوري CKMP.

- ويمكننا القول أن حزب الشعب الجمهوري عدل أفكاره تجاه العلمانية المتصلبة التي حكم بها تركيا منفرداً حتى عام 1946 م، وانتهى إلي نفس أفكار الانقلابيين وهي سيطرة الدولة علي الدين لمنع استغلاله من جانب الاتجاهات المتطرفة المعادية للعلمانية الكمالية، ودعم صيغة للتوفيق بين الإسلام والعلمانية في صورة "الإسلام التركي"، ورغم أن الحزب لم يبق من مؤسسيه غير أربعة فقط لكنه كان بطل لحظة ما بعد الانقلاب، وكان هناك تشابه بين توجهات الحزب وبين الانقلابيين، وظل الحزب هو الذي يحدد معنى الشأن العام، وشارك حوالي 200 عضو ممن ينتمون للحزب ضمن اللجنة التي تشكلت لوضع الدستور الجديد والتي كان عدد أعضائها يبلغ 256 شخصاً.

و يمكن اعتبار دستور عام 1961 تعبيراً عن أفكار حزب الشعب الجمهوري، ولذا فإن العلمانية مثلت العقيدة الجوهرية له، بيد أنه ظهرت بعض الأدبيات في فترة الستينيات تتحدث عن تبرير ممارسات "أتاتورك العلمانية مثل ما كتبه" حافظ ياشار اقر بعنوان "خمسة عشر سنة مع أتاتورك، ذكريات دينية"، ودعمت الدولة توزيع مثل هذه الأدبيات علي نطاق واسع بين المواطنين، لتحسين صورة مؤسس الجمهورية الذي نظر إليه علي نطاق واسع أنه عدو للدين⁽¹⁾.

واستخدم الحزب الدين لتوظيفه سياسياً خاصة وقت الحملات الانتخابية للحصول عل أصوات الناخبين. ورغم ذلك فإن الحزب كان يفز عه تصاعد المؤشرات التي تشير إلي تحول الجماهير ناحية الإسلام،

(1) إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، ص 88.

ومن ذلك مثلاً إظهار خوفه ممن أطلق عليهم الجيل الجديد من حفاظ القرآن باللغة العربية والذين يمكنهم أن يسببوا مشاكل من وجهة نظره، وهو يرى أن عملية التحديث التي بدأت منذ القرن التاسع عشر لم تتم بعد في تركيا وأن أكبر معوقاتهما هو نظام التعليم الذي يتجه ناحية الدين، وتتسم مجادلات المنتمين للحزب بنزعة وصاية علي الدولة والمجتمع، لذا فهم يرون أن الناس المتدينين الذين يقولون أن الدولة العلمانية لا ينبغي أن تتدخل في شئونهم، وأن أمور الدين يجب أن تستقل بها رئاسة الشئون الدينية Diyanet Isleri Baskanlig، معناه أن الدولة لا تقوم بواجبها الذي يستدعي الحفاظ علي النظام العام والذي يفرض عليها التدخل لمواجهة المتطرفين⁽²⁾، ورغم ذلك فإن حزب الشعب الجمهوري قبل بحكومة ائتلافية مع حزب السلامة الوطني Milli Salamt Partici ذات التوجه الإسلامي عام 1973 م، وكان برنامج الائتلاف ينص علي إلغاء كل القيود المفروضة علي حرية الاعتقاد والتفكير، ومنح الضمانات التي تقوي وسائل الإعلام، وإلغاء الحظر السياسي المفروض علي أعضاء الحزب الديمقراطي منذ انقلاب عام 1960 م، وفرض مادة التربية الأخلاقية في المدارس والتي لم تطرح بلغة دينية صارمة وإنما من منطلقات ذات طابع اجتماعي مثل الدعوة للسلوك الحسن والمواطنة الجيدة والنظافة أي الدعوة لقواعد السلوك الاجتماعي من منظور إسلامي.

ولم يعمر هذا التحالف طويلاً بل انفض في 18 سبتمبر عام 1974م بسبب المطالب الإسلامية لحزب السلامة من مثل الدعوة لوقف إنتاج الخمر والكحول وإنتاج “المربي” بدلاً منها، وكانت مواقف حزب

(1) Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cit, p91 - 100.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

السلامة تعكس توجهاته الإسلامية التي تستند بشكل واضح لتحريم القرآن الكريم لها⁽¹⁾.

- أما حزب العدالة وريث الحزب الديموقراطي فقد التفت حوله ذوي التوجهات الإسلامية وكانوا يصوتون له في الانتخابات حتي استطاع الحصول علي الأغلبية منذ عام 1965 وتسلم الحياة السياسية منذ ذلك الوقت حتى عام 1980 م، ومؤسسه هو الجنرال المتقاعد " راغب كوموش " ومعه نخبة ثقيلة من ذوي الحس الإسلامي من مثل " تحسين دميراي " و " وشناسي أوصما " و " ونجمي أولك تم " و " أدهم منمنجي أوغلـو " و " جـودت بـرـرـين " و " إحسان أونال " و " أمين آجار " و " كاموران أوليا أوغلو " ومحمد بورغانجي أوغلو " ⁽²⁾.

ولا يغيب عن الذهن أن " نجم الدين أربكان " نفسه مؤسس الحركة الإسلامية في تركيا المعاصرة كان عضواً في حزب العدالة قبل أن ينفصل عنه في انتخابات عام 1969 م، وكان يعبر هو وأنصاره عن تيار إسلامي معتدل داخل الحزب الذي كان مركز الثقل السياسي فيه يتجه بقوة ناحية الإسلام، كما كان الحال من قبل مع الحزب الديموقراطي. ولأن قانون الأحزاب التركي يمنع قيام أي حزب علي أساس ديني، فإن التيار الإسلامي كان عادة يدخل كجناح ضمن أقرب الأحزاب إلي التوجه الإسلامي وهي أحزاب المحافظين الديموقراطيين الذين عبر عنهم في ذلك

(1) Ibid, p. 107

(2) محمد حرب، آليات الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. د، ص 130 وهو يشير إلي أن " سليمان ديمريل " صار أميناً عاماً للحزب بعد وفاة أمينه السابق حيث انتخب بأغلبية ساحقة كأمين عام جديد للحزب عام 1964 م.

الوقت حزب العدالة JP⁽¹⁾.

وتشير مناقشات وتصريحات بعض قادة الحزب حول المسألة الدينية إلى أن الدين هو مؤسسة يمكن الاستناد إليها في تحقيق التقدم لذا لا ننتظر كل شيء من المدارس فقط بل المساجد أيضا يمكنها أن تساعد في تحقيق النهضة.

الإسلام لم يكن أيديولوجية للحزب لكنه كان مأخوذاً في اعتباره، ولذا كان أحد أدوات الإصلاح الديني عند حزب العدالة هي تطوير المدارس الإسلامية لحماية الدين الذي هو واقع وحاجة لا يمكن الاستغناء عنها، فالدولة العلمانية لا تطلب من مواطنيها أن يكون ملاحدة أو لادينين، لذا فمواجهة الرجعيين والمتطرفين يكون بتخريج نوعية متميزة من رجال الدين دون أن يعني ذلك تغيير الدين نفسه أو إصلاحه بالطريقة التي تم بها في أوروبا في القرن السادس عشر.

فحاجة المسلمين هي العودة للأصول والتقاليد، ولا يمكن القبول بمقولة إن الإسلام ضد التقدم، فالمسألة هي أن مناهج الدراسات الدينية ظلت أسيرة للخرافة ومن ثم فلم يحدث التطور، ومن ثم لا بد من فصل جوهر الدين عن الخرافات.

وباعتبار الحزب يعبر عن اليمين المعتدل فإنه أعلن حرباً لا هوادة فيها على الاتجاهات والأيديولوجيات المتطرفة خاصة الشيوعية التي اجتاحت تركيا مع منتصف الستينيات، ولذا سعي إلى السماح لخريجي الأئمة والخطباء من المدارس الثانوية للالتحاق بالجامعات من أجل استخدامهم في مقاومة التيارات الشيوعية واليسارية متسلحين بأدوات

(1) نفس المرجع، 131.

وقد شكل حزب العدالة حكومة ائتلافية مع حزب السلامة الوطني ضمن ما أطلق عليه " أحزاب الجبهة القومية " في إبريل عام 1975م، وتضمن برنامجها الوقوف ضد الشيوعية ومنع الفوضى في البلاد، وضبط عمل الإذاعة والتلفزيون ليتسم بالحياد والإنصاف وعدم العدوان علي الجمهوريــــــــــــة

أو الأخلاق العامة، و ضمان حق خريجي مدارس الأئمة والخطباء في الالتحاق بالجامعات، وقصر الحق في تدريس مادة الدين بالمدارس العلمانية علي خريجي المعاهد الإسلامية العليا ومدارس الأئمة والخطباء⁽¹⁾.

- ويمثل حزب الفلاحين الوطني الجمهوري Cumhuriyetçi köylü Millet Partisi في علاقته بالإسلام علامة مهمة تستحق الإشارة، فعلاقته تمتد إلى حزب الأمة الذي تأسس عام 1948م من منشقين عن الحزب الديمقراطي وفي الخمسينيات اتجه الحزب بقوة ناحية اليمين وصار أكثر عداءً للكمالية وهو ماقاد إلى حله من جانب الحكومة عام 1953م، ولكن الشخصية الكارزمية “ لعثمان بلوك باشي “ جعلته يعيد تأسيسه من جديد باسم “ الحزب الجمهوري الوطني “ عام 1954م، وبعدئذ اندمج مع

) 1(Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cit, p. 101 - 108.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

حزب صغير آخر اسمه " حزب الفلاحين " ليصبح الاسم الجديد لاندماج الحزبين هو " حزب الفلاحين الوطني الجمهوري " RPNP, S.

ويشير برنامج الحزب ذات الطابع الاجتماعي المحافظ إلي احترام الدولة الإسلامية وأصول السياسة الإسلامية في الوقت نفسه الذي يدعي فيه احترام العلمانية، ويمكن تفسير موقف الحزب فيما قد يبدو تعارضاً علي النحو الذي يفهم العلمانية علي أنها تعني عدم تدخل الدولة في الشؤون الدينية.

أو السيطرة عليها أو التلاعب بها أو التأثير فيها كما تقتضي سياسة تركيا الجمهورية.

وهنا سوف نجد أن أحد أهم آليات مواجهة الدولة التركية لمنع سيطرتها علي الدين واحتكارها له وتأويله بما يخدم أهدافها ومصالحها، هي تفسير العلمانية وفق النمط الغربي والتي تعرف في الأدبيات التركية " بالعلمانية المتسامحة " و الذي يعني حياد الدولة تجاه الدين وليس السيطرة عليه ومنح الناس حرية الاعتقاد والتفكير والضمير والسلوك كما يقرر الدستور التركي، وهذا التفسير للعلمانية والذي يمكن وصفه " بالعلمانية المدنية " هو الشفرة أو الكود الذي يستبطن بالضرورة الدفاع عن الإسلام في ظل منع استخدام لغة دينية في الحياة السياسية التركية، وفي ظل العودة الهائلة من جانب الشعب التركي بكل أطرافه وفئاته للعودة إلي الدين الإسلامي.

وفي جدالات الحزب الفكرية مع معارضيه نكتشف وجود رؤية اشتراكية له تنحاز للفقراء والفلاحين ولكنها تؤكد أنها ليست يسارية خوفاً من سوء الفهم للييسار في تركيا والذي كان يعني الشيوعية والعمالة للاتحاد السوفيتي، فهم يفهمون اليسار علي أنه إصلاح وتحسين للنظام وليس

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

الثورة عليه، ومن هنا اعتبروا "الكمالية" تعبيراً عن اليسار، كما اعتبروا الإسلام حركة يسارية طالما بقيت قادرة على تحريك الجماهير، وحين تفقد هذه القدرة فإنها تكون ضد اليسار. فهذا تعبير عن التوفيق بين اليسار والإسلام، في ظل تنامي الاتجاهات اليسارية بقوة بين الجماهير والإنتلجنسيا علي حد سواء ولذا ليس غريباً أن يكون لحزب يتسم بنزعة محافظة تعبيرات ذات طابع يساري⁽¹⁾.

- هذا الحزب سيسيطر عليه "القوميون الأتراك" "بزعامه" ألب أرسلان تركيش " بعد انتخابات عام 1965م الذي فاز فيها حزب العدالة بالأغلبية، ليصبح اسمه " حزب الأمة " ثم ليتحول اسمه بشكل درامي بعد ذلك إلى " حزب الحركة القومية Milli Hareket Partisi، وهو يعكس التحول الفكري للتيارات السياسية ناحية الإسلام حيث يري التيار القومي أن الإسلام جزء رئيسي من الشخصية والثقافة التركية، وطالبت المادة 10 من برنامجه بأن يحصل علماء الدين علي أجور كافية، كما دعت إلي توثيق العلاقة مع العالم الإسلامي والعربي، وكان زعيمه يتحدث عن استمداد قوته من الله لكنه كان ينطقها بالتركية Ulu Tanri وعلي أية حال لم يكن الإسلام هو موضوعه الرئيسي بيد أنه كان يريد استخدامه لجذب الأنصار علي نطاق واسع في الداخل وتوظيفه كأداة في خدمة أغراض السياسة الخارجية⁽²⁾.

(1) Ibid, pp 92 - 99 وفاز حزب الفلاحين بـ 54 مقعداً في البرلمان و 16 مقعداً في مجلس الشيوخ التركي. وحصل علي 11 مقعد في انتخابات 1965 م.

(2) Ibid, 95.

- أما حزب العمال التركي أكبر وأهم الأحزاب التركية ذات التوجهات الاشتراكية والذي حصل علي أكبر الأصوات التي حازها حزب اشتراكي في تركيا فقد تأسس عام 1961 م، ولكنه لم يشارك في الانتخابات الأولى بعد انقلاب عام 1960 م، وإنما شارك في انتخابات عام 1963 م، وانتخابات عام 1965 م، وظل موجودا في الحياة السياسية حتى عام 1971 م، وتأثير هذا الحزب في الحياة السياسية التركية أكبر من وزنه وحجمه ذلك لأنه نشر الأفكار الاشتراكية واليسارية والتي تركت تأثيرها علي الأحزاب والحركات الاجتماعية بدرجة أوبأخرى، ورغم كونه علمانيا كحزب الشعب الجمهوري لكن زعماءه السياسيين المرتبطين بالجماهير استغلوا الدين في حملاتهم الانتخابية والسياسية أكثر من الأحزاب الأخرى المضادة لهم، فهم كانوا يزجون الثناء علي الإسلام والدين كمرجع أو ملجأ أخير لهم.

وكان برنامج الحزب يتضمن حرية الضمير والدين والفكر، ويظهر تقديره للتدين الشخصي للمواطنين بنفس الدرجة التي يقدر بها الفلسفات الأخرى التي يتبعونها، فهو يدعو إلي حق المواطنين في الصلاة، وحقهم في إقامة احتفالاتهم الدينية، ويعتبر أن حرية الاعتقاد والكلام هي ركن أساسي من الحياة الديمقراطية، ومن حق الناس أن يستفيدوا من حرياتهم في حياتهم اليومية بالتعبير الفردي والجماعي عن أفكارهم وعقائدهم وبالوسائل التي يرونها مناسبة بالكتابة أو الصورة أو الكلام أوبأي وسيلة أخرى. وميز بين معاداة الاتجاهات الرجعية ومعاداة الدين نفسه، وفي نفس الوقت كان يري الدولة العصرية هي التي لا تقحم الدين في الشؤون العامة، فالدين مجاله الضمير الشخصي للأفراد وهو هنا يتشابه تماماً مع الكمالية التي ترفض توظيف الدين في السياسة أو من أجل المصالح

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

الشخصية، واقترح برنامج الحزب أن تتولي رئاسة الشؤون الدينية الرسمية الأمور الدينية لكل المسلمين بدون التمييز بين العلويين والسنة، أما غير المسلمين فينظمون أمورهم الدينية بحرية وفق دستور 1960 ووفق المعاهدات الحقوقية الدولية.

ومن أجل هذا التفصيل في الشؤون المتصلة بالدين من منظور علماني متسامح كان كثيرون من المحسوبين علي التيار الإسلامي يعطون أصواتهم لهذا الحزب وهو ما جعله مضطراً لصياغة موقفه من الدين بشكل واضح ومكتمل خاصة وأنه كان يوصم بأنه حزب شيوعي ولاديني⁽¹⁾.. وهنا أيضاً نلاحظ كيف أن حزب العمال ذا التوجه الشيوعي واليساري صاغ برنامجه بطريقة تضع الدين في حسابه، ومن هنا ظهرت في تركيا الأفكار التوفيقية بين الإسلام وبين الماركسية والاشتراكية واليسار وظهر تعبير " اليسار الإسلامي ".

- عقد الستينيات إذن كان تعبيراً عن تجاوز الحركة الإسلامية للأرضية التي اغتصبتها العلمانية الكمالية منها، فقد شهد هذا العقد تنامي للحركة واستوائها علي سوقها تعجب الزراع لتغيظ به الكفار⁽²⁾ وكما ذهب " علي بولاج " في كتابه " الرحلة إلي المدينة المعاصرة " فإن الهجرة من الريف التركي إلي المدينة عزز الحركة الإسلامية بتزويدها بمخزون لا ينضب من الشباب الذين انخرطوا فيها، وبنقل قيم الأناضول التي لم

(1) 97 - 96 p Ibid، وقد أ غلق الحزب في 20 يوليو 1971 م، بعد اتهامات وجهت لقادته بأنهم طالبوا بانفصال الأكراد، ووسمو الجيش بالإرهاب وحكم علي عدد من أعضائه بأحكام قاسية.

(2) الكفار هنا معناها الزراع الذين يضعون الحبوب في الأرض ويدفنونها لحمايتها، ويسمي كل من ينكر حقيقة ظاهرة لا سبيل لجودها بالكافر.

تغزوها الحداثة إلى المدينة التركية⁽³⁾.

وبشكل عام فإن عقد الستينيات كان هو فترة الانتقال من الاستئصال إلى المدافعة والمناضلة وإثبات الوجود والبحث عن الهوية وتأكيداتها، فلم يعد الإسلام يعبر عن مفاهيم الرجعية والتخلف والظلام كما أرادت العلمانية الكمالية أن تصوره، بل ظهرت نخبة جديدة من الطلاب والنساء والمثقفين الذين أضاءوا وجه الإسلام في تركيا، وتأسست جمعيات طلابية وأهلية مثل "اتحاد الطلاب الأتراك لمساعدة رجال الدين" وجمعية الهلال الأخضر لمحاربة المشروبات الكحولية.

وظهرت الصحافة الإسلامية القوية التي نافحت عن الإسلام وجادلت التيارات العلمانية واليسارية ومن أبرزها الصحيفة اليومية "ترجمان"، والصحيفة اليومية "بوكون"، أي اليوم، وصحيفة "صباح" و"يني آسيا"، وصحيفة "اتحاد" الأسبوعية والتي كانت تتحدث عن العالم الإسلامي ويقظته والوقوف في وجه المادية والعلمانية واليهود والماسون.

أما المجلة الثانية فكانت "الإسلام" وهي مهتمة بالجانب التعليمي الديني مثل الفقه والحديث والتفسير وكانت تقدم دروساً في اللغة العربية، وكانت هناك مجلات فصلية مثل "إسلام دو شونجه سي: الفكر الإسلامي"، وكانت أكثرها حدة "يكي دن ملي مجادلة: النضال الوطني من جديد".

الصحافة الإسلامية والحركة الطلابية كلما اقتربت من نهاية عقد الستينيات ازدادت قوة حتى تكلم بعضها عن "الجهاد المقدس" والدعوة علانية إلى "تركيا إسلامية"، وكان أهم شعارات الحركة الطلابية

(3) في حوار مطول مع الباحث إبان زيارته لتركيا لجمع مادته العلمية.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

الإسلامية في ذلك الوقت “ الإسلام قادم “ (1)، وبلغت قوة التيار الإسلامي منتهاها عام 1968 م حين انعقد في “ بورصة “ اجتماع عرف باسم “ حماة المقدسات: مقدسا تجلر “ وأعلن في هذا الاجتماع أن الشريعة الإسلامية ينبغي أن تعود إلى مكانها الطبيعي بدلاً من القانون “ المستورد “، وأعلن أن الإسلام دين ودولة ولا يمكن للإسلام أن يقام بدون دولة تحميه، وأن السلطة للإسلام لا للقوميات.

وخرجت مظاهرات الإسلاميين في ميدان تقسيم للاحتجاج علي “ الأتاتورية “، وظهر تنظيم باسم “ اتحاد النضال الوطني “ كان يمثل وعاءً للعديد من التوجهات الإسلامية ذات الطابع الحركي والتي كانت تمارس تعبيرها الإسلامي في الشوارع عبر المظاهرات والمواجهات مع التيارات الماركسية والعلمانية والماسونية(1).

وتشير بعض المصادر إلى محاكمات عقدت لبعض طلاب النور في أواخر الستينيات ولبعض الشباب التركي لمطالبتهم بعودة الخلافة(2)، وبدأت المساجد في نهاية عام 1968 تمتلأ عن آخرها ويصبح لأئمة المساجد الدور الأهم في قيادة وتوجيه الجماهير، ومن بين الأفكار المهمة التي فطن إليها المسلمون في تركيا هي دعوة الناس لصلاة الفجر كل يوم في مسجد وتجمع في “ السليمانية “ أكثر من أربعين ألف مصل، واجتمع

(1) إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. د، ص 90 - 91.

(1) نفس المرجع، ص 96. وأيضاً.

Hugh Poulton, Top Hat, Grey wolf and Crescent, op. cit, p. 175.

(2) محمد مصطفى، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. د، حيث أشار إلى اتهام محكمة اسطنبول للشباب التركي “ محمد جيجك “ بالسعي لعودة الخلافة كما ذكرت مجلة “ بوجون “، وأصدر اتحاد المعاهد الإسلامية والاتحاد الوطني للطلبة الأتراك بيانات للمطالبة بالإفراج عنه ويشير نفس المرجع إلى محاكمة لطلاب النور في سبتمبر 1968 م بتهمة إعادة الخلافة، ص 29.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

في مدينة “ أضنه “ عشرين ألف مصل، وفي مدينة “ حصار “ بأزمير تجمع أكثر من ثلاثين ألفاً مصل وهو ما أفزع القوي العلمانية والشيوعية ففجروا بعض القنابل في المساجد وهو ما يشير إلي بذور عنف فترة نهاية الستينيات في تركيا⁽³⁾.

* * *

(3) نفس المرجع، ص 30 وكتب شوكت آيفي “ رئيس تحرير مجلة “ بوجون “ ذات التوجه الإسلامي وأحد رموز التيار الإسلامي في الستينيات يقول: أنا عائد من أزمير.. لقد دخل المسلمون عهداً جديداً.. كم هو مسالم هذا المسلم وكم غيره وحشي.. المسلمون يصلون لرب العالمين.. وأعداء الإسلام يرشقونهم بالحجارة.

المبحث الرابع:

أحزاب " الملي جوروش " والحياة السياسية في تركيا (1970 - 1980 م)

- رغم نجاح حزب العدالة في انتخابات عام 1969 بنسبة كبيرة 46.2% لكنه شهد المزيد من تحدي الأجنحة اليمينية داخله لسياساته التي عبرت عن كبار رجال الصناعة وكبار رجال المال والأعمال، فقد انسحب من الحزب 41 من أعضاء " الجمعية الوطنية " وأسسوا حزبا جديداً اسمه " الحزب الديمقراطي الجديد⁽¹⁾ " Demokratik Parti " والذي عبر بشكل أساسي عن كبار ملاك الأراضي التقليديين وبعض البرجوازية الصغيرة الذين أخافهم صعود طبقة رجال الصناعة ورأس المال الجديدة⁽²⁾.

وشهدت البلاد في عقد الستينيات تحولات اجتماعية واقتصادية كبيرة جعلت من الطلبة والعمال وصغار الفلاحين قوي اجتماعية جديدة اجتذبتهم اليسار إلى صوته المدوي الذي فرض علي حزب الشعب الجمهوري التحول

(1) تشير المعلومات إلى أن نسبة مساهمة الزراعة في الناتج القومي التركي انخفضت من 49.9% عام 1950 إلى 23.8% عام 1969 م، بينما زادت نسبة مساهمة الصناعة من 15.8% إلى 26.4% في نفس العام، وهو ما يعني أن البرجوازية الصناعية حصلت علي نسبة أعلى من برجوازية ملاك الأراضي، كما أن المشاريع الصناعية الكبيرة التي يزيد عدد العاملين فيها عن خمسين عاملاً زاد مساهمتها في الإنتاج الصناعي الكلي من 37.76% في عام 1963 م إلى 49.9% عام 1967 م، وزادت نسبة مشاركة المشاريع الكبرى التي يعمل فيها أكثر من 200 عاملاً، وزادت القيمة المضافة لمصنوعات المشاريع التي يعمل فيها أكثر من 10 عمال بنسبة 2.2% مرة من عام 1963 إلى عام 1967 بينما لم تزد إلا بنسبة 1.7% لمجموع المشاريع الصناعية، وهكذا فإن أصحاب الحرف الصغيرة تركوا ظهورها وراء أصحاب المشروعات الكبيرة في فترة حزب العدالة.

(2) Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cit, p. 117.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

إلي اليسار للحصول علي أصوات هذه الفئات وهو ما قاد إلي انشقاقات داخله هو أيضاً جعلت التيار اليميني ينسحب ليؤسس " حزب الثقة الجمهوري " (1).

- إزاء فشل النظام الحزبي وعدم قدرته علي تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي، فإن التيار الإسلامي لم يكن منخرطاً بشكل مباشر في العملية السياسية وهو ما حفظ له سمعته وقوته التي بدأت في التبلور بشكل واضح عبر ظهور ما يطلق عليه " الوجه التكنوقراطي للإسلام السياسي " (2) والذي تمثل في شخصية " نجم الدين أربكان " الذي كان عضواً بارزاً في حزب العدالة ولمع اسمه كواحد من رجال الصناعة في تركيا، ثم تولي منصب رئيس دائرة الصناعة التابعة لاتحاد غرف التجارة والصناعة والبورصة التركية ثم أصبح أميناً له في عام 1967م.

وفي عام 1968م أصبح عضواً لمجلس إدارته ثم رئيساً له، وفزعت القوي العلمانية من اليمين واليسار من رئاسته للاتحاد الذي يوجه ويسيطر علي الفعاليات الصناعية والتجارية في كل تركيا وطالبت بإقصائه، وتمكنت فعلاً من ذلك، وهو ما نبه " أربكان " ومجموعته إلي أنه لا بد لهم من كيان سياسي مستقل، خاصة وأن محاولات التيار الإسلامي داخل حزب العدالة للضغط علي ديمريل لاتخاذ سياسات أكثر اقتراباً من الإسلام

(1) رضا هلال، السيف والهلال، م. س. ذ، ص 120، والذي يشير إلي أن الحزب تأسس عام 1966 وتحول حزب الشعب الجمهوري ليصبح تعبيراً عما أسماه " أجويد " يسار الوسط. وأشار مجلة New Left Review إلي أن سكان الحضر زادوا في تركيا في عقد الستينيات بمقدار خمسة ملايين وكان معظم النازحين من الريف إلي المدينة وأصبحوا يمثلون 39% من مجمل السكان وكانوا يعيشون في بيوت علي أطراف المدن تسمي " جوكوندو " كانت تبني في جنح الظلام.

(2) Hugh Poulton، Top Hat, Grey wolf and Crescent, opcite, 176.

حيث يشير إلي أن تركيا بازاء نخبة جديدة تقف في قلب التطورات الصناعية العالمية لكنها تحمل في نفس الوقت رؤية إسلامية في سياستها الداخلية فهي ترفض الانضمام إلي السوق الأوروبية المشتركة وتطرح بدلاً منها التوجه إلي العالم الإسلامي.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

لـم تجـد نفعاً. ويبـدو أن " ديمريل " أحس بخطر المجموعة الإسلامية داخل الحزب وأراد أن يؤكد الطابع العلماني لحزبه فرفض أن يطرح اسم " أربكان " علي قوائم الحزب في انتخابات عام 1969 م وهو ما جعله يرشح نفسه نائباً مستقلاً عن " قونيه " المعروفة بوجود مجموعة من رجال المال والصناعة الإسلاميين، كما أن عموم أهلها لهم توجهات إسلامية قوية حتي اليوم، ونجح " أربكان " كنائب مستقل، وكان معه ستة وعشرون نائباً آخرين نجحوا معه ودخلوا معاً البرلمان كمستقلين، وهؤلاء مثلوا أضخم تجمع للمستقلين عرفته الانتخابات التركية⁽¹⁾.

أولاً: حزب النظام الوطني.. التأسيس.. الأيديولوجية :

- هذه الكتلة المستقلة في البرلمان من ذوي التوجهات الإسلامية جعلتهم يفكرون في الإعلان عن حزب مستقل جديد يعبر عن القوي الاجتماعية الجديدة من البرجوازية المحلية الصغيرة والطلاب من الأجيال الجديدة والفلاحين وصغار الملاك وأيضاً المهاجرين القرويين إلي المدن.

وبعد سلسلة من المشاورات مع النخبة الإسلامية الجديدة في تركيا أجمعوا علي ضرورة تشكيل كيان سياسي مستقل عن الأحزاب العلمانية،

(1) عن تطورات بناء حالة إسلامية سياسية جديدة يمكن وصفها بميلاد " الوجه السياسي للإسلام " في تركيا راجع: محمد حرب، آليات الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 131، محمد مصطفى، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص 156 - 170. وأيضاً بالإنجليزية:

Kemal. karpat, The Gecekond, Rural Migration and Urbanization, (Cambridge: Cambridge Univeristy press, 1976) p. 218

Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. Cit, pp. 120 – 121.

وأعلن الحزب أنه لن يضم بين صفوفه ماسونياً أو شيوعياً بل المسلم الملتزم بأداء الصلوات الخمس والمشهود له بالتقوي والصالح والاستقامة⁽²⁾.

وكان شعار الحزب قبضة يد تشير بالسبابة إلى أعلى كما يفعل المسلم حين يتشهد في الصلاة، وتضمن البيان التأسيسي للحزب خطاباً جديداً مختلفاً عن الخطاب السائد في برامج الأحزاب فهو يتحدث عن أصالة تركيا ووحدتها وهويتها والجذور الذي يمتد إليها الحزب إلى أكثر من ألف عام، وهو هنا يصل ولا يقطع ولا يري تاريخ تركيا مع بداية الكمالية، وإنما الأتراك شعب عريق له إسهاماته أيام العثمانيين وله تاريخه وهو الذي تحدي الغرب وتغلب عليه، وقدم نظاماً حضارياً وإنسانياً مشرقاً “أمتنا العظيمة هي امتداد لأولئك الفاتحين الذين قهروا الجيوش الصليبية قبل ألف سنة والذين فتحوا اسطنبول قبل 500 سنة وأولئك الذين قرعوا أبواب فيينا قبل 400 سنة، وخاضوا حرب الاستقلال قبل 50 سنة، هذه الأمة العريقة تحاول اليوم أن تنهض من كبوتها وتجدد عهدها وقوتها مع حزبها الأصيل حزب النظام الوطني NOP.

تم الإعلان عن الحزب في مؤتمر صحفي يوم 26 يناير 1970 وفي الاجتماع التأسيسي له علت التهتافات بالتكبير، وفي مدة سنة استطاع الحزب تأسيس 60 مركزاً و300 شعبة، ودعم الحزب الجديد جماعة النور، والاتحاد الوطني للطلبة الأتراك MTTB، وبعد عام علي تأسيس

(2) اللافت للنظر أن تعبيرات الرفض لطابع التنمية الرأسمالي التركي اتخذت طابعاً دينياً وأخلاقياً، وبينما كان تعبير الرفض الديني في الخمسينيات هو “الكافر” أصبح في الستينيات يتخذ مصطلحات مثل الماسونية والصهيونية لأولئك الرأسماليين والاحتكاريين بينما يتخذ مصطلحات “الشيوعية” والمسكوف “لأولئك الراديكاليين من اليسار. فهؤلاء جميعاً قوة تعمل ضد الإسلام.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

الحزب في يناير 1971م عقد أول مؤتمراته العامة والذي كان مظهرة هائلة أثارت التحفز والقلق لدى القوي السياسية الأخرى.

وتكلم “أربكان” فقال “إن أمتنا هي أمة الإيمان والإسلام ولقد حاول الماسونيون والشيوعيون بأعمالهم المتواصلة أن يخربوا هذه الأمة ويفسدوها ولقد نجحوا إلي حد بعيد، فالتوجيه اليوم بأيديهم والتجارة بأيديهم والاقتصاد بحوزتهم، يسيطرون علي مقدرات البلاد، أوجدوا لأطفالنا المناهج حتى استحالت جامعاتنا إلي معاهد للإفساد وها أنتم ترون النتائج اليوم بأعينكم، ولهذا فلا ملجأ لكم من هذا الطوفان إلا العمل معنا يدأ واحدة وقلباً موحداً حتى نستطيع أن نعيد البلد إلي سيرتها الأولى وأن نصل تاريخنا المجيد بحاضرنا المشرق، إننا سنغير الدستور وسنجعل بموجبه رئيس الجمهورية ينتخب مباشرة من الشعب ويتولى أمام الشعب مسئولياته كاملة” (1). أحدث الحزب الجديد هزة في الحياة السياسية التركية، فتكونت جبهة اسمها “حزب الثقة والأمة” بزعامة “فيضي أوغلو”، وبدأ نواب “جماعة النور” في البرلمان ضمن حزب العدالة ينضمون للحزب الجديد، وانضم قطاع كبير من الشباب المسلم إلي الحزب.

(1) البيان التأسيسي للحزب راجعه في مصطفى محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س.

وعن الأيديولوجية التي تبناها الحزب والتي مثلتها الأفكار الجديدة

لـه فـة

تمثلت في:

- 1 - استعادة المؤسسات الهامة في تركيا إلى أصحابها الأصليين و التي تم اغتصابها وتسليمها إلى أيد غريبة وغير وطنية.
- 2 - إرجاع الناس إلى طبيعتهم ومحورهم الأصيل فطرة الله حتى يستقيم أمرهم ويتخلصوا من عقدهم، التي ورثها لهم حكم أربعين سنة، القوي الخارجية هي المؤثرة في توجهاتهم وتحاول إبعادهم عن محورهم الحقيقي إلى محور غريب أوقعهم في ضيق وعنت شديد.
- 3 - التسميات المعاصرة مثل اليمين واليسار والوسط هي من اختراع الماسونية والصهيونية وكلها مؤسسات تابعة تسعى لغرض واحد أن تتحرف تركيا عن خطها الحضاري الذي عمره ألف سنة، وإنه لا بد من التخلص من هذه الأسماء الغريبة والعودة إلى الخط الأصيل الذي يصل الماضي التليد بالغد المشرق.
- 4 - حزب النظام الوطني لا يشبه الأحزاب الأخرى فجميع الأحزاب تقوم علي أسس التسلط وشهوة الحكم ونحن نقوم علي أساس جديد يبتغي مرضاة الله والعمل في سبيل الوطن.
- 5 - نظام التعليم في تركيا نظام فاسد وضعته شردمة من الحاقدين من الصليبيين واليهود بشكل لا يناسب الأمة، فهو أسقط من حسابه كل قيمة معنوية أو أخلاقية أو دينية غايته فصل تركيا عن ماضيها الإسلامي وسلخها عن دينها وقيمها لقتل الأجيال وتدمير البلد، ومرت خمسون سنة ونحن نسمع أن تركيا جزء من أوروبا وأن النهضة لابد من قيامها علي

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

أنقاض الدين كما حدث في الغرب متناسين أن الإسلام يختلف عن الكنيسة ودولة القسس.

6 - بينما تمنع الدولة توزيع الكتب علي المعاهد الإسلامية العالية وتحاول إغلاق معاهد الأئمة والخطباء ومدارس تعلم القرآن تنفق الملايين علي المسارح والممثلين وثنماً للمشروبات التي توزع في السفارات، وفي الوقت الذي تعترض الدولة علي الطالبات اللواتي يلبسن “ الحجاب “ علي رءوسهن تدرس كتب اللاهوت في كل مكان في الدولة دونما رقابة أو ضجة.

7 - تركيا في أزمة اقتصادية خانقة، وليست المشكلة هي المال والاقتصاد فهما من أسباب السعادة ولكن المال بدون معنويات لا ينفع شيئاً، فالمعنويات ترفع قيمة الأشياء وتركيا بحاجة لإصلاح جذري في تفكير الأمة ومناهج حياتها.

8 - أجهزة الإعلام هي أجهزة فاسدة تسيطر عليها القوي الفاسدة ولا بد من تغييرها بحيث تخدم الأمة بدلاً من استغلالها وتضليلها.

9 - قوة إسرائيل ليست 2.5 مليون يهودي يعيشون فيها بل في مجموعة القوي الصهيونية العالمية وعلي رأسها أمريكا، فأهداف “ إسرائيل التوسعية لا تقتصر علي البلاد العربية فحسب بل تتعداها إلي الأناضول في تركيا، فاليهود يسيطرون علي أمريكا، وفي نيويورك أكبر مــــــدن أمريكــــــا ســــــتة ملايــــــين يهودي من أصل 9 مليون هم مجموع السكان، ويضم مجلس الشيوخ الأمريكي 56 يهودياً من أصل 62، ويضم مجلس البرزديوم الروسي 7

يهود من أصل (1)9.

10 - في لقاء “ أربكان “ مع الصحافيين الأتراك وإجابة علي سؤال عن الأحداث الدامية التي تقع في تركيا قال: إن هذه الأحداث بدأت من الجامعات بين الطلبة ثم انتشرت في المصانع ثم وصلت للبيوت، والنظام الماسوني الحاكم هو الذي يحرك هذه الأحداث لأنه يتبنى أفكاراً عكس ماتريده الأمة من حرية ورفاه..

هذا النظام هو الذي يدرس لأبنائنا في المدارس أنه لا توجد حياة وراء هذه الدنيا، ولذا فالكسب المادي هو الأساس ولا فرق بعد ذلك بين من يسرق المال أو من يكسبه بالطريق الحلال.. هذا النظام الماسوني الذي أقامه حزب الشعب من قبل ويتزعمه الآن حزب العدالة ما هو إلا نظام فئة من الناس استولت علي جميع المكاسب وأهملت الشعب إهمالاً كبيراً وإن حزب العدالة ليفوق حزب الشعب الجمهوري بأنانيته وعقليته المنحرفة، لقد استطاع هذا الحزب إفقار الشعب حتي إن أقصى ما يطمح إليه الشباب الآن هو أن يلتحق عاملاً في أوروبا.

ووعد الحزب بأن أول عمل سيقوم به إذا فاز بالحكم هو **تغيير مناهج التعليم من مناهج تخدم الماسونية إلي مناهج تدرس المعرفة إلي جانب الخلق القويم والتاريخ الوطني** الذي امتد علي مدار ألف عام كانت فيه الدولة العثمانية أكبر دولة في العالم، في ذلك الزمن كان لنا علماء حقيقيون و**كـ**ان شـعار الطابـعة “ من علمني حرفاً كنت له عبداً “، وليس المسدس يصوب إلي صدر أستاذه إذا خالفه أو لم يرق له.

(1) نفس المرجع، ص 179 - 180

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

ثانياً: برنامج حزب النظام الوطني.. الملي جوروش :

الخطوات التي بشر بها الحزب لتغيير وجه تركيا والتي مثلت برنامجاً هي:

- 1- إلغاء الربا بكل أشكاله المختلفة من جميع المعاملات والحسابات وبذلك سيوفر علي الأقل 30% من قيمة كل سلعة في تركيا.
- 2- تغيير نظام الضرائب بحيث يتحمله الأغنياء وليس الفقراء.
- 3- تغيير نظام القروض بحيث تمنح لكل من يقوم بمشروع مفيد للدولة.
- 4- العمل هو جزء من العقيدة وحين يتحول إلي عقيدة فإنه يثمر ولا يتوقف
- 5- في تركيا مصاريف سرية وعلنية بلا حدود ولا حساب وهي ضارة في ذاتها وترهق ميزانية الدولة وبالإمكان الاستغناء عنها فوراً⁽¹⁾.

(1) راجع محمد مصطفى، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص 184 - 185 وعن برنامج الحزب وأفكاره راجع أيضاً: طارق عبد الجليل السيد، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص 92 - 93 ورغم إشارته للإجراءات التي يطرحها الحزب ومنها دعم المبادرات الاقتصادية الخاصة واللامركزية الاقتصادية والسياحة الوطنية للتعريف بالشهداء والأولياء لكنه يؤكد أن الحزب تعبير عن الروح الإسلامية المكبوتة منذ العصر الجمهوري ولا بد من التعبير عنها عبر حزب سياسي. وراجع أيضاً إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 96 - 97 وذكر أن من بين النواب المستقلين الذين نجحوا في انتخابات 69 م، وأسسوا حزب النظام الوطني “حسن أقصاي” الذي أصبح مسئولاً عن التنظيم والدعاية والإعلان في الحزب، وأحمد توفيق باك صو رئيس الشئون الانتخابية والجماعات الملحقة بالحزب وسليمان عارف إمره السكرتير العام للحزب وإسماعيل مفتي أوغلو السكرتير العام المساعد وعمر فاروق أركين المسئول المالي وأغلبهم كانوا أعضاء في حزب العدالة لكنهم كانوا يمثلون الجناح الإسلامي داخله.

- يشير " جاكوب لاندو " إلي أن روح الحديث ونغمته كانت تمثل دعماً للدين علي نطاق واسع، فقد كانت هناك قصائد تقرأ تهاجم الماسونية والشيوعية، والإلحاد والمادية، وبقدر دفاع الحزب عن الديمقراطية فإنه كان يستبطن الدفاع عن الإسلام، ولأن الدستور يمنع استخدام الكلمات الدينية المباشرة فإن برنامج الحزب استخدم اللغة غير المباشرة مثل " الفضيلة والأخلاق " الوثيقة الصلة بالإسلام ليجعل من هدفه أمراً واضحاً. وفيما بدا أن برنامج الحزب عارض استغلال الدين للأغراض السياسية، فإنه طالب بأن تمنح رئاسة الشئون الدينية حريتها الكاملة في الفعل والممارسة. وبالطبع دافع الحزب عن حرية الضمير وخاصة حرية التعليم الديني، كما دعا إلي العدالة الاجتماعية باعتباره أرضية لحماية الفضيلة والأخلاق.

- المؤشرات الواضحة للحزب تجاه الإسلام كانت تقف علي أرضية العلمانية، فبينما لا يمكنه قانونياً مهاجمة العلمانية فإنه يؤكد علي أن الحزب يعارض أي تفسير للعلمانية يجعل منها معادية للدين، وتلك كانت فقرة واحدة في برنامج الحزب من بين 100 فقرة ومادة، ومن الممكن أن يكون التوجه الإيجابي ناحية الإسلام والرغبة في استثمار المشاعر الدينية هو الذي حرك الحزب الديمقراطي عام 1954 م، كما حرك حزب النظام عام 1970، بيد أن الحزب الديمقراطي لم يكن واضحاً في برنامجه أي توجه إسلامي، بينما حزب النظام الوطني كان واضحاً أنه حزب للإسلام بقدر ما سمحت به القوانين العلمانية لتركيا⁽¹⁾.

ثالثاً: إغلاق حزب النظام الوطني وتأسيس حزب السلامة :

(1) Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cit, 120 - 121.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

- أغلق الحزب في 20 مايو 1971 م بأمر المحكمة الدستورية العليا لانتهاكه المادة 2 و 19 و 57 من دستور 1961 م والمتعلقة بشخصية الدولة العلمانية⁽²⁾ وعللت المحكمة أسباب حكمها بالآتي⁽³⁾:

- 1- المبادئ التي قام عليها الحزب وتصرفاته فيما بعد تخالف مبادئ الدستور.
- 2- العمل على إلغاء العلمانية في البلاد وإقامة حكومة إسلامية.
- 3- قلب جميع الأسس الاقتصادية والاجتماعية والحقوقية التي تقوم عليها البلاد.
- 4- العمل ضد مبادئ أتاتورك.
- 5- القيام ببعض التظاهرات الدينية.

- جاء في حكم المحكمة أنه لا يحق لأي من شخصيات الحزب أن تعمل من خلال أي حزب سياسي آخر، ولا أن يؤسسوا أي حزب جديد ولا أن يرشحوا أنفسهم لأي انتخابات قادمة ولو بشكل مستقل لمدة خمس سنوات، وحاصرت فصيلة من الجيش المركز العام للحزب في أنقرة وطويت صفحته كأول حزب يعبر عن الوجه السياسي للحركة الإسلامية في تركيا⁽¹⁾.

(1) Hugh Poulton, Top Hat, Grey wolf and Crescent, op. cit, p. 176.

(3) محمد مصطفى، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص 185 - 186 ويشير طارق عبد الجليل إلى أسباب أخرى منها الرغبة في إلغاء المادة 63 من الدستور والتي تحظر القيام بأنشطة تنطلق من أسس دينية ومناداته بعودة الخلافة وقوله بأنه لا يمكن الفصل بين الدين والدولة والمناداة بجعل الدروس الدينية إجبارية في المرحلة الإعدادية ورؤيته للتطورات التغريبية والعلمانية منذ الجمهورية بأنها عصر الضلالة وراجع ص 94.

(1) مصطفى محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص 186، وأغلق الحزب في 1 إبريل عام 1971 م ولم يستمر أكثر من ستة عشر شهرا هي الفترة مابين تدشينه وإغلاقه.

- الفكر الذي طرحه الحزب والذي يعرف بـ Mili gorus أي حركة " الملي جوروش " - وهي الحركة الفكرية الجديدة التي ستعبر بعد ذلك عن كل الأحزاب السياسية التي سيؤسسها " أربكان " ومجموعته⁽²⁾ سيظل هذا الفكر يقاوم ويحاول إثبات وجوده اليوم عبر " حزب السعادة " الذي يترأسه " رجائي قوطان " ⁽³⁾.

ونشير إلي أن الفكر الجديد الذي طرحه " أربكان " ومجموعته عبر حزب " النظام الوطني " يمثل خروجاً كاملاً علي نمط التيارات الفكرية والسياسية التي عرفتها تركيا الكمالية والتي عبرت عادة عن " يمين الوسط " و " يسار الوسط "، فالمشروع الفكري لأربكان عبر عن حركة مناهضة بشكل صريح للقواعد التي قامت عليها الجمهورية، فهو يرفض الغرب والتحالف معه بوضوح لا يخالجه لبس ولا غموض، وهو يعلن مناهضته وكشفه للتجمعات الاقتصادية الرأسمالية المتحكمة في البلاد والمرتبطة بالاقتصاد الغربي والتي تستمد غالب أرباحها من الربا، وهو يشن حملات قوية لاهوادة فيها علي الصهيونية والماسونية وحلفائهما من

(2) **الملي جوروش** هي الحركة التي بدأت مع " أربكان " عام 1969 م، وكما ذكر لنا " شوكت قازان " فإن قاعدتها التصويتية كانت في المدن الكبرى وهي تدعو إلي تركيا مستقلة غير تابعة للدول الكبرى مكتفية داخلياً بنفسها ملتزمة بالأخلاق المعنوية والديموقراطية الكاملة التي تحترم حقوق الإنسان وتحافظ علي استقلال الوطن، وهم يعتبرون أنفسهم بقايا الدولة العثمانية الكبيرة، حوار مطول للباحث مع الأستاذ " شوكت قازان " بتركيا. وقال لنا " أربكان " حركة الملي جوروش " هي تحويل المجتمع التركي إلي الإسلام حوار آخر للباحث مع نجم الدين أربكان بتركيا. والملة في المصطلح التركي هي تعبير عن القومية أو الوطنية لذلك يستخدم الإسلاميون ومنهم " أربكان " مصطلح الملة بمعنى التعبير الظاهر عن الأمة الإسلامية وعادة ما يستخدمون " ملة إبراهيم " لوسمها بالإسلامية التي لا تنتصر لعرق أو لغة ولكنها تعبر عن الأمة الإسلامية.

(3) حزب السعادة هو الحزب الذي يعبر اليوم في تركيا عن " الملي جوروش " وهو ليس لديه ممثلين في البرلمان كما أن نصيبه من المجالس المحلية كان ضئيلاً جداً إذ لم يزد علي 3.5%، ويبدو أن حزب العدالة والتنمية " الألق بارتني " قد سحب كل القاعدة التصويتية لحركة الملي جوروش " باتباعه خطاباً يسميه أتباع أربكان " بالإسلام الخفيف " أو الناعم Light Islam.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

الأحزاب العلمانية اليمينية في تركيا، وفوق ذلك فإنه يتبنى مفاهيم أخلاقية ومعنوية وتاريخية جديدة تستخف بالعلمانية والأتاتورية ولا تراها سبيلاً لحل مشاكل تركيا بل هي التي وضعت البلاد في علي كافة الأصعدة، وهو يعيد الاعتبار للإسلام والتاريخ الإسلامي والخبرة العثمانية والمجتمع التركي الذي صودرت إرادته من أجل النخبة العلمانية المتعالية واللفطرة الإنسانية التي يراها أحد المصادر المهمة التي ينطلق منها خطابه والتي تتماهى بالضرورة مع الإسلام.

ولذا كان " التفكير الملي " تعبيراً عن صوت جديد يمتلك مقومات استعادة الهوية التركية المستقلة كتعبير عن أمة لها تراثها وتاريخها في بيئة قامت علي فكرة التوفيق بل والتفليق والتقريب والحلول الوسط بعيداً عن المواجهة والحسم الفكري والاجتماعي والسياسي. وكان القائمون علي الفكرة يشعرون بخطر ما هم قادمون عليه ولذا يشير " شوكت قازان " إلي المثل التركي الذي يقول " من صدق طرد من تسعة قري "، ويذكر " سليمان عارف إمره " أن يهود أمريكا أرسلوا إلي تركيا رجلاً اسمه " موسي صفوت " جلس مع أربكان ومعه وهددهم أنهم إذا لم يرفعوا من برنامج حزب " النظام الوطني " النزعة المعادية للصهيونية والماسونية فإن حزبهم سيغلق، رفض أربكان وقال نحن نتكلم كما نؤمن، وبعد 15 يوماً رفعت دعوي في المحكمة الدستورية العليا لإغلاق الحزب⁽¹⁾.

(1) قال لنا أكمل الدين أوغلو " الخبرة التركية حتي منذ الدولة العثمانية تعرف خط التوفيق والتقريب وعدم المصادمة الذي يقود إلي الفشل والخسارة، بينما نبهنا " سزائي كراكوج " إلي أن النظام السياسي التركي منذ عام 1960 وهو يقبل بتيارين هما الديموقراطية المحافظة والعلمانية الدولية الأولى مثلها الحزب الديموقراطي ثم حزب العدالة ثم حزب الوطن الأم وأخيراً حزب العدالة والتنمية " أو الألق بارتني أما العلمانية الدولية فعبّر عنها دائماً حزب الشعب الجمهوري

وكما هو الحال دائماً في الديموقراطية التركية فإن الجيش قفل إلى ثكناته ليراقب من بعيد وسمح للأحزاب أن تعود مرة أخرى لحلبة السياسة وفق القواعد التي يرسمها الجيش، وكما سيحدث دائماً فإن حركة “الملي جوروش” ستعود من جديد هي الأخرى لتؤسس حزبا جديدا يعبر عن التيار الفكري الجديد لها.

كان ذلك الحزب هو “حزب السلامة الوطني” MSP الذي تم تأسيسه في 11 أكتوبر 1972م حيث تقدم لتسجيل الحزب كل من “عبد الكريم دوغرو” والاقتصادي “تورهان أكيول” وترأس الحزب “سليمان عارف أمره” بينما كان أربكان خارج البلاد في ألمانيا، كانت عاصفة انقلاب 12 مارس 1971م قد هدأت وأصبح الجو مهياً لقبول حزب يعبر عن التيار الإسلامي في تركيا خاصة مع إحاطة المشكلة القبرصية بالجو السياسي العام في تركيا ومع التوتر السياسي الذي تعيشه البلاد بسبب الاستقطاب العسكري - المدني، وهو ما جعل إدارة الانقلاب تقبل بحزب “السلامة الوطني” لإضعاف حزب العدالة⁽¹⁾.

الذي لم يكن يسارياً وهو ما أطلقنا عليه “يمين الوسط” ويسار الوسط” أما الأحزاب التي تشتت يميناً أو يساراً فإن النظام السياسي التركي يعمل على طردها ومحاصرتها وهذا ماحدث للتيار الذي مثله “أربكان” والملي جوروش.

(1) عن حزب السلامة وبداية نشأته راجع:

Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cit, p. 121 - 123.

حيث يشير إلي أن “سليمان عارف أمره” كان قائدا للحزب أول تسجيله لكنه كان واجهة لأربكان، كما أشار إلي الجدال السياسي المذهل الذي طرحه أربكان في كتابه باللغة التركية Milli Gorus ve Anaysa Degisikligi أي الفكر الملي والتغير في الدستور والذي كان “أربكان” يحاول تطوير مواد الدستور لأفكار الملي جوروش فيما يتصل بالنهضة المعنوية والحفاظ علي الأخلاق وفيما يتعلق بالعلمانية وضرورة احترامها لحرية الضمير والعقيدة وعدم تدخلها في السلوك الديني للناس. وأيضا راجع: طارق عبد الجليل السيد، الحركات الإسلامية في

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

وإبان انعقاد المؤتمر الأول لحزب السلامة في 21 يناير 1973 م كان قد انتظم في 42 محافظة ونحو 300 مدينة، وصدرت **جريدة الحزب الرسمية لأول مرة باسم " مللي جازيت "** ودخل الحزب الانتخابات النيابية في 14 أكتوبر عام 1973 م وحصل حزب السلامة فيها علي 48 مقعداً أي أنه أصبح القوة السياسية الثالثة بعد حزب الشعب وحزب العدالة⁽¹⁾. وأصبح لا يمكن تشكيل أي حزب للحكومة بمفرده بدون الاستعانة بحزب السلامة الوطني.

رابعاً: حزب السلامة يشكل الحكومة مع حزبي الشعب والعدالة :

دخل حزب السلامة ذات التوجه الإسلامي لأول مرة في ائتلاف مع حزب الشعب الجمهوري الذي يترأسه " بولنت أجاويد " ووصف " سليمان عارف إمره " ذلك الائتلاف بقوله " وصفت العلمانية منذ زمن طويل في بلادنا بأنها عدوة للدين ومارست ضغوطاً قاسية علي المتدينين، وقبل أي شئ يجب هدم هذه الصورة، وتفريق تلك السحب الغائمة في أفق حرية الفكر والاعتقاد ".

ويشير أيضاً إلي أن جانب الأخلاق والمعنويات كان أحد الأسس التي قامت عليها حركة " المللي جوروش " وفي الائتلاف مع حزب الشعب عام 1974 طالب " سليمان عارف إمره " " أجاويد " بالالتزام بالدستور

تركي المعاصر _____ مرة، م. س، ذ، ص 98. وأيضاً تفصيلات مهمة في أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، حاضرها ومستقبلها، دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا، م. س. ذ، ص 129 - 130

(1) مصطفى محمد، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 201 - 202، وتشير بعض المراجع إلي أنه فاز ب 49 مقعداً وراجع مثلاً، إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 108.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

الذي يحض علي الأخلاق والمعنويات، فلما قال له “ أن هذا ضد العلمانية “ أخرج لـ _____

“ سليمان عارف “ من جيبه الدستور في البند الثالث منه مادة تقول “ الدولة تعلم الأخلاق والمعنويات لأطفالها ولا يسمح لأحد بأن يأتي بالأخلاق السيئة “ فهذا موجود في الدستور ولكنه غير موجود في برنامج الحكومة⁽¹⁾. وهنا قراءة جديدة للعلمانية وللدستور التركي تضعه في موضع لا يتعارض مع أهداف “ حزب السلامة الوطني “ في تحقيق مشروعه الذي أطلق عليه “ النهضة الأخلاقية والمعنوية “

- حصل حزب السلامة علي وزارات الدولة والداخلية والعدل والتجارة والجمارك والزراعة والتموين والصناعة بالإضافة لمنصب نائب رئيس الوزراء الذي شغله “ نجم الدين أربكان “، وتضمن بروتوكول الائتلاف مبادئ هامة مثل تربية الأطفال علي الأخلاق وإطلاق الحريات والعفو عن السجناء السياسيين علي اختلاف مشاربهم وإطلاق حرية الصحافة وإقامة أوثق الروابط مع دول العالم العربي والإسلامي وآسيا.

وحقق الحزب مكاسب اجتماعية ودينية وسياسية تمثلت في فتح عدد كبير من مدارس الأئمة والخطباء والبدء لأول مرة بتدريس مادة الأخلاق “ الإسلام “ كمادة إجبارية في المدارس والدعوة إلي تصنيع منطقة الأناضول النائية وتبني إنشاء الصناعات الثقيلة والسماح بالسفر برا للأتراك للحج وكان ذلك ممنوعاً، والمطالبة بالعفو الشامل عن جميع المسجونين السياسيين بكافة اتجاهاتهم.

(1) حوار للباحث مع “ سليمان عارف إمره “ في منزله بأنقره وسيدرج ضمن ملاحق الرسالة.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

ويذكر أعضاء حزب السلامة بنوع من الفخر أنهم هم الذين قادوا عملية إنزال الجيش التركي في قبرص لحماية القبارصة الأتراك، وطالب الحزب لأول مرة في البرلمان وبشكل علني إعادة النظر في الماسونية وخطورتها والضرب علي أيدي الماسونيين وسمح الحزب لكثير من الشباب المسلم الدخول لسلك الشرطة والبوليس وكان ممنوعاً منه، وأصبحت الشرطة عنواناً للعدالة بدلاً من توظيفها ضد التيار الإسلامي⁽¹⁾.

- يبدو أن التحالف بين “ حزب السلامة “ وحزب الشعب “ اللذين يمثلان الضحية والجلاد في الحياة السياسية التركية كان مفاجأة لم يتحملها جزء من القاعدة الإسلامية والتصويتية التي اعتمد عليها حزب السلامة وهم النورسيون “ والسليمانيون “ وبعض التيارات الإسلامية المتشددة⁽²⁾. ولذا حصل الحزب في الانتخابات التي جرت عام 1977م علي أصوات أقل، كما شهد انشقاقات وصراعات من داخله.

غير أن الحزب أرسى تقليداً مهماً في الحياة السياسية التركية وهو

-
- (1) مصطفى محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، ص 206 - 207، ولدنيا خريطة توضح خطة الحزب للتصنيع في تركيا بمنطقة الأناضول والمناطق المهملة من منظور تركي وطني وكانت خطته تقوم علي بناء 300 مصنع في تركيا تكون رافعة للتصنيع والاعتماد علي النفس.
- (2) عن الانقسامات داخل الحزب بسبب الائتلاف مع حزب الشعب وحزب العدالة راجع: إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا، حيث أشار إلي التفاف السليمانيون وجماعة النور حول حزب العدالة وأصدرت أحد فصائل النور جريدة يومية اسمها “ بني آسيا “ أي آسيا الجديدة هاجمت أربكان بدعم من حزب العدالة وحاولت تلويث سمعة الحزب وقائده وهو ما أدّي إلي انفصال 11 نائباً من حزب السلامة وانضمامهم إلي حزب العدالة، ص 111 وبتقصيلاات أكثر عن عناوين “ بني آسيا “ راجع مصطفى محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، ص 219 كانت بعض العناوين تتضمن حزب السلامة يقول: نحن علمانيون، حزب السلامة يقول: نعم للخمر والقمار، الحزب يؤيد اليسار والشيوعيين، حزب السلامة ماسوني، حزب السلامة والشعب علي اتفاق من الناحية الفكرية أثر كل ذلك علي موقف الحزب في انتخابات عام 1977م فحصل علي نصف المقاعد التي حصل عليها عام 1973م.

أن الممارسة السياسية تقاس بمنظور " السياسة الشرعية " وفقه المقاصد الذي يعتبر معيار مدافعة المفاصد وجلب المصالح هو المعيار الحاكم للخبرة السياسية، وفي التحليل النهائي كان اشتراك " حزب السلامة " في حكومة ائتلافية للمرة الأولى في تاريخ تركيا السياسي هو المفتاح الذي فتح الطريق للإسلاميين في تركيا ليكونوا جزءاً من بنية النظام السياسي نفسه وليسوا فقط مكوناً من مكونات الحياة السياسية والحزبية في تركيا. كما أنه أكد في الممارسة أن الإسلام ليس فقط تعبيراً عن مجرد الهوية الفردية أو مكوناً من مكونات الحياة الخاصة كما تراه الأحزاب اليمينية والقومية ولكنه كذلك جزء من الدولة التركية والنظام السياسي ويمكنه أن يجادل ويناضل في المجالات العامة والسياسية⁽¹⁾.

وفي 13 مارس عام 1975 م دخل حزب السلامة ائتلاًفاً جديداً مع حزب العدالة والحركة القومي والثقة الجمهوري فيما عرف باسم " حكومة الجبهة الوطنية "، والتي تكونت من ثلاثين وزيراً، منهم ثلاث نواب لرئيس الوزراء وكان أربكان " واحداً منهم بالإضافة إلى 8 وزراء لحزب السلامة الوطني، وكان بروتوكول الحكومة يقوم علي مقاومة الشيوعية ومنع الفوضي ومراقبة برامج التلفزيون والإذاعة التركية من الإساءة إلى الجمهورية أو الأخلاق العامة وتخفيض السن التصويت إلى 18 عاماً ومقاومة التضخم وضمان حق خريجي مدارس الأئمة والخطباء في الالتحاق بالجامعات وأيضاً قصر الحق في تدريس مادة الدين الإسلامي في المدارس العلمانية علي خريجي معهد الدراسات العليا

(1) كان رمز حزب السلامة هو المفتاح وذلك في إشارة من " أربكان " إلى أن حزبه هو المفتاح لكل أزمات تركيا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، كما أنه المفتاح الذي لا يمكن عقد أي تحالفات أو ائتلافات في تركيا بدونه، فهو قبة ميزان السياسة التركية.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

الإسلامية ومدارس الأئمة والخطباء، والحفاظ علي سلام القبازصة الأتراك عبر الفيدرالية معهم⁽²⁾.

استطاع حزب السلامة أن ينتزع من البرلمان قانوناً يجيز لبني عثمان العودة إلي ديارهم، وكتبت “ الملي جازيت ” الناطقة بلسان الحزب فقالت “ أن الأوان أن نضع معاهدة لوزان علي المشرحة.. فلا يكفي أن ننظر إلي اعتداءات اليونان علي حقوقنا في بحر إيجه واعتداءاتها علي المسلمين في قبرص وتراقيا الغربية.. بل لابد من وضع حد للبند المذلة التي تضمنتها المعاهدة والتي قيدت بها تركيا وألحقها تابعاً للغرب.. وحاولت فصلنا نهائياً عن تاريخنا وأمجادنا.. لقد مات صانع معاهدة لوزان.. ولا بد لهذه المعاهدة أن تلحقه.

وبشكل عام فإن حزب السلامة كان لديه برنامج الذي يسعى لتطبيقه وإن تباينت تحالفاته وهذا البرنامج يتضمن الحملة المعنوية والتصنيع الثقيل والتقدم المادي للجميع والاهتمام بزيادة الصادرات وسياسة اقتصادية ودولية متوازنة وسليمة والتعاون مع الأقطار الإسلامية الشقيقة⁽¹⁾.

- في انتخابات 1977 م مني حزب السلامة بهزيمة لم تكن متوقعة فقد حصل علي 8.6% من الأصوات وأصبح له 24 نائباً في “ المجلس الوطني الكبير ” بعد أن كان له 48 مقعداً، لكنه دخل من جديد في ائتلاف

(2) عن برنامج ائتلاف حزب السلامة مع “ الجبهة القومية ” Milliyetçi Ceph راجع: Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cit, p 108.

وكانت أحزاب الجبهة تتضمن حزب العدالة والثقة الجمهوري والحركة القومي والسلامة.

(1) مصطفى محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص 210 - 211 حيث ينقل عن الملي جازيت يناير 1975 وإبريل 1975

مع حزب العدالة بعد عجز حزب الشعب الجمهوري عن تشكيل الحكومة، وانتهى هذا الائتلاف عام 1978 م⁽²⁾. وعاد أجاويد ليشكل الحكومة من جديد في ظل تنامي موجة العنف اليساري واليميني بشكل لم تعرفه تركيا من قبل حيث كانت مصادمات الشوارع تخلف بشكل منتظم ثلاثة أو أربعة قتلى كل يوم⁽³⁾. وكانت أخطر حوادث العنف تلك التي وقعت بين السنة والشيعية في مدينة “مرعش” المعروفة بكونها مركزاً لتجمع العلويين في جنوب شرق تركيا وراح ضحيتها ما يقرب من مائة شخص أغلبهم من الشيعة⁽¹⁾.

خامساً: إغلاق حزب السلامة وأزمة النظام السياسي :

بدأت الديمقراطية التركية عاجزة عن مواجهة الأزمات التي تطبق بخناقها علي المجتمع خاصة الأزمة الاقتصادية الطاحنة، وأزمة عجز الديمقراطية وضعفها، ففي الفترة من 1973 م إلي 1980 م شهدت

(2) عن تطورات الأحزاب السياسية في تركيا راجع، سيار الجميل، العرب والأتراك، الانبعاث والتحديث من العثماني إلى العلمنة، م. س. ذ، ص 209، وأيضاً راجع طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص 105 - 106.

(3) رضا هلال، السيف والهلال، تركيا من أتاتورك إلى أربكان، الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي، م. س. ذ، حيث يشير إلى مساندة الحكومات اليمينية لمنظمة الذئاب الرمادية التي أسسها حزب الحركة الوطني ذو الميول القومية المتطرفة، كما ساندت الحكومات اليسارية المنظمات اليسارية وتساعد عدد ضحايا العنف السياسي في تركيا من 230 شخصاً عام 1977 م إلي 1200 عام 1978 م ثم إلي 1500 عام 1979 م واغتيلت الشخصيات العامة بعد هذا العام في مايو 1980 اغتيل نائب رئيس حزب الحركة القومي واغتيل نهات أريم رئيس الوزراء السابق وكمال توكلر رئيس اتحاد نقابات العمال اليسارية، ص 131 - 140.

(3) Mehmet Yasar, Political Parties In Turkey, Op. cite, p 110 .

حيث يشير إلي أن من قام بهذه المذبحة خلال يومين هو حزب الحركة القومي المتطرف، وكانت مدبرة لإحداث واقعة بين الشيعة والسنة لفصم العلاقة بين تأثيرات الثورة الإيرانية علي الحالة التركية.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

البلاد 12 حكومة أقلية وإئتلافية أي بمعدل حكومة كل 9 أشهر⁽²⁾ كان لحزب العدالة فيها نصيب الأسد بالطبع، وكان الصراع علي أشده بين حزب الشعب وحزب العدالة الحزبان الكبيران في تركيا، بينما حاول حزب السلامة الوطني أن يقدم نفسه للجمهور التركي باعتباره التعبير عن التوجه الوطني “ الملي “ الحقيقي الذي يسعى لإنقاذ تركيا من ورطتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

وكان هدفه الواضح هو كيف يمكن أن تصبح تركيا دولة قائد وكبيرة في اللحظة الراهنة بقدر ما عبرت عن ذلك في الماضي الذي لا يمكن فصله عن الحاضر والمستقبل. ومثل الخطاب الذي قدمه الحزب للجمهور التركي عاملاً لجذب جمهور الشباب بالإضافة إلي تعبيره عن أبناء الطبقات الوسطي والبرجوازية الصغيرة من صغار العمال والفلاحين والموظفين والقوي التقليدية في الأناضول في مواجهة هيمنة قوي الرأسمالية التي مثلها حزب العدالة ويمكن القول إن الحزب أصبح أكثر تعبيراً عن فئات من اليسار بتبنيه خطاباً في المسألة الاقتصادية وصف بأنه تعبير عن الاشتراكية الإسلامية⁽¹⁾.

(2) رضا هلال، السيف والهلال، م. س. ذ، ص 140، ويبدو مظهر الشلل في النظام السياسي التركي جلياً في المجلس الوطني الكبير الذي فشل في اختيار رئيس الجمهورية خلفاً للرئيس “ كورتورك “ بعد انتهاء مدة رئاسته عام 1980، ص 131.

(Ahmed, The Turkish experiment in Democracy: 1950 - 1975, op. cit, p. 317 - 318.)

وعندما قامت الإذاعة السرية للحزب الشيوعي التركي من برلين الشرقية فإنها طالبت أتباع حزب السلامة الوطني لقيادة المقاومة. وراجع النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص 151. وفي عام 1980 اتحد “ أربكان “ وأجاويد “ لعزل وزير الخارجية التركي من حزب العدالة لتورطه في توثيق علاقة تركيا بإسرائيل. ص 149

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

- المشروع الإسلامي للحزب مثل الرافعة الأساسية له، فقد بدا أن الإسلام هو الحل في خضم الفوضى التي تعانيها البلاد، وربما يشير حادث استنكار المصلين في مسجد الفاتح باسطنبول لطلب الإمام الدعاء والفتحة لروح "أتاتورك" في برنامج تلفزيوني كان يبث مباشرة علي الهواء إلي المدى الذي أصبحت الجماهير رافضة للعلمانية والأتاتورية⁽²⁾ وكان الحزب يتبنى مع رسوخ قدمه في الحياة التركية لغة أكثر إسلامية وجذرية في مواجهة العلمانية⁽³⁾.

وبمناسبة ذكرى فتح اسطنبول نظم الجناح الطلابي للحزب مسيرات في مدينة "بوزغات" حضرها أكثر من مئة ألف شاب وعلي رأسهم مسئولو حزب السلامة ورئيس الحزب "نجم الدين أربكان" وكان هتافهم الوحي
 "الله أكبر" وحمل المتظاهرون اللافتات التي تقول "الله أكبر" و "المسلمون
 أخوة" وكل شئ من أجل الإسلام "أنا مسلم وديني الإسلام" حزب السلامة يجاهد في سبيل الحق "المستقبل للإسلام" لا يسار ولا ماسونية "تسقط الصهيونية الطاغية" سنعيد آيا صوفيا للعبادة "وفي هذه المناسبة قال "أربكان" لشباب الحزب: أيها المجاهدون.. إن هدفكم الآن هو

(2) مصطفى محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص 253 والحادث وقع يوم 8 مايو 1980. وكما ذكرت "الملي جازيت" تمكن من قاموا بالحادث من مغادرة المسجد دون اعتراض وهو ما يعني أنهم كانوا أعداداً كبيرة ويحظون بتأييد المصلين.

(3) عن تفاصيل وافية تعبر عن موقف قادة الحزب من العلمانية راجع النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، ص 131 ومابعدا حيث أشار إلي أن قادة الحزب اعتبروا الإطار السياسي لتركيا الجديدة يناقض المبادئ السياسية للإسلام، والإسلام دين ودولة لا يقبل بالفصل بينهما، وفي باكستان قال أربكان "قبل كل شئ يجب أن تكون الدولة إسلامية، وإذا لم يكن الأمر كذلك فإن الدين الإسلامي في خطر. ص 132.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

تبليغ الحق إلى أبناء الأمة البالغة خمسين مليوناً وتأمين تجميع هذه الأمة تحت راية الحق، وأنتم أيها الشباب أغلي شباب هذا البلد بسبب قوتكم المعنوية أولاً والمادية ثانياً ولن يستطيع أحد أن يقف أمام المجاهدين أمثالكم، والذي يحاول ذلك سيندم وسيكون الخسران حليفه، وأنتم بهذا الإيمان الذي في قلوبكم رجال حق ومبلغو حق وسيغلب الباطل أمامكم مرة أخرى.

إن جيشكم هذا سيرفع الحق عالياً كما رفعه في فتح اسطنبول، إن القوي الخارجية الآن تصرف أقصى جهدها لوضع باطل مكان الباطل الحالي الذي أفلس ونحن يجب علينا أن لا ندع فرصة لعودة هذه الأمة من مرض لآخر⁽¹⁾.

ومن منصة البرلمان التركي قبل انقلاب سبتمبر عام 1980 بعدة أشهر قال: “ بعد الحرب الثانية اقتسمت الدول الاستعمارية العالم إلى مناطق نفوذ لهذه الدولة أو تلك وفي السنوات الأخيرة بدأ البعث الإسلامي يطل برأسه في مناطق كثيرة في أنحاء العالم.. في مصر وباكستان وأفغانستان وغيرها وبدأ المسلمون يطالبون بحقوقهم ويستشعرون قوتهم فهم قوة بشرية هائلة يحتلون أهم البلدان ويمتلكون أعظم الثروات ومع ذلك فإننا نجد إصراراً من النظام التركي علي عدم فهم هذه الظاهرة علي الرغم من قوتها ووضوحها.. إن لتركيا محبة خاصة في نفوس المسلمين؛ لأن الأتراك المجاهدين المسلمين حملوا الإسلام قروناً طويلة ضحوا وجاهدوا وتعبوا.. ومع ذلك فلا يريد النظام أن يستفيد من هذا المعني.

(1) مصطفى محمد، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص 254 - 256.

إنني أسأل النظام.. لماذا يستنكر احتلال روسيا لأفغانستان ثم لماذا يرسل جيشاً للقتال في كوريا ولا يستشعر هذا المعنى تجاه شعب مسلم في أفغانستان اعتدي عليه واحتلت أرضه.. لماذا يعترف النظام في تركيا بإسرائيل ويكون آخر دولة تعترف بحكومة الجزائر.. لماذا يتشجع النظام تجاه الثورة الإسلامية في إيران. لماذا يتعامل النظام مع المخابرات الإسرائيلية للتآمر على الإسلام والمسلمين في تركيا وغيرها.

- ينبغي علي تركيا أن تعود إلى سربها وأن تسعى مع غيرها من الدول الإسلامية إلى تشكيل:

- 1 - أمم متحدة للأقطار الإسلامية.
- 2 - سوق إسلامية مشتركة.
- 3 - إنشاء عملة إسلامية موحدة (الدينار الإسلامي).
- 4 - إنشاء قوة عسكرية تدافع عن العالم الإسلامي.
- 5 - إنشاء مؤسسات ثقافية تبني الوحدة الثقافية والفكرية القائمة أساساً على الإسلام⁽¹⁾.

- بلغت الأمور ذروتها بتنظيم حزب السلامة لمسيرة في مدينة "قونية" بحضور "أربكان" وقيادات حزب السلامة "سميت" يوم القدس "اشتراك فيها مائة ألف من الشباب وأطلقوا الهتافات والشعارات الإسلامية التي عبرت عن العداء للعلمانية وعن الدعوة لوحدة الأمة الإسلامية وتميز خطها عن الشرق والغرب⁽¹⁾.

(1) نفس المرجع، ص 257 - 258.

(1) يذكر النعيمي أن عدد المشاركين في المظاهرة بلغ 400 ألف، طالبوا بتأسيس دولة إسلامية واستهزأوا بكل ماجاء به أتاتورك والمؤسسة العسكرية واحتج المتظاهرون على ضم القدس

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

وبعد أسبوع واحد من هذه المسيرة شهدت البلاد انقلاباً عسكرياً جديداً في 12 سبتمبر عام 1980 م هو الثالث في تاريخ الجمهورية لحماية الجمهورية الكمالية ذات الطابع العلماني من المد الإسلامي في وقت كانت المصالح الأمريكية فيه مهددة في منطقة الخليج والعالم العربي والإسلامي بعد الثورة الإيرانية التي أطاحت بنظام الشاه.

ومن هنا اعتبرت بعض الدوائر أن الانقلاب الثالث كان جزءاً من مخطط أمريكي غربي للسيطرة علي المد الإسلامي في تركيا في وقت استطاع فيه هذا البعث أن يهزم أحد أهم عملاء أمريكا وإسرائيل في المنطقة وهو شاه إيران.

- أغلق حزب السلامة واعتقل قادته وحدد موعداً لمحاكمتهم عسكرياً في 24 إبريل 1981 م، وفي المحاكمة التي قدم لها “أربكان” و33 من قادة الحزب ووجهت لهم التهم الآتية:

- 1 - العمل علي استبدال مبادئ الدولة القانونية والاجتماعية والاقتصادية. والسياسية بمبادئ تقوم علي أساس الإسلام.
- 2 - قيام عدد من المنظمات الشبابية والطلابية والعمالية والمهنية المرخصة والمرتبطة سراً بالحزب والتي تعمل علي تطبيق الشريعة الإسلامية وإهانة “أتاتورك”.

ونادوا بقطع العلاقات مع (إسرائيل) وكتبت الشعارات باللغة العربية وأحرقت أعلام أمريكا والاتحاد السوفيتي والعلم الصهيوني ونادي المتظاهرون بالموت لليهود، ونادي المتظاهرون بالشريعة وتدمير الدولة الملحدة والمطالبة بدولة إسلامية ونادي المتظاهرون بأنهم يريدون الأذان وليس النشيد ورفع المشاركون في المسيرة لافتات كتب عليها “اليوم إيران وغداً تركيا”، وظهرت تنظيمات الحزب العسكرية والتي تعرف باسم “أقينجلر” أي الطلائع والثانية “إسلام قورتش أوردوسي” أي جيش التحرير الإسلامي “ورفعت الأعلام الخضراء، هذا الحشد الهائل الذي رفض ترديد النشيد الوطني اعتبر “أربكان” منقذ تركيا في المستقبل.

3 - اجتماعات الحزب وهتافاته التي تكشف أهدافه ومنها “ محمد قائدنا “ ” وسنحطم الأصنام ونقيم دولة الإسلام “ ومن لافتاته “ ومن لا يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون “ وقل جاء الحق وزهق الباطل “، “ وخميني في إيران وأربكان في تركيا “.

4 - ترديدهم لذكر الله في اجتماعاتهم والتذكير بأن الأمة حاربت خلال تاريخها من أجل الإسلام وليس من أجل أشخاص وأبطال. وتسأول أربكان عما إذا كانت الدولة تحكم بالشريعة أم لا وإصرار “ أربكان “ علي افتتاح مدارس تعليم القرآن في القرى وافتتاح مسجد “ آيا صوفيا “ للصلاة ومطالبته أن يكون الزواج شرعياً وأن يكون يوم الجمعة عطلة رسمية، ومهاجمته لمعاهدة لوزان وتغيير الحروف العربية واستبدال القوانين والقول بأن تركيا جمهورية ملحدة.

5 - مهاجمة الحزب للماسونية واتهامها بأنها هي من أسقطت السلطان عبد الحميد وأن “ أتاتورك “ كان عضواً في المحفل الماسوني في “ سالونيك “ الذي تأمر علي الدولة العثمانية. ومهاجمة حزب الاتحاد والترقي ووصفه بالماسونية.

6 - اتهام “ أربكان “ بأنه كان مرشحاً للخلافة فقد وجدت أوراق بمكتبه تتحدث عن مبايعة أعضاء بارزين من الحزب له بمدينة “ اسطنبول “.

7 - اتهم “ أربكان “ بتصريحاته التي أطلقها في مكة عندما قال: “ تخلينا عن القرآن ما يقارب الخمسين سنة الماضية، إن الدين والدولة فصلا، ويتعين علينا أن نعمل من أجل كلمة القرآن كي تكون فاعلة مرة

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

أخري، ولهذا الهدف نحن بحاجة إلي الجهاد“ (1).

- رد “ أربكان “ علي التهم الموجهة إليه وإلي حزبه وأكد أنه علي الرغم من تفتيش ما يقرب من ألف مركز و 3000 مبني تابع للحزب وتدقيق 60 ألف رسالة لم يعثر علي أي دليل ضد الحزب وأكد أن الحزب أقيم علي أساس الدستور التركي وله برامجه وأهدافه المعلنة وأنه يشارك في إدارة البلاد منذ 8 سنوات واشترك في 3 حكومات سابقة.

وأوضح أن القمصان البيضاء التي وجد مكتوباً عليها “ أيها المؤمنون لتكن هذه الملابس البيضاء أكفاناً لنا إذا استشهدنا “، إنما هي كلمات لألب أرسلان السلطان السلجوقي في معركة “ ملاذ كرد “ التاريخية لرفع روح الجيش التركي المعنوية وأنه ينبغي شكره علي اهتمامه به بدلاً من إهمالها من قبل المسؤولين، وكان يجب أن توضع هذه الملابس التاريخية ذات المعني العظيم في المتحف.

وفي معرض رده علي تهمة استغلال الشعور الديني من أجل تحقيق أهداف سياسية قال: إن رئيس الدولة “ كنعان إفرين “ كان يستخدم مثل هذه الكلمات في خطبه مع الشعب وفي واحدة من خطبه قال “ إن الثروة المكتسبة بطريق غير مشروعة حرام من الناحية الدينية “، وعن استخدامه لكلمة “ الحق والباطل “ والتي كان يشير بهما إلي نظام حزب السلامة المستمد من “ الملي جوروش “ - أي الفكر الملي المستمد من الإسلام - في مواجهة نظم الأحزاب الأخرى العلمانية سواء أكانت يسارية أم يمينية - فقال: الحق هو الصواب والباطل هو الخطأ والحقوق جمع

(1) محمد مصطفى، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص 244. والنعمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، ص 153 ومابعدا وهو يحيل في بعض ما يورده علي كتاب محمد يشار عن الأحزاب السياسية في تركيا ودور الإسلام.

حق، وكل محكمة وظيفتها فصل الحق عن الباطل وحماية حقوق المواطنين، وكلمة الحق استعملت 95 مرة في الدستور التركي والديموقراطية تعتمد علي الحق.

ويردد “بولنت أجاويد” زعيم حزب الشعب أنه سيقم نظام الحق، وأوضح “أربكان” أن جميع الأعمال التي قام بها حزبه هي موافقة للدستور وصادق عليها رئيس الجمهورية بما في ذلك الإنزال التركي في قبرص، وأن ممثلي حزبه كانوا يحضرون اجتماعات مجلس الأمن القومي الذي كانت تناقش فيه أدق المسائل السرية⁽¹⁾.

وظل “أربكان” والمجموعة القيادية من حزبه يحاكمون أربعة أشهر كاملة وفي النهاية وصف المدعي العام التركي “حزب السلامة الوطني” بأنه عار من نضال تركيا من أجل مجتمع حديث، ولم تصل المحكمة لقرار نهائي حتي عام 1983 م بشأن “أربكان” وأعضاء حزبه وفي النهاية حكمت عليه بالحبس لمدة أربعة أعوام وعلي 22 من أعضاء الحزب بمدد تصل لثلاثة أعوام ونصف⁽²⁾.

- تم حظر الأحزاب السياسية ثم حلها بعد ذلك، وأسدل الستار علي نشاط حزب السلامة بعد انقلاب عسكري كانت أحد أهدافه حماية العلمانية الكمالية من الصعود الإسلامي الذي مثله “أربكان” ومجموعته.

بيد أن الانقلابات التركية الدورية التي يقوم بها العسكر مهما كانت قسوتها كانت تعرف حدودها فهي فقط تعيد اللعبة السياسية إلي قواعدها

(1) محمد مصطفى، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص 246 - 248.

(2) النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ وقد ذكر أن “أربكان” اتهم ست مرات بخرق المادة 163 من قانون العقوبات التي تحظر التجاوزات ضد العلمانية وتحريض الجماهير ولكنه كان ينكر هذه التهم، ص 155.

الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه

التي لا تهدد الاستقرار السياسي في البلاد ولا تمثل خطراً على المبادئ الكمالية ومن ثم يتم الانسحاب من المشهد السياسي بعد إعادة ترتيبه وفق رؤية الجيش الذي يراقب ويوجه ويتحكم عبر أدواته التي ضمنها له الدستور التركي.

وفي البيان الذي أذاعه العسكر لإعلان قيام الانقلاب في 12 سبتمبر عام 1980 م قال: “ إن الدولة وأجهزتها الرئيسية صارت عاجزة عن العمل وإن الهيكل الدستوري كان مليئاً بالمتناقضات، كما أن الأحزاب السياسية كانت متعنتة في مواقفها وتفتقر إلى الإجماع الضروري لمعالجة مشكلات البلاد.

ونتيجة لكل هذه العوامل فقد زادت القوي الانفصالية من أنشطتها ولم تعد حياة وممتلكات المواطنين آمنة، كما أن الهجمات على كل جوانب المجتمع كالمدارس والجامعات والهيئات القضائية والمنظمات العمالية وغيرها تقود البلاد نحو الانفصال والحرب الأهلية وباختصار باتت الدولة بلا حول ولا قوة وأصبحت عاجزة⁽¹⁾.

- يعد الانقلاب العسكري الثالث في تاريخ الجمهورية التركية أكثرها جذرية فهو لم يكتف بحل البرلمان وإغلاق الأحزاب السياسية ولكنه أقال العمد وأعضاء المجالس المحلية، وركز السلطة في قبضة مجلس الأمن القومي الذي ترأسه الجنرال “ كنعان إيفرين “ الذي أصبح رئيساً للجمهورية منذ يوم 14 سبتمبر وفرضت الأحكام العرفية في كل تركيا وصار الحكام العسكريون هم أصحاب الكلمة العليا في تقرير مصير البلاد وصار لهم الإشراف الكامل على كل مؤسسات المجتمع المدني مثل

(1) رضا هلال، السيف والهلال، م. س. د، ص 140 - 141.

النقابات العمالية واتحادات التجارة والصناعة والتعليم والصحافة.

وتوسع العسكريون في الاعتقالات حتى زادت علي 120 ألفاً مع نهاية عام 1981 م، وتعرض الناشطون السياسيون من كل الاتجاهات لعمليات تعذيب واسعة في السجون، وصدرت أحكام عسكرية بالإعدام في حق 3600 شخص وهو رقم ضخم إذا ما قورن بالانقلابين السابقين⁽¹⁾.

- صدر دستور جديد للبلاد في 17 يوليو عام 1982 م الذي بدا أكثر تحيزاً للسلطة التنفيذية وسلطة مجلس الأمن القومي في مواجهة المؤسسات التي تعبر عن المجتمع⁽²⁾ مثل الصحافة والأحزاب والاتحادات العمالية والمواطنين بدعوى حماية الأمن القومي والنظام العام والمصلحة القومية والنظام الجمهوري.

- الحقيقة الأساسية هنا هي أن النظام العلماني التركي لم يعد قادراً علي استمرار العملية الديمقراطية بدون الاستناد إلي الإسلام سواء في صيغته الدولتية التي تعبر عن سيطرة الدولة علي الإسلام لمواجهة التيارات الشيوعية أو في صيغته الحركية المضادة للدولة ممثلاً في وجود حزب إسلامي يعبر عن نقطة التوازن التي لا يمكن للنظام العلماني أن يتجاهلها حفاظاً علي الاستقرار السياسي واستجابة لاستمرار الصعود

(1) نفس المرجع، ص 142.

(2) ودستور 1982 م هو الذي لا يزال يحكم تركيا حتي اليوم ويمكن مراجعة ملامحه في كتاب "تركيا" الذي أعدته وكالة الأنباء التركية "تورك خبر لر" ومطالعة نص الدستور نفسه علي موقع: www.mafa.gov.tr/mfa كما يمكن مراجعة تفاصيل مهمة عن طبيعة النظام السياسي التركي في: جلال معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية - التركية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، أغسطس، 1998، ص 17 - 22 حيث يعرض لهيكل صناعة القرار في تركيا بدءاً من المجلس الوطني الكبير كسلطة تشريع ورئيس الجمهورية كسلطة تنفيذ ثم مجلس الوزراء كحكومة مسئولة أمام البرلمان ومجلس الأمن القومي ثم السلطة القضائية.

الإسلامي الذي لم يتوقف منذ عام 1946م.

وكما قال " علي بولاج " : " الحركة الإسلامية في تركيا عاشت تحت ضغوط عنيفة وشديدة جدا ولذلك نحن نطور الحلول في ظل ظروف صعبة جدا وليس سهلا أن ينتصر علينا النظام العلماني "، وإذا كان حزب السلامة قد عبر عن كونه رقماً صعباً لا يمكن للديموقراطية التركية أن تتجاهله بدخوله في ائتلافات متعددة مع اليسار تارة واليمين أخرى فإنه مع عقد التسعينيات سوف يصل إلى السلطة ليكون " أربكان " هو رئيس وزراء تركيا لأول مرة في دولة علمانية.

فتركيا هي بلد المتناقضات فهي علمانية لكنها تقبل بأول رئيس وزراء يعبر عن التوجه الإسلامي، كما أن الأحزاب الإسلامية في تركيا هي الأخرى تمثل ظاهرة فريدة فهي تقبل بالعلمانية كنظام سياسي وتحاول العمل من خلال قوانينها ونظمها السياسية والاجتماعية لتخترق أعلي وأقدس معابدها وهي رئاسة الحكومة، إننا أمام تعبير سياسي متميز يعبر عن خصوصيه تعرف باسم " النموذج التركي " لجدل العلمانية والإسلام.

الفصل الثالث
الخبرة السياسية لحزب الرفاه
(1983 - 1997م)

يناقش هذا الفصل خبرة الرفاه
السياسية في ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: حزب الرفاه من
التأسيس إلى السلطة (1983 -
1996)
المبحث الثاني: أيديولوجية حزب
الرفاه وبرنامجه
المبحث الثالث: التنظيم
والممارسة السياسية لحزب الرفاه

الفصل الثالث:

الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997 م):

يناقش هذا الفصل أداء حزب الرفاه كفاعل سياسي في الحياة الحزبية التركية وكيف استطاع أن يحقق صعوداً مذهلاً في الحياة السياسية التركية مكنته من الفوز الكاسح في الانتخابات البلدية عام 1994 م ثم الانتخابات النيابية عام 1995 ثم صعوده إلى السلطة والحكم في تركيا عام 1997 وسط أنواء السياسة التركية العلمانية التي عصفت بوجوده السياسي فأصدرت المحكمة الدستورية حكماً بإغلاقه واعتباره حزباً غير مشروع عام 1998.

الخبرة الأساسية للرفاه تقول: إن الإسلاميين الأتراك في السلطة كانوا أكثر وفاءً لقواعد الديمقراطية من بقية الأحزاب التركية الأخرى في اليمين واليسار، وأنهم مارسوا العمل السياسي المدني علي أرضية الالتزام بالقانون والوعي بالفرص والقيود التي يتيحها النظام السياسي التركي.

وسيظل “ الرفاه “ تجربة مهمة يمكن القول: إنها التجربة الأساس والتي يمكن المقارنة بها في علاقة التيارات الإسلامية بنظمها العلمانية، كما أن التطورات الفكرية والسياسية التي عرفت هذه التيارات أخذت في الحسبان تجربة الرفاه السياسية.

ويطرح الرفاه أيضاً السؤال الأساسي في السياسة العربية والإسلامية والكونية اليوم وهو كيف يمكن التأسيس لنظم ديمقراطية حقيقية لا تستثني الإسلاميين منها.

يمثل حزب الرفاه في تركيا استمراراً لما عرف باسم “الوجه السياسي للحركة الإسلامية في تركيا، وكما يقول “هايننس كرامر: “كان حزب الرفاه أكثر بكثير من مجرد الوجه التنظيمي للإسلام السياسي؛ إذ لم يعد الخيار الحقيقي بالنسبة للأتراك في عملية تصميم دولة حديثة قادرة على مواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين، خياراً بين كمالية علمانية من ناحية، وإسلام سياسي أصولي من ناحية ثانية ولكن الخيار الحقيقي هو الخيار بين أسلوب قائم على الدولة الأكثر تسلطاً في تنظيم مجتمع سريع التغير يشكل الإسلام فيه عاملاً اجتماعياً يتعذر استتصاله من جهة، وأسلوب قائم على مجتمع مدني أكثر ديموقراطية في التعامل مع عملية التغير من جهة ثانية (1).

أي أن “الرفاه” وانتصاره السياسي الكاسح في الانتخابات البلدية التي جرت في 27 مارس 1994 م والتي فاز فيها بنسبة 19.7%، ثم انتصاره المفاجئ والكبير في الانتخابات النيابية التي جرت في 24 ديسمبر 1995 م وحصوله على المركز الأول بنسبة 21.32% أي ما يعادل ستة ملايين صوت متقدماً بذلك على الأحزاب السياسية الأخرى كان تعبيراً عن التحولات الجديدة في المجتمع والدولة التركية والتي أطلق عليها “الجمهورية الثانية” (2)، وهي تلك التي أرساها في الواقع

(1) هايننس كرامر، تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد، م. س. ذ، ص 106.

(2) عن الجمهورية الثانية راجع: محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول، بيروت: دار ضياء الريس، 1997، ط1، ص 18 حيث أشار إلى أن “محمد ألتان” الأستاذ الجامعي والكاتب في صحيفة

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

“تورجوت أوزال” بجسارة تعبر عن ثاقب فهمه لضرورة الاستجابة للتحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية العميقة التي حفرت لنفسها تواجداً مس البنية الأساسية التقليدية التي قامت عليها الجمهورية الأولى التي أسسها “أتاتورك”، والجمهورية الثانية التي عبر الرفاه بصعوده الكبير عن تطلعاتها وروحها أنها “⁽¹⁾: هي تعبير عن حالة أكثر إنسانية وتعددية وشفافية وأكثر احتراماً لهوية وثقافة المجتمع التركي والتي يقع الإسلام في قلبها، فهو تعبير عن حاجة المجتمع التركي لدولة أكثر تعددية غير متسلطة تتجاوب مع روح مجتمعها ومزاجه إلى الحرية والانسجام والتوافق عبر حقه في اختيار هويته. فالكاتب التركي “أنيس باتور” قال “: لقد انتهت الجمهورية الأولى بمدرستها ومستشفاهها وسجنها ومحكمتها وبرلمانها” ويرى أن الجمهورية الثانية ضرورية لسبب بسيط وهو أن الأولى انتهت “⁽²⁾.

“صباح” هو الذي أطلق فكرة “الجمهورية الثانية” كتعبير عن الوجه الداخلي “للعثمانية الجديدة” التي أطلقها “أوزال” وتعبر عن ضرورة استغلال تركيا للعب دور خارجي فعال بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

(1) هو أهم سياسي تركي بعد “أتاتورك”، أسس حزب الوطن الأم “عام 1983 م وتولي رئاسته ورئاسة الحكومة بين عامي 1983 - 1989 وأصبح رئيساً للجمهورية في 31 أكتوبر 1989 م، أنهى دراسته في جامعة اسطنبول التقنية وتخصص في اقتصاد الهندسة الذي حازه من أمريكا عمل مستشاراً لهيئة تخطيط الدولة عام 1967 م ودافع عن وجهة نظره بإطلاق المشروعات الخاصة بدلا من التخطيط الموجه، عمل مستشاراً في دائرة الصناعة بالبنك الدولي حتي العام 1973 م، ترشح في الانتخابات النيابية عام 1977 م عن حزب السلامة الوطني بمنطقة أزمير ولكنه لم ينجح، قاد تحول الاقتصاد التركي ناحية الليبرالية الاقتصادية عندما كان مستشاراً “لديميريل” ونائباً لرئيس هيئة تخطيط الدولة، بعد انقلاب 12 سبتمبر 1980 تولى منصب نائب رئيس الحكومة المسئول عن الشؤون الاقتصادية في حكومة “بولنت أولوصو” لكنه استقال عام 1982 م، توفي في 17 إبريل عام 1993 م. حاول تقليص سلطة العسكر وعمل علي بناء مجتمع مدني ديموقراطي يحترم الدين ويضعه ضمن مشروعه. فتح الباب واسعاً لمجيء الرفاه بعد ذلك بقوة إلى الحياة السياسية.

(2) محمد نور الدين، تركيا المتحولة، م. س. ذ، ص 39.

“تورجوت أوزال” هو رجل الدولة التركي الثاني بعد “أتاتورك” الذي جاء ببرنامج متكامل مختلف جوهره “الاقتصاد الحر” وتحرير التجارة والأسعار “وهو ما يعني تقليص دور الدولة في سطوتها علي مجتمعها ومراجعة الكمالية” وأسسها التي قامت علي فكرة “الدولتية”، فهو أول مسئول رسمي رفيع المستوى في تركيا يدعو إلي انتقاد “أتاتورك” وإظهار ما له وما عليه واعتبر نفسه “أتاتورك ثان” ولكن مختلفاً عنه لذا كانت صلاته وعلاقته قوية بخصوم أتاتورك وعلي رأسهم الاتجاه الإسلامي، فقد دعا قبل فترة قصيرة من وفاته إلي طرح مبدأ “علمنة الدولة” علي بساط البحث والمناقشة ما دامت قطاعات من الشعب تعارضها، وهو طرح حقوق الأقلية الكردية في تركيا في سياق مختلف يري ضرورة الاستماع لمطالبهم، وهو أول رئيس جمهورية تركي ثابر علناً وبصورة منتظمة علي أداء الفروض الدينية وزيارة أضرحة الأولياء داخل تركيا وخارجها، وأدي فريضة الحج في أول توليه السلطة كرئيس للحكومة عام 1983 م، وانتعشت في عهده بطريقة غير مسبقة الحالة الإسلامية بكل أطرافها فيما يمكن أن نصفه “بالإحياء الإسلامي الثاني” في تركيا، ولذا كان حزب “الوطن الأم” يحصد أصوات الإسلاميين جميعاً، وأوزال “هو من أرسى قواعد ما عرف باسم “العثمانية الجديدة” فقد لاحت له فرصة انهيار الاتحاد السوفيتي كسبيل لا يجوز تركه لتلعب تركيا دوراً في محيطها الإقليمي التركي الواسع وأشار إلي الأعمال الكثيرة التي تنتظر تركيا انجازها من البحر الإديراتيك إلي سور الصين مشدداً علي أن هذه فرصة تلوح لأول مرة منذ ألف سنة، فالعثمانية الجديدة في الخارج والجمهورية الثانية في الداخل والذي أرساهما بقوة لا تباري “تورجوت أوزال” كنا هما الجسر الذي عبر علي ظهره “حزب الرفاه” وزعيمه “نجم الدين أربكان” إلي السلطة في تركيا يوم السبت

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

الموافق 29 يونية 1996 م، للتعبير عن صيغة جديدة للعلاقة بين الدولة والمجتمع في تركيا تعبر عنها أجيال جديدة وقوي اجتماعية لم يقدر للناس أن تختبر أفكارها وخبراتها وممارساتها⁽¹⁾.

سوف نلاحظ أن مجئ الرفاه إلى السلطة أعقب تصدع حزب " الوطن الأم " عام 1991 م وخروج التيار الإسلامي منه عام 1992 م وفشل قوي اليمين واليسار معا خاصة بعد سقوط الشيوعية في الاتحاد السوفيتي أن تطرح نفسها كقوة لها مصداقية أمام المواطن التركي، ومن هنا كان " الرفاه " هو الحصان الأسود المرشح لملء الفراغ في الحياة السياسية التركية.

إن الرفاه " لم يكن مجرد ملمح من ملامح انتصار الحركة الإسلامية في تركيا علي الصعيد السياسي وإنما كان تعبيراً عن خيار تركيا نحو دولة ديموقراطية وتعددية ومؤسسية ودعنا نقول " دولة طبيعية " لا تؤله " أتاتورك " ولا تصنم أيديولوجيته وتعترف بالمشاكل الحقيقية للمجتمع التركي وحتى تتضح هذه الفكرة فإننا نورد ما قاله مسئول الرفاه في اسطنبول: " يمكن بمفهوم ما خارج الأيديولوجيا الرسمية إيجاد حل للأزمات الحالية في المجتمع التركي، إننا لا نجرؤ حتي علي مجرد الحديث ومناقشة قضايانا الراهنة في ظل ضغط الأيديولوجيا الرسمية وتهديدها، إننا عندما نتحدث ونتناقش نكون وجهاً لوجه أمام خطر المعاقبة، إن لم تحل هذه المسألة فمن المتعذر حل المشاكل الأخرى،

(1) عن أفكار " أوزال " وتأثيره علي التحولات الاجتماعية والسياسية في تركيا راجع: محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول، م. س. ذ، ص 46 وما بعدها وأيضاً جلال معوض، الإسلام والتعددية في تركيا، م. س. ذ، 15 - 18 حيث تابع الانعكاسات السياسية للأصول الدينية علي سلوك القادة.

انظروا اليوم لا نستطيع أن نناقش بالصراحة الكافية المسألة الكردية، لقد تشكل في تركيا مجتمع مغلق مستند علي القمع والخوف باسم الأيديولوجيا الرسمية التي تواصل حتي الآن خصوصية كونها طوطماً⁽¹⁾، وعلي الجانب الآخر نورد ما قاله “بولنت أجاويد” بصدد تفسيره لانهيار اليسار بقوله: “إن الأصوات التي حصدها الإسلاميون هي أصوات “خيبة أمل” بالأحزاب الأخرى في السلطة والمعارضة، وفي هذه الحال يتجه النخبون إلي الأحزاب الأصولية كما حصل في الجزائر وبنسبة ما الأردن وكما يحصل الآن في تركيا⁽²⁾، ويتفق مع هذا التحليل نائب بارز من حزب الطريق المستقيم بقوله “عندما انهارت أيديولوجية اليسار في تركيا بدأ الرفاه يولي اهتمامه بصورة كبيرة إلي الجماهير وقام بالدفاع عن الاشتراكية الإسلامية وسوف ترون في المستقبل القريب أن قسماً كبيراً جداً ممن كانوا يساريين متطرفين في تركيا سيقتربون للرفاه”⁽¹⁾.

نشير هنا إلي ما يمكن أن نصفه بسياق عالمي (كوني) تمثل “بتيار أصولي” ديني في الغرب كان يتنامي هناك منذ أواخر الستينيات وظهرت بوادره خاصة في العلاقات مع العالم الإسلامي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في أوائل التسعينيات واعتبر الإسلام عدواً بديلاً وجديداً⁽²⁾، وظهر ذلك في أزمة البوسنة والهرسك والتي شهدت حملات

(1) محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول، م. س. ذ، ص 58.

(2) نفس المرجع، ص 58.

(1) نفس المرجع، ص 58.

(2) عن اعتبار الإسلام عدواً بديلاً راجع مثلاً صموئيل هنتجتون، صدام الحضارات، جريدة الشرق الأوسط 1/21/1995، وراجع أيضاً الكتاب المهم، فواز جرجس، أمريكا والإسلام السياسي، صراع الحضارات أو تضارب المصالح، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة (840) والكتاب يقدم رؤية الساسة وصناع القرار الأمريكيين للإسلام والحركات الإسلامية

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

إبادة عرقية علي الهوية الدينية ومنع قيام دولة للمسلمين في البوسنة، وفي ألبانيا ظهرت الأيدي اليونانية واضحة في تحريكها للأقلية الأرثوذكسية، و في إقليم "كوسوفا" نفذت مذابح عرقية ضد الأغلبية المسلمة، وهي أزمات كان لها دوي كبير في تركيا وتأثير علي الوجدان والمزاج التركي ومن ثم بدأ الوعي باكتشاف أهمية الدين في العلاقات الدولية وفي تكوين الهوية التركية خاصة حتي من قبل التيارات العلمانية".

"فمسعود يلماز" يقول: "إن الدين محدد أساسي في الشخصية القومية التركية" وتقدم باقتراح إعادة فتح جامع "أيا صوفيا" للعبادة مع نواب حزب "الطريق القويم" وتشيلر قالت: "نكون مالكين لميراثنا الإسلامي" وجنكيز تشاندار "يقول: "إن الإسلام في تركيا ليس ديناً فقط بل هو هوية وشخصية وثقافة"، بل إن "يحي أوسلو" نائب "حزب الطريق المستقيم" طالب ببناء مسجد في حديقة القصر الجمهوري بأنقره واقترح مجموعة من نواب الحزب نفس وحزب "الوطن الأم" وحزب الرفاه "بناء مئذنة بالمسجد الملحق بمبنى البرلمان التركي.

وهناك عنوان مهم في الكتاب "تفسير دعاة المواجهة للإسلام" العدو الجديد "وهو ينقل آراء لبرنارد لويس وصمويل هنتنجتون، ودانيال بايبس وغيرها من الأسماء التي تري الإسلام عدواً بديلاً، ص24 ومابعداها وفي النقطة نفسها راجع، كمال حبيب، تحولات الحركة الإسلامية والاستراتيجية الأمريكية، القاهرة: مصر المحروسة، 2006، ط1، ص 199 ومابعداها ويورد المقال الخطير "لفوكوياما" الذي نشرته النيوزويك العربية بتاريخ 2001/12/25 بعنوان "هدفهم العالم المعاصر" وبالطبع هناك عشرات المراجع في الموضوع ولكنها لا تدخل في موضوع بحثنا بشكل مباشر.

وعشية انتخاب “ طانسو تشيلر “ رئيساً لحزب “ الطريق المستقيم “ ورئيسة لوزراء تركيا عام 1993 م عبرت عن سعادتها لرؤية العلم التركي (ذو الهلال والنجمة) وسماع الأذان والقرآن وكانت تفتتح خطبها بكلمات دينية وحين زارت القدس في نوفمبر 1994 غطت رأسها وأدت الصلاة في المسجد العمري المواجه للمسجد الأقصى، وفي مهرجان انتخابي لها عام 1995 أعلنت أنها تستمد قوتها أولاً من الله ثم من الشعب وقبلت أمام الآلاف من أنصارها نسخة من القرآن الكريم أهديت لها.

وحتى “ حكمت تشيتين “ زعيم حزب الشعب الجمهوري والمدافع العتيد عن العلمانية قال لأنصاره في مايو 1994 م: “ إنه يسلم أمر مرشح الحزب لرئاسة بلدية “ اينيبولو “ إلي الله أولاً ثم إلي الناخب “ (1).

التحول في الرأي العام التركي ناحية الإسلام والتيارات المعبرة عنه هو الملمح الرئيسي للتحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية في تركيا منذ أوائل التسعينيات والذي عبر عن نفسه في تسابق كافة الأحزاب السياسية بكافة أطرافها إلي أخذ ذلك في اعتبارها والتقرب إلي الرأي العام عبر إظهار التعاطف مع الإسلام (2).

كما أن اكتساح الرفاه للانتخابات البلدية في 27 مارس 1994 م، والانتخابات التشريعية العامة في 24 ديسمبر 1995 ثم الانتخابات البلدية

(1) محمد نور الدين، تركيا: الكمالية في خط الدفاع أمام هجوم الإسلاميين، مجلة الوسط، ع 177، 1995/6/19 م.

(2) محمد نور الدين، الانتخابات التركية، أوروبا والإسلام وجهها لوجه، مجلة الوسط، ع 203، 1995/12/28، فهو ينقل عن تشيلر “ قولها في إحدى خطبها “ نحن مسلمون قبل أربكان بألف سنة “ ولا تنسى أن تبدأ بالقرآن والأدعية الدينية في مهرجانات الانتخابات.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

الجزئية في 2 يونية 1996 م⁽¹⁾، جعل الأحزاب العلمانية تدرك أهمية الدين الإسلامي في وجدان المواطنين الأتراك كمعبر عن هويتهم ومن ثم تخففوا من العلمانية الإقصائية التي تنفي الدين وتهمشه وتختزله كما في الجمهورية الأولى التي أسسها “أتاتورك”.

فالجمهورية الثانية تأخذ في اعتبارها الدين كمكون رئيسي للهوية التركية، واتضح ذلك حين تقدم “غفار ياكين” النائب المستقل عن محافظة “أفيون” التركية باقتراح مشروع قانون يهدف لتعطيل العمل في الدوائر الحكومية لتمكين الموظفين من أداء صلاة الجمعة، وأشار إلي أن المادة 24 من الدستور التركي تنص علي حرية الفكر والاعتقاد الديني وأثار هذا المشروع عاصفة حول علمانية الدين وعلاقتها بالدين الإسلامي، وأيد المشروع رئيس “حزب الوطن الأم” مسعود يلماز وعبر عن دعمه الكامل للاقتراح واعتبر رئيس حركة “الديموقراطية الجديدة” علماني “جيم بويرنر” الاقتراح من متطلبات الدولة العلمانية.

ووافق علي المشروع “بولنت أجاويد” رئيس حزب اليسار الديموقراطي واليساري المخضرم بل وقال: “إنه يوافق علي تعطيل العمل أثناء صلاة الجمعة وأثناء صلاة الظهر كل يوم وفي كل أنحاء تركيا”، ورأي أنه ليس من الضروري إصدار قانون بالتعطيل أثناء صلاة الجمعة إذ تستطيع رئاسة الشؤون الدينية أن تحدد ذلك بقرار فالمسألة فنية وليست سياسية، وفي مايو 1995 م وافق نواب حزب “الطريق المستقيم” والوطن الأم “والرفاه” علي إضافة ملحق لقانون يخفض الضرائب

(1) حدثت الانتخابات المحلية الفرعية في 2 يونية 1996 م، وأكد “الرفاه” فيها فوزه بنسبة 33.5% بينما لم تتجاوز النسبة التي حازها “الوطن الأم” و “الطريق المستقيم” مجتمعين 32.5% وصار واضحاً أن إجراء أي انتخابات نيابية مبكرة سوف تأتي لصالح الرفاه، ومن هنا كان قبول الجيش لمجئ الرفاه إلي السلطة متحالفاً مع الطريق القويم في 26 يونية 1996 م.

علي الاستثمارات والمساعدات المخصصة لبناء الجوامع والمساجد، وكان البرلمان قد أقر أن ساعات العمل فيه تنتهي مع مواقيت الإفطار في شهر رمضان⁽¹⁾.

وتبقي الإشارة إلي أن انقلاب الجيش التركي في عام 1980 ثم دستور 1982 م جاء في صالح الوعي بأهمية بناء صيغة لإسلام تركي TIS يحافظ علي الانتماء الوطني ويقاوم التيارات الشيوعية والعدمية والتخريبية وبصرف النظر عن شرعية الفكرة ذاتها لكنها صبت في تيار الصعود الإسلامي الجارف في تركيا طوال الثمانينيات والذي تكامل واستوي علي سوقه مع مجئ " الرفاه " إلي السلطة وتولي زعيمه " نجم الدين أربكان " رئاسة الوزراء كأول زعيم إسلامي في دولة علمانية وهو ما نظر إليه باعتباره حدثاً فارقاً في التاريخ الإسلامي بما يحمله من دلالات ورموز ومعان⁽²⁾. إذن السياق العام للتحويلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وعلي كافة المناشط في تركيا كان يتجه بقوة إلي ما أطلقنا عليه " الإحياء الإسلامي الثاني " في تركيا والذي عبر عنه " الرفاه " بصعوده المستمر في كل الانتخابات التي خاضها منذ عام 1984 م وهو الحزب الوحيد في تركيا الذي كان يحقق ذلك.

يناقش هذا الفصل خبرة الرفاه السياسية في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حزب الرفاه من التأسيس إلي السلطة (1983 - 1996).

المبحث الثاني: أيديولوجية حزب الرفاه وبرنامجه .

(1) محمد نور الدين، الكمالية في خط الدفاع أمام الإسلاميين م. س. ذ ونفس الموضوع في كتاب تركيا في الزمن المتحول، م. س. ذ، ص 86 - 89.

(2) محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول، م. س. ذ، ص 76 تحت عنوان " أربكان رئيساً للحكومة: إنقاذ النظام أم إنقاذ تركيا.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

المبحث الثالث: التنظيم والممارسة السياسية لحزب الرفاه .

* * *

المبحث الأول: حزب الرفاه... من التأسيس إلى السلطة (1983 - 1996م)

الرفاه سيكون هو الحزب الثالث لحركة “ الملي جوروش “ بعد إغلاق الجيش التركي لحزب النظام ثم حزب السلامة، ويبدو السيناريو واحداً في كل مرة يغلق الحزب ويقدم قاداته للمحاكمة ويمنعون من ممارسة العمل السياسي ولكنه مع الدورة الجديدة للحياة السياسية وعودة الجيش لثكناته يتقدم ممثلون جدد للحركة بطلب حزب جديد ويتم السماح لهم، ولكن في ظل سياق علماني حذر ومتيقظ لوجودهم، وقصة حزب الرفاه تبدو متشابهة هنا مع الأحزاب السابقة له ولكنه هذه المرة يستطيع ليس فقط الائتلاف مع أحزاب أخرى للمشاركة في الحكومة كشريك أصغر أو مكمل للصورة السياسية وإنما انتزاعه السلطة ووصوله لقلب العمق العلماني العميق بتشكيله للحكومة كقطب مركزي للحياة السياسية في تركيا ويكمّله شريك في الائتلاف هو حزب الطريق المستقيم، وهنا تبدو معضلة الحياة السياسية التركية التي قد تقبل بالإسلام السياسي كحزب أو شريك مكمل للصورة في ائتلاف أما أن يكون هو قلب العملية السياسية فهذا مالم يمكن قبوله أو تحمله، وهو ما يعني أن الديمقراطية التركية رغم قبولها لحزب إسلامي كجزء من بنية السلطة السياسية والحياة الحزبية ولكنها ترفض أن يستأثر بالسلطة السياسية حزب يعلن أن مرجعيته إسلامية، وهو ما يجعل سؤال العلاقة بين العلمانية والإسلام مطروحاً بقوة فالإي أي حدود يقبل أحدهما الآخر؟ وإلي أي مدي تقبل الديمقراطية التركية بحزب إسلامي .

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

أولاً: تأسيس حزب الرفاه:

- عقب انقلاب 12 يوليو 1980 م، حظر الانقلابيون جميع الأحزاب السياسية واعتقلوا قادتها وقدموهم للمحاكمة، وقبض علي "أربكان" و33 من قيادات حزب السلامة MSP المحظور وحوكموا أمام محكمة خاصة اتهمتهم بالعمل علي استبدال الإسلام بمبادئ الدولة القانونية والاجتماعية والاقتصادية واستخدام لافتات وهتافات إسلامية من مثل "سنحطم الأصنام ونقيم الإسلام" وقوله تعالى: {مُؤْمِنِينَ هَٰؤُلَاءِ} [المائدة: ٤٤] و "الدولة العلمانية يجب أن تحطم" وتصريحات لأربكان "عن الحكم بالإسلام" يجب أن نبحث فيما إذا كنا نطبق القرآن أم لا؟ وهل يحكم حكامنا بالقرآن أم لا؟، وقوله: "تخلينا عن القرآن ما يقارب الخمسين سنة الماضية، الدين والدولة فصلا، والقرآن أدين ويتعين علينا أن نعمل من أجل كلمة القرآن كي تكون فاعلة مرة أخرى ولهذا الهدف نحن بحاجة إلي الجهاد".

- نفي "أربكان" التهم التي وجهت إليه وقال: "الشعب حوكم في المحاكم الجنائية لأنه تلفظ بكلمة الله وإن حزب السلامة إذا ما أصابه الضعف فإن المساجد ستتحول إلي اصطبلات مرة أخرى، وعارض إلغاء الخلافة ودعا إلي تبني الأبجدية اللاتينية وقال: "تركيا تحولت إلي واحدة من الدول اللادينية"، أنكر "أربكان" كل الاتهامات الموجهة إليه ورد علي أغلبها وأظهر أنها عارية من الصحة ولم تصل المحكمة إلي قرار نهائي بشأن "أربكان" وقيادات حزب السلامة حتي يوليو 1983⁽¹⁾،

(1) عن تفاصيل ما حدث في تركيا مع قادة حزب السلامة الوطني بعد انقلاب عام 1980 في تركيا راجع: أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها ومستقبلها، دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا، م. س. ذ، ص 153 - 157 و مصطفى محمد،

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

وعلق الانقلاب نشاط الأحزاب السياسية التي كانت قائمة قبل الانقلاب وتم حلها بعد ذلك.

- صدر قانون الأحزاب السياسية في 24 أبريل عام 1983 م وقانون الانتخابات في 13 يونيو 1983 م وحدد قانون الأحزاب السياسية مجموعة من القيود علي الانخراط في العمل السياسي أهمها أن يكون لكل حزب قائمة بثلاثين عضواً علي الأقل كأعضاء للهيئة التأسيسية تتم الموافقة عليهم من وزير الداخلية، وأعطى القانون لمجلس الأمن القومي صلاحية التحري والإعلان عن عدم صلاحية أعضاء الحزب ومرشحيه للمناصب في أي حال يقعون فيه تحت طائلة المنع بموجب مواد الدستور التي تمنع قيادات الأحزاب القديمة من النشاط السياسي.

- اشترط القانون أن يكون للأحزاب تنظيمات في 34 محافظة علي الأقل من مجموع الـ 67 محافظة، ومنح القانون للمواطنين حق التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم من خلال العمل الحزبي شريطة الانسجام مع المبادئ العلمانية ومنع التناحر الحزبي والنقاش حول الأيديولوجيات والتطرق بأي شكل كان للقيادات العسكرية، ومنح مجلس الأمن القومي سلطة الموافقة

الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س. ذ، ص 233 حيث يذهب إلي أن أسباب الانقلابات الثلاث في تركيا هي لحصار المد الإسلامي وص 239 حيث أشار قائد الانقلاب إلي أن روح التعصب الإسلامي المعادي للكمالية ظهر واضحا في “قونية” حيث اجتمع مئة ألف شاب أمام “أربكان” في يوم القدس وهم يقولون بصوت واحد نريد الإسلام وص 243 يشير إلي أن 1981/4/24 حدد كموعداً لمحاكمة “أربكان” وقادة حزب السلامة واعتبرت قرارات المحكمة نهائيةً وغير قابلة للاستئناف. ص 244 عدد الاتهامات الموجهة لقادة حزب السلامة (14 اتهاماً)، وص 246 ردود “أربكان” عليها.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

النهائية علي تأسيس الأحزاب⁽¹⁾.

- لا يمثل في المجلس الوطني الكبير إلا الأحزاب التي تحصل علي 10% من الأصوات الشرعية في الانتخابات العامة والمحلية، ومع السماح للأحزاب السياسية بعودة نشاطها من جديد وفي سنة 1983 م تأسس حزب الرفاه في 19 يوليو 1983 م برئاسة "علي تركمن" ثم انتقلت الرئاسة إلى "أحمد تكدا" "إذ كان" "أربكان" وقيادات "الملي جروش" "لايزالون ممنوعين من ممارسة العمل السياسي.

- تقدم الحزب وفق قانون الأحزاب ب33 عضواً تأسيسياً حسب القانون ودخل في سباق مع الزمن لتأسيس فروع له في 34 محافظة وفي ثلث أفضية المحافظات علي الأقل وذلك في موعد أقصاه 24 أغسطس عام 1983 م ليلحق بالانتخابات العامة التي ستجري في 6 نوفمبر 1983 م، ونجح الحزب في تحقيق الشروط بيد إن مجلس الأمن القومي اعترض علي 29 من الهيئة التأسيسية فقدم الحزب 29 عضواً جديداً إلي وزارة الداخلية، وكان علي مجلس الأمن القومي أن يبدي رأيه حول هؤلاء الأعضاء خلال عشرين يوماً ولكنه تأخر فلم يبد رأيه حتي 29 أغسطس أي بعد مرور المدة القانونية واعترض علي 25 عضواً جديداً.

- وهذا يعني أن العسكريين نظروا إلي حزب الرفاه من أول يوم أسس فيه بنوع من الشك والريبة والرفض، فقد كان مفروضاً للحزب أن يشترك في الانتخابات ولكنه منع منها، ولم ييأس فتقدم للجنة العليا

(1) عن قانون الأحزاب السياسية راجع أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، م. س، ذ، ص 172 - 177

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

للانتخابات مبرهنا علي قيامه بتوفير كافة الشروط القانونية مطالباً بإدراجهم ضمن الأحزاب التي يحق لها دخول الانتخابات ولكنها - أي اللجنة العليا للانتخابات - رفضت مذعنة لقرار مجلس الأمن القومي واعتبرت اعتراضه نافذاً علي دخول " الرفاه " الانتخابات.

- في 6 سبتمبر 1983م تقدم الحزب بقائمة جديدة بـ 25 عضواً جديداً لم يتم الاعتراض عليهم⁽¹⁾. ودخل الحزب الانتخابات المحلية لانتخاب رؤساء البلديات لأول مرة في 25 مارس 1984م وفي هذه الانتخابات حصل علي 4.4% من الأصوات وحصل علي رئاسة بلديتين فقط هما " أورفه " و " وان " من مجموع 69 محافظة محتلا المرتبة السادسة والأخيرة من بين الأحزاب المتنافسة في هذه الانتخابات، وفي 6 سبتمبر 1987م أجري رئيس الوزراء " تورجوت أوزال " استفتاءً شعبياً علي الحظر السياسي الذي فرضه الحكم العسكري علي رؤساء الأحزاب السياسية، وجاءت النتيجة لصالح رفع الحظر بفارق بسيط.

- عاد " أربكان " إلي الحياة السياسية بعد حظر دام سبع سنوات تقريباً وفي 9 من سبتمبر زار " أحمد تكداي " رئيس حزب الرفاه وقادة الحزب " أربكان " في منزله وعرضوا عليه رئاسة الحزب وعقد في 11 أكتوبر 1987م مؤتمر حزب الرفاه الثاني والذي تم فيه انتخاب " أربكان " رئيساً للحزب

(1) عن تطورات نشأة حزب الرفاه راجع: يوسف إبراهيم الجهماني، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، الإسلام السياسي الجديد، بدون بيانات نشر، ص 15 ومابعدا وأيضاً أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، كتاب غير منشور استطعنا الحصول عليه من المؤلف الذي كان نشره في عدة صحف، ص 3.

بالإجماع⁽²⁾، وفي نوفمبر عام 1987 جرت انتخابات نيابية عامة في تركيا اشترك فيها حزب “ الرفاه “ وحصل علي 7.2% من الأصوات **المشاركة في التصويت** محتلا المرتبة الخامسة بين الأحزاب التي خاضت الانتخابات⁽³⁾، ولم يمكنه دخول البرلمان.

وبعد عامين جرت الانتخابات المحلية في مارس 1989 م وحصل الحزب فيها علي 9.8% من الأصوات محققا المركز الرابع من حيث نسبة التصويت من بين 7 أحزاب شاركت في الانتخابات، وزادت رئاسة البلديات التي حصل عليها إلي 40 بلدية وحقق الحزب فوزاً في خمس محافظات منها قونية التي كانت صوتت للوطن الأم في انتخابات عام 1984 م المحلية، وهذا المؤشرات فـي الواقع ستكون مقدمة للفوز المدوي له في انتخابات البلديات في 27 مارس 1994م.

عقد الحزب مؤتمره العام الثالث في 7 أكتوبر 1990 وفيه أعيد انتخاب

“أربكان” بالإجماع رئيساً للحزب من جديد، ولكي يتهيأ الحزب لدخول الانتخابات النيابية التي ستجري في 1991م تحالف مع حزبين يمينيين آخرين ليتخطي حاجز الـ 10% ويدخل المجلس الوطني الكبير واستطاعت هذه القائمة أن تحصل علي نسبة 16.2% من الأصوات المشاركة أي صار تمثيلها في البرلمان 62 مقعداً نصيب الرفاه منها 38 مقعداً وبدا الحزب واثق الخطو يمشي في حقل ألغام السياسة التركية ويكتسب كل يوم

(2) نفس المرجع، ص 4.

(3) عن نتائج حزب الرفاه المتصاعدة دائماً راجع محمد نور الدين، أي مستقبل للإسلاميين في تركيا، امتحان الديمقراطية و امتحان الحركات الإسلامية معا، الحياة، 12/6/1994 م.

خبرة ووعياً جديداً بكيفية التعامل مع “ الدولة العميقة “.

ثانياً: الصعود السياسي لحزب الرفاه:

في 10 أكتوبر 1993م عقد الحزب مؤتمره الرابع في قاعة “ أتاتورك “ للرياضة وهي أكبر قاعة في العاصمة “ أنقرة “ حضرها أكثر من 100 ألف من أنصار الحزب وأشار “ أربكان “ إلي الانتخابات المحلية التي ستجري في 27 مارس 1994 م قائلاً : “ يجب أن يخرج حزب الرفاه من هذه الانتخابات كأكبر حزب لأنه الأمل الوحيد للشعب “ وفي المؤتمر الرابع لحزب “ الرفاه “ تقرر التركيز علي: النظرة المالية (الملي جوروش) والنظام العادل والنهضة المعنوية، وتركيا الكبرى من جديد، والوحدة الإسلامية، والسير نحو دنيا جديدة، وأجاب “ أربكان “ في هذا المؤتمر عن بعض الاتهامات الموجهة للحزب فقال: “ ليس حزب الرفاه حزباً يدعو إلي التضيق علي الحريات أو بجانب إصدار قوانين الزجر والمنع بل هو يستهدف تحقيق النظام الحقيقي للحريات.

إن نظام المقلدين (يقصد الأحزاب الأخرى) ليس نظاماً لتقديم الخدمات بل نظاماً للضغط علي الحريات ومع أنهم يدعون أن الحقوق والحريات الأساسية موجودة ومحمية بالقوانين فإننا إن دققنا النظر وجدنا هناك تهديدات جدية للفكر وللعقيدة في الحياة اليومية وفي الفعاليات الاقتصادية.

في المؤتمر الرابع انتبه الحزب لدور المرأة لأنها مصدر لنصف الأصوات في الانتخابات ولذا رسم خطة لعمل المرأة والنشاطات العديدة التي يمكنها المساهمة فيها، وقامت المرأة بخدمات جليلة للحزب تجلت في الفوز الكبير له في الانتخابات المحلية التي جرت في 27 مارس 1994 م

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

والتي دخلها " الرفاه " بمفرده واستطاع أن يحصل علي 5 مليون صوت محتلاً المرتبة الثالثة بين الأحزاب التي خاضت الانتخابات.

ولكنه حصل علي أكبر عدد من رئاسة البلديات⁽¹⁾، وللمرة الأولى يستطيع الرفاه أن يصبح رقماً صعباً لا يمكن تجاهله في الحياة السياسية التركية بل إنه أصبح أقوى حزب سياسي في البلاد، إذ حصل علي نسبة 19.1% من جملة الأصوات التي شاركت في الانتخابات. وتتبع تطورات النتائج التصويتية للحزب نجد أنه هو الحزب التركي الوحيد الذي يتصاعد له التصويت بين كل انتخابات والتي تليها بأكثر من 100% و الجدول التالي يعرض لتطور نتائج التصويت لصالح الرفاه⁽²⁾.

تصاعد نتائج التصويت لصالح الرفاه

السنة	عدد الأصوات	النسبة المئوية
1984 م	774622	4.4%
1989 م	2170365	9.8%
1994 م	5385357	19.1%

المصدر: قصة حزب الرفاه لأورخان محمد علي

نسب التصويت للرفاه في المدن التركية الكبرى في أول انتخابات عام 1984

المدينة	النسبة المئوية	المدينة	النسبة المئوية
اسطنبول	4.3%	أرضروم	4.9%
أنقرة	3.8%	قونية	6.8%

(1) عن التطور السياسي لحزب الرفاه راجع أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س. د، ص 5.

(2) نفس المرجع، ص 5

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

أدنه	%4.3	مرعش	%8.9
بورصة	%4.5	صقاريا	%7.4
ديار بكر	%3.3	طرايزون	%6.6

نسب التصويت للرفاه في المدن التركية الكبرى في انتخابات 27 مارس 1994م

اسم المدينة	النسبة المئوية
اسطنبول	%25.3
أنقرة	%21.5
قيصري	%27.3
موش	%38.6
قونية	%58

المصدر: قصة حزب الرفاه لأورخان محمد علي

سيطر الحزب الإسلامي الصاعد علي أهم المدن الكبرى في تركيا ومنها اسطنبول و “ أنقرة “ و “ ديار بكر “ و “ أرضروم “ وقيصري “ و “ كوتاهية “ و “ قونية “ ومالاطيه “ وموش “ وأغري “ وبينكول “ وبيلتس “ وجورم “ ومرعش “ ونوشهر “ وصقاريا “ وسيواس “ وتوقاط “ ووان “ وأورفه “ وباطمان “ وغيرها من المدن المهمة، وأثبتت نتائج الانتخابات فوز الحزب في أكثر من أربعمئة مدينة وقضاء وناحية⁽¹⁾.

نظرت الأوساط الإعلامية والسياسية في تركيا وخارجها إلي تقدم

(1) نفس المرجع، ص 5 ولمزيد من المعلومات حول تطورات السلوك التصويتي لصالح الرفاه يمكن مراجعة محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول، م. س. ذ، ص 71 - 75 ورصد فيها التحولات التصويتية لكل الأحزاب السياسية وللرفاه نفسه. وعن صعود وهبوط القوي التصويتية للأحزاب راجع أيضا: عثمان أوزسوي، صعود وهبوط القوي السياسية، قضايا دولية، ع 314، السنة 7، 8/ 1996.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

حزب “ الرفاه “ كأمر مفاجئ يحمل في طياته بذور تغيير سياسي قد يكون جذرياً قبل الانتخابات البرلمانية القادمة في عام 1996 م من حيث نمو وصعود التيار الإسلامي في تركيا علي نحو قد تتكرر معه “ خبرة الجزائر “، بينما ذهب آخرون إلي القول بأن الدلالة الأهم لتقدم حزب “ الرفاه “ ليست حصوله علي خمس إجمالي أصوات الناخبين وإنما قدرته علي اجتذاب أكثر من 40% من أصوات الناخبين في المدن الكبرى ممن كانوا صوتوا في انتخابات 1989م المحلية لصالح الحزبين المشاركين في الائتلاف الحاكم “ الطريق الصحيح DYP والحزب الديمقراطي الاجتماعي الشعبي “ وذلك كتعبير عن عدم شعور هؤلاء الناخبين بالرضا عن سياسة الحكومة في التعامل مع مشكلة التضخم وغيرها من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية.

ويعبر “ سليمان ديميريل “ الرئيس التركي عن ذلك بقوله: “ ليست هناك علاقة بين ما يحدث الآن في تركيا وبين ماحدث ولا يزال في الجزائر، إن تركيا لن تكون جزائر أخرى، والنسبة التي حصل عليها حزب الرفاه ليست كبيرة، بالإضافة إلي أن هذا الحزب ليس حزباً متطرفاً وأعضاؤه ليسوا متطرفين علي النحو الجزائري، وإذا كانت تركيا تشهد أوضاعاً اقتصادية غير مستقرة فإننا نعتبر أن الأزمة الاقتصادية مؤقتة وليست دائمة وسوف نتغلب عليها وقد اتخذنا تدابير وإجراءات لمعالجتها⁽¹⁾.

مثل الأداء النزيه والنظيف لممثلي الحزب في رئاسة البلديات والمدن الكبرى الأساس الذي جعل من الحزب الأول بين الأحزاب التركية، لقد

(1) جلال معوض، الإسلام والتعددية في تركيا، م. س. ذ، ص 40.

أحس الشعب التركي بالخدمات التي قدمها رؤساء بلديات الرفاه حتي صاروا نماذج للنزاهة والتفاني علي مستوي العالم كله **فالدكتور " خليل أورن " رئيس بلدية مدينة " قونية " المعقل المهم للرفاه أخذ مكانه ضمن أفضل عشر رؤساء للبلديات في العالم في الاحتفال الذي جري في اليابان.**

- ورث رؤساء بلديات الرفاه المنتخبين تركة من الفساد والرشي والمحسوبية التي بلغت الذروة من قبل حزب الشعب ذات التوجه الاشتراكي S.H.P الذي يزعم الدفاع عن حقوق الطبقات الفقيرة، **فعندما تولى**

" أردوغان " رئاسة بلدية اسطنبول وجدها غارقة في ديون زادت علي الملياري دولار أمريكي وفتح ملفات الفساد في المحليات والتي هزت الرأي العام التركي لمدة عامين وتم تنظيف البلديات من الفساد والرشاوي والاستغلال السئ للوظيفة وبدأ الإصلاح وكانت أهم مشكلة تعاني منها " اسطنبول " مثلا هي مشكلة المياه حيث لم تكن البحيرة التي تمد المدينة الضخمة بالمياه قادرة علي الوفاء بحاجات الناس المتزايدة ولكن " أردوغان " واجه المشكلة واستطاع حلها فلم تعد المياه تقطع عن المنازل ومشكلة تلوث جو مدينة اسطنبول في الشتاء بسبب المحروقات التي تحتوي علي نسبة عالية من الكبريت فمد " رئيس البلدية " مئات الكيلومترات من الغاز الطبيعي في المنازل ومنع استخدام المحروقات الملوثة، ومشكلة المواصلات حلها " أردوغان " بتدشين " مترو الأنفاق " الجديد في اسطنبول والذي قضي علي المشكلة.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

- هذه المشروعات العملاقة استطاع "أردوغان" توفير الاستثمارات الضخمة لها من دخل "بلدية اسطنبول" في دولة كانت غارقة في التضخم وتعاني من مشكلة اقتصادية في هذا الوقت، وفي "أنقرة" استطاع "مليح كوجك" أن يحقق إنجازات ضخمة كان علي رأسها استكمال مشروع مترو أنفاق أنقرة "التي ظلت تحلم باستكمالها وتدشينه لأكثر من سبعين عاماً، واستطاع بناء البنية التحتية لمشروع الغاز الطبيعي في المدينة الكبيرة ومدّه لآلاف البيوت ومنع استخدام المحروقات الملوثة، وبني الجسور الضرورية للتغلب علي مشكلة المواصلات في المدينة، وأسست بلديات الرفاه ما أطلقت عليه "المنضدة البيضاء" وهي وحدة عمل مهمتها تلقي الشكاوي علي مدار اليوم وإزالة الشكاوي بأسرع وقت ممكن⁽¹⁾.

- مثل الفوز الكبير للرفاه في المدن الكبرى والأقضية والبلديات المختلفة في انتخابات المحليات اختباراً حقيقياً له من جانب الشعب التركي فقد زادت الثقة بممثليه بينما تهاوت في بقية الأحزاب الأخرى لدرجة أن حزب الرفاه أصبح هو الحزب المركزي اليميني في تركيا، فهو يؤمن بضرورة الجمع بين الموروث العثماني لمواجهة معضلات الواقع المعاصر بدون انسياق أو تبعية للغرب، ويطرح رؤية تعبر عن الطابع القومي للشخصية التركية ولكن من منظور "ملة إبراهيم" أي منظور دائرة أوسع تحس لكنها لا تري وهي الرابطة الإسلامية التي تحافظ علي حقوق الأقليات الكردية في تركيا.

(1) أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س. د. ص 6، وفي معرض الاعتراف "لطبيب أردوغان" بجهوده قال "ديميريل" رئيس الدولة وقتها وهو منافس للرفاه "لقد حققت في عام ونصف مالم يحققه سلفك في خمسة أعوام" وراجع جمال خاشقجي، حزب أربكان يستعد للسلطة، مجلة الوسط، ع 195، 1995/10/23 م

وهو يعبر عن رؤي اقتصادية في صالح الطبقات الفقيرة والهامشية والوسطي في الداخل داعياً للتحرر الاقتصادي وحماية المشروعات الفردية ويرفض المنظور الاقتصادي الكوني القائم علي الاستغلال والربا وإفقار الشعوب المستضعفة والفقيرة، فهو إذن يأخذ بنصيب من الفكر القومي والفكر الاشتراكي والفكر الليبرالي منطلقاً من أرضية حضارية تعبر عن أوسع قطاع من الشعب التركي⁽¹⁾.

- كان أداء ممثلي الرفاه الذين بدو أكثر عصرنة وتفتحاً من الأحزاب العلمانية مطمئناً للدوائر الدولية التي كانت تخاف من ممثلي الإسلام السياسي فكما تحدثت التقارير الغربية أن رجال الصحافة حينما كانوا يقفون أمام ذلك الشاب الوسيم “ طيب أردوغان “ رئيس بلدية اسطنبول أو “ مليح كوجك “ رئيس بلدية “ أنقرة “ وهما يرتديان أفخم بيوت الأزياء الرجالية وأحدثها في تركيا وأوربا وهما حليقي الذقون مصففي الشعر والابتسامات تضاهي ابتسامات “ جاك شيراك “ عندما كان عمدة مدينة “ باريس “ كانت الدهشة تأخذ بمجامع نفوسهم من رجال ينتمون لحزب إسلامي هو حزب “ الرفاه “.

- كانت استطلاعات الرأي تشير إلي أن شعبية الرجلين ازدادت بشكل ملحوظ، وهو ماجعل الغرب يقتنع بأن أصوات أقدام الوافدين الجدد هؤلاء ليس هدفها غزو فيينا أو المضي قدما لحرق مكاتب باريس ولندن أو فتح برلين أو استكهولم من الداخل. وفي رصد لمراسل “ إيتارتاس “ لأوضاع مدينة “ قونية “ عقب فوز “ الرفاه “ في الانتخابات البلدية

(1) هذا التوليفة جعلت “ روشين تشاكر “ يقول برنامج الرفاه فيه قليل من الإسلام وقليل من الرأسمالية وقليل من الاشتراكية. وراجع محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول، م. س. د، ص 65.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

بمدينة “قونية”، أحد أهم معاقل الرفاه قال علي لسان “خليل يوردن” رئيس البلدية “عندنا كل الأمور يقررها الشعب ونحن بدورنا لا نلجأ للضغط عليه، فإذا رغب سنقدم علي إغلاق دور الدعارة أو محلات الاتجار بالمشروبات الكحولية فنحن لا نقوم إلا بما يريده المواطنون”، وأضاف “لم يطرق باب مكتبي أي مواطن طالباً الترخيص لفتح مخزن لبيع المشروبات الكحولية”، إن غالبية سكان “قونية” لا يتعاطون المشروبات الكحولية⁽¹⁾، ومثلت خبرة “الرفاه” في البلديات نموذجاً لأول حركة إسلامية تتولي السلطة فعلاً وتمارسها في سياق سياسي يضمن تجاهها المخاوف وربما الكراهية ولكنه احترام وصولها للسلطة وانتظر ليري تجربتها ولم ينقلب عليها كما حدث في الجزائر، وهذا جعل الخبرة تنضج وتتكيف مع الواقع السياسي ويتعدل ما نطلق عليه “الإدراك المتبادل بين الحركات الإسلامية ونظمها السياسية” نحو ضرورة قبول كل منهم الآخر حرصاً على السلام الاجتماعي والاستقرار السياسي في بلد تتنازع المتناقضات المرعبة مثل تركيا⁽²⁾.

- حاول “الرفاه” تطبيق برنامجه في المحليات وفق صيغة “تغيير اجتماعي أخلاقي هادئة ومتبادلة” بمعنى أن النموذج الأخلاقي

(1) يوسف إبراهيم، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، الإسلام السياسي الجديد، م. س. ذ، ص 49 - 53.

(2) في تحليلات مشابهة راجع مثلاً: عمرو الشوبكي، خبرة تركيا ربما تفيد تجارب الدول العربية في مجال الديمقراطية، البيئة الاجتماعية وإعادة إنتاج الخطاب السياسي، الحياة، 1996/5/10 وأيضاً فهمي هويدي، رسالة الانتخابات التركية، لمن يهمل الأمر في العالم العربي، الشرق الأوسط 1996/1/15 وأيضاً كمال حبيب، تحولات الحركة الإسلامية والاستراتيجية الأمريكية، م. س. ذ، ص 77 تحت عنوان “الرؤى المتبادلة بين الحركة الإسلامية ونظمها السياسية”.

للممارسات الرفاهية في السياسة المحلية جعلتهم أيضاً يقدمون علي تعديلات في الجانب الاجتماعي متصلة بالقضاء علي الدعارة ومحلات الخمر ولكن في سياق قانوني وديمقراطي يحترم اختيارات الناس، فكما يقول أحد رجال الأعمال وثيقي الصلة بالرفاه “ إن المسألة الأولى التي نعمل عليها هي الجوانب التي لا تسير بانتظام في النظام، وبعد ذلك نبدأ بتغيير الجوانب التي تعكس خللاً لا ينسجم مع تقاليدنا الأخلاقية “.

فبرنامج الرفاه الإصلاحي لا يحمل أي توجهات لتغيير جذري ترفضه الأغلبية والسياسي والمدني التركي، ومن خلال أدائه في المحليات اتضح أننا أمام حزب تركي إسلامي يأخذ في حسبانته السياق المجتمعي والقانوني والسياسي الذي يتحرك فيه، ورغم انطلاقه من مفهوم الأخوة الإسلامية العامة واستناده لرؤية شاملة وعالمية، لكن الواقع التركي هو مجال اهتمامه وعمله بشكل أساسي فهو يغلب الظروف التركية علي الروي ذات الطابع الكوني الذي تتبناه الحركات الإسلامية الأخرى في العالم.

- يمكننا القول أن “ حزب الرفاه “ هو أول حزب إسلامي مارس السياسة كتعبير مدني بمرجعية إسلامية، فهو حزب سياسي له منطلقات إسلامية لا يمكنه الإفصاح عنها بشكل علني لأن القانون يجرمها ويمنعها ومن ثم فهو استخدم “ الرمز السياسي “ للتعبير عن أطروحاته الإسلامية.

ونحن نذهب إلي القول بأن حزب الرفاه بالأساس هو حزب سياسي ولكن بمنطلقات إسلامية، ومن ثم فهو ينظر لنفسه كحزب سياسي وليس كحزب ديني أو حتي إسلامي، فهو حزب سياسي تختلط في مشروعه التوجهات القومية والليبرالية واليسارية بخطة سرية خاصة لا يمكننا معها أن نقول عنه أي - الحزب - أنه أي منها فهي تتفاعل معاً في

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

مشروعه ضمن منظور أوسع يمكن أن نطلق عليه “ النهوض من منظور تركي “.

- مقالته “ أربكان “ في هذا السياق واضح الدلالة - “ في حالة إلغاء المادة 163 من قانون العقوبات والتي تحظر إنشاء أحزاب دينية وتجرم نشر الدعاية الدينية والقيام بنشاطات أصولية مناوئة للعلمانية، لن تكون هناك إمكانية أو حاجة لتأسيس حزب إسلامي يعلن أن الإسلام منظوره والقرآن دستوره، فمثل هذا الحزب لا يمكن أن يظهر أو ينجح لأن الأحزاب تؤسس لحل مشكلات المجتمع ولا يمكن أن تستند إلي الدين، ومثل هذا الحزب لن يقدم حلاً جوهرياً للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية في تركيا، كما أن المجتمع التركي لا يحتاج سوى ثلاثة أحزاب: حزب الرفاه كحزب يعبر عن المنظور القومي، وحزب “ الطريق الصحيح كحزب رأسمالي يدافع عن المصالح الرأسمالية، والحزب الديموقراطي الاجتماعي الشعبي “ كحزب يساري، أما حزب الوطن الأم “ فلا موضع لاستمراره بعد إخفاقه في محاولة الجمع بين تصورات ومبادئ هذه الأحزاب الثلاثة تحت سقف واحد، ولن يعيد حزب الرفاه تنظيم نفسه في حالة إلغاء هذه المادة لأنه أنشئ في ظل القانون القائم ولا يمكن لهذه المادة أن تؤثر بأي شكل من الأشكال في سياسة الحزب⁽¹⁾. وفي حوار له قال “ نحن لسنا حزباً إسلامياً، نحن حركة سياسية⁽²⁾ “ ويقول “ رجب طيب أردوغان “ في هذا الصدد “ يسألنا الناس عن مسائل دينية

(1) جلال معوض، الإسلام والتعددية في تركيا، م. س. د، ص 41.

(2) جمال خاشقجي، زعيم حزب الرفاه الإسلامي يخلط الأوراق التركية، أربكان للوسط: سألني الحدود مع سورية، الوسط، ع 205، 1/1 / 1996.

فيما نحن لسنا مفتيين بل حزب سياسي“ (3).

ثالثاً: حزب الرفاه والوصول إلي السلطة في تركيا:

- وضع الرفاه نصب عينيه الانتخابات النيابية التي ستجري في 25 ديسمبر 1995 لكي يثبت تجذره أكثر في الوجود السياسي التركي، لا بل لكي يقول إن تركيا لا يمكنها أن تنهض بدون “ الرفاه “، و استمرار صعوده السياسي مرهون بحصوله علي عدد أكبر من الأصوات يمكنه من اقتحام عرش دبابير العلمانية المحرم علي من لا يدينون بها من الإسلاميين، فأصدر الحزب بيانه الانتخابي عارضاً أفكاره وأيديولوجيته التي تميزه عن غيره من الأحزاب الأخرى والتي تمس بقوة أوتاراً تعزف بصمت في نفس التركي دون أن تجد لنفسها مجالاً في الفضاء العام.

وأعلن خطته لحل مشاكل تركيا والتي تضمنت الآتي:

- 1- إرساء الأخوة الإسلامية وهي الحل الوحيد لإنهاء الحركة الانفصالية في الولايات الجنوبية الشرقية.
- 2- تأمين الارتباط والالتحام بين الدولة والشعب.
- 3- مكافحة البطالة.
- 4- إخراج قوة المطرقة من تركيا.
- 5- إلغاء الأحكام العرفية المطبقة في الولايات الجنوبية الشرقية وهي الولايات التي توجد بها حركات التمرد الكردية.

(3) عن استبعاد تحول الرفاه كحزب سياسي له مرجعية إسلامية إلي حزب ديني راجع “ جلال معوض، الإسلام والتعددية في تركيا، م. س. ذ، ص 40 - 43 وعن قول “ طيب أردوغان “ راجع محمد نور الدين، قبعة وعمامة. م. س. ذ، ص 60.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

- 6- العمل علي رفع الحصار عن العراق.
- 7- الاهتمام بالقيم المعنوية في التربية واعتماد الطابع الملي.
- 8- إزالة الحواجز الموجودة أمام الإنتاج للانتقال إلي نظام اقتصادي عادل.

- حث الحزب أنصاره للوصول إلي أبعد وأصغر قرية في البلاد رافعاً شعار “ المكان الذي لا تصل إليه لن يكون لك “، و “ ليس هناك عذر يمكن أن يحل محل النجاح “، واستطاع “ الرفاه “ في هذه الانتخابات كما كان مخططاً أن يحصل علي أكثر من ستة ملايين صوت أي علي نسبة تعادل 21.4% من مجموع الأصوات التي شاركت في الانتخابات وحصل علي 158 مقعداً من مجمل مقاعد البرلمان التركي والتي تبلغ 550⁽¹⁾.

- أثبتت النتائج تقدم “ الرفاه “ علي حزب “ الوطن الأم “ بفارق أصوات وصل إلي نصف مليون صوت، أما “ حزب الطريق القويم “ فقد جاء متأخراً عن “ الرفاه “ بما يقارب 700 ألف صوت، وتراجعت أصوات اليمين ممثلة في الحزبين السابقين من 51 % عام 1991 م إلي 39% في الانتخابات الأخيرة أي بتراجع قدره 12 نقطة أو مايعادل خمس قوته السابقة.

حزب “ الطريق المستقيم “ لوحده تراجع 7 نقاط ففي عام 1991 م نال 27% بينما نال في هذه الانتخابات 19.2% أي مايعادل ربع قوته

(1) أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س. ذ، ص7. عدد أعضاء المجلس كانوا 400 ثم زاد العدد ليصبح 450 بموجب تعديل دستوري عام 1987 م ثم زاد العدد ليصبح 550 نائباً إثر الانتخابات البرلمانية التي جرت عام 1995 وراجع جلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م. س. ذ، ص 16.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

السابقة، وتراجع "حزب الوطن الأم" أربع نقاط من 24% عام 1991 م إلى 19.65% في الانتخابات الأخيرة أو مايعادل سدس قوته السابقة وعلي جبهة اليسار تراجع حزبا "اليسار الديمقراطي" والحزب الشعبي الاجتماعي الديمقراطي (حزب الشعب الجمهوري الآن) بما يقارب ربع قوتهما من 31% إلى 24% بتراجع قدره 7 نقاط، وإذا كان اليسار الديمقراطي حقق تقدما من 10.8% إلى 14.65% عام 1995 م، فإن "حزب الشعب الجمهوري" تراجعت قوته إلى النصف من 20.8% عام 1991 م إلى 10.7% عام 1995 م⁽²⁾، وحده الرفاه هو الذي كان يتقدم ليثبت أنه فاعل رئيسي في الحياة السياسية التركية. والجدول التالي يظهر النتائج الكاملة للانتخابات البرلمانية التركية التي جرت في 25 ديسمبر 1995:

نتائج الانتخابات البرلمانية التركية في 25 ديسمبر 1995

الأحزاب	أصوات كل حزب	النسبة المئوية	عدد المقاعد
حزب الرفاه	6012450	21.4%	158
حزب الطريق القويم	5396009	2.19%	135
حزب الوطن الأم والوحدة الكبرى	5527288	6.19%	132
حزب اليسار الديمقراطي	4118025	6.14%	76
حزب الشعب الجمهوري	3011076	7.10%	49
حزب الحركة القومية	2301343	8.2%	لا يوجد
حزب الديمقراطية الشعبية	1171623	4.2%	لا يوجد
حركة الديمقراطية الجديدة	133889	48.0%	لا يوجد
حزب الأمة	127630	0.45%	لا يوجد
حزب الشروق الجديد	95484	0.34%	لا يوجد

(2) عن تفصيلات التطور التصويتي للقوي السياسية التركية راجع: محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول، م. س. ذ، ص 68 - 69.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

حزب العمال	61428	0.22 %	لا يوجد
الحزب الجديد	36853	0.13 %	لا يوجد
المستقلون	133895	0.5 %	لا يوجد

المصدر: صحيفة ميلليت بتاريخ 4 يناير 1996

- أصبح من حق " الرفاه " بعد حصوله علي أعلى نسبة من الأصوات أن يشكل الحكومة، استطاع الحزب أن يضاعف وجوده في الحياة السياسية خلال 9 سنوات إلي 43 ضعفاً وهو مالم يستطع أي حزب آخر أن يحققه في تاريخ الحياة الحزبية في تركيا⁽¹⁾، و مثل فوز " الرفاه " صدمة كبيرة في أوساط أحزاب اليمين واليسار التي تراجعت بشكل ملحوظ - كما أوضحت أوضحننا - وعبر " الرفاه " - كما أشارت نتائج الانتخابات - عن تواجده في أماكن لم يكن له وجود فيها من قبل مثل مناطق " بحر إيجة "، " والبحر المتوسط " وفي مناطق الأكراد " التي احتل فيها المركز الثالث، بالإضافة لسيطرته المطلقة في محافظات " وسط الأناضول وشماله " وتزعمه لمدينتي " أنقرة " واسطنبول " وهو ماجعل " الرفاه " بخلاف كل الأحزاب الأخرى له حضور قوي⁽²⁾ في معظم المناطق التركية علي اختلاف أعراقها ومذاهبها ومستوياتها الاقتصادية، وعبر " نجم الدين أربكان " عن ذلك بقوله: " إن حزبه الوحيد القادر علي تقديم سياسة تجمع كل البلاد وتقدم العلاج لمختلف مشكلاتها.

(1) أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س. ذ، ص 7، ويمكن مراجعة نتائج التصويت للبرلمان التركي في مواضع عديدة منها مثلاً:

Political Structure Of Turkey, Directorate General Of Press & Information (Ankara:March, 1996) p. 11.

(2) عن قوة حزب الرفاه كفاعل سياسي في الانتخابات راجع، جمال خاشقجي، أربكان للوسط: سألني الحدود مع سوريا، مجلة الوسط، ع 205، 1996/1/1.

- وفق الأعراف الدستورية فمن المفروض أن يكلف رئيس الجمهورية الحزب الذي حصل علي أعلى الأصوات بتشكيل الحكومة، بيد إن الرعب الذي ساد الأوساط العلمانية جعل الشكوك والهجمات تنطلق ضد الرفاه من جانب المؤسسات المنفذة في البلاد، و بينما طالب “ أربكان “ رئيس الجمهورية “ ديميريل “ بضرورة تكليفه بتشكيل الحكومة فقد عجز عن تشكيلها مرتين، بيد أن الإصرار علي إبعاد “ الرفاه “ عن السلطة أربك الساحة السياسية التركية والتي واجهت أزمة حقيقية عبرت عن نفسها في العجز عن تشكيل حكومة مستقرة وقادرة علي إدارة الشؤون التركية وسط عواصف قوية داخلية وخارجية معا.

- وتحت ضغوط الجيش التي لا يمكن مدافعتها كلف “ ديميريل “ يلماز “ بتشكيل الحكومة مع حزب “ الطريق القويم “ بدعم حزب اليسار الديموقراطي الذي يقوده “ بولنت أجاويد “ فيما عرف “ بائتلاف الإكراه “ في 12 مارس 1996 م⁽¹⁾.

ولكنها سرعان ما انهارت في 6 يونية 1996 م، وحينها تم تكليف “ أربكان “ بتشكيل الحكومة (الرابعة والخمسين) متحالفاً مع حزب “ الطريق المستقيم في 29 يونية 1996 م ونال الائتلاف بين الحزبين ثقة البرلمان في 8 يوليو 1996 م وأصبح “ نجم الدين أربكان “ السياسي الإسلامي المخضرم المعادي “ للأتاتورية “ أول رئيس وزراء لتركيا العلمانية المحروسة بقوة العسكر وحلف الأطلسي والدعم الغربي الأوروبي والأمريكي الذي راقب المفاوضات المضنية بين الساسة والتي انتهت إلي الانحناء لقواعد الديموقراطية خوفاً من إجراء انتخابات

(1) عن الائتلاف الإكراهي راجع مثلاً: محمد الحسن أحمد، تركيا بين الوحدة الوطنية والائتلاف القهري، الشرق الأوسط، 1996/2/13.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

برلمانية جديدة سوف تأتي “ بالرفاه “ مرة ثانية أقوى مما كان (2).

- لم يكن أمام الجيش خيار آخر سوي القبول بمجئ “ الرفاه “ إلي السلطة لكن هذا فتح الباب لصراع مفتوح بين الطرفين استخدمت فيه النخب العلمانية الوسائل القضائية في ظل عجزها عن التعامل مع قوة سياسية تراها معادية “ للكمالية “ في ظل نظام ديموقراطي تعددي.

وكما يصف “ هاينتس كرامر “ لم يكن الجميع بدءاً من قيادة الجيش وانتهاءً بالصحف الرئيسية والجمعيات الخاصة مروراً بكبار موظفي الدولة مستعدين لقبول هذا التغيير، فبعد فاصل قصير تم فيه استيعاب الصدمة أطلق هؤلاء حملة سياسية لقلب النتائج رأساً علي عقب وهو ما أدي إلي أن تعيش تركيا معركة صراع علي الهيمنة

(2) لم يكن فوز “ الرفاه “ بعيداً عن اهتمام دوائر الغرب السياسية التي كانت تراقب وتتدخل عن كثب وعلي سبيل المثال راجع العديد من التقارير الصحفية التي تتحدث عن ذلك مثلاً: السفير الإسرائيلي في تركيا قال “ ليدعوت أحرونوت “ بعد فوز الرفاه “ يجب ألا نقارن ما حصل في تركيا بالمطرفين الإسلاميين في الجزائر أو مصر.. الإسلاميون الأتراك ليسوا متطرفين كما في البلدان الأخرى كما أن الأجهزة الأمنية التركية تعمل بطريقة فعالة، الحياة، 28 / 12 / 1995، ولو فيجارو “ الفرنسية قالت “ فاز الرفاه فدقت نواقيس الخطر في أوروبا “ الاتحاد الاماراتية، 14 / 1 / 1996 وقالت الفايننشال تايمز “ إنه لا ينبغي لأحد أن يقلل من المخاوف المتعلقة بالصعود الإسلامي في تركيا وكتبت “ لوس أنجلوس تايمز “ إن اقتراب موعد الانتخابات العامة في تركيا واحتمال فوز “ أربكان “ يبعث علي القشعريرة في كواليس السفارات الغربية في أنقرة 18 / 4 / 1995 وقالت الإيكونومست البريطانية “ إن النظرة الأولى لأربكان توحى إنه ليس خطيراً لكن الحديث معه لعدة دقائق يخلق نقيص ذلك الانطباع “ وراجع مصطفى محمد الطحان، هل جاء وقت الرفاه.. الانتخابات تعيد التوازن المفقود في تركيا، الحياة 14 / 1 / 1996 وأكدت أمريكا أنها ستتعاون مع الحكومة الجديدة في تركيا شرط حماية المصالح القومية الأميركية وقال الناطق باسم وزارة الخارجية “ هذه علاقة دفاع أقمناها هنا وهناك مسؤوليات في هذه العلاقة وليست هناك حقوق فقط وشددت علي أهمية تركيا لحلف الأطلسي وعاملاً أساسياً موجوداً عند مفترق الطرق بين أوروبا والشرق الأوسط وربط تركيا بالمؤسسات الغربية مثل حلف الأطلسي والاتحاد الأوروبي وعلي تركيا الالتزام بالديموقراطية وحقوق الإنسان، الحياة 10 / 7 / 1996 م.

السياسية منذ خريف 1996 م.

اتخذت المعركة في المقام الأول شكل حرب ثقافية (Kulturkampf) بين النخبة الإسلامية والكماليين حول استمرار نظرة الجمهورية العلمانية كما حددتها النخب القديمة، مالبثت هذه المعركة أن وصلت إلى نهاية مؤقتة مع حظر حزب الرفاه في يناير 1998 م بموجب حكم من المحكمة الدستورية⁽¹⁾.

- لم يكن سهلاً تسليم وراثي تقاليد الجمهورية الأولى بالتحويلات الجديدة التي قادت إلى ما عرف في تركيا باسم “الجمهورية الثانية” أو ما بعد الكمالية⁽¹⁾، والتي كان أبرز دلالاتها مجئ الرفاه إلى السلطة، ومن هنا كان التداعي بالتهديد الأصولي للكمالية والعلمانية واعتبر الجيش أن الخطر الأول الذي يهدد الأمن القومي في تركيا هو “الخطر الأصولي” وليست النزعات الانفصالية أو الفوضوية⁽²⁾.

(1) هايننتس كرامر، تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد، م. س. ذ، ص 128.

(1) جمال خاشقجي، عقليتان تتجاذبان تركيا الحديثة، الحياة 1996/1/27 م فهو يتحدث عن عقلية العسكر والإسلاميين وأيضاً محمد جمال باروت، الرفاه وأسئلة مابعد الكمالية مجدداً، الحياة 1998/1/25 الذي قال “إن حل الرفاه هو أكثر بكثير من مسألة حل حزب سياسي يجري الادعاء بخروجه علي الدستور، إنه في عمق دفاع الأيديولوجيا الرسمية الحاكمة القديمة المتقادمة عن نفسها، ومحاولة لإنقاذ نفسها في شروط جديدة تجتمع برمتها لتطرح احتمالاً تاريخياً جديداً يمكننا تسليماً ميته بما بعد الكمالية، والرفاه هنا ليس حزب الماضي أو المكبوت بل هو تعبير عن مرحلة مابعد الكمالية.

(2) كان مجلس الأمن القومي التركي يعتبر “الأصولية” أي الإسلاميين هم الخطر الثاني بعد “الانفصالية” أي الاتجاهات الكردية الداعية للانفصال عن الدولة ولكنه بعد وصول “الرفاه” إلى السلطة ارتفع الخطر الإسلامي “الأصولي” بتعبير العسكر إلى أكبر خطر يهدد الدولة وراجع تصريحات كبار قادة الجيش التركي في يوسف إبراهيم، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، الإسلام السياسي الجديد، م. س. ذ، ص 114 - 115 فقد نقل عن القائد الأعلى للقوات البحرية

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

- في 28 فبراير 1997 تقدم مجلس الأمن القومي بمذكرة إلي رئيس الوزراء طالبه فيها بالاستجابة لمطالب الجيش التي بلغت 18 مطلباً لحماية تراث “ العلمانية الكمالية ” فيما أطلق عليه “ الانقلاب الرابع ” في تاريخ تركيا الحديثة والذي عرف “ بانقلاب ما بعد الحداثة ” فهو انقلاب أبيض لم تتحرك فيه الدبابات ولكن استخدمت مؤسسات الدولة الكمالية التي لا يمكن قهرها أو التغلب عليها، “ فالدولة الإله ” في تركيا تحركت مؤسساتها التي لا يمكن مدافعتها، ولم يستطع “ الرفاه ” الصمود أمام ضراوتها خاصة بعد أن رفع رئيس الادعاء العام دعوي أمام المحكمة الدستورية طالب فيها بحظر نشاطات حزب “ الرفاه ” في 21 مايو 1997م فتقدم “ أربكان ” باستقالته في 18 يونيو 1997م إلي رئيس الجمهورية “ سليمان ديميريل ” بعد محاولات للمقاومة بدت يائسة فقبلها وكلف “ مسعود يلماز ” بتشكيل الحكومة التي أجهزت علي الآمال التي كانت معقودة علي إمكانية تحول الدولة الكمالية إلي دولة تحترم القانون والدستور وتقبل بقواعد الديمقراطية⁽¹⁾ التي جاءت بإسلاميين إلي السلطة لاستيعابهم داخل النظام السياسي وليصبحوا جزءاً من العملية السياسية ولكن المشهد التركي الانقلابي علي الرفاه كان علي العكس إذ بدا الإسلاميون أكثر حرصاً علي قواعد التعددية والديموقراطية والإدارة المدنية للدولة بينما بدا العلمانيون بكافة أطيافهم حلفاء للعسكر في

الأميرال “ غوفين أركايا ” إن النشاطات الأصولية الدينية أصبحت المشكلة الرئيسية في تركيا وأنها تهدد أشد خطراً من حزب العمال الكردي.

(1) حول هذه التفصيلات يمكن مراجعة: جلال معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية - التركية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998، ط1، ص 72 - 73 وأيضاً رضا هلال، السيف والهلال، تركيا من أتاتورك إلي أربكان، الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي، م. س. ذ، ص 193 ومابعدا.

الإجهاز علي “ الرفاه “ وانتهاك قواعد الديموقراطية. وهو ما أعطي شرعية أكثر في الشارع للإسلاميين علي حساب العلمانيين الذين أكدوا الوجه الانتهازي وغير الأخلاقي للعلمانية حين تنتصب لمواجهة الإسلاميين.

المبحث الثاني:

أيديولوجية حزب الرفاه وبرنامجه السياسي

في حوار صحفي له قال " نجم الدين أربكان: " نحن لسنا حزباً سياسياً ولكننا حركة " (1) ومفهوم الحركة يعني أيديولوجية ومنطلقات فكرية أشمل من مجرد العمل السياسي وأبقي منه والحركة الاجتماعية التي يقصدها هنا " أربكان " هي حركة " الملي جوروش " Milli Gorus " أي الفكر الإسلامي كما طرحه الخبرة التركية، وكما هو معلوم فإن الدستور التركي يجرم استخدام المصطلحات أو التعبيرات الدينية ومن هنا فإن التيار الإسلامي السياسي استخدم رموزاً تمثل مفاتيح لمصطلحات ومعان أعمق من مجرد القراءة الأولى للرمز المستخدم.

" فالملي جوروش " هو تعبير عن الفكرة التي يحملها الإسلاميون في تركيا والتي تحمل مشروعاً للنهوض التركي مستنداً إلى الأيديولوجية الإسلامية والخبرة التركية وخاصة العثمانية، وكما قال " أربكان " : حركة الملي جوروش هي " تحويل المجتمع التركي إلى الإسلام، مكان واحد يرتبط بشئ واحد.. فتركيا خدمت الإسلام ألف سنة بكل جهدها حتي دقت أبواب " فيينا " و " والاشيا " والنبي " صلي الله عليه وسلم " يقول : " لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش جيشها " ماهي الخصوصية التركية هنا؟ الجيش للحق والإسلام وهذا عز وشرف لتركيا، عزتنا في الإسلام ".

(1) جمال خاشقي، زعيم حزب الرفاه الإسلامي يخطط الأوراق التركية، مجلة الوسط، ع205، 1996/1/1.

ويذهب “شوكت قازان” إلى أن “الملي جوروش” يهدف إلى أن تكون تركيا دولة مستقلة غير تابعة للدول الكبرى وأن يكتفي داخليا بنفسه وأن تحفظ لها أخلاقها المعنوية والديموقراطية الكاملة وحرية الاستقلال وحقوق الإنسان وأن تكون تركيا نامية في كل المجالات الثقافية والاجتماعية ونحن بقاءا الدولة العثمانية ولا بد أن تكون تركيا قوية، والمسلمون متساوون أمام القانون لئلا يكون فساد من جهة الأكراد فهم إخواننا ونحن نعيش معا ولكن لا تمزق وحدتنا {وؤؤؤ} [الحجرات: ١٠]

(1) حوار للباحث مع “ نجم الدين أربكان “ في تركيا إبان جمعه للمادة العلمية لرسالته عام 2003 م بمقر حزب السعادة الذي كان حزب الرفاه “ من قبل في أنقرة، وهو الحزب الوحيد في تركيا الذي بني مسجدا في محيط مقر الحزب أيام الرفاه. والحديث في مسند الإمام أحمد والجامع الصغير للسيوطي وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير والإصابة في تمييز أسماء الصحابة لابن حجر العسقلاني والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر وراجع سالم الرشيدى، **محمد الفاتح**، بيروت: دار العلم للملايين، 1969، ط2.

الكمالية “ كأيدولوجية لم تكن في عهد “ أتاتورك “ وإنما بعده⁽³⁾.

يقول “ ياسين خطيب أوغلو “ : برنامجنا يختلف تماماً عن الحركات الإسلامية كلها، النظام يختلف ولنا قانون خاص كحزب سياسي “ أربكان “ وشوري الحزب نعمل علي كيف نأتي أولاً للشعب بتحقيق “ الرفاه “ الاقتصادي وبعد ذلك الشعور الإسلامي⁽¹⁾.

أولاً: أيديولوجية ومعني حزب الرفاه:

أولاً: خصائص فكر الأمة:

في إصدار مهم لحزب “ الرفاه “ بعنوان “ ماذا يعني فكر الأمة؟ Milli Gorus يقول: إن فكر الأمة هو الفكر الذي ينبع من شعبنا، ولم تكن أمتنا في تاريخها الطويل أمة قائمة علي القوة والجبروت إنما هي أمة صاحبة فكر، وقد أنتجت دولاً عظيمة مثل الدولة السلجوقية والدولة

(3) في حوارنا المشار إليه مع “ شوكت قازان “ قال إن أتاتورك كان يريد الاستقلال ويرفض التبعية لأمريكا فلم يزر أي دولة في الخارج في عصره وكان يريد نهضة زراعية، وكان يعطي كل جهده لتقدم تركيا وأسس البنك الزراعي لدعم الفلاحين وأسس Ati Bank لتصنيع المواد الخام وأسس بنك “ السומר “ لتصنيع الملابس، فهو بدأ هذ العمل ولكنه الآن انتهى ونحن نريد هذا مرة أخرى، وقادة الجيش يدرسون الكمالية لطلبة الكلية العسكرية ويدرسون الأيدولوجية الكمالية وكأنها معادية للإسلام، فمسجد “ أنقره الكبير “ يحضر إليه قادة الجيش للتنزية في جنازات القادة، والجنرالات ولكنهم لا يصلون الجنازة أمام الشعب لو أن الشعب رأي واحدًا منهم يصلي فإنه يرفعه فوق رأسه، هذا هو الفرق بين قادة الجيش والشعب، والديموقراطية ليست الطريق الصحيح في تركيا لأنها تمنع تأسيس أي حزب علي أساس الإسلام علي خلاف الديموقراطية الغربية.

(1) حوار الباحث مع “ ياسين خطيب أوغلو “ في “ أنقره “ حيث أشار إلي وعي “ الرفاه “ والملي جوروش “ بأبعاد المسألة الاقتصادية وحلها في الإدراك الملي وفي خطط الرفاه وأن النجاح في حل المشاكل الاقتصادية هو الجسر نحو الإيمان بالحل الإسلامي وهذا في الواقع مختلف عما كانت عليه الحركات الإسلامية في العالم العربي العربي في فترة الثمانينيات والتسعينيات ولكن اليوم رؤي الحركات الإسلامية تتطور نحو ما كان “ الرفاه “ سبقه إليها من أهمية الاهتمام بمشاكل الجماهير الحياتية والاقتصادية.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

العثمانية، وقد عكست عبر التاريخ أفضل مثال فيما يتعلق بحقوق الإنسان والسلام والعدالة، وهي أمة ذات خصائص ناصعة ومشركة، وأمة لديها هذه المزايا لا ينبغي لها أن تكون خاضعة للغرب الذي يقوم علي التسلط، ولا يليق بها أن تقلده وتسير وفق خطواته ويورد الإصدار ثمانية خصائص لفكر الأمة وهي:

1 - تقوم علي قوة الحق والعدالة لا علي قوة الجبروت والتسلط، فالحضارة الغربية اليوم تقوم علي أساس حضارة روما واليونان القديمة وهي حضارات تقوم علي أسس فرعونية تعتمد علي القوة وليس علي الحق، ولذا ينبغي تأسيس عالم جديد يقوم علي السلام والعدل ويعتمد علي قوة الحق لا علي حق القوة وهذه وظيفة كبيرة تقع علي عاتق تركيا.

2 - أساس فكر الأمة هو الرحمة والمحبة ووفقاً لذلك فهذه الفكر هو أولاً تحقيق السعادة لسبعين مليوناً من أبناء تركيا ثم نشرها لتعم سكان الأرض البالغ عددهم ستة مليارات نسمة.

3 - فكر الأمة هو الفكر الأكثر تقدماً، وهو يهدف إلي جعل تركيا في قمة الحضارة المعاصرة، وهكذا فلم يكن السلطان محمد الفاتح يسارياً ولا ليبرالياً ولا في وسط اليمين ولا في يمين الوسط، لقد كان حاملاً لفكر الأمة.

4 - فكر الأمة هو الذي جلب الحق والعدل إلي الأناضول وهو الفكر الذي جلب نصر “ ملاذ كرت “ وهو فكر السلطان “ ألب أرسلان “. وهو الذي جلب الحق والعدل إلي كوسوفا، إنه فكر السلطان مراد “ فكر الأمة هو الذي جاء ليضع حداً للظلم والجور وهو الفكر الذي أوصل السلطان “ بيازيد “... فكر الأمة هو الذي دفع “ مصطفى كمال “ لحرب الاستقلال

- 5 - من أجل توفير السعادة لإخواننا في تركيا ولجميع سكان العالم يسعى فكر الأمة لتحقيق المثل التالية: “ تركيا يطيب فيها العيش “، “ تركيا عظيمة من جديد “ عالم جديد “.
- 6 - فكر الأمة يقوم علي ثلاثة أسس هي:
- 1/6: قوة الحق لا حق القوة.
- 2/6: الاعتبار للأخلاق لا للمادة.
- 3/6: تربية النفس وتهذيبها لا الوقوع في أسرها والانقياد لها.
- 7 - فكر الأمة يعني أن يكون الفرد متحلياً بخصائص الهداية والفراسة والدراية ومعناها:
- 1/7: الهداية: القدرة علي رؤية الحق والصواب.
- 2/7: الفراسة: القدرة علي تمييز الخير من الشر.
- 3/7: الدراية: القدرة علي العمل بعزيمة وحماس وبعقيدة ثابتة من أجل نشر الخير والجمال والعدل.
- 8 - وفقاً لهذه الأسس فإن فكر الأمة يعني:
- 1/8 - الأخلاق والتزكية.
- 2/8 - عملاً جذرياً لا سطحياً.
- 3/8 - العمل لا مجرد الكلام، الإيمان والعمل لا الاكتفاء بالقول.
- 4/8 - السلم الداخلي، الأخوة والطمأنينة، الانصهار بين الدولة والشعب.
- 5/8 - العدل وحقوق الإنسان.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

6 / 8 - نهضة وطنية شاملة وسريعة.

7 / 8 - نهضة تركيا بكاملها.

8 / 8 - العمل للجميع، الرفاه للجميع، عدم إرهاب أهل القرى والعمال والموظفين والمهنيين وأصحاب الدخل الضعيف بالضرائب والفوائد.

9 / 8 - أن تكون تركيا رائدة لا تابعة.

10 / 8 - الحفاظ علي وحدة تركيا دولة وشعباً⁽¹⁾.

ثانياً: ماذا يعني حزب الرفاه:

حزب “ الرفاه “ هو الذي يمثل فكر الأمة ولذا فهو أساس الشعب وتاريخه وعقيدته وذاته، أما الأحزاب الأخرى فهي جميعاً واقعة تحت تأثير الأفكار الغربية بدرجات متفاوتة، ولهذا السبب فإن حزب “ الرفاه “ في كفة وبقية الأحزاب الأخرى في كفة ثانية، الحق واحد وهو مع “ الرفاه “ الذي يمثل الاتجاه الصحيح، وحزب الرفاه هو الطريق الوحيد لتحقيق السعادة لأنه يمثل فكر الأمة ولا يمكن إدراك السعادة عن طريق الأحزاب الأخرى، وحزب الرفاه دائماً هو الحزب الأكبر، وهو الممثل الحقيقي

(1) حصلنا علي وثيقة ماذا يعني فكر الأمة “ الملي جوروش “ من مصادرنا بحزب السعادة والذين كانوا أعضاء بحزب “ الرفاه “ وندين بالشكر لكل من الأستاذ “ حسن بتماز “ مسئول التنظيم بحزب السعادة والأستاذ “ عاطف أوزباي “ مسئول العلاقات الخارجية بالحزب والذين كانا لهم الفضل الكبير في الحصول علي المعلومات وترتيب اللقاءات مع قادة “ الملي جوروش “ جميعاً والذين كانوا كراماً مع الباحث فلم يخلوا علينا بالوقت والترجمة. وقدّر لنا أن نحصل علي عدة وثائق مهمة عن فكر

“ الملي جوروش “ في سياق بحثنا الذي لم يتوقف حتي آخر لحظة عن الحصول علي مزيد من المصادر إبان إعداد هذه الرسالة ومن بين هذه الوثائق نجم الدين أربكان، المؤتمر الكبير لحزب 2003، كلمة ألقاها في المؤتمر الكبير لحزب السعادة، أنقرة: بلغت وبالإنجليزية:

Necmettin Erbakan, Big Congress 2003, Missing Meeting For A New World, Saadet Party, Ankara: Balgat.

للشعب “ كل شئ يعود لأصله “ وهو الممثل الوحيد للسعادة “ الكل ينشد السعادة “، وفكر الأمة هو الذي جلب “ الرفاه “ لهذه الأمة، وأنار لها الدروب، وبقي وفيها لأسسها، إن الذي يخالفوننا الرأي سوف يكتشفون أنهم في حاجة لحزب “ الرفاه “، وسوف يكتشفون أنهم في حاجة لحزبنا ولا بد من الانضمام تحت لوائه، حزب الرفاه هو الحل لتركيا ديموقراطية، ومؤسسات الرفاه هي الأكثر نشاطاً وحيوية لأن “ الرفاه “ هو الذي يعكس أصل الشعب، وهو الطريق الوحيد للسعادة، وهو الحزب الأكبر، وأعضاؤه لهم حظ ونصيب وافر من حب الشعب والوطن، أما الأحزاب الأخرى فهي أسيرة لمنطق القوة لا الحق وهي تخضع لتأثير الهوى والمادة بسبب تبعيتها الكاملة أو الجزئية للغرب، والرفاه “ يعتمد علي منطق الحق لا القوة؛ لأنه يمثل فكر الأمة، وتاريخ الإنسانية يشير إلي أن الفترات التي تم فيها تبني القوة ساد الظلم أما الفترات التي تبني فيها الحق فقد عم “ الرفاه “ والسعادة ويعتمد الحزب الأسس الخمسة التالية:

1/2 - الأمن والسلام:

فالأساس الذي يقوم عليه الحزب هو الرحمة والمحبة والتسامح، أما العقلانيات التي وقعت تحت تأثير الفكر الغربي بعلم أو غير علم فهي تزرع فيما حولها الحقد والبغضاء والعداوة ولهذا لا يمكن بلوغ السعادة إلا من خلال “ الرفاه “.

2/2 - حقوق الإنسان وحياته:

لكل إنسان الحق في التمتع بحرياته كاملة، وينبغي أن ينال كل إنسان حقوقه كاملة غير منقوصة، وهذا هو الطريق الموصول للسعادة. والذهنيات المتأثرة بالفكر الغربي فهي تاريخياً مرتبط بالظلم والسيطرة وقائمة

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

عليهما، أما فكر “ الرفاه “ - فكر الأمة فهو ينظر باحترام شديد إلى حقوق الإنسان، وإدراك “ الرفاه “ وتحقيق السعادة يكون عبر الالتزام بفكر الأمة.

3/2 - العدالة:

الحرية بدون قيود تقود إلى الصراع والصدام في المجتمع ولا بد من وضع ضوابط لهذه الحرية، وحدود هذه الضوابط ترسم عن طريق العدالة، والفهم الصحيح لمعني الحقوق يجب أن يقوم علي الحق لا القوة الغاشمة، والحق عند العقليات المتغربة يفهم بطريقة مغلوطة. تتمثل في أربعة أسباب وهي:

1 / 3/2 - القوة. 2 / 3/2 - الأغلبية.

3 / 3/2 - المحاباة أو المحسوبية.

4 / 3/2 - المصلحة.

وليس من بين هذه المفاهيم ما يبرر الحصول علي الحق، فالحق ينبع فقط من الأسباب الأربعة التالية:

5 / 3/2 - حقوق الإنسان تحفظ بالمساواة بين أفراد المجتمع باعتبارهم بشراً، حفظ حياة الإنسان، حقه في المعتقد، حقه في الملكية، حماية نسله، حماية عقله.

6 / 3/2 - العمل مصدر الحق.

7 / 3/2 - العدالة مصدر الحق.

8 / 3/2 - الحق الذي يتولد عن الاتفاق الذي يعقد بين طرفين أو أكثر بالتراضي.

ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال الرفاه:

4/2 - الرفاه:

الأمن والسلام والحرية والعدالة لا يمكن تحقيقها إلا من خلال “ الرفاه الذي لا يجعل امرءاً يبيت شعبان وجاره جائع، ويحب لغيره ما يحب لنفسه، ويقوم علي أساس التعاون العادل لا عقلية الاحتلال والاستغلال، والعقليات المتغربة لا تستطيع تحقيق “ الرفاه “ لأنها تبني علي المصلحة والاستغلال.

5/2 - العزة والشرف والكرامة:

فكر الأمة يولي الإنسان احتراماً خاصاً لأنه يهتم قبل كل شيء بالأخلاق والقيم، ويهتم اهتماماً خاصاً بالمقدسات، ويهتم بتربية النفس ويقف مع الحق لا القوة، والذهنيات المتغربة لا يمكنها أن تحفظ عزة ولا كرامة لأنها تقوم علي أسس مادية وواقعة في أسر النفس والهوي وتقف مع القوة الظالمة.

والرفاه هو صاحب “ هداية “ فهو يدرك ما يحقق للأمة الرفاه.

والرفاه صاحب “ فراسة “ فهو يدرك مصادر الخير والشر.

والرفاه صاحب “ دراية “ فهو يعرف المعني الصحيح للخير والجمال والعدل، ويدرك ما يقابل هذه المعاني من الشر والقبح والضرر، ويعمل بكل ما أوتي من وسع لدفع الظلم بحماس وعقيدة وعزم.

6/2 - مشروع الرفاه:

يستند مشروع الرفاه علي التأكيد علي استقلال تركيا والتأكيد علي وحدة الشعب والبلاد والنهوض بالمصادر الوطنية واستثمارها بدل البقاء

في أسر الديون الخارجية وإغراق البلاد في الفوائد والتأكيد علي إنفاق الموارد الوطنية علي الشعب وتلبية حاجياته وتوفير الراحة له بدل ذهاب الموارد إلي الخارج لتستفيد منه القوي الخارجية ونهضة البلاد ورفاه العباد وتوفير حقوق الإنسان بالمعني الكامل هو وحده الذي يضمن “
تركيباً يطيّب فيه العيش”
و “تركيا رائدة لا تابعة” و “تركيا عظيمة من جديد”، والأسس التي يقوم عليها مشروع الدول الإسلامية الثمانية يهدف إلي إقامة عالم جديد من ينعم بالسلم والعدل وينال فيه الإنسان حقوقه وحياته بدل العقلية الاستعمارية الاستعبادية⁽¹⁾.

ثانياً: برنامج حزب الرفاه.. النظام العادل.. التشخيص.. العلاج:

إذا كانت “ الأيديولوجية ” هي الإطار المرجعي أو Master Frame فإن البرنامج هو الخطط العملية لتحويل هذه الأيديولوجية إلي واقع في حياة الناس، ويمكننا القول بينما الأيديولوجية هي تعبير عن الثوابت أو الأسس العليا المستمدة من العقيدة والوحي فإن البرنامج هو تعبير عن حل مشاكل الواقع ومن ثم فهو تعبير عن “ الاجتهاد السياسي ” (1) المتغير بطبيعته والمنطلق من الواقع، وعبر عن برنامج “ الرفاه ” ماعرف باسم “ النظام العادل ” وواضع هذا النظام ومهندسه هو الدكتور “ سليمان قرا أغولو ” وهو استفاد من أطروحات وضعها اثنان من الرفاه هما

(1) كل هذه التفصيلات تجدها في وثيقة ماذا يعني فكر الأمة أو “الملي جوروش” وهي تنشر لأول مرة باللغة العربية. كما تجدها في:

Recai Kutan, Milli GORUS In Turkish Life, August, 2005, pp6 - 13.

(1) عن مفهوم الاجتهاد السياسي وتمييزه عن الاجتهاد الفقهي راجع كمال السعيد حبيب، **الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة**، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2002، ص 105 - 109، وقد نشرته الحياة اللندنية بعنوان “الحركات الإسلامية وضرورة بناء تقاليد للاجتهاد السياسي”.

الدكتور “ عارف أرصوي “ و “ سليمان أقديمير “، ونالت مسودة “ النظام العادل “ موافقة “ أربكان “ عام 1985 م، لكن “ النظام العادل “ لم يعرف علي نطاق واسع سوي في العام 1991 م أثناء حملة الانتخابات التي جرت في خريف ذلك العام⁽²⁾.

أولاً: النظام العادل.. التشخيص:

1/1 - ينقسم برنامج “ النظام العادل “ الذي هو بالأساس تشخيص للأوضاع الاقتصادية وطرح حلول لها وفق رؤية “ الرفاه “ لجزئين الأول بعنوان “ التشخيص.. الأسباب الحقيقية للأوضاع الحالية في تركيا “ وفي هذا الجزء يتعرض للأوضاع الاقتصادية بقوله “ الأسعار ترتفع باستمرار، ومع ارتفاعها يزداد الضيق “، “ الملايين في كل مكان يقيسون الحرمان، فهم دون مستوي الفقر، طعامهم لا يزيد عن الخبز “، “ الناس معظمهم في ضيق.. وحتى في المدن الكبرى في أطرافها طبقات معدمة تفتش عن غذائها في أكياس القمامة “، “ البطالة في كل مكان “.. “.

ألمانيا الغربية منذ ما يقرب من أربعين سنة بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت خراباً، الطرق، خطوط المواصلات، خطوط المياه، البيوت كلها تهدمت.. ولكن الألمان بنوا ذلك في أربعين سنة، اليوم ألمانيا تأتي في رأس الدول الراقية.. فماذا فعلنا نحن في هذه الأربعين سنة؟ مجرد أحزاب متكررة تحمل شعارات اليساريين والرأسماليين تتناوب علي مقاعد الحكم، تحكم البلد بكل وسائل التضليل والخداع.. لا نري إلا الفساد والإسراف علي الجانب الآخر حيث طبقة النصف في المائة من حزب السلطة

(2) محمد نور الدين، قبعة وعمامة، مدخل إلي الحركات الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 60.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

وأزلامهم الذين زينوا لهم الإسراف، إنهم الطبقة التي تقبض في كل الظروف وتعيش علي المال الحرام.. إنهم الذين يدفعون السلطة.. والسلطة بالمقابل تقدم لهم المنافع.. هذه الملايين لا تستحق هذه المعاناة فبلادنا من خير بلدان العالم⁽¹⁾.

2/1 - أسباب هذا الضيق والاضطراب تتمثل فيما أطلق عليه " تشخيص المرض " ويتمثل في:

1/2/1 - الأعراض:

1/1/2/1 - سوء المعيشة: الغلاء وقلة المال.

2/1/2/1 - الفقر.

3/1/2/1 - الجوع.

4/1/2/1 - السقوط.

5/1/2/1 - البطالة.

6 /1/2/1 - الرشوة.

7/1/2/1 - عدم تكافؤ الفرص.

8 /1/2/1 - التخلف.

(1) حزب الرفاه، الأسباب الحقيقية للأوضاع الحالية في تركيا، التشخيص، أنقرة: تركيا، بدون تاريخ، ص 1 - 3، ومن بين الأشياء الطريفة هنا فإنني كنت حصلت علي مطبوعة " التشخيص " من بعض أعضاء الرفاه الذين قدموا إلي القاهرة للحصول علي إجازة من الأزهر وبقيت محتفظاً به ضمن مكتبتي طوال هذه السنين منذ منتصف التسعينيات، وحين ذهبت لتركيا وسألت عن برنامج الرفاه لم أجده لدي أعضاء حزب السعادة لأن منقولات ومحتويات " الرفاه " كلها تمت مصادرتها بما في ذلك وثائقه بعد حكم المحكمة الدستورية بإغلاقه فكان يمثل مصدراً نادراً لدي لا يمكن تعويضه.

9 / 1/2/1 - عدم التوازن في توزيع الثروة.

10 / 1/2/1 - الاستغلال.

11 / 1/2/1 - الطبقات المسحوقة.

12 / 1/2/1 - عدم الالتزام بالحق.

13 / 1/2/1 - التضخم.

14 / 1/2/1 - التردّي نحو الأسوأ.

15 / 1/2/1 - الانحلال الخلقي⁽¹⁾.

2/2/1 - التشخيص:

1/2/2/1 - الربا:

فالنظام القائم في تركيا حالياً هو نظام ربوي رأسمالي.. وهو نوع من الاستعمار الحديث، فمعظم الناس عندما يقومون بأي مشروع يقترضون من البنك بالفائدة وهي عالية جداً وتضاف للمصاريف وعند بيع السلعة يتحملها الرجل الفقير.

2/2/2/1 - الضرائب المجحفة:

وفي تركيا نظام الضرائب غير عادل، الضريبة يدفعها الرجل الفقير، لأن الضريبة لا تحسب على الثروة وإنما على الدخل الذي يأتي من بيع السلعة التي يشتريها الرجل الفقير وهو يدفع ضمن ثمنها جزءاً من الضريبة.

(1) نفس المرجع، ص 4.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

3/2/2/1 - صك النقود بلا رصيد:

لا يكتفي هذا النظام بالربا الفاحش والضرائب التي يفرضها علي المواطنين الفقراء بل إنه يعتمد إلي طباعة البنكنوت بدون رصيد، وهذا يجعل النقود بلا قيمة، وأسعار السلع ترتفع بنفس النسبة التي تطبع بها أوراق البنكنوت بدون رصيد، ومن ثم فالنقود تسقط قيمتها بنفس النسبة والقدرة الشرائية للعملة تسقط أيضاً بنفس النسبة، وهكذا ففي سبيل الديون والربا الخارجي، تخسر الأمة مدخراتها وتفقد قيمة أموالها.

4/2/2/1 - كامبيو (المقايضة) (سعر التبادل):

عندما يقوم البنك المركزي بتحديد سعر الدولار مقابل الليرة التركية هذه العملية تخفض من قيمة المال الذي يملكه أي شخص، والحكومات التي لا تمثل فكر الأمة تخضع لصندوق النقد الدولي وتجعل العملة الوطنية دائماً في انخفاض، فأحد مكروبات هذا النظام الحاكم الذي يسحق الناس هو
“سعر التبادل” الذي تستجيب فيه الحكومات التابعة لأوامر صندوق النقد الدولي.

5/2/2/1 - القروض:

فالشعب مضطر لإيداع مدخراته في البنوك.. والأقراض: البنوك تتحكم فيها بشكل كيفي لا تمنحها إلا لمجموعة صغيرة هي عادة من كبار التجار أو اليهود أو الذين يدعمون النظام، وهذه الملايين التي يأخذونها من البنوك بدون حساب هي التي تراق علي طريق الإسراف والفساد والعلو في الأرض في الفنادق الضخمة

والسهرات المجانية، سيما ومعظم هذه القروض لا تعاد إلي البنوك تحت أسباب متنوعة تتلخص كلها في سبب واحد إنهم بطانة النظام، وتسجل هذه القروض بأنها “قروض مينة” يدفعها في آخر المطاف الفقراء⁽¹⁾.

3/2/1 - كيف يعمل النظام؟:

الأهداف الرئيسية للنظام تتمثل في الآتي:

1/3/2/1 - تشغيل الناس كالعبيد.

2/3 /2/1 - سلبهم كل ما يملكون.

3/3 /2/1 - إعطاء كل هذه الإمكانيات لإسرائيل وأصحاب الشركات الكبرى (الهولدنغ) ومن يخدمون النظام وهم رجال النظام والفنادق الضخمة التي تعمل من أجل تخريب أخلاق الأمة مثل “نوادي العراة” والكازينوات.

4/3/2/1 - تخريب تركيا من الناحيتين المعنوية والمادية بمحاولة الانضمام إلي السوق الأوروبية المشتركة.. وبذلك تصبح بلادنا بأخلاقياتها وتراثها وتاريخها دولة واحدة مع إسرائيل، فهذا النظام المتسلط يشبه المضخة التي تسلب الفقراء كل شئ وتضخه إلي إسرائيل وأصحاب الشركات وعمليات الإسراف و التخريب.

(1) نفس المرجع، ص 4 - 7.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

ويري الجزء المتصل بتشخيص المرض في الحالة التركية أن هناك أربعة مسارب لإنفاق الأموال التي تحصل عليها البنوك وهي:

إسرائيل التي تشارك البنوك الخارجية التي تمنح البنوك المحلية التركية القروض في الفوائد العالية والتي تذهب سلاحا يورد إليها ويساعدها علي احتلال فلسطين والمسجد الأقصى وقتل أطفال المسلمين في فلسطين وكما احتلت " لبنان " فهي تريد احتلال " قونية " وأضروم " من أجل قيام " إسرائيل الكبرى "، وهدف الدخول إلي السوق الأوروبية المشتركة هو منح الأموال مباشرة لإسرائيل وليس عبر وسيط.

وأصحاب " الهولدنج " شركاء النظام في الفساد والإسراف.

والفوائد البنكية ففي عام 1989م كان الدخل من الفوائد 67% من مجموع الدخل العام بينما الملايين من أفراد الشعب لم تتجاوز دخولهم 33% من الدخل العام ثم الضرائب⁽¹⁾.

وبعد عدة توضيحات لفكرة عمل ما أطلق عليه " النظم التقليدية " ينتهي إلي القول كيف يمكن تخليص البلد من هذا الظلم؟ الدستور ينص علي تطبيق النظام الاقتصادي العادل.. المساواة.. المعاملة المتكافئة في الفرص للجميع، منع الاستغلال وهذا موجود علي الورق فقط أما الواقع فإن المواطن يعيش نظام استعباد وأزمات والسبب هي سيطرة الأحزاب التقليدية التي تؤمن جميعها بالربا والضرائب التي تسحق المواطنين ولا يمكن الشفاء من أمراض هذه الأمة حتي نستأصل الأسباب والمخلص من هذه

(1) نفس المرجع، ص 7 - 10.

الأمراض هم أصحاب “ النظرة الوطنية “ والفلاح هو “ حزب الرفاه “، هو الذي سيخلص الأمة من أمراضها واضطرابها، والتداوي سيكون بإقامة تركيا الكبرى وتحقيق النظام العادل الذي يتساوي أمامه المواطنون وتتكافؤ فرصهم، ففي النظام الذي سيقميه “ حزب الرفاه “ لن يكون هناك ربا ولا ضرائب مجحفة، ستبقى قيمة النقد ثابتة ولن تطبع نقود بلا رصيد.. حزب الرفاه سيسعى لإقامة السوق الإسلامية المشتركة التي تقوم فيه تركيا بدور الرائد⁽¹⁾.

ثانيا - النظام الاقتصادي العادل.. العلاج:

1/2 - في الكتاب الثاني من برنامج “ حزب الرفاه “ المعنون “ النظام الاقتصادي العادل.. العلاج “ يتحدث مرة أخرى عما أطلق عليه “ نظام العبودية “ في تركيا والذي يقف خلفه “ الرأسمالية والصهيونية “ باعتبارهما شكلا معاصرا للاستعمار.. اليهود هم الذين يوجهون الرأسمالية العالمية، والرأسمالية المستغلة هي التي تحكم وتتحكم بالعالم.. وفي تركيا الرأسمالية والصهيونية تؤيدان الأحزاب التقليدية وتؤمنان لهذه الأحزاب احتياجاتها ونتيجة لهذا التعاون والتعاقد.. فإن تركيا ومنذ 40 سنة تحكمها أحزاب تختلف بالاسم ولا تختلف ذرة في المحتوى، هذه الأحزاب كلها تسير حسب خطة صندوق النقد الدولي... وليست تركيا وحدها التي تعاني من الاستغلال بل ومعظم أقطار العالم الإسلامي، فالرأسمالية والصهيونية تستغل جميع الدول الإسلامية ليس فقط في

(1) نفس المرجع، 29 آخر صفحة في الكتاب، فترتيب صفحات الكتاب مضطربة وملحق بها رسوم توضيحية لبيان كيفية عمل النظام الاقتصادي التقليدي في تركيا.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

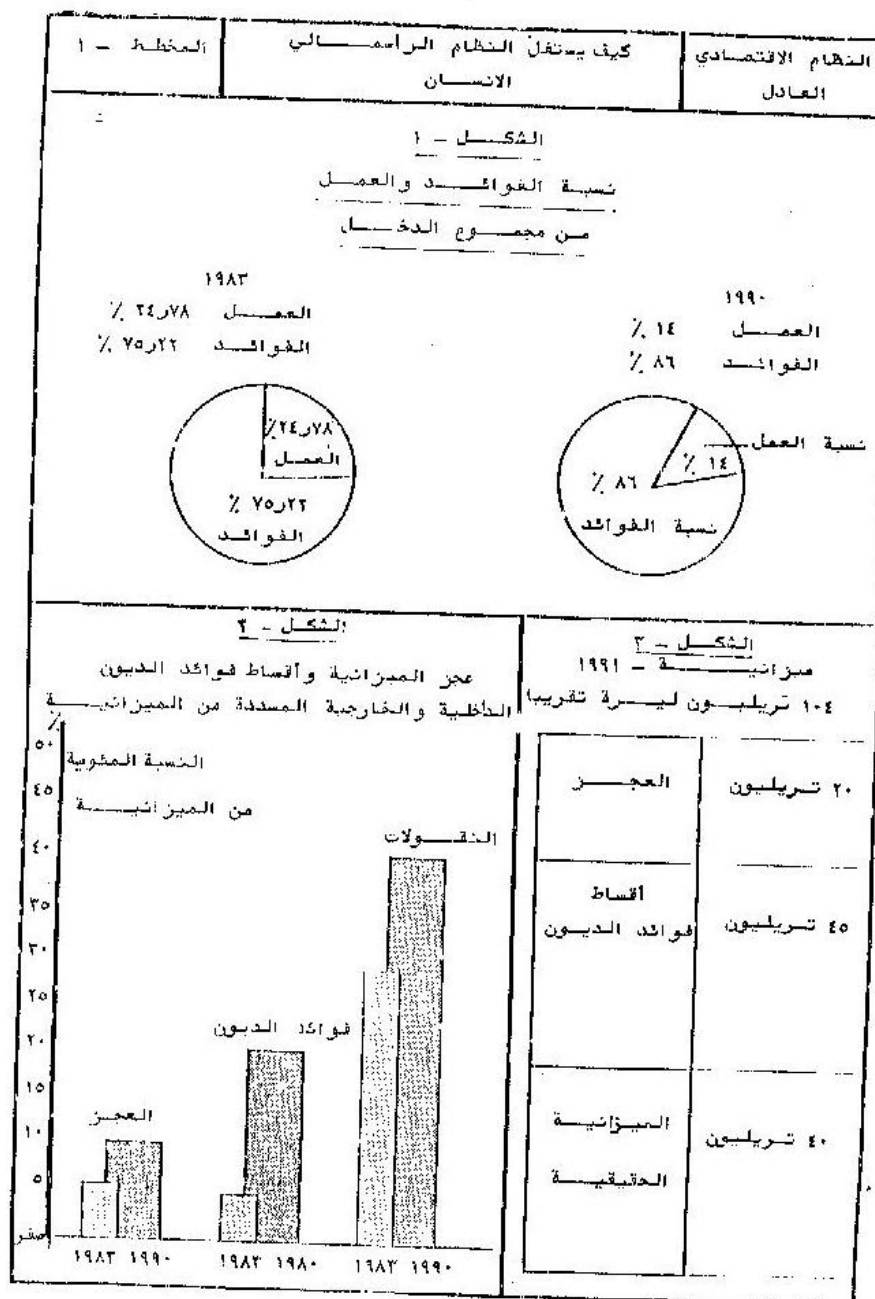
مجال الديون الخارجية بل وفي جميع الميادين في أجهزة الاتصالات وصناعة الأسلحة والصناعات الاستراتيجية والبنوك التجارية والقروض والتحويلات والوكالات ووكالات الأنباء ودور النشر وباختصار مختلف مجالات الحياة⁽²⁾.

(2) نجم الدين أربكان، النظام الاقتصادي العادل، العلاج، أنقره: حزب الرفاه، 1991 - 1992، ص 5 - 6. وباللغة الانجليزية راجع:

Necmettin Erbakan, The Just System, Ankara, 1991, p. 5 - 6.

شكل يبين العلاقة بين نسبة الربا والفوائد إلى دخل المواطن والميزانية
التركية

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)



شكل يبين العلاقة بين ما يحصل عليه المواطن من جهده وما يحصل عليه الآخرون

النظام الاقتصادي العادل		حساب النظام الرأسمالي الرئوي، لا يستفيد المواطن سوى ٨ ٪ من حقه		المخطط - ٢	
الأحزاب التقليدية	التعبير	نقد بلارصيد	ضرائب	أفوائد	ضرائب
	٨٢٠ ليرة	١٥ تريليون	١٥ تريليون	١٥ تريليون	١٥ تريليون
	٣٢٠ ليرة	٥ تريليون	٥ تريليون	٥ تريليون	٥ تريليون
	١	٣	٣	٣	٣
	٢	٤	٤	٤	٤
النظام الرأسمالي الرئوي		٠.٨	٠.١٦	٠.٢٢	٠.٣٠
نسبة ما تعطيه هذه الأنظمة		٨ x ١ ٪			
٨	الأولى المصنعة (هولندي)	٥٠ ٪	٢٠ ٪		
	الحصانة	٢٠ ٪	٢٠ ٪		
	العمال، الفلاح، المتقاعد، الشاغر، الموظف	١٥ ٪	٢٠ ٪		
	العمال، الفلاح، المتقاعد، الشاغر، الموظف	١٠ ٪	٢٠ ٪		
	العمال، الفلاح، المتقاعد، الشاغر، الموظف	٥ ٪	٢٠ ٪		

3/2 - الخواص الأساسية للنظام الاقتصادي العادل:

تقوم علي الحق بينما الباطل الذي تمثله الحضارة الغربية التي تقوم علي حضارة روما والحضارة الإغريقية المستمدة من الحضارة المصرية الفرعونية كان هناك خلل في مفهوم الحق والباطل متولد من أربعة أسباب:

1/3/2 - القوة.

2/3/2 - الكثرة.

3/3/2 - الامتياز.

4/3/2 - المنفعة.

4/2 - أسباب الحق.

ومن الطبيعي أن هذه العوامل الأربعة ليست من أسباب الحق ولكنها من أسباب الباطل، أما الحق فيتولد من أربعة أسباب:

1/4/2 - الحقوق الأساسية التي منحها الله سبحانه وتعالى بالتساوي لجميع بني البشر وهي خمسة حقوق.. حق الحياة وحفظ النسل وحق التملك وحفظ العقل وحماية العقيدة.

2/4/2 - العمل.

3/4/2 - التبادل عن تراض.

4/4/2 - الحق الذي يؤمن العدالة.

5/2 - الحق والباطل في صراع علي مدار التاريخ، والحضارة القائمة

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

علي الباطل تتبني مبدأ القوة فوق كل شيء. أما الحضارة القائمة علي الحق فإنها تتبني مبدأ الحق فوق كل شيء. والحضارة الغربية القائمة علي أساس القوة الغاشمة منذ حوالي 300 سنة هي المسيطرة علي الأوضاع العالمية لا يمكنها أن تؤمن سعادة الإنسان وكل ماتفرزه هو الظلم، وهي أفرزت نظامين توأمين هما الرأسمالية والشيوعية وفي ظلهما شقي الإنسان المبدآن يقومان علي نفس الأسس.. في كليهما القوة هي المبدأ.

وهذه الأنظمة هي بين طرفين.. القوة الغاشمة والإنسان المسحوق والفرق بينهما أن القوة في النظام الشيوعي هي قوة سياسية بينما القوة في النظام الرأسمالي هي قوة اقتصادية.. سقطت الشيوعية بعد أن ظلمت الإنسان لمدة سبعين عاماً.. والرأسمالية هي الأخرى تظلم الإنسان وستسقط في وقت قريب.. سبب عدم سقوطها مع الشيوعية هي الحلف المثلث الذي أقامته مع الصهيونية والامبريالية مما جعلها أقوى وأثبتت من الشيوعية نسبياً هذا بالرغم من أن كلا النظامين أساسهما باطل ولا يؤمن السعادة لبني البشر، والإنسانية اليوم تبحث عن نظام يؤمن لها السعادة.. نظام يرفع الحق فوق القوة.. نظام عادل يرفع الحق فوق القوة ولا يسمح في أي وقت وتحت أي ظرف باستعباد الإنسان وهو نظام متكامل الأمور الإيجابية التي وفرتها الشيوعية أو الرأسمالية موجودة فيه أما السلبيات التي جاءت بها الشيوعية أو الرأسمالية فإن النظام العادل برئ منها. فهو يجمع بين السوق الحرة والربح ولكنه يرفض الربا والاحتكار⁽¹⁾.

6/2 - أسس النظام الاقتصادي العادل:

يقوم النظام الاقتصادي العادل علي مجموعة من الأسس هي 31 أساساً

(1) نفس المرجع، ص 17 - 18.

منها 3 أسس عامة و7 متعلقة بالمال و7 متعلقة بالقروض و7 متعلقة بالضرائب و7 أخرى لها علاقة بالتأمين الاجتماعي والشكل ص20 يوضح أسس النظام العادل.

1/6/2 - الأسس العامة لوظيفة الدولة هي إعداد الخطط للمناطق

المختلفة و خطة عامة للدولة ككل والفعاليات الاقتصادية يسيرها الأفراد بحيث تكون الدولة مجرد مساعد لهم في فعاليتهم، وبحيث يستطيع المواطن في قطاع الزراعة والصناعة والخدمات أن يختار المشروع ذو الربح الجيد ويعمل به إما عن طريق الأفراد مباشرة أو الشركات أو الوقف والخدمات العامة التي تقدمها الدولة هي التأمين والتوجيه والتحكيم وتأمين الطاقة والماء والطرق والخدمات والصحة والتعليم وخدمات التوصيل وغيرها من الخدمات العامة، والدولة مثل القاضي المحلف والمحاسب المحلف وظيفتها تأمين الخدمات، والدولة وظيفتها تأمين وتنظيم الخدمات التي تسهل للمواطن الأعمال الاقتصادية، والمواطنون يسيرون الفعاليات الاقتصادية في النظام العادل إما بأنفسهم أو شركاء في شركة أو مجموعة من خلال الوقف.

2/6/2 - النظام العادل يضبط استهلاك وإنتاج الإنسان لكي لا يظلم

أحد، فيمكنه أن يستهلك ولكن بشرط عدم الإسراف وبقدر ما يستهلك يجب أن ينتج ولا يأكل ما ينتجه غيره.

3/6/2 - في النظام العادل النقد يساوي السلعة والربا ممنوع لأنه

يعطي للمودع في البنك حقوقا بدون إنتاج مقابل، والنقود تساوي (العقار والمصنع والسلع الأخرى) " المال المقوم " والذهب والنقد الأجنبي)، ويشرح أسس ثلاثة تتعلق بالنقود وهي: قاعدة التغيير في الوقت المطلوب وقاعدة المساواة في التعامل مع الجميع وتثبيت السعر علي أساس قاعدة

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

العرض والطلب، ولكل فرد الحق في تحويل سلعته إلى نقود أو نقوده إلى سلعة والسعر في كل الأمكنة ولجميع الناس واحد وثابت علي أساس قاعدة العرض والطلب.

4/6/2 - في النظام العادل توجد سبعة أنواع من القروض كلها بدون فوائد وكلها لا تتسبب في التضخم وهي الشراكة، والقروض مقابل حق مكتسب والقروض مقابل العمل والقروض مقابل الرهن والقروض مقابل الضرائب المدفوعة والقرض مقابل المشاريع والقروض مقابل سندات (السلم) أو الطلب التجاري، وسندات السلم تحل محل السندات التي يصدرها النظام الرأسمالي الربوي، ويرى النظام العادل “ أنه وفق هذه المنظومة يمكن القضاء علي الربا.

5/6/2 - لا يحق للدولة بحجة أنها يجب أن تكون قوية أن تجمع الضرائب كيفما اتفق من المواطنين، فهي لا يجب أن تأخذ غير حقها، ولا تأخذ إلا الضرائب التي تقابل الخدمات التي تؤديها من أجل زيادة الإنتاج، مسألة حصول الدولة علي شتي أنواع الضرائب من المواطن بدون وجه حق لا مكان له في “ النظام العادل “، الدولة تربح بقدر ماتساعد والضرائب التي تحصل عليها الدولة هي: الضريبة مقابل الخدمات التي تقدمها الدولة، ومبدأ الضريبة الواحدة، والضريبة تؤخذ من الإنتاج ومبدأ عدم أخذ لضرائب علي الدخل وبقدر ما يدفع الشخص أو المؤسسة من الضرائب فإنه يستحق بنفس النسبة مزيداً من خدمات الدولة ومبدأ الدفع حسب بيان ضريبي ومبدأ الحصة التي تؤخذ من الإنتاج إنما يحددها الدستور.

6/6/2 - النظام العادل يحقق السلام الاجتماعي عن طريق تأمين كل

إنسان، لا يدفع المواطن مالا مقابل التقاعد والتأمين وفي حالة التأمين والبطالة يحصل كل إنسان علي نسب محددة من الراتب، الرواتب التي تدفع للعاطلين والمتقاعدين تدفع من الميزانية والتقاعد والتوقف عن العمل يتم حسب الطلب وفي كل وقت والمتقاعد يفقد حقه في القروض والراتب التقاعدي مرتبط بدرجة التقاعد في العمل وعمره وتحصيله.

7/6/2 - يشير برنامج " النظام العادل " إلي المقارنه بينه وبين

النظام الرأسمالي من ناحية السلام الاجتماعي فيقول من أولي واجبات الدولة أن يعيش الإنسان بشكل منسجم ومطمئن وهذا يتحقق من خلال التربية الروحية والمعنوية للإنسان⁽¹⁾ مما يجعل الغني والفقير يلتقيان معاً علي رغبتهما في عمل الخير ويتحول اللقاء بينهما من صراع طبقي إلي رغبة في التعاون والتعاقد أما في النظام الرأسمالي فإن الإنسان مخلوق لا يشبع ولا يكتفي وتعامله مادي بحت والقوة شعاره ولا مجال فيه للحديث عن العدالة الاجتماعية المجتمع قلق والإنسان مضطرب والوضع برمته قابل للانفجار، وفي النظام الرأسمالي يحدد النسل ويقل عدد الشباب ويزيد عدد كبار السن والمتقاعدين وهو ما سينتهي بالنظام إلي الإفلاس.

(1) نفس المرجع، ص 22 - 44 حيث قمنا بتلخيص واف لأسس النظام الاقتصادي العادل كما أوضحها " أريكان " في كتاب النظام الاقتصادي العادل، العلاج.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

7/2 - النظام العادل.. المنطلقات والأهداف:

1/7/2 يعرض برنامج " النظام العادل " لما يمكن أن نطلق عليه " تدافع الحضارات " فمثل تعاقب الليل والنهار فإن نظام الحق الذي يؤمن السعادة لبني البشر يتلوه نظام الباطل الذي يسحق الإنسان ويزيد من صراع الطبقات ومنذ ثلاثة عصور يحكم البشرية نظام القوة وهو ما جعل الإنسانية والإنسان معا يتشوفون لبزوغ فجر النظام العادل الذي يتميز بالإنتاج وتستفيد منه كل الطبقات⁽¹⁾.

(1) نفس المرجع، ص 44 - 48 وهناك كتاب مهم في نفس السياق تجب الإشارة إليه وراجع: نجم الدين أربكان، مستقبل حوار الحضارات بين الإسلام والغرب، ترجمة مصطفى محمد الطحان، الكويت: 2002، ط 1، ص 34 - 40 وبالإنجليزية يمكن مراجعة أحد الوثائق المهمة لحركة الملي جوروش:

Omer Vehbi Hatipoglu, Islam Project Of Global Imperialism And Reflections, August, 2005, pp30 - 34.

ووثيقة أخري بالإنجليزية بعنوان:

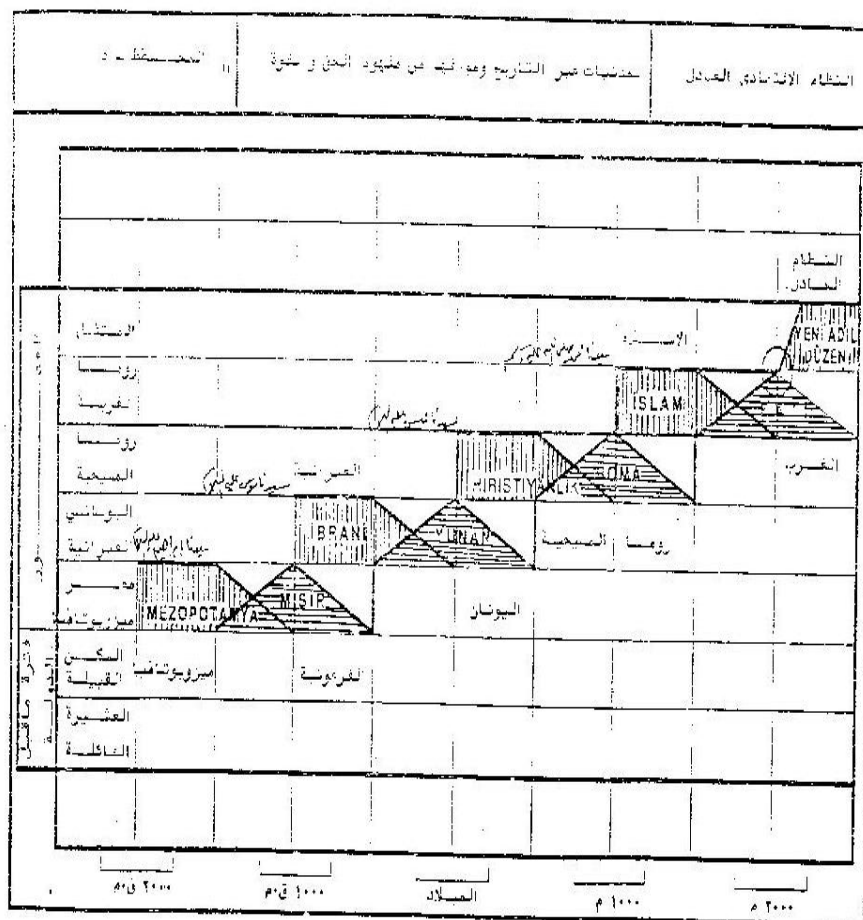
Necmettin Erbakan, The Proposed Islam - West Dialogue And Its Future, August, 2005.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

الفرق بين النظام العادل والنظم الاقتصادية الأخرى علي مدار التاريخ

النظام الاقتصادي العادل		النظم الاقتصادية علي مدار التاريخ				المخطط - ٤	
اقتصاد السوق		النظام الاقتصادي المخطط					
تبادل العمل		تبادل السلع		الملكية في وسائل الانتاج		الملكية في سوق الاستهلاك	
المشاركة	العمل	التبادل بالواسطة	التبادل	الزراعة	الرسمي	الصيد	الحبس
							الهاكية
الزمن							
اقسام الناتج في اقتصاد المشاركة							
الزمن	شركاء المشروع	التوجيه	نسبة القاسم بالمشروع %	الزمن			
	شركاء الملكية	المشروع	الايثار %				
	شركاء العمل	العمل	العمل %				
	شركاء رأى المال	المواد الأولية	رأس المال %				
	شركاء الخدمات	الخدمات العامة	الخدمات %				

التدافع بين النظام الاقتصادي العادل والمدنيات المختلفة عبر التاريخ
(سياق الصراع بين الحق والقوة).



2/7/2 - المناداة بإقامة النظام العادل ليس من قبيل فشل الرأسمالية
والشيوعية وبالتالي البحث عن نظام اقتصادي آخر نطلق عليه “ النظام
العادل “.. كلا إنه النظام القائم على الحق ضد الباطل، المتمرد على الظلم

الذي يهدد حقوق الإنسان وسعادته.

الفرق بين النظام العادل والنظامين الرأسمالي والاشتراكي.

النظام الاقتصادي العادل	الأسس التي قامت عليها النظم الاقتصادية	مخطط - ٦
القوة فوق الحق القوة فوق الحق		
النظام الاشتراكي قوة رأسمالية (الرأسمالية) قوة رأسمالية (الاشتراكية)		
١- الملكية الفردية	١- الملكية الجماعية	١- توازن التنسك الفردي والعام
٢- الرياء موجود، الربح موجود	٢- الرياء ممنوع، الربح ممنوع	٢- الرياء ممنوع، الربح قائم
٣- احتكار رأس المال	٣- احتكار الدولة	٣- الاحتكار ممنوع
٤- قروض لرأس المال	٤- قروض لمشاريع الدولة	٤- قروض للعمل وللانتاج
٥- لا توجد خطة عامة أو خاصة	٥- تخطيط عام وخاص	٥- تخطيط عام
٦- تشجيع الاستهلاك	٦- تشجيع سياسي على الانتاج	٦- تشجيع وتأييد الانتاج والامانة والاستقامة
٧- تشجيع الأخذ من النقص	٧- لا يوجد تشجيع، يوجد فقط	٧- تشجيع الرفاهية
٨- العمل لرأس المال	٨- تخطيط مركزي	٨- الشراكة، الخاص، خدمات عامة، خدمات تنظيمية
٩- من الربح والانتاج تدفع الضرائب بدفعها الغير	٩- التعبير كافي، الضرائب بدفعها الغير	٩- لا توجد ضرائب، الحكومة تأخذ حقها كشرية مقابل الخدمات التي تقدمها

المصدر: النظام الاقتصادي العادل، ص 51.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

وهو يبين كيف أن " النظام العادل " نظام مغاير ومختلف عن الرأسمالية والاشتراكية اللتين وإن بدتا مختلفتين فهما متماثلين، فالنظام العادل " يقوم علي الحق ولا يفرق بين الناس والناس في ظله متعاونون لا متصارعون وهو في نفس الوقت نظام مبسط مفتوح، سهل التطبيق، يشجع الناس علي الإنتاج.

3/7/2 - في حالة تطبيق " النظام العادل " فإن الأسعار سترخص

ولن يكون هناك تضخم، لأن التضخم هو مرض النظام الاقتصادي الرأسمالي وسيزيد الإنتاج وتزول البطالة وتزداد الصادرات لأن الأسعار في الدولة التي تطبق النظام العادل " ستكون أرخص من قرينتها في أي مكان آخر. ويمنع الخلل في توزيع الثروة القومية فهو يقيم السلام في نفس الإنسان وبين الإنسان وأخيه في المجتمع ككل. وهو يمنع الرشوة والفساد والتخلف عن طريق ترسيخ القيم المعنوية والتربوية.

4/7/2 - يعالج " النظام العادل " الأمراض التي تتولد من النظام

الرأسمالي وذلك عن طريق نظام عادل للدولة بدلا من نظام العبودية الذي يقيمه النظام الرأسمالي وتحقيق نهضة سريعة علي مستوي الأمة وإيجاد الفريق المؤمن والإنسان الصالح في ظل النظام العلمي والديني والأخلاقي سينتج أفراداً للأمة علي العرفان ويتم الاهتمام بالإنتاج كما الاهتمام بالتربية المعنوية وعندها ستجد الأمة أبنائها المخلصين الحريصين كل الحرص علي نهضتها يأكلوا ولا يسرفوا.. يعملوا ويتعاونوا.. عملهم يقربهم من ربهم علي قاعدة يعبدون الله كأنهم يرونه.. بهذا فقط يسدل الستار علي أنظمة الظلم وترتفع راية نظام الحق والعدل.

5/7/2 - السوق الإسلامية المشتركة القائمة علي أساس " النظام

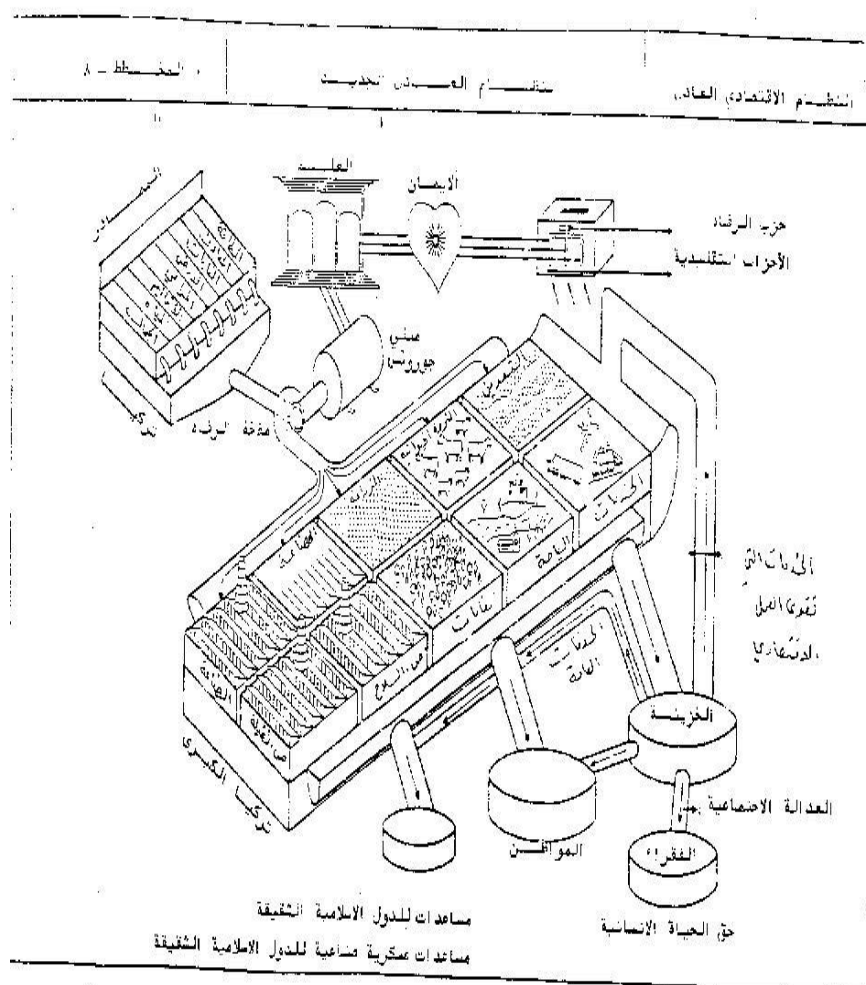
العادل " والذي ستستفيد منه تركيا والدول الإسلامية الأخرى، فالعالم

الإسلامي الممتد علي مساحات هامة وسكانه أكثر من 1.5 مليار نسمة ويمتلك ثروات هائلة لو أقام سوقاً اقتصادية مشتركة لبت في البداية احتياجاته وستكون وسيلة لنهضة كبيرة وشاملة تفوق كل تقدير، والسوق الأوروبية المشتركة التي تهدف إلي أوروبا موحدة لديها خطآن هما: أن الأساس الثقافي لهذا التجمع هو الحضارة الرومانية التي قامت علي الهيمنة والقوة ولن تنتج غير الظلم واعتماد التجمع الرأسمالي علي التحكم وهو ما يعبر عن ساعات مؤقتة ستنفجر في الوقت المناسب، ومع أن النظام التقليدي في تركيا يعمل جاهداً للانضمام لهذه السوق تقريباً من قدس أقداسه في أوروبا فإن الشعب يريد العودة إلي أصالته ومبادئه الإيمانية بإقامة نظامه العادل وإقامة سوق إسلامية مشتركة⁽¹⁾.

(1) نفس المرجع، ص 46 - 57 وراجع أيضاً باللغة الانجليزية:

Nacmettin Erbakan, Introduction To D - 8, August 2005, pp 20 - 25.

النظام العادل كسبيل لنهضة الأمة التركية



المصدر: النظام الاقتصادي العال، ص58.

8/2 - يبين النظام العادل كيف أن مقدرات الأمة لن تفعل إلا علي يد مجموعة “ مللي جوروش “ المؤمنة.. وهذا الأمر سيحسمه صندوق الاقتراع، وعند إقامة النظام العادل فإن الكوادر المؤمنة ستفعل من خلال محاضن العلم والإيمان - وليس كوادر صندوق النقد الدولي - وهي ذاتها

ستقيم النظام الاقتصادي العادل عن طريق وضع خطة عامة ثم خطط صغيرة محلية واستراتيجية تنمية متكاملة ويبدأ بعد ذلك التنفيذ وفق ميزات تركيا والتي هي طاقة الإنسان المؤمن والمعادن والغابات والأرض والمراعي والأقاليم المتنوعة والمياه والجمال الطبيعي والإمكانات والمصانع.. وهذه الميزات سيحركها الكادر المؤمن إلى مشاريع وعطاء مثل التعدين والخدمات والاستثمار الحيواني والسياحة النظيفة والزراعة والغابات والصناعات الصغيرة والصناعات الحربية والصناعات الثقيلة.

هذه الطاقة وهذه المشاريع ستحول البلد إلى بلد مكتف ومقتدر وسيصبح الفرد سعيداً ومرفهاً، وعندما تزيد الدولة من إمكانياتها فستزيد من عطائها في الخدمات العامة وخدمات التنظيم وتحقق العدالة الاجتماعية وعند قيام النظام العادل ستتخلص تركيا من استعباد الإمبريالية والصهيونية وبدلاً من القطط السمان التي تمتص دماء الوطن والمواطن فإن العائدات ستتحول إلى المواطن فيغني وإلى الدولة فتغني، الديون الخارجية والفوائد المركبة ستنتهي إلى غير رجعة وستحل محلها مساعدات تقدمها تركيا إلى الدول الشقيقة، عمالنا الذين يزيد عددهم عن ثلاثة ملايين عامل سنعيد استقدامهم ليعملوا في تعمير وإغناء بلدهم بدلاً من خدمة الآخرين في وظائف يأنفون من القيام بها، عندها لن تصدر تركيا عمالاً فقراء فقد أغني النظام العادل بفضل المواطنين والوطن⁽¹⁾.

* * *

(1) نفس المرجع، ص 75 - 58

المبحث الثالث:

التنظيم والممارسة السياسية لحزب الرفاه

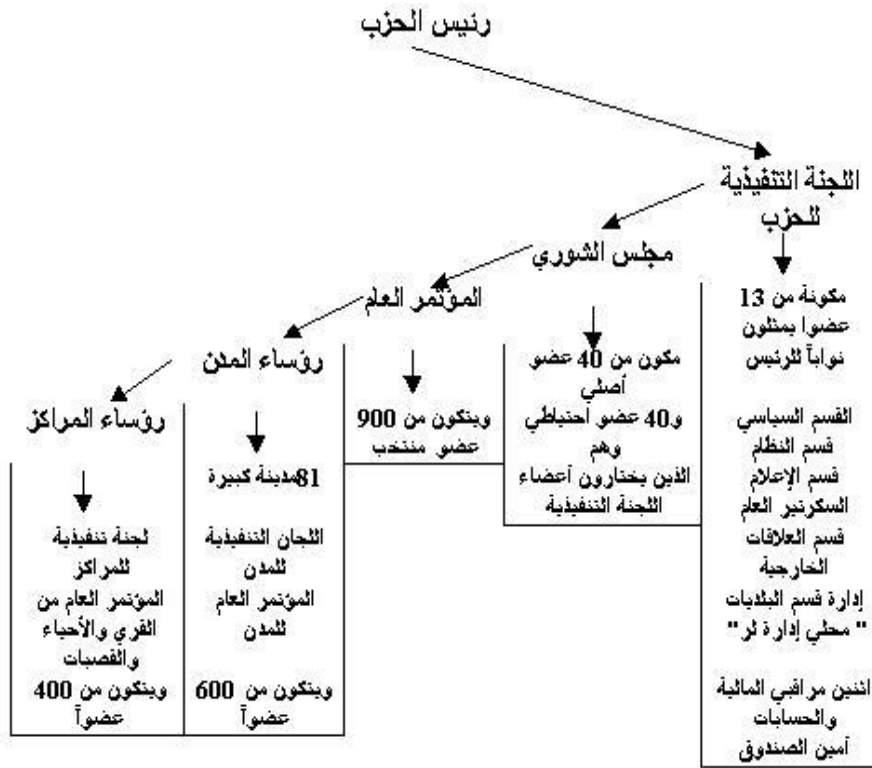
نحن أمام حزب كبير وجماهيري يعتمد خطاباً مدنياً وسياسياً ولكنه يحمل رؤية تغيير شاملة يمكننا وصفها بالجذرية أو الراديكالية عبر أدوات سياسية ليست راديكالية أو جذرية، حزب الرفاه يعمل في سياق النظام السياسي التركي ووفق قواعد اللعبة السياسية ولكنه يحمل رؤية لا تهدف فقط إلى تغيير بعض جوانب الحياة وإنما لديه رؤية تغيير شاملة لإعادة المجتمع وفق صبغة جديدة هي صبغة “الملي جوروش” عبر برنامج “النظام العادل” الذي هو أطروحة اقتصادية بالأساس تنطلق من أسس إسلامية مرجعيتها الفقه الإسلامي مثل مبدأ رفض الربا، ورفض أن تكون النقود أداة غير محايدة في إدارة الاقتصاد وأن يكون قرض “السلم” - بفتح اللام بديلاً للقروض الربوية، كما أن الجوانب التربوية المعنوية والأخلاقية والإنسان الصالح والفريق المؤمن هي الضمانات لتنفيذ برنامج “النظام العادل” ومن ثم فنحن أمام حزب برنامج إسلامي ورؤاه التغييرية شاملة.

أولاً: الهيكل التنظيمي لحزب الرفاه:

المعلومات تشير إلى أن عدد أعضاء الرفاه المنتسبين إليه والمشاركين فيه يبلغون 4 مليون نسمة، وأشارت نتائج التصويت في الانتخابات البرلمانية الأخيرة له عام 1995 م إلى أن أكثر من 6 مليون صوت منحت له وكما هو معلوم فإن التواجد الحزبي للرفاه كان بين جميع الشرائح والمناطق للشعب التركي والتساؤل هنا يثور حول “التنظيم”

الذي كان يدير هذا الحزب الكبير.

هيكل التنظيم الحزبي للرفاه



شكل يوضح الهيكل التنظيمي للرفاه تم تصميمه من قبل الباحث

وكما قال لنا أحد الناشطين في الحزب⁽¹⁾ فإن تواجد "حزب الرفاه" القوي في كل تركيا جعلهم قادرين علي حماية الصناديق والعملية الانتخابية حيث وضع منظمو الحزب هدفاً أمامهم وهو أن تكون عضوية

(1) هذا الناشط هو حسن بتماز وهو يتولي اليوم مسئولية نائب رئيس التنظيم في حزب السعادة وندين له بفضل توضيحه لنا الهيكل التنظيمي لحزب الرفاه وهو ذكر لنا أن المؤتمر العام للحزب يكون ضعف عدد نواب البرلمان، وعدد نواب البرلمان في فترة الرفاه كان 450 ثم صار 550 وحزب السعادة اليوم له نفس الهيكل ولكن مؤتمره العام 1100 عضو.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

الحزب
10/1 من أصوات كل صندوق، وأثناء الانتخابات كان يتابع الصندوق الواحد خمسة أعضاء من الحزب قائدهم يسمى "باش مشاهد" ومعاونوه يطلق عليهم "مشاهدين".

- للحزب جريدة يومية اسمها "الملي غازته" وهي التي تعبر عن "الفكر الملي" وكما سنري - فيما بعد فإنها تمثل أحد أهم مصادر تكوين الثقافة والوعي لدى المنتمين "لحزب الرفاه" إلي حد أن أحد مسؤولي التنظيم في الحزب ذكر لنا أنها إجبارية علي كل منتمي للحزب أن يقرأها ويتابع ما فيها من أفكار وتحليلات عن تركيا، وأصدر الحزب أيضاً جريدة "يني دور" أي "العهد الجديد" بمعني التوجه الجديد للحركة الإسلامية في تركيا نحو التواجد السياسي عبر الطريق الديمقراطي وتربي في هذه الجريدة الكادر الأدبي الذي قاد الحركة الأدبية ذات التوجه الإسلامي في تركيا مثل "علي نار ومصطفى مياس أوغلو وحسن آق آي" وأصدر "مصطفى مياس أوغلو" مجلة أدبية بعنوان "سدير" ثم حولية أدبية بعنوان "صفة" (1) أراد بها بناء جيل أدبي علي مبادئ الملي جوروش " فالأدب والأدباء كانوا أحد أهم الأدوات التي عبرت عن مقاومة التيار الإسلامي للتيارات العلمانية

- "وقف الشباب الملي" Milli Genclik Vakifi وهذا الوقف يضم بين جنباته الشباب الذي يتبني فكر "الملي جوروش" وهو ينظم رحلات وجولات ويقوم أتباعه بالمظاهرات، وكما قال لنا أحد المنتسبين للوقف فإن تركيا بها 81 جامعة منها 6 في قبرص و15 جامعة خاصة ويوجد في

(1) محمد حرب، آليات الحركة الإسلامية في تركيا، السياسة الدولية، يناير 1998، ع 131، ص 133.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

جميع الجامعات ممثلين لوقف الشباب الملي باستثناء جامعتين أو ثلاثة والاتحادات الطلابية في الجامعات والثانويات تمثل فكر “ الملي جوروش “ (2) داخل ثلاثين منها وفي الثانويات يوجد وكذلك بين الفتيات والبنات، وتنتشر مراكز الوقف في مدن عدة في تركيا أبرزها “ قونية “ التي يوجد بها مبني ضخم لوقف “ الشباب الملي “ المنتشر بين جميع طلبة المدارس من الإعدادية وحتى الجامعة وله موقع علي الشبكة بعنوان www.spgenrelik.org.tr وهو اليوم يعبر عن حزب السعادة.

- **الموسيات MUSIAD وهو اتحاد الغرف التجارية ورجال الأعمال المسلمين المستقلين والرفاه هو الذي شكلها كتعبير عن الوجه الاقتصادي للحركة السياسية التي يمثلها “ حزب الرفاه “، خاصة وأن الجانب الاقتصادي مثل القلب والمركز من برنامج الحزب والذي أطلق عليه “ النظام العادل “، فالرفاه كان يري أن التغيير الاقتصادي هو المقدمة لكل مشروعه التغييرى الشامل والذي يعبر عنه “ الملي جوروش “، والموسيات هو تعبير عن صعود “ رأس المال الإسلامى “ في الحياة التركية مع أوائل الثمانينيات وهو تعبير عن التحول في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لتركيا نحو اقتحام الإسلاميين لمراكز التأثير في الحياة التركية خاصة إذا علمنا أن جمعية رجال الأعمال والصناعة التركية (وكلاء الشركات العالمية) المعروفة باسم TUSIAD هي أحد أهم**

(2) قمنا بزيارة مبني وقف الشباب الملي في قونية والتقينا الشباب من مستويات دراسية متعددة من الإعدادية والمتوسطة وحتى الجامعة حيث يتعلمون القرآن والفكر الملي ويعبرون عن وعي سياسي وإسلامي ثاقب. وهناك كتاب صغير مهم حصلنا عليه يمثل وثيقة لتربية الشباب الملي باللغة العربية راجع: مصطفى محمد الطحان، دور الطالب المسلم في إعادة بناء الأمة، مؤتمر الشباب المسلمين للتعاون الثقافى، تركيا: بورصة، أغسطس 2005.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

أجنحة التأثير علي صناعة القرار السياسي في تركيا⁽¹⁾ بما تملكه من صحافة ووسائل إعلام وعلاقات قوية مع العسكر والعلمانيين.

ومن ثم يمكن تصور أن “الموسياذ” هو تعبير عن محاولة تحجيم التأثير العلماني في مكونات صناعة القرار السياسي التركي ومحاولة إيجاد مساحة للقوي الاقتصادية الإسلامية ويضم “الموسياذ” عشرة آلاف شركة إسلامية متنوعة النشاطات وعدد أعضائه ثلاثة آلاف عضو⁽¹⁾، وعقد عام 1997م مؤتمراً دولياً ومعرضاً تجارياً شارك فيه اقتصاديون ورجال أعمال وشركات من أكثر من خمسين دولة، وله موقع علي الشبكة وعنوانه www.musiad.org.tr وهناك أيضاً “جمعية رجال الأعمال في الأناضول” أو “أسود الأناضول لاتحاد العمال” ASKON ولها موقع علي الشبكة بعنوان www.askon.org.tr وهي تجمع يعبر عن أكثر من ألف عضو يمثلون نقابات وشركات وتجمعات اقتصادية كبيرة في منطقة الأناضول، وتشير المعلومات إلي أن نقابة عمال اسطنبول ITO أصبحت بيد الإسلاميين في سياق التحولات الاجتماعية والاقتصادية ناحية الإسلام.

(1) تأسست جمعية رجال الصناعة والأعمال في تركيا TUSIAD في عام 1971 م من جانب بعض رجال الصناعة البارزين ويتبعها مركز أبحاث نشط ولها علاقة وثيقة مع الحكومة ومراكز صناعة القرار ومع دوائر الأعمال الدولية، وحتى عام 1987 م اعتبرت أحد مصادر العون غير الرسمي للحكومة التركية في تحديد أهدافها الاقتصادية عن طريق الدراسات والتقارير بشأن الاقتصاد التركي، ومنذ عام 1987 م نظرت حكومة “أوزال” إلي تقاريرها بعين الشك وحدث خلاف بينها بسبب انتقاداتها الحادة للحكومة وراجع، جلال معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية التركية، م. س. د، ص 116.

(1) عن هذه الأعداد نفس المرجع، ص 290. وأيضاً محمد حرب، آليات الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. د، ص 135 وهو يشير إلي ارتباطه بالاتحاد الدولي لرجال الأعمال المسلمين I.B.F الذي تأسس عام 1995 في باكستان ثم انتقل إلي اسطنبول وارتبط بالموساد.

- مركز للدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية والسياسية

ويطلق عليه ESAM ويقوم المركز بعمل دراسات وأبحاث وعمل ندوات وتقارير عن الأوضاع التي يهتم بها الحزب في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وأحوال العالم وفي العلاقات الدولية.

- وسائل إعلام مرئية ومسموعة أهمها " القناة السابعة " قنال

يدي " وهي تقدم خدمة إعلامية مرئية للشعب التركي في كل أنحاء تركيا وفق رؤي " حزب الرفاه " وهي تغطي أخبار الحزب واجتماعاته ولقاءاته مع الجماهير، وتتابع بشكل عام أداءه، واهتمت هذه القناة بتوصيل صوت " حزب الرفاه " إلى العالم العربي عن طريق بثها لنشرة في منتصف الليل تذيع أخبار تركيا للعالم العربي باللغة العربية، وللحزب إذاعة أيضا اسمها " مرمره " - إف - إم. وله قنوات تلفزيونية محلية مثل (KON TV) وقناة (SELAM TV) ⁽¹⁾.

- حركة " الملي جوروش " للأتراك الموجودين خارج تركيا

(دياسبورا الملي جوروش)، وقد تأسست في ألمانيا منذ عام 1974 م وقد فكر في تأسيسها " أربكان " وقد بدأت بالتجمع حول الصلاة والاجتماع في مكان واحد ثم تأسست جمعية باسم " جمعية الأتراك لبناء وتعمير المساجد " ووفق المعلومات التي استقيناها من أحد أعضاء " الملي جوروش " في ألمانيا فهو يقدر أن عدد الأعضاء الذين يؤيدون " الملي جوروش " يبلغون نصف مليون (500 ألف) منهم 20 ألف يدفعون كل شهر 10 يورو " للملي جوروش "، ومركز التجمع الملي في مدينة " كولون " ومن بين هذا التجمع 15 ألف يحق لهم التصويت في تركيا،

(1) محمد حرب، نفس المرجع، ص 134.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

ومجمل من يصوت للرفاه 30 ألف وهم يعملون لمدة شهر أو شهرين لصالح الحزب، وحسب هذا المصدر فإن “الملي جوروش” تنتشر في 15 منطقة بألمانيا وفي منطقتين بهولندا، وفي منطقة واحدة بسويسرا، وبمنطقتين بالنمسا وبأربع مناطق بفرنسا، ويحج من هؤلاء كل عام خمسة آلاف حاج⁽²⁾.

- مجموعة اتحادات للمهنيين مثل اتحاد الحقوقيين واسمه “حودر HUDER” وقد أسسه “شوكت قازان” وزير العدل في حكومة “الرفاه” عام 1996 م، واتحاد المهندسين واسمه TEKDER، واتحاد الأطباء والصحة واسمه SAGLIK DER وهناك “نقابة للعمال” - الاتحاد النقابي لحق العمل - اسمها HAK IS وأسسها “ياسين خطيب أوغلو” وهي تأسست منذ حزب السلامة الوطني في بداية السبعينيات بلجنة عمالية واحدة ثم تطورت لتصبح نقابة عمالية كبيرة أصبحت ثاني أكبر نقابة عمالية في تركيا كلها إبان “حزب الرفاه” فالمصادر تشير إلى أن عدد المشتركين فيها يبلغ 160 ألف عضو معظمهم كانوا من أعضاء اتحاد النقابات التقدمية DISK، وهناك أيضاً نقابة للموظفين تؤيد الرفاه واسمها MEMUR - SEN⁽¹⁾.

نحن أمام حزب كبير وله تواجده الممتد والمتجذر في الحياة الاجتماعية والسياسية التركية، وهو تعبير عن تواصل مستمر للوجود السياسي لحركة اجتماعية قائمة ومستمرة ولا تزال حتي هذه اللحظة يعبر

(2) هذه المعلومات استقيناها من أحد أعضاء “الملي جوروش” بألمانيا وسألته عن علاقتهم بالرفاه فأفادنا بهذه المعلومات بمقر حزب السعادة بأنقره وهو وريث الرفاه. وهي معلومات أقرها قيادات الرفاه الموجودون.

(1) هذه المعلومات من مصادرنا في حزب السعادة ولكن بعضها منشور وراجع مثلاً: جلال معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية - التركية، م. س. ذ، ص 113.

عنها أحزاب سياسية متعددة في فترات مختلفة، يحدث بينها انقطاع بسبب التدخلات العسكرية لكنها لا تذوي أو تختفي، كما لا يمكن حتى لخصومها أن يتجاهلوها أو يستغنوا عنها بل إنها تعود كل مرة أكثر قوة وحيوية، كما تشير نتائج الانتخابات وأداء الأحزاب المختلفة التي تعبر عن “الملي جوروش”.

وربما يعطي وصف بعض المراقبين للانتخابات التركية النيابية التي جرت في 24 / 12 / 1995 والتي وضعت “الرفاه” في قلب النظام السياسي بفوزه بأكثر عدد من الأصوات والمقاعد في البرلمان - تصوراً عن حجم “حزب الرفاه” في الحياة السياسية التركية “كان” أربكان “ينتقل بطائرة هليكوبتر خاصة ليتحدث في مدينتين أو ثلاثين يوماً، ومن الواضح أن الحزب لا يعاني من مشاكل مالية ذلك أنه قاد واحدة من أقوى الحملات الانتخابية وأقام أكثر من ألف مركز انتخابي في كل منها جهاز كمبيوتر واحد على الأقل يتضمن أسماء الناخبين وعناوينهم وأي معلومات يحتاجها المتطوعون والمتطوعات من أعضاء الحزب الذين بلغ تعدادهم 90 ألف لا يتقاضون أجوراً لأن دوافعهم دينية وليست سياسية⁽¹⁾.

ثانياً: بناء الكادر السياسي لحزب الرفاه:

لم تنتشر أي معلومات بالعربية وربما بغيرها عن كيفية بناء الكادر السياسي في “حزب الرفاه”، وهي مسألة كانت حاضرة في وعي الباحث بقوة لذا تحريناها واستطعنا أن نتغلغل في الطريقة التي تتم بها التربية السياسية والدينية داخل أكبر حزب إسلامي ظهر إلى الوجود حتى

(1) جمال خاشقجي، زعيم حزب الرفاه الإسلامي يخلط الأوراق التركية، الوسط، ع 205 بتاريخ 1996/1/1.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

اليوم.

ذكر لنا أحد أهم مسؤولي التدريب الثقافي في حزب الرفاه أن وسائل التثقيف للكادر السياسي تكون عبر الآتي:

1 - الملي جازيت وهذه (إجبار) يتعين علي العضو المنتسب للحزب والذي في دور التكوين أن يطالعها وفيها صفحات دينية وأخلاقية وثقافية وإذا قرأها لمدة ثلاثة أشهر فهم ما يجري حوله، أوضاع تركيا ليست كأوضاع مصر، ومن ثم فهو لا يقرأ " معالم في الطريق " ولا يستطيع أن يفهمه، وإنما لابد من قراءة " الملي جازيت ".

2 - علم الحال ويعني " معرفة النفس ما لها وما عليها "، فيتعلم الكادر

منذ البداية العقائد الصحيحة " عشر كتيبات " وهي الطهارة، الصلاة، الصوم، الزكاة، وأحكامها وفرائضها بالتفصيل، الأخلاق، سيرة الرسول صلي الله عليه وسلم " بالتفصيل، وفي كل بيت في تركي متدين أو غير متدين كتاب لعلم الحال، وعلم الحال يعبر عن روح الثقافة التركية التي يغلب عليها الطابع العملي الحركي⁽¹⁾، فهي تعبير عن روح الثقافة يشربها الناس بشكل عرفاني صوفي ولكن لا يمكن تفسيرها.

إنها روح التدين والعقيدة والشخصية التركية. وهم يأخذون قوانين ومعرفة هذه القواعد من كتب الفقه الحنفي المعروفة مثل " بدائع الصنائع " وفتح القدير "، فهذا ملخص لها، ماهو حال المسلم وما يجب عليه إذا لم يقرأ هذا أولا فإنه لا يمكنه فهم سيد قطب ولا غيره.

(1) عن الثقافة التركية راجع كمال السعيد حبيب، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (621 - 1908)، القاهرة: مدبولي، 2002، ط1،

فنحن ندرس مسائل الاستقراض والربا ماهو؟ وماعناه؟ إنه اقتصاد ولكن من منظور الإسلام. وأشار لكتاب مهم يعتمدونه كمرجع معرفي مهم اسمه "رسائل العقائد" AKAID RISALELERI " وهي تعبر عن عقائد أهل السنة والجماعة من عهد الإمام الأعظم حتي عصرنا الحاضر " ويشمل هذا الكتاب الذي حصلنا علي نسخة منه والمكتوب باللغتين التركية والعربية علي عدد من المتون هي:

1/2 - الفقه الأكبر للإمام الأعظم " أبي حنيفة النعمان " و " العقيدة الطحاوية " لأبي جعفر الطحاوي الحنفي، وكتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي وكتاب السواد الأعظم أي أهل السنة والجماعة، ورسالة في الإيمان جزء من العمل أم لا ومركب أم لا، وعقائد النسفي " وقصيدة الأمل " وهي منظومة في العقيدة بطريقة المتون الشعرية، والعقائد العسدية، والقصيدة النونية، وعقيدة الإيمان لحضرة إبراهيم حقي الأضرومي الحسني (1704 - 1780) - وهو أحد علماء الدولة العثمانية والكتاب مكتوب بالعربية، وروضات الجنات في أصول الاعتقاد للإمام " محمد بن بير علي البركوي " وهو عالم عثماني، وجوهرة التوحيد المسمى " إتحاف المريد بجوهرة التوحيد " للشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي، وهو متن منظوم شعراً، وكتاب المناهج لأبي منصور الأصفهاني، ثم كتاب " مناهج الإسلام في الحياة من الكتاب والسنة - الجزء المتصل بكتاب الإيمان وهو لعالم أز هري مصري، وهم يفضلون كتاب " إحياء علوم الدين " و " كيمياء السعادة " بالإضافة للكتب

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

المت ترجمة من العالم الإسلامي⁽¹⁾.

نحن أمام منهج تقليدي محكوم بصبغة العلماء القدامى لأهل السنة والجماعة وهذا المنهج يركز علي الاتباع وعدم الاندفاع، كما يركز علي الطاعة، والالتزام بالجماعة والبعد عن الشقاق والخصام، فالمرء لا يري نفسه أذاته مستقلة عن الجماعة التي ينتمي إليها، وقد يصيب البعض الدهشة إذا ذهبنا إلي أن الفكر السياسي للرفاه بصيغته التي وصفها أحد أهم المختصين في الشأن التركي بأنها تعبير عن “توليفة ممتازة من القيم الإسلامية والقيم القومية في إطار منظور قومي تغلب عليه الصبغة الإسلامية”⁽²⁾ هو انعكاس للعقائد التي عبرت عن السواد الأعظم وعن السنة والجماعة وعن التماهي مع المجموع والحفاظ علي الوحدة والأمن القومي بمفهومنا المعاصر، فهذه العقائد تعبر عن الطابع الإسلامي والقومي لحزب الرفاه الذي يري وحدة تركيا، تركيا الكبيرة، وتركيا التي يطيب عيشها وغيرها.

3 - المحاضرات، وهذه ليست الزبدة ولكنها تثير أفكاراً، أنت لك وجهة نظر وغيرك له وجهة نظر وهذه مثل عصف الذهن “للتدريب علي الفكر الجماعي، وأنت تسمع وتأخذ ما يناسبك من بين الموضوعات

م
“تخريب الأخلاق في تركيا.. المسببات والعلاج”، ويحاضر في هذه المحاضرات أسماء كبيرة في تخصصاتها مثل المتخصصين في الإلهيات من كليات الإلهيات والقوانين من القانونيين وأعضاء حزب الرفاه وهكذا..

(1) Ali Nar, Akaid Risaleleri, Ankara, Mart, 1994.

(2) جلال معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية - التركية، م. س. ذ، ص 104.

4 - دورات في التربية والتعليم وهي تستمر يومين يشترك فيها 100

شاب وفي الدورة تناقش أمور مثل:

1/4 - ماهو الاشتغال في الجامعة؟ وماهو " الملي جانشيك "؟ و "

أسس الأساس " وهو يعطي لك جواب حول أسئلة لماذا نشغل؟ وبأي شئ نجتهد ونشتغل؟ ولأي شئ نشغل؟ {وؤؤؤؤوؤوؤوؤي} [البقرة: ٢٠١] وأسئلة مثل لماذا خلق الله العالم؟ ولماذا خلق الله الإنسان؟ ولماذا يمتحن الله الناس؟ وما الفرق بين الإنسان والمخلوقات الأخرى؟ وعلي أي شئ يمتحن الله الناس؟ وما الحق وما الباطل.. إلخ.

5 - استطعنا الحصول علي نسخة من الكتاب المقرر لتكوين الرؤية

الفكرية والسياسية للكادر السياسي في حزب الرفاه وعنوانه " حكومة العالم الخفية " وفي الكتاب تصور عن وجود حكومة خفية هي التي تدير العالم وتهيمن عليه، هذه الحكومة الخفية هي تعبير عن تحالف الاستعمار الغربي ومؤسساته الاقتصادية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وغيرها مع الصهيونية العالمية وإسرائيل وأن هذا التحالف وثيق الصلة بالقوي الداخلية المتحالفة والمترابطة معه وهي القوي التي يسميها الرفاه " القوي التقليدية " وهي الأحزاب السياسية غير الرفاه بكافة أطرافها اليمين واليسار معا فلا فرق بينهما، وجماعات الضغط المتحالفة مع النظام العلماني في الداخل مثل جمعيات رجال الأعمال (أصحاب التوكيلات الكبرى) والمؤسسة العسكرية ووسائل الإعلام وغيرها من المؤسسات العلمانية التي تعبر عن المصالح الغربية في تركيا.

6 - في مقدمة هذا الكتاب يقول المؤلف " السبب الحقيقي لما يحدث...

هو وجود قوة خفية تحاول استغلال العالم واستعباده وتحويل الناس إلي خدم لها وهذه القوة الخفية بدأت وتوسعت منذ قرون عديدة ولها غاياتها

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

ووسائلها وطرقها الخاصة في التنفيذ، وهدفها الأساسي هو السيطرة علي العالم والتحكم فيه.

أي أن هذه القوة الخفية تعمل منذ قرون لتحريك الأحداث العالمية لما فيه مصلحتها وخدمة أهدافها السرية، وهذه القوة الخفية تصنع مخططاتها لتحريك الأحداث وصولاً لتلك الأهداف السرية، لمعرفة المعالم الخاصة لهذه المخططات السرية ينبغي إلقاء نظرة تشريحية للعالم الحالي.. فبدون التشريح لمكونات عالمنا لا يمكن تشخيص الأمراض وأسبابها وكيفية علاجها.. لو قام أحدنا بشراء تذكرة طيران للسفر فإن 9% من ثمن التذكرة يذهب إلي ما يسمى “ بهيئة الطيران والنقل الجوي العالمية “ وإلا فإن النقل الجوي يصبح متعزراً لأن الطائرة لن يسمح لها بالهبوط علي أرض أي مطار في العالم، وهذه الهيئة العالمية مهما قيل عن اسمها أنها عالمية وتخدم النقل الجوي العالمي إلا أنها تابعة في الحقيقة إلي المنظومة السرية التي تريد التحكم في العالم كباقي المؤسسات والهيئات العالمية، أي أنها تخدم أغراض حكومة العالم الخفية، فمردودها المالي يذهب في نهاية المطاف إلي خزائن تلك الحكومات الخفية... والبنوك تأخذ 1 - 5% من المال المحول وتذهب العمولة في نهاية المطاف إلي خزينة حكومة العالم الخفية، وشركة “ لويد “ للتأمين البحري هي أحد أدوات حكومة العالم الخفية، وهكذا صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وغيره..

7 - يجيب الكتاب قبل الخوض في حكومة العالم الخفية عن الأسئلة الأساسية أو أسئلة الأساس مثل ماذا تعني كلمة الحق والباطل؟ ولماذا خلقت هذه الكائنات؟ ولماذا خلق الإنسان؟ ولماذا يمتحن الله الإنسان في الدنيا؟ وكيف يتم اختبار الإنسان في هذه الدنيا؟ وكيف يتحقق الخير والسعادة؟ وما هو الإسلام؟ وما هو القرآن؟ وماذا يعني أن يكون المرء

مسلمًا؟⁽¹⁾.

8 - ولأهمية السؤال فإننا نورد ما أجاب به كتاب " حكومة العالم الخفية " عنه. يقول " إن المسلم لغة تطلق علي من يعلن انقياده وخضوعه لأوامر الله عز وجل، وينبغي علي كل من يدخل الإسلام أن ينطق بالشهادتين خالصة من قلبه، والشهادتان تعنيان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الرب الخالق الأوحد وأن محمداً " صلي الله عليه وسلم " عبده وخاتم أنبيائه ومرسله ولكن معاني هاتين الشهادتين لا تفهم بوضوح إلا بعد معرفة كلمة " الإله " لغوياً وهي تعني " المستحق للعبودية وحده، المستعان وحده، الذي يبتغي رضاه وحده، واضع القوانين ومنظم الحق والعدل.

وعلي هذا يكون الإنسان حين ينطق الشهادتين كأنه يقول يارب آمنت بك رباً مستحق العبودية وحده وآمنت بك رباً يستعان بك وحده، وآمنت بك رباً يبتغي رضاه وحده، وآمنت بك رباً واضعاً للقوانين ومنظماً لقوانين الحق والعدل، وأعاهدك علي أن أبذل مافي وسعي لجعل قوانينك وأحكامك هي السائدة علي وجه الأرض، ولكن ماهي هذه القوانين والأحكام؟ والجواب هي الأحكام والقوانين التي دعا إليها وبلغها النبي محمد " صلي الله عليه وسلم " وهو الرسول المبعوث من الحق سبحانه وتعالى لهداية البشر، وهي القوانين والأحكام التي جاء بها أمين الوحي جبرائيل " عليه السلام وجعلت في كتاب واحد يدعي " القرآن الكريم ".

هذا الكتاب يحتوي علي جميع الأسس والقوانين التي تنظم حياة

(1) حزب الرفاه، حكومة العالم الخفية، نسخة الكترونية غير منشورة تحت عنوان " ماذا يعني أن يكون المرء مسلماً ؟".

الناس اعتماداً علي العدل والحق والخير، ويسلم من ينطق بالشهادتين أيضاً ببذل كل مافي وسعه لما فيه خير الحياة الدنيوية والأخروية، وسمي الله سبحانه الأمة التي تنطق بالشهادتين بالمسلمين وميزهم عن باقي الأمم الأخرى التي وقعت أسري أهوائها.

فالصراع بين الحق والباطل هو في الحقيقة صراع بين المسلمين
الذين يعملون

من أجل إحقاق الحق وبين أولئك الذين يتبعون أهواءهم ورغباتهم ويعملون

اُجل ترسیخ الباطل{چیدیت دژڈڈژ ژرٹ کککگ گگ
گگ گگ گگ گگ گس س ط ٹ ه ه ه ه ه ه
ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه
و و و و و و و و و و و و و و و و
و ی بی بی نا ئه نه نوئو آب پ پی پ پی پ پی ن ت ث ظ ف ق
ق ق ق ق ج ج ج ج ج چ چ { [المائدة: ۴۴ - ۴۷].}

فالمقاييس الإلهية المنظمة لحياة البشر هي الطريق الوحيد المؤدي إلى سعادتهم الأبدية، أما إذا حادت البشرية عن هذا الطريق فإن ذلك يكون مجلبة للظلم والظلام، وهذه هي معالم الصراع بين الحق والباطل منذ وجد آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة علي هذه الأرض التي هي دار امتحان للإنسان⁽¹⁾.

9 - آداب المعاشرة والأخلاق وهي التعاليم التربوية في الإسلام وتوجيهاته الأخلاقية وهي التي يطلق عليها آداب السلوك والتزكية.

10 - مفاهيم الغرب وفلسفته وتطوره الحضاري وعلاقته مع العالم

الإسلامي وعلاقته بإسرائيل والصهيونية والرأسمالية والغزو الفكري.

11 - خدمات " الملي جوروش " وإنجازاته وتغييره المجتمع نحو المفاهيم الصحيحة وتفصل لأربعة مناحي وهي: الحكومة والبرلمان والبلديات وفي منظمات المجتمع الأهلي.

12 - الموضوعات العامة وتناقش السياسة اليومية وكيف ننظر إلي المستقبل، وسيفر الجديدة، ودخول تركيا للاتحاد الأوروبي وتأثيره علي تركيا، وهذا يحدث في مراكز كثيرة ويتكرر كل أسبوع، وهناك مايعرف باسم " ضيافة القرآن " حيث يأتي المشايخ والأساتذة من المقرئين في العالم الإسلامي خاصة في رمضان، وشارك فيها الملايين وفي مرة واحدة حضر 30 ألف وهذا للتنشيط والتشجيع⁽²⁾.

13 - أشار مسئول التنقيف في " حزب السعادة " والذي كان مسئولا عن التنقيف في " حزب الرفاه " إلي أن العقل التركي يرفض الضغط فهو يفكر بعمق وليس فوراً كما عند إخواننا العرب، فالتركي مثل الجمل لين وليس خشن يأتي من الدولة العثمانية تفكيره كبير والغرب يريد أن يغير نمط التفكير التركي العميق ليجعل منه تفكيراً فورياً عن طريق الإعلام والتربية ومن ثم يمزقه ويأكله.

التركي يضع معني الدين والحلال في وعيه وتفكيره ويقول هذا أفعله للخير، سبيل، طريق، مسجد، وإذا تغير هذا فهو مهدد للشخصية التركية واستدل لي بمثل تركي يقول " Haydan Gelen Hu Ya Gider ومعناه " أي مال يأتي من غير كسب يذهب لغير مستحقه ".

(2) علمنا أن ضيافة القرآن لم تكن تحدث أيام الرفاه ولكنها حدثت مؤخراً كجزء من نشاط حزب السعادة الديني وهو تعبير في كل حال عن الفكر الملي وحركة الملي جوروش.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

وهو يعتبر أن تركيا دولة مهمة في الوعي الغربي ومسألة طرح فكر إسلامي يقول " إن الإسلام يحل المشكلات " هي مسألة كبيرة جدا ولا يمكن تقويتها بسهولة، وهو يقول " إن أهم صفات التركي هي الإدارة والتنظيم، والغرب يريد تخريب هذه الصفة لدينا كأتراك ونحن نقاومها، التركي كان الرأس بالنسبة للعالم الإسلامي والغرب أخذته تحت الكتف (وخلص).

14 - في لقاء لنا مع مسئول الشباب في حزب السعادة عبر عن أن " حركة الملي جوروش " هي حركة تجديدية ولكنها تجدد في الجوانب المتغيرة والتي لا تتعارض مع الثوابت المحددة بالنص والإجماع والمعلوم من الدين بالضرورة، وأي شخص أو منظمة، وأي حزب لا يستطيع أن يتجاوز الأحكام الشرعية الثابتة {بيثثثثثثث} [الملك: ١٤].

وفي حضارتنا النص المجمع عليه قرر أشياء لا يجوز العدوان عليها بالتغيير، وهذه هي الضرورات الخمس وفيما عدا الثوابت نعمل علي التجديد مستندين إلي التجربة التاريخية لفعل الصحابة والخلفاء والأئمة مالك والشافعي والسلف الصالح، والتجربة التاريخية ليوونا هذا ماهي المشاكل والحلول لعصرنا مثلا صندوق النقد الدولي، الرأسمالية، الشيوعية وغيرها، والتجديد لا يكون ضد الثوابت.

إن حزب الرفاه هو حزب سياسي مدني مستند إلي مرجعية إسلامية واضحة يمكننا القول أنها تستند لفكر تقليدي محافظ في الجانب الديني، ومن ثم فهو يزاوج بين الحداثة والتقليدية في سياق الفكر التركي العميق والذي يجعله كالجمل يصبر ويتحمل ولكنه يخطط ويدبر لمشروعه التغيير الذي ينطلق بلا جدال من المرجعية الإسلامية.

ثالثاً: حزب الرفاه وممارساته السياسية في الحكم:

تولي "حزب الرفاه" السلطة في تركيا في 29 / 6 / 1996 م مؤتلفاً مع حزب الطريق الصحيح برئاسة "طانسو تشيلير" بعد ضغوط من العسكر لمنح "الرفاه" من الوصول إلى السلطة السياسية وهو ما خلق حالة فراغ سياسي في الدولة حتى تشكلت "حكومة يلماز" الائتلافية من حزبه الوطن الأم ANAP وحزب الطريق الصحيح DYP خلافاً للتقاليد والأعراف السياسية ونالت هذه الحكومة الهشة التي جاءت علي أسنة رمح العسكر ثقة البرلمان التركي في 12 / 3 / 1996 م ولكنها سرعان ما انهارت باستقالة رئيسها في 6 / 6 / 1996 م وذلك لأن "حزب الرفاه" تقدم بمذكرة إلى رئيس الجمهورية في 10 / 4 / 1996 م يذكر فيها أن الحكومة لم تحصل علي الأصوات الكافية لتتال ثقة البرلمان حسب الدستور، وراجع "حزب الرفاه" المحكمة الدستورية بهذا الخصوص في 13 / 4 / 1996 م وفعلاً أصدرت المحكمة الدستورية قرارها بإلغاء التصويت علي الثقة في الائتلاف الحكومي في 14 / 5 / 1996 ونشر القرار في الجريدة الرسمية في 6 / 6 / 1996 م أيدت فيها ما ذهب إليه حزب الرفاه "من أن الحكومة لم تحصل علي الأصوات الكافية المقررة في الدستور لنيل ثقة البرلمان، ووجد "يلماز" الفرصة سانحة فأعلن استقالته⁽¹⁾.

(1) لتشكيل الحكومة يجب علي الائتلاف المخول بذلك أن يحصل علي ثقة 276 نائباً من مجمل العدد الكلي لنواب البرلمان (550 نائباً)، ولكن ائتلاف حكومة يلماز لم يكن حصل علي هذا العدد من النواب ولذا قبلت المحكمة الدستورية الطعن الذي تقدم به "أربكان" في عدم دستورية تشكيلها للحكومة، وكان "أربكان" نفسه قد قال عن حكومة يلماز الائتلافية والتي لم تستمر سوي أربعة أشهر أنها ولدت ميتة، ومن قبل تشكيل حكومة يلماز الائتلافية مع تشيلير عدوته اللدود، وكان

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

لم يكن هناك مفر من تكليف “ نجم الدين أربكان ” بتشكيل الحكومة حتي لا تتم الدعوة إلي انتخابات برلمانية جديدة سوف يحصل فيها “ الرفاه ” علي الأغلبية كما تشير مؤشرات الصعود التصويتي له فقد جرت انتخابات محلية فرعية في 1996/6/2 حصل فيها الرفاه علي 34% من الأصوات بينما تراجعت حظوظ كل من حزبي اليمين “ الطريق القويم ” والوطن الأم بنسبة 4%، وبعد مفاوضات استغرقت عشرين يوماً مع رؤساء الأحزاب السياسية تم التوصل إلي اتفاق بين “ أربكان ” و “ طانسو تشيلر ” زعيمة حزب “ الطريق المستقيم ” لتشكيل الحكومة الرابعة والخمسين في عصر الجمهورية التركية.

أي أن الظروف السياسية التي وصل فيها “ الرفاه ” إلي السلطة كانت في غاية التعقيد، فهناك رفض من المؤسسات العلمانية لوصول حزب له توجهات إسلامية حقيقية وقوية ليقتمم القلعة من الداخل - والمقصود هنا القلعة العلمانية التي بناها “ أتاتورك ” وأحاطها - هو وخلفه - بمؤسسات متتالية كالأسوار حول المعصم تحول دون تعرض هذه القلعة للاقتحام من جانب

“ أربكان ” قد حاول مرتين تشكيل حكومة باعتباره أكبر الأحزاب في البرلمان (158 صوتاً) ولكن ضغوط العسكر منعت الأحزاب اليمينية من التعاون معه، وكانت حكومة يلماز الائتلافية قبل تشكيل الرفاه لحكومته الرابعة والخمسين تشكلت بين خصمين لدودين بضغوط من العسكر لمنع الرفاه من المجئ إلي السلطة. وراجع في كل هذه التفصيلات: كمال خوجه، **جريدة المسلمون**، لندن، 1996/7/19 وأيضاً محمد نور الدين، قبعة وعمامة، م. س. د، ص 87، وجلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م. س. د، ص 56، حيث يشير إلي أن “ تشيلر ” صرحت أنها قدمت تنازلات لتشكيل الحكومة مع الوطن الأم من أجل قطع الطريق علي الرفاه الإسلامي للوصول إلي السلطة. ويوسف إبراهيم الجهماني، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، الإسلام السياسي الجديد، بدون بيانات نشر، ص 73 حيث يشير إلي أن ائتلاف حكومة يلماز الثالثة والخمسين حصل علي 257 صوتاً فقط، ص 73.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

الإسلاميين أعداء الجمهورية والعلمانية كما يري ممثلو “ الأيديولوجية الكمالية “، وهناك حملة إعلامية قوية علي “ حزب الرفاه “ من الصحافة العلمانية وهناك حديث عن “ انقلاب عسكري “ وشيك، وهناك حديث عن الخطر الأصولي باعتباره الخطر الأول الذي يهدد الأمن القومي التركي من جانب المؤسسة العسكرية ورموزها.

رغم ذلك بدا “ حزب الرفاه “ أكثر تمسكا بالدفاع عن المؤسسة والدستور والديموقراطية ومقاومة الفساد⁽¹⁾.

ففي تصريح “ لأحمد تكدال “ نائب رئيس الحزب قال “ إذا كانت تركيا تتمتع بالديموقراطية فلا يمكن تجاهل الرفاه بصفته أكبر حزب سياسي ممثل في البرلمان “⁽²⁾، وفي صحيفة “ ميللت “ ذكر رئيس تحريرها “ كونكور فيكي “ أن مبادرة “ الرفاه “ إلي طرح قضية الانتهاكات المالية والقانونية ستزيد من شعبيته وتجعل منه في نظر الشعب

(1) عن الظروف المحيطة بتشكيل حكومة الرفاه الإنتلافية راجع: يوسف إبراهيم الجهماني، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، م. س. ذ، ص 76 - 84 وحزمة متنوعة من المقالات والأخبار مثلا المسلمون، برغم تطمينات أربكان فإنه لايزال يثير قلق الغرب، 1996/7/19، والعالم اليوم، مع صعود الأصولية في تركيا، واشنطن تفضل النوم في العسل والحياة، تشيلر تجدد دعوتها إلي ائتلاف علماني ولا تقفل الأبواب أمام اتفاق مع الرفاه، 1996/6/12، الشرق الأوسط، حمزة الحسن، تباشير الانقلاب والحرب، 1996/6/22 م، والشرق الأوسط، انقلاب أبيض نفذه العسكر ضد التفاهم بين الرفاه وتشيلر، 1996/6/27 والشرق الأوسط، الصراع يشتد بين دعاة الإجهاز علي الرفاه والمنادين باحتوائه في الحكم التركي، والشرق الأوسط، دوائر يهودية وإسرائيلية تري في الرفاه التركي ضماناً للعلمانية، والحياة تركيا حزب يميني متطرف يضع شروطاً لمنح الائتلاف الحكومي ثقتة 1996/7/4 والحياة تركيا: التنافس علي أصوات النواب علي أشده عشية جلسة الثقة وبعضهم تلقى عروضاً سخية فيما عرف بسوق حقيقة للنواب حيث خصصت مبالغ تراوحت بين مليون إلي 35 مليون دولار لتمويل الانشقاقات.

(2) الشرق الأوسط، 1996/6/1.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

المدافع الأقوي عن الديمقراطية والحريات العامة بعكس الأحزاب التقليدية التي تتستر علي هذه الانتهاكات حماية لنفسها وأعوانها.

وفازت حكومة " أربكان " بثقة البرلمان بصعوبة بعد أن صوت حزب الوحدة الكبرى " ذو التوجهات الإسلامية " بزعامة " محسن يازجي أو غلو " مكرها حتي لا يقال أنه وقف عائقا أمام وصول الإسلاميين إلي الحكم - لصالح الحكومة الائتلافية الجديدة⁽¹⁾، كما أن الحكومة الائتلافية جعلت من حزب " تشيلر " رقيباً علمانياً قويا علي حكومة " أربكان " بحيث لن يمكنه أن يطلق يده كما يريد في تنفيذ برنامجه، إذ كان عليه أن يحصل علي موافقة تشيلر أولاً قبل أن ينفذ أي قرار كرئيس للحكومة، والذي يدقق في توزيع الحقائق الوزاريه يلاحظ أن وزارات السيادة في يد حزب تشيلر⁽²⁾ فهي نائب رئيس الوزراء ووزيرة الخارجية، ولحزبها وزارة الدفاع والداخلية ووزارة التعليم (التي حرص الرفاه عليها في ائتلافاته السابقة في السبعينيات) ووزارة الصناعة

(1) فازت الحكومة الائتلافية بثقة 278 صوتاً وهي أزيد بصوتين فقط من النسبة التي تتيح لها تشكيل الحكومة مقابل 265 صوتاً معارضا ومن هنا كانت أهمية الأصوات التي منحها حزب الوحدة الكبرى للائتلاف وعددها ثمانية مقاعد مع وعد له بمقعدين في الحكومة. وامتنع خمسة أعضاء عن التصويت ولم يحضر أصلاً للتصويت الجنرال " دوجان جوريش " النائب الوحيد ذو الخلفية العسكرية في البرلمان التركي وهو ما أشار إلي ترقب المؤسسة العسكرية للتطورات الجارية غير المرغوب فيها من جانبها وراجع أحمد السيد تركي، الأحزاب العلمانية في تركيا، السياسة الدولية، يناير 1998، ع 131 م. س. ذ، ص 149.

(2) جلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م. س. ذ، ص 64 واتفق علي أن يتولي " أربكان " رئاسة الوزراء لمدة عامين تعقبه بعدها تشيلر لمدة عامين التالين ويجري التحقق من مسيرة الائتلاف بعد عام بحيث لو حدثت صعوبات فإنه يمكن لتشيلر تولي رئاسة الوزراء بعد عام. كان " أربكان " مصرّاً علي المشاركة في الحكومة والسلطة من أجل كسر الممنوعات في السياسة التركية العلمانية والتي تحظر علي الإسلاميين الاشتراك فيها بينما كان الجيل الأقل سناً يفضل التريث في الاشتراك في السلطة حتي لا يكتوي الرفاه بنارها وتقوم قيادة العلمانية التركية ويتم التركيز علي التأسيس الاجتماعي بين الجماهير والناس لفترة أطول.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

والتجارة بل وحتى وزارة الشؤون الدينية، أما الطاقة والمالية والعدل والإسكان والمرافق فهي للرفاه والباقي وزراء دولة (10 للرفاه)، و(9 لحزب الطريق المستقيم).

توزيع الحقائب الوزارية بين الرفاه RF والطريق القويم DYP⁽¹⁾

أهم الحقائب الوزارية	أعضاء الحكومة	الحزب
رئيس الوزراء	نجم الدين أربكان	الرفاه RF
نائب رئيس الوزراء ووزيرة الخارجية	تانسو تشيلر	الطريق الصحيح DYP
وزير الدفاع	تورهان تايان	الطريق الصحيح
وزير الداخلية	محمد أغار	الطريق الصحيح
وزير التعليم	محمد سجلام	الطريق الصحيح
وزير الصناعة والتجارة	ياليم أريز	الطريق الصحيح
وزير الصحة	يلديرم أقتونا	الطريق الصحيح
وزير السياحة	بوهاتين بوسيل	الطريق الصحيح
وزير الأحياء	هاليت دغلي	الطريق الصحيح
وزير الطاقة والمصادر الطبيعية	رجائي قوطان	الرفاه
وزير المالية	عبد اللطيف شينر	الرفاه
وزير العدل	شوكت قازان	الرفاه

(1) هذا الجدول قمنا بتوليئه من عدة مصادر هي جلال معوض، صناعة القرار في تركيا و يوسف إبراهيم الجهماني، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، الإسلام السياسي الجديد ولكنهما معاً لم يتضمنا معلومات محددة عن كل الوزارات كما هي هنا وقد استعنا بالسيد حسن بتماز أحد قيادات حزب السعادة، كان في زيارة للقاهرة لحضور مؤتمر لا للعدوان الأمريكي علي العراق وفلسطين في أواخر شهر مارس 2006 م.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

الرفاه	جودت إيهان	وزير الإسكان والأشغال العامة
الرفاه	إسماعيل كهرمان	وزير الثقافة
الرفاه	موسي دمرسي	وزير الزراعة
الرفاه	زياد الدين توكار	وزير البيئة
الرفاه	نسائي سليك	وزير العمل
الرفاه	فهيم أداك	وزراء دولة

إننا أمام قلعة العلمانية التي تشعر بخطر الاختراق الإسلامي القادم، وكان هناك اتفاق أن يتولي “أربكان” رئاسة الحكومة لمدة عامين يخلفه بعدها بالتبادل “تشيلر”، ورغم هذه المخاطر فقد استطاعت حكومة “الرفاه” أن تثبت للأنواء والعواصف المحيطة بها علي النحو التالي:

1 - دشن “ الرفاه ” برنامجاً اقتصادياً مهماً لإنقاذ البلاد من براثن

الديون فميزانية الدولة كانت 48 مليار دولار تم رفعها خلال ستة أشهر إلي 53 مليار دولار ثم إلي 78 مليار دولار قبل أن يغادر “الرفاه” السلطة، واستطاع الرفاه “خصخصة عدد من البنوك والشركات للقطاع الخاص وأولها الهاتف التركي، وهو ماوفر سيولة مالية كبيرة للدولة التي تخلصت من الخسائر التي كانت تستنزف من موارد الدولة وباعت الحكومة مايقارب من خمسين ألف دار حكومية يسكنها موظفون بأجور رمزية، كما باعت مخصصات كبار الموظفين الذي اعتبرته ترفاً لا يمكن لدولة مثل تركيا أن تتحمله وتم تقليص النفقات والمصاريف والهدر الحكومي.

فقد تبين أن هناك مئات الآلاف من الموظفين الذين توجد في غرفهم تلفزيون وشرائط وفيديو فأمر “أربكان” ببيعها وتحويلها لخزانة الدولة، ومنع مصروفات التهاني والإعلانات في المناسبات العامة والتي بلغت أرقاماً خيالية، ومنع الزائد من السيارات وغيرها من النفقات التي لا معني

لها.

ومنع الاستدانة من الخارج وهو ما قلل الفوائد التي كانت نسبتها تصل إلى 150% وبينما كان مقرراً أن تدفع تركيا 24 مليار دولار فوائد فإنها حافظت على 10 مليار دولار من هذه القيمة، وتم توجيه قدرات الدولة الاقتصادية لصالح الطبقات الفقيرة من الحرفيين والموظفين والعمال والمتقاعدين وأصحاب الدخل الضعيفة ورغم أن الدولة لم ترفع الضرائب فإنها زادت ما قيمته 5 مليار دولار في ستة أشهر.

وتم توفير ميزانية متوازنة للبلاد في عام 1996 لأول مرة منذ خمسين عاماً حيث تراجع العجز في الميزانية إلى الصفر، وتم تسخير ميزانية معقولة للبلاد في شهري يناير وفبراير قبل ملاحقة الحزب من العسكر والمؤسسات القانونية وتم رفع رواتب الموظفين بما يتراوح بين 50% و 135% اعتباراً من الشهر التالي لتولي “ الرفاه “ السلطة، وإعفاء الحد الأدنى للأجور من الضرائب وإعفاء المزارعين من فوائد الديون وتأجيل المطالبة بديونهم والوعد بزيادة إضافية لرجال الأمن والقوات المسلحة والقضاة وأساتذة الجامعات لخطورة مهامهم وأهميتها.

ورفعت الدولة أسعار تذاكر الطيران الداخلي، وفرضت الضريبة على المتعاملين بالأوراق المالية وسندات الخزينة وقال “ عبد الله جول “ إن البنوك ربحت في العام الماضي 45 مليار دولار، وأنه للدولة أن تأخذ الثلث من هذه الأرباح، وهبطت الفوائد في البنوك وهو ما يشجع على مقاومة التضخم، وطالبت الحكومة الاتحاد الأوروبي بالوفاء بالتزاماته تجاه تركيا كدولة عضو في الاتحاد الجمركي الأوروبي وهو ما يعني حصولها على 600 مليون دولار. وتشير المعلومات إلى أن مستوى الخصخصة في الشهور التي تولى فيها “ الرفاه “ السلطة لم يحدث مثلها في العشر

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

سنوات السابقة⁽¹⁾.

2 - أصدر وزير العدل " شوكت قازان " قراراً بإلغاء قرار وزير العدل السابق " محمد أغار " عن حزب الطريق القويم " والذي يقضي بمنع الزيارة الخاصة عن السجناء السياسيين ومعاملتهم بقسوة وهو مآدي إلي إضراب السجناء في 54 سجنأ في أنحاء تركيا عن الطعام حتي الموت أو الاستجابة لمطالبهم بتوفير الحياة الإنسانية الكريمة لهم مع السماح لعوائلهم بزيارتهم.

وقال " شوكت قازان " إن السجناء هم إخواننا وأنا سوف نقوم بمعاملتهم المعاملة الإنسانية اللائقة بهم مع توفير المأكل والمأوي المريح والمطالعة في قاعاتهم التي يجب أن لا تضم أكثر من 10 أشخاص، ورجاهم الوزير إنهاء إضرابهم عن الطعام والعودة للحياة الطبيعية، وأنهي نصف المضربين في السجون إضرابهم، ثم أنهي الباقيون جميعهم الإضراب بعد يومين، ولاقت هذه الخطوة استحسان الجمعيات الحقوقية التركية واعتبرت أحد مصادر التفاؤل لدي الشعب بانحياز الحكومة للفقراء والمستضعفين وأنها جادة في الوفاء ببرنامجه⁽¹⁾.

3 - إعادة المهجرين من المناطق الشرقية بسبب المواجهات

(1) صباح الدين أوتشار، أريكان والتيار الإسلامي، ترجمة الصفصافي أحمد، القاهرة، إيتراك للنشر والتوزيع، 2003، ط1، حيث ذكر أكثر من 35 إنجازا خدميا واقتصاديا إيجابيا للمواطنين، ص 285 - 291 وأيضاً: أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س. ذ، ص 11 وأيضاً وثيقة ماذا يعني فكر الأمة؟ وهي صادرة عن حزب السعادة اليوم وتحدثت عن إنجازات حكومة الرفاه الرابعة والخمسين، بدون ترقيم للصفحات. وفي النسخة الورقية التي حصلنا عليها راجع ص 13 - 18.

(1) قرارات الحكومة التركية الجديدة ترفع من شعبية حزب الرفاه، الشرق الأوسط، 1996/7/11 وعن السجن التركي الفظيع راجع محمد خليفة، عن السجن التركي الملعون، الحياة، 1996/8/20.

العسكرية بين الجيش وحزب العمال الكردي PKK - إلي منازلهم بعد اتفاق بين “ أربكان “ وبين رئيس أركان الجيش وأعلن “ أربكان “ أن قائد الجيش تعهد بالحفاظ علي أمن المواطنين الذين يرغبون بالعودة إلي بيوتهم وتعهد “ أربكان “ بتحمل الدولة لنفقات ترميم المساكن التي تضررت بسبب المواجهات العسكرية في المنطقة.

ودعا “ أربكان “ إلي تدشين حملة التصنيع والاستثمار في المنطقة الشرقية من كبار رجال المال والصناعة، وهو ما يعني أن “ الرفاه “ كان يأمل في الاستمرار في السلطة لاستكمال مشاريعه الاجتماعية والصناعية التي تحقق الأمن والأمان للمواطنين وتتنزع فتيل التوتر المناطقي والعرقي في تركيا مع الأكراد علي وجه الخصوص.

وضمت الحكومة عددا من المنتمين للمناطق الشرقية في تركيا وغالبهم من وزراء الخدمات وكان هدف الحكومة من ذلك هو نزع الأسباب التي تقود الشباب الكردي إلي الانخراط في صفوف حزب العمال الذي يقوده “ عبد الله أوجلان “.

وأعلن “ أربكان “ عن توفير 90 ألف فرصة عمل شاغرة في تلك المناطق وقال أربكان “ في هذا الصدد “ أن الأوان لإعادة فتح القرى المهجورة لتحسن الأوضاع الأمنية “ وقال “ نريد أن يعيش الناس ويعملوا في مناطقهم “ وذكر أحد المعلقين الأتراك معلقا علي خطط الرفاه لإعادة سكان المنطقة الشرقية إلي بلدانهم “ الرفاه جاء إلي السلطة مفعما بالطاقة، وهم حريصون علي عمل أشياء تزيد من شعبيتهم في الجنوب الشرقي، وهذا في حد ذاته يحسن الوضع مقارنة مع جمود الحكومة السابقة، وأيدت رابطة حقوق الإنسان المستقلة “ الرفاه “ في عزمه تحسين أوضاع هذه

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

المناطق المهمشة والفقيرة⁽¹⁾.

4 - سعي " أربكان " إلي وضع أسس لحل المشكلة الكردية وذلك بطرح خيار الحل السلمي لها عن طريق التفاوض وتأسيساً علي مبدأ الأخوة الإسلامية

“إنما المؤمنون أخوة“ الذي وضعه برنامج الحزب “ النظام العادل “ فسعي إلي إقامة اتصالات غير مباشرة مع الزعيم الكردي “ عبد الله أوجلان “ لإقناعه بإلقاء السلاح ووقف العمليات ضد الجيش التركي والتي تستنزف نصف ميزانية الدولة سنوياً، وحل المشكلة الكردية في سياق ديموقراطي بعيداً عن المواجهة العسكرية أو الانفصال.

وساند “ أربكان “ في توجهاته 126 من رجال الأعمال الأتراك الكبار الذين أبدوا استعدادهم لتأسيس شركات باستثمارات كبيرة لتنمية منطقة جنوب شرقي البلاد، واتصل “ أربكان “ في سبيل تحقيق السلام بمناطق الأكراد بالكاتب الكردي الإسلامي “ إسماعيل ناجار “ المتحدث باسم “ لجنة السلام والأخوة والتضامن “ التي تضم كافة النواب الممثلين للمنطقة الكردية، كما اتصل بمتقنين وأساتذة جامعات ومتخصصين في الشأن الكردي مثل البروفسور “ دوغو أركيل “.

وعبر الاتصالات غير المباشرة والتي دشنها الرفاه “ مع “ أوجلان “ أبدي استعداداً للحل السلمي وقال “ إنني مع الحل السلمي حتي من خلال الضوء الضعيف الأخضر الذي يبدو من خرم الإبرة “، وزار المعنيون

(1) تركيا: أربكان يزور قونيا معقل الإسلاميين ويتعهد بإعادة المشردين الأكراد إلي قراهم، الحياة، 1996/7/13 م. وأربكان يزور مناطق الأكراد لتشجيعهم علي عودة المهجرين إلي قراهم، 1996/7/14 ورئيس الوزراء التركي يتحرك لاحتواء حزب العمال الكردي، الشرق الأوسط 1996/7/15.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

بالحل السياسي لمشكلة الأكراد بموافقة وزير العدل الرفاهي “ شوكت قازان “ في السجن “ مراد بوزلاق “ رئيس حزب الديموقراطيين الأحرار ومعه 28 بتهمة التواطؤ مع “ حزب العمال الكردي “ وذلك لطرح صيغة ديموقراطية وسلمية وإنسانية للمشكلة الكردية المزمنة في تركيا⁽¹⁾.

5 - دشنت حكومة “ الرفاه “ عدداً من المشاريع الكبيرة والعلاقة في قطاعات حيوية مثل الطاقة والمواصلات، والمناطق الحرة، وكانت تخطط لإنفاق 120 مليار دولار لتحقيق هدف “ تركيا عظيمة “ وكانت الغرفة التجارية في “ أنقرة “ - وهي جهة محايدة نشرت دراسة اقتصادية أفادت أن حكومة “ الرفاه “ الرابعة والخمسين هي الأكثر نجاحاً من الناحية الاقتصادية منذ عام 1983 م وحتى عام 2002 م⁽¹⁾.

الإنجاز الاقتصادي لحكومة الرفاه مقارناً بالحكومات التركية منذ عام 1983 م

ترتيب النجاح	الحكومة	عدد النقاط

(1) أربكان يبدأ اتصالات غير مباشرة مع أوغلان، الشرق الأوسط 1996/8/5، وكما هو معلوم فإن المشكلة الكردية تأخذ بعدا عسكريا متفاقما منذ إعلان حزب العمال الكردي عام 1984م بدء الكفاح المسلح ضد الدولة الكمالية والمطالبة باستقلال كردستان تركيا وتشير تقديرات الضحايا إلى نحو 30 ألف قتيل و10 مليار دولار سنويا. وبعد حرب الخليج الثانية تزايدت المشكلة تفاقما مع الحديث عن نواة لدولة كردية في العراق يمكن أن تهدد أمن تركيا خاصة إذا علمنا أن عدد الأكراد في تركيا يبلغ حوالي 12 مليون نسمة وفق التقديرات الرسمية بينما تصل بها التقديرات غير الرسمية إلى 18 مليون.

(1) أربكان، وثيقة ماذا يعني فكر الأمة؟ نقلنا عنها الإنجازات الاقتصادية للرفاه والجدول المرفق. وقد تمكنا من الحصول علي نسخة ورقية، نجم الدين أربكان، المؤتمر الكبير 2003، أنقرة: بلغ

ص 13 - 18.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

37	حكومة " نجم الدين أربكان " الرابعة والخمسين	1 -
39	حكومة يلدرم آق بلوط السابعة والأربعين	2 -
40	حكومة تورغوت أوزال " الخامسة والأربعين	3 -
51	حكومة تورغوت أوزال السادسة والأربعين	4 -
52	حكومة سليمان ديميريل التاسعة والأربعين	5 -
53	حكومة مسعود يلماز الخامسة والخمسين	6 -
61	حكومة بولنت أجاويد السابعة والخمسين الأولى	7 -
75	حكومة تانسو شيلر الخمسين	8 -
81	حكومة بولنت أجاويد السابعة والخمسين " كمال درويش "	9 -

المصدر: نجم الدين أربكان، المؤتمر الكبير 2003، حزب السعادة،

ص17

6 - سعت حكومة " أربكان " إلى تحسين علاقتها بالعالم العربي

والإسلامي ومن هنا كان أول عمل قام به هو زيارة " إيران وباكستان وأندونيسيا وماليزيا ومصر وليبيا ونيجيريا وذلك لتحقيق حلمه الكبير بإقامة " منظمة اتحاد الدول الإسلامية " و " منظمة الدول الإسلامية للتعاون الاقتصادي " و " منظمة الدول الإسلامية للتعاون الثقافي ".

وفي الأيام الأخيرة من عمر حكومته الانتلافية أعلن رسمياً عن ميلاد رابطة الدول الإسلامية الثمانية (D8) في قصر " شيريفان " في اسطنبول بتاريخ 15 يونية عام 1997 م⁽¹⁾، وكان العلم الذي يمثل

(1) هذه الدول هي تركيا ومصر وباكستان وإيران وبنغلاديش ونيجيريا وماليزيا وأندونيسيا، وفي كل حواراتنا مع قادة الرفاه كان الحديث عن تأسيس سياسة خارجية تستند إلى التوحد مع العالم الإسلامي انطلاقاً من مفهوم الأمة الإسلامية عن طريق الأمم المتحدة الإسلامية والسوق الإسلامية المشتركة والجيش الإسلامي المشترك ومشروع العملة الإسلامية المشتركة " الدينار الإسلامي " ومنظمة الدول الإسلامية للتعاون الثقافي مثلاً حوارنا مع شوكت قازان وزير العدل التركي في حكومة الرفاه حيث أشار إلى أهمية ذلك.

مجموعة الدول الثمانية الإسلامية يحتوي علي ستة نجوم تشير إلي ستة مبادئ وهي: لا للحرب نعم للسلام، لا للصراع نعم للحوار، لا للمعايير المزدوجة نعم للعدالة، لا للاستعمار نعم للتعاون، لا للاستكبار نعم للمساواة، نعم لحقوق الإنسان⁽²⁾.

وبشكل عام فإن السياسة الخارجية التي يمثلها فكر " الملي جوروش " تعبر عن ضرورة زيادة ثقل تركيا في الدائرة الإسلامية، الدول العربية والقوقاز والبلقان وبقية الدول الإسلامية وتطوير التعاون معها وخاصة دول الجوار (سوريا وإيران)، وذلك في مواجهة الرؤية الأتاتوركية العلمانية التي تعتمد علي تعزيز العلاقات مع الغرب وإسرائيل الذي يرفضها " أربكان " رفضاً مطلقاً منذ تأسيسه لأول حزب له وهو حزب النظام⁽¹⁾.

ومع مجئ " أربكان " إلي السلطة فإن التوجه التركي ناحية العالم العربي والإسلامي قد وجد لنفسه موطأ قدم قوي في السياسة الخارجية التركية التي ظلت احتكاراً للتوجهات الغربية المراهنة علي العالم الغربي⁽²⁾ ووفق استطلاع للرأي أجرته وكالة المعلومات الأمريكية سنة

(2) نجم الدين أربكان، وثيقة ماذا يعني فكر الأمة؟ م. س. ذ، ص 38 وهي الكلمة التي ألقاها نجم الدين أربكان في المؤتمر الأول الكبير لحزب السعادة عام 2003 وكانت بعنوان ماذا يعني فكر الأمة واستطعنا الحصول عليها مكتوبة بالإضافة إلي النسخة الإلكترونية.

(1) وعن السياسة الخارجية للرفاه ورفضه المطلق لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي وموقفه الحاد من إسرائيل و أمريكا والغرب راجع محمد نور الدين، قبة وعمامة، م. س. ذ، ص 76 - 83.
(2) خورشيد دلي، تركيا و قضايا السياسة الخارجية التركية، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1999 م، نسخة إلكترونية حيث يشير إلي أن فئات واسعة من النخبة الفكرية والسياسية والعسكرية في المجتمع التركي تري أن الاتجاه نحو المنطقة العربية لا يجب أن يقتصر علي ما تحدده الاستراتيجية الغربية لأن ذلك يضعف الدور التركي ولا يقويه ويجعله تابعا وعميلاً، ص 40.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

1996 م أفاد 47% من العينة أنهم يعتبرون تركيا جزءاً من المجموعة الإسلامية و 27 % اعتبروها جزءاً من أوروبا و 15% يقولون بالهويتين معاً⁽³⁾.

7 - وقعت حكومة " أربكان " الائتلافية علي معاهدة عسكرية مع إسرائيل بشأن تجديد وتصلح طائرات F14 وإجراء مناورات عسكرية مشتركة وكان ذلك بضغوط أمريكية حيث رفضت " أمريكا " تزويد تركيا بقطع غيار الطائرات إلا عن طريق التفاوض مع إسرائيل، وكانت الوزارتان اللتان قامتا بتدشين هذا الاتفاق هما وزارة الدفاع والخارجية من نصيب الحزب العلماني المشارك في الائتلاف.

ولم يكن بوسع " أربكان " أن يفعل شيئاً حسب البروتوكول الموقع بين الحزبين، كما أن المؤسسة العسكرية القوية كانت تدعم مثل هذا الاتفاق ومن ثم لم يكن بإمكان " الرفاه " أن يعترض أو يوقف الاتفاق⁽¹⁾.

ولإحراج " الرفاه " عمد العسكر إلي تدشين سلسلة من الاتفاقات مع إسرائيل عسكرية واقتصادية بل إن وزير الدفاع التركي " تورهان تايان " ذكر أن اتفاق التدريب العسكري بين تركيا وإسرائيل يحظي بدعم " أربكان " وأعضاء حزب " الرفاه " في البرلمان، وحين زار وزير

(2) نفس المرجع، ص 15.

(1) أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س. ذ، ص 12 وهو أشار إلي أن حكومة تشيلر الثانية والخمسين هي التي وقعت معاهدة التعاون العسكري بين إسرائيل وتركيا، ونصبت أمريكا فخ التوقيع علي تجديد وإصلاح هذه الطائرات في عهد حكومة الرفاه الائتلافية لتلويث صورة الرفاه، ولكن قياديا في حزب السعادة كان في الرفاه أكد لي أن " أربكان " نفسه لم يوقع علي أي معاهدات مع الكيان الصهيوني، ويشير إبراهيم الجهماني إلي أن " أربكان " عبر عن امتعاضه الشديد من العلاقات بين تركيا والدولة العبرية واعتبر أن لإسرائيل أطماعا توسعية في تركيا، ص 91.

الخارجية الإسرائيلية - أربكان " ديفيد ليفي " أنقرة في إبريل عام 1997م أرغم " أربكان " علي مقابلاته ولكنه لم يناقشه في موضوع زيارته، وإنما تطرق لتذكيره بأهمية القدس للعالم الإسلامي، و وضعت خطة من وراء ظهره اسمها " تقدير المخاطر " لتقدير المخاطر المحتملة من سوريا وإيران ضد تركيا وإسرائيل⁽²⁾.

ومثل تدافع قيادات الجيش التركي تجاه اتفاقيات التعاون العسكري مع إسرائيل والتوقيع عليها دون علم " أربكان " أو بعلمه وصمته نوعاً من الضغط عليه وإحراجه أمام قواعد حزبه، و كان ذلك أحد الأسباب المهمة للتساؤل في الشارع التركي خاصة من الاتجاهات الإسلامية المتعددة التي يزخر بها الواقع الإسلامي، كما كانت أحد نقاط الضعف المهمة التي أثارها الإسلاميون المختلفون مع توجهات حزب الرفاه.

لكن " أربكان " حاول قدر جهده أن يضع الفرامل في طريق العلاقات التركية - الإسرائيلية بتأجيل توقيع الاتفاق مع تل أبيب بشأن التعاون بين الصناعات الأمنية بين البلدين، ورفض طلباً لرئيس الوزراء الصهيوني " نتنياهو " للقاء به، ولم يرد علي رسالة التهنئة التي بعث بها إليه بمناسبة تنصيبه رئيساً للوزراء. وبدأ " أربكان " ييثر خطاباً سياسياً جديداً في الأوساط السياسية والعسكرية التركية حول إسرائيل ودورها السلبي في استقرار الشرق الأوسط وأنها أساس عدم الاستقرار في المنطقة⁽¹⁾.

وبشكل عام فإن " الرفاه " في سياسته الخارجية مثل إرادة تركية

(2) رضا هلال، السيف والهلال، تركيا من أتاتورك إلي أربكان، م. س. ذ، ص 179 - 183 وهو أورد ردوداً لعبد الله جول حول العلاقة مع إسرائيل يؤكد ما ذكر من أن الاتفاقية وقعت قبل مجئ الرفاه، وتخلي أمريكا عن التعاون مع تركيا إلا عن طريق إسرائيل.

(1) ياسر الزعائرة، قراءة في إجابات أربكان علي امتحانه الأول، الحياة 1996/8/30.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

جديدة لوصول ماقطعه العلمانيون مع العالم العربي خاصة والإسلامي عامة بحيث تكون تركيا كدولة مسلمة إضافة لمجمل قوة العالم العربي والإسلامي وليست خصماً منه .

8 - لم تستطع الدوائر العلمانية في تركيا استمرار تحمل " أربكان " كرئيس وزراء لحزب ذي توجه إسلامي ومن هنا لجأت قيادات العسكر إلي مؤسسات النظام العلماني الذي يجعل من العسكر هم أصحاب اليد الطولي في النظام رغم أنهم وفق الدستور التركي ممنوعون من ممارسة السياسة.

وبحجة أن " الرفاه " والأصوليين وفق تعبير العسكريين تغلغلوا في مؤسسات الدولة بما يهدد التوجه العلماني لها فإنهم قرروا عمل انقلاب مؤسسي أو عصري أو ما يمكن أن نطلق عليه " الانقلاب اللطيف " أو كما يعرف في الأدبيات التركية " بانقلاب مابعد الحداثة "، حيث اجتمع مجلس الأمن القومي التركي الذي يتكون من رئيس الأركان وقادة الأفرع المختلفة للقوات المسلحة التركية وقرر رفع مذكرة إلي رئاسة الوزراء بتوصيات 18 لا بد للحكومة من تنفيذها وهذه التوصيات تصبح ملزمة للحكومة إذا

وافقت الأغلبية عليها حضر هذا الاجتماع " سليمان ديميريل " رئيس الدولة، و " نجم الدين أربكان " رئيس الوزراء ومساعدته " طانسو تشيلر " وهي وزيرة الخارجية، ووزيرا الدفاع والداخلية ورئيس الأركان والقادة الأربعة في الجيش ورئيس المخابرات العامة، وتمت الموافقة علي التوصيات من الجميع ما عدا " أربكان " ومن ثم تم اتخاذ القرار وعلي

الحكومة أن تقوم بتنفيذه⁽¹⁾. ظل "أربكان" لا يوقع علي القرار لمدة خمسة أيام زار فيها رؤساء الأحزاب طالباً منهم العون والوقوف معه حماية للديموقراطية التركية من تدخل الجيش والضغط علي الحكومة ولكن لم يستجب لدعوته أحد منهم، فكل الأحزاب اعتبرت أن "الرفاه" في المصيدة الآن ولا بد من الإجهاز عليه⁽²⁾.

واضطر "أربكان" إلي التوقيع موضحاً أمام قواعد حزبه والقوي الاجتماعية المساندة له أنها مسألة بروتوكولية وأن أمر سن القوانين والتشريع هــو بـيـد
 "البرلمان" وأن الحكومة مسئولة فقط أمام البرلمان⁽³⁾، ولكن قوة الدولة التركية بمؤسساتها العلمانية لا يمكن مقاومتها، وهنا لا بد من الإشارة إلي الاجراءات التي طلبها "مجلس الأمن القومي" من الحكومة فهي تبين طبيعة الصراع علي القضايا والأفكار في المجتمع التركي وتمثل عمق أزمة الهوية وتجادبها بين التيار العلماني الذي يمثلته العسكر والمشاركين

(1) عن التفاصيل راجع: جلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م. س. ذ، ص 72 ومابعدھا
 ورضا هلال، السيف والهلال، م. س. ذ، ص 193 ومابعدھا وطارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، ص 130 131.

(2) وهذه أحد مكامن الضعف في الديموقراطية التركية المرتھنة لضغوط العسكر والمؤسسات العلمانية التي تمسك بخناق الدولة التركية، وأحد المشكلات المهمة للنظام الحزبي في تركيا تتمثل في أنه صنعية العسكر فهم صانعوه ومن ثم يتحكمون فيه، والمحاولات المتعددة للأحزاب العلمانية للتخلص من ضغوط العسكر لم تفلح كما حدث مع وزارة "يلماز" الخامسة والخمسين والتي رضخت لمطالب العسكر في خططهم لمحاربة الإسلاميين.

(3) كان "أربكان" هنا يحاول استعادة الأرض التي اغتصبها العسكر من المؤسسات السياسية التركية، فالحكومة كما هو في أي ديموقراطية مسئولة أمام البرلمان وليست أمام أي جهة أخرى تملي التوصيات وتصبح أوامر لا يمكن عصيانها، ومن هنا ففكرة الصراع بين الإسلاميين والعسكر هو في الواقع صراع حول الدولة ومشروعيتها وطريقة إدارتها بحيث يعود العسكر إلي وضعهم الطبيعي الذي يقرره لهم الدستور بعدم التدخل في السياسة وكما أراده "أتاتورك" نفسه وليست فقط مجرد صراع إسلامي - علماني.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

ففي الأثناء تلاف مع
" أربكان " وبين توجهات أربكان " الإسلامية هذه الاجراءات هي:

1/8 - إن مبدأ العلمانية المنصوص عليه في المادة الرابعة من الدستور والذي يعتبر من المبادئ التي استقرت في دستور الجمهورية، يجب أن يحمي بكل دقة وعناية وخصوصية، ويجب أن يطبق دون أي تعديل أو تمييز في القوانين الموضوعة لحمايته وإذا ما تبين أن القوانين الموجودة غير كافية عند التطبيق فيجب أن تجري تنظيمات جديدة بهذا الصدد.

2/8 - إن بيوت الإسكان المرتبطة بالطرق الصوفية والأوقاف والمدارس يجب أن يتم انتقالها إلى إشراف وزارة التعليم القومي وفقاً لقانون
"توحيد التدريس" وأن توضع تحت رقابة التنظيمات المختصة في الدولة.

3/8 - ومن أجل شحن أدمغة الأجيال الشابة مسبقاً بحب الوطن والأمة وأتاتورك والجمهورية ومن أجل تعليمهم الحقائق المجردة بهدف التعرف علي وسائل النظم الحضارية المعاصرة للأمة التركية ومن أجل حماية هذه الأجيال من تأثير شتي التيارات المتصارعة يجب اتخاذ التدابير التالية:

أ- يجب أن يتم تطبيق نظام التعليم الموحد في ثمان سنوات في كل ربوع الوطن وأن يكون هذا ملزماً وإلزامياً.

ب- يجب أن تتخذ كافة التدابير التنظيمية والقانونية والإدارية اللازمة لإظهار وإبداء السيطرة والمسئولية والفاعلية لوزارة التعليم القومي علي

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

دورات ومجموعات تحفيظ القرآن والتي سيستمر فيها الصبيان الذين أتموا التعليم الأساسي وأن يكون ذلك رهنا برغبة أسرة الصبي ذاتها.

4/8 - إن مؤسساتنا التعليمية القومية المنوط بها تنشئة رجال الدين التنويريين والملتزمين بالنظام الجمهوري والمبادئ والانقلابات الكمالية يجب أن تظل مرتبطة بنظام وروح الاحتياجات المنبثقة عن أصل قانون "توحيد التدريس".

5/8 - إن المنشآت الدينية التي تشيد في ربوع الوطن المختلفة يجب ألا تقام كموضوع استثمار سياسي وهي موضوع علي الأجندة بهدف توصيل رسائل معينة لأوساط محدودة، وإذا ماكانت هناك حاجة ملحة لمثل هذه المنشآت فعلي رئاسة الشؤون الدينية أن تدرس ذلك وتدققه وأن يتم التعاون مع الإدارات المحلية في تحقيقها وتنفيذها.

6/8 - إن الطرق الصوفية التي منع وجودها أصلاً بنص القانون رقم 677 والتي تم توضيح وشرح كافة عناصرها المتعلقة بهذا الموضوع يجب أن تمنع كافة أنشطتها... وأن يتم الحيلولة دون زعزعة النظام القانوني والاجتماعي والسياسي للمجتمع الديموقراطي.

7/8 - إن بعض الأوساط ذات الفعاليات الرجعية حاولت أن تظهر أن القوات المسلحة قد انشغلت بالأمر الديني مستغلة موضوع خروج بعض الأشخاص من القوات المسلحة التركية لأسباب متعددة ووفقاً لقرارات مجلس الشورى العسكري الأعلى، وانقطاع صلتهم بالقوات المسلحة التركية ولذلك يجب أن توضع تحت الرقابة كافة المنشورات المضادة للقوات المسلحة والمنسوبين إليها.

8/8 - يجب ألا تتاح الفرصة لإمكانية التحريض علي استخدام الأفراد

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

الذين انقطعت صلتهم بالقوات المسلحة التركية في الهيئات العامة أوفي التنظيمات والمنظمات ذات الأنشطة الرجعية والتي تعمل خارج النظام أو خارج القانون وألا تعطي الإمكانية لذلك.

9/8 - إن التدابير المتخذة في نطاق الموضوعات الموجودة من أجل الحيلولة دون تسرب أو توغل أحد من القطاع الديني المتشدد في القوات المسلحة التركية، يجب أن تطبق في المؤسسات التعليمية المختلفة، وفي كل درجات التدرج الوظيفي الإداري، وفي الهيئات القضائية والتشريعية.

10/8 - ولما كانت هذه المادة بكل تفرعاتها تتعلق بالعلاقات الدولية بين تركيا والدول الأخرى فلذلك فإننا لن ننشرها.

11/8 - إن القطاع الديني المتشدد يعمل علي إشعال جذوة الاختلاف المذهبي في تركيا، مما تسبب في استقطاب المجتمع وتمحور البعض حول مذهب بعينه، مما سيفتح الطريق أمام تحول الأمة إلي معسكرات معادية لبعضها البعض ولذلك لابد من الحيلولة دون ذلك بكافة الطرق والوسائل الإدارية والقانونية.

12/8 - إن التحقيقات الإدارية والقانونية الواجبة في حق المسؤولين عن الأحداث التي جرت بشكل مخالف لدستور الجمهورية التركية وقانون الأحزاب السياسية وقانون الجنايات التركي وبخاصة قانون البلديات يجب أن تنتهي في أقصر وقت ممكن، ويجب أن تتخذ كافة التدابير الحاسمة التي تحول دون تكرار ذلك علي كافة المستويات.

13/8 - إن ما يجري مخالفاً لقانون الملابس والذي يظهر تركيا علي أنها تعيش خارج العصر الحديث، يجب أن يمنع تطبيقه فوراً، وأن

يطبق بكل دقة في المؤسسات والهيئات العامة وبخاصة تلك التي تقوم بدور ريادي ودون أي تهاون في تطبيق قرارات المحكمة الدستورية والقانون المختص بهذا الصدد.

14/8 - يجب أن يعاد النظر من جديد، وأن تتخذ كافة التدابير من قبل الشرطة و “ الجندرمة “ حول التراخيص الممنوحة للأسلحة ذات المدى البعيد والقصير والتي منحت لأسباب متعددة وأن تتخذ التدابير اللازمة لتحديد الطلب في هذا الخصوص، وبخاصة يجب أن تدرس وتقيم بعناية فائقة الطلبات المقدمة، والرغبة الفائقة للبنادق التي تطلق القنابل.

15/8 - يجب أن يمنع منعاً باتاً جمع جلود الأضاحي من طرف المنشآت والمنظمات المعادية للنظام من بعيد، والتي أثبتت التجارب أنها تهدف إلي تأمين مصادر مالية لأعمالها، وألا يسمح بجمع هذه الجلود خارج نطاق السلطة التي منحها القانون.

16/8 - يجب أن تنتهي بأسرع ما يمكن التحقيقات القانونية التي تجري بشأن الحراسة التي ترتدي زياً خاصاً بها والمسئولية المنوطة بها وأن يؤخذ بعين الاعتبار الأبعاد الوخيمة التي يمكن أن توصل إليها تلك التطبيقات المخالفة، والخارجة علي القانون، ويجب أن تلغي علي الفور كافة الحراسات الخاصة، التي لم تتوافق أوضاعها مع القانون.

17/8 - إن البعض يستخدم “ مفهوم الأمة “ بدلاً من “ المفهوم القومي “ في طرح مشكلات البلاد، والبعض يهدف من وراء هذا الطرح في النهاية إلي التفتيت، وتنظيم الإرهاب وعليه يجب الحيلولة دون شتي الطرق والسبل الإدارية والقانونية

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

والمداخل التي تشجعهم علي ذلك، وحتى الاقتراب منه.

18/8 - يجب ألا تتاح الفرصة لاستثمار القانون 58 الصادر بشأن الجرائم التي ترتكب ضد “أتاتورك” والأعمال المنافية للاحترام الواجب تجـاه “أتاتورك” المنفذ العظيم⁽¹⁾.

كان هذا صعباً علي “أربكان” أن يكتب بيده ما يتناقض مع أفكاره وبرنامجه بل وجهده السياسي والاجتماعي منذ أسس حزب “النظام الوطني” عام 1970 م، وكانت تقديرات العسكر أنه إذا لم يوقف “حزب الرفاه” عند حده لاستطاع أن يحصل علي 65 % من أصوات الناخبين في انتخابات عام 2005 م، وأنه يمكنه تشكيل الحكومة وحده في انتخابات عام 2000 م، وكانت تقارير غربية تحدثت عن خطر “الرفاه” في الحكم لاحتمال اختراقه بني الدولة العلمانية التي تعتبر مع إسرائيل أحد الركائز المهمة للاستراتيجية الغربية في منطقة مهمة ومضطربة هي منطقة الشرق الأوسط⁽²⁾، رغم قبول هذه القوي مكرهة بوجوده في السلطة كضمانة لتحقيق الاستقرار السياسي وقطع حد لحالة الفراغ السياسي التي بلغت حد الفوضى لمدة ستة أشهر، وهو ما يعني أن هذه الرؤي الغربية أثرت علي الرؤي العلمانية التركية والتي كانت

(1) هناك العديد من المراجع العربية التي أشارت للإجراءات الثمانية عشرة التي طلبها مجلس الأمن القومي من “أربكان” ولكننا أثّرنا الاعتماد علي أحد المراجع المترجمة عن التركية وراجع: صباح الدين أوتشار، أربكان والتيار الإسلامي، م. س. د، ص 340 - 344.

(2) خورشيد دلي، حزب الرفاه التركي: عن استراتيجية التحرير والسلطة، الحياة 1996/1/24 م وأيضاً مصطفى الطحان، هل جاء وقت الرفاه؟ الحياة 1996/1/14 م وأيضاً شكوك غربية حول مستقبل أنقرة في ظل الحكومة الائتلافية الجديدة، 1996/7/11.

الأساس للانقلاب العسكري علي " حزب الرفاه ".

رابعاً: الانقلاب علي الرفاه وأزمة النظام السياسي التركي:

لم يكن ممكناً لما أطلقنا عليه " القلعة العلمانية " أن تدع أبوابها تشرع بسهولة لدخول أول رئيس وزراء إسلامي في تاريخ الجمهورية العلمانية ليتولي الحكم فيها، وهنا بدت العلمانية بوجهها الأيديولوجي الكمالي الذي لا يعترف بالديموقراطية إلا في الحدود التي تحافظ علي الأيديولوجية العلمانية، ورغم ما قيل عن تطور مجتمعي وسياسي وحوار حول العلمانية والدولة والمجتمع وحدودها فيما عرف في الأدبيات التركية " بالجمهورية الثانية " إلا أن الأيديولوجية الكمالية العسكرية تظهر أنيابها حينما تشعر بالتهديد من الديموقراطية التي يمكن أن تأتي بإسلاميين إلي السلطة، إنها يمكن أن تسمح لحزب إسلامي بالوجود في العملية السياسية ولكنها لا تقبل بوصوله إلي الحكم والسلطة ليكون بيده مقاليد الأمور التي تغير وجه تركيا من " الكمالية الأصولية " إلي " العثمانية الإسلامية ".

خبرة " أربكان " في الحكم أثبتت أن العلمانية التركية هي أقوى من الديموقراطية المقيدة المحكومة بقوة العسكر وبدستور لا يعبر عن المجتمع، وإذا كان هناك توازن حساس في الخبرة التركية بين ماهو مدني وعسكري حيث المجتمع له عافيته وقوته التي تحول دون انفراد العسكر بتسيير شئونه، ولكنه أضعف من أن يلغي دور العسكر في التدخل بالحياة السياسية، فالدولة قوية في مواجهة مجتمع يحاول أن يسترد إرادته المرتهنة لدي مؤسسات لم يكن له يد في بنائها أو تأسيسها.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

ويعد تصريح رئيس محكمة الاستئناف العليا القاضي “ سامي سلجوق “ في افتتاح السنة القضائية عام 1999 م ضربة موجعة للنظام الكمالي من داخله ومن صلبه قال: “ إن تركيا لا يمكن ويجب ألا تدخل القرن الواحد والعشرين بدستور قاربت درجة شرعيته إلى الصفر، والمشروعية هي التصور الأهم لعلم الاجتماع ولعلم السياسة وهي درجتان مشروعية شكلية ومشروعية مادية، الدستور من ناحية شكلية ليس شرعياً، كما لم تبق له أي مشروعية مادية⁽¹⁾.

ويشير إلي أن دستور 1982م وبعد انقلاب 1980 م لم يعد من جانب برلمان أو سلطة تأسيسية منتخبة بالإرادة الحرة للشعب، بل من جانب بعض الأشخاص الذين عينوا حين كان البرلمان مغلقاً ومحظوراً عليه العمل السياسي، والدستور نوقش فقط خلف أبواب مغلقة وبتجاهل الشعب الذي أمطر بقوانين منع النقاش، كما أن التصويت حصل بصوت واحد علي الدستور وعلي رئيس الدولة ولم تعد ممكنة بالتالي معرفة نسبة مانال كل منهما علي حدة، فضلاً عن أنه لا يمكن انتخاب رئيس الدولة لأنه لم يكن يوجد سوي مرشح واحد.

وقال: “ إن خروج الاستفتاءات بنسبة 93% و 97% أمر معيب في تركيا وبالتالي فإن دستور 1982 م الذي أرغم الشعب علي قبوله بالاقتراع بدلاً من الرصاص هو نوع من الفرمانات وكان سبباً لأزمات سياسية واجتماعية عميقة “ وأضاف “ إن تركيا اليوم دولة ذات دستور ولكنها ليست دولة دستورية، والجمهورية تدبر الديمقراطية وليس العكس، وهذا الوضع يجب أن يتغير.

(1) محمد نور الدين، حجاب وحراب، الكمالية وأزمات الهوية في تركيا، رياض الريس للبحوث والنشر، 2001، ط1، ص300.

في الجمهورية الدولة تنتج الحقوق، وفي الديمقراطية الشعب ينتج الحقوق والحقوق تدير الدولة، الجمهورية تخلق أولاً المواطن ثم الفرد، والديموقراطية تخلق أولاً الفرد ثم المواطن، وانتقد رئيس محكمة الاستئناف التركية دور الدولة قائلاً: إنه في الديمقراطيات تقف الدولة حيادية حيال مختلف الأفكار، والقانون يستخدم للتنافس بين الأفكار في إطار سلمي وليس لمنعها، إن تركيا لا يمكن أن تدخل القرن الواحد والعشرين كبلد يعمل علي سحق الأفراد وكم الأفواه، الشئ الذي يجب أن يعمل هو إلغاء الأحكام المتعلقة بالتهمة الفكرية⁽¹⁾.

- بقدر مابدا " أربكان " الباشبكان - أي رئيس الوزراء مختلفاً عن " أربكان- الخوجا - المجاهد " في ممارسته للسلطة ولكن هذا لم يشفع له الاستمرار في السلطة وفق البروتوكول الائتلافي بينه وبين " حزب الطريق المستقيم " فهو أكد في بيانه الوزراي علي مبادئ الجمهورية التي أسسها أتاتورك وفي مقدمتها العلمانية، وحاول أن يظهر تقارباً مع العسكر وقال " الرفاه والجيش يدأ بيد " وأن " الجيش هو جيشنا "، وقبل باستمرار " عمل قوة المطرقة الغربية " لمدة أطول، وقبل بالتوقيع علي تسريح بعض الضباط والصف (عدد 69) من الجيش بسبب أنشطتهم الإسلامية " الرجعية " وفق تعبيرات العسكر والتي لا تتبني نمط الحياة الحديثة⁽²⁾.

(1) نفس المرجع، ص 301 - 303.

(2) عن تكيف " أربكان " وحزب الرفاه مع الواقع التركي وإعلانه أنه لن يغير الدستور أو النظام السياسي وأنه سوف يحترم الدستور والقانون والعلمانية والكمالية راجع: المسلمون، الرفاه يخلط الأوراق السياسية في تركيا، 1996/7/11 حيث أشارت إلي أن " أربكان تعهد منذ تكليفه بتشكيل الحكومة في 28 يونية 1996 باحترام المبادئ الأساسية للجمهورية العلمانية والاقتصاد الحر والتوجه نحو الغرب وأيضاً، عبد الإله بلقزيز، تراجع الرفاه عن برنامجه، الحياة،

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

- وفي افتتاح المؤتمر السنوي الخامس “ لحزب الرفاه “ في 13 أكتوبر غير “ أربكان “ من لهجته وغير شعاراته لكسب ود الغرب، وافتتح رئيس الوزراء المؤتمر وهو في قمة السلطة لأول مرة كرئيس وزراء إسلامي لتركيا منذ قيام الجمهورية وتحت صورة كبيرة لأتاتورك - وهو أمر لم يحدث من قبل في مؤتمرات “ الرفاه “ - أكد أنه يرغب في لقاء قادة أمريكا والغرب وعزمه التعاون معهم وتوضيح أبعاد زيارته الأخيرة لليبيا التي أثارت موجة استياء داخل تركيا وخارجها وقال “ رحلتنا الخارجية لم تكن موجهة ضد حلفائنا الغربيين ولا ضد الولايات المتحدة

1996/7/12 حيث أشار إلي أن “ أربكان “ قال إنه يلتزم باحترام المبادئ الديمقراطية والعلمانية لأتاتورك واحترام الاقتصاد الحر والخصخصة والالتزام بالاتفاقيات التي وقعتها تركيا مع الدول الأوروبية وإشارته لزيارة “ أربكان “ لضريح “ أتاتورك “ مسجلا في التشريعات “ إنني مملوء محبة وإيمانا وعزيمة علي تعزيز الجمهورية التركية التي أسستها “، ومحمد نور الدين، فرصة تاريخية لعقلنة سياسة العلمانيين والإسلاميين، الحبر، 1996/7/82 حيث أشار إلي تشديد “ أربكان “ في برنامج حكومته علي حماية المبادئ الكمالية والديمقراطية والعلمنة والاندماج مع أوروبا وراجع ياسر الزعاترة، قراءة في إجابات أربكان علي امتحانه الأول، الحياة، م. س، ذ، حيث يشير إلي موافقة “ أربكان “ علي استمرار عملية “ بروفايد كومفورت “ - المطرقة الغربية - انطلاقا من الأراضي التركية ولكنها استغلها في مطالبته بإعادة العلاقات الطبيعية مع العراق واستثنائها من الحصار التجاري والديبلوماسي واستغل الموافقة في زيارته لإيران رغم قانون دامتو “ الأمريكي الذي يمنع التعامل معها وقال عبد الله جول “ إن تركيا لا تطلب من الولايات المتحدة الإذن فيما يتعلق بكل علاقاتها مع الخارج. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يوقع فيها “ أربكان “ علي قرار بتسريح ضباط من الجيش لهم ميول إسلامية فقد اضطره العسكر للتوقيع مرة أخرى علي فصل 161 منهم 141 ضابطاً إسلامياً و20 ضابطاً يسارياً وحينها قال ضابط كبير في الجيش التركي “ إننا نشكل جيش جمهورية “ أتاتورك “ العلمانية وصفات جنوده واردة في النظام الداخلي الذي ينص علي أن يكون لعائلات العسكريين نمط الحياة الحديثة “ وراجع إبراهيم الجهماني، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، الإسلام السياسي الجديد، م. س، ذ، ص 108 وص 135.

وأضاف “ نحن نعمل باتجاه تحسين الروابط الوثيقة مع الاتحاد الأوروبي “.

- ومن ناحية أخرى بدأ يستجيب لما يحفظ له مكانته بين القواعد العريضة التي تدعم “ حزب الرفاه “ فطالب بتشريع حرية ارتداء الحجاب في دوائر الدولة والسماح للحجاج الأتراك بالانتقال برا إلى مكة المكرمة وذلك توفيراً للنفقات، وبناء جامع في منطقة تقسيم وفي قصر “ تشانكايا “ الجمهوري وتنظيم دوائر العمل في الدولة في شهر رمضان بحيث تتناسب مع أداء فريضة الصيام ثم أقدم بصفته الرسمية كرئيس للوزراء علي استضافة بعض رؤساء الطرق الصوفية في حفل للإفطار في رمضان رغم أن هذه الاستضافات ممنوعة منذ عام 1925 م.

- ثم أقدم رئيس بلدية “ سنجان “ التابعة لأنقره بتنفيذ احتفال ديني بيوم القدس في 3 فبراير عام 1997م حضره السفير الإيراني ودعا الإسلاميين في تركيا إلى المضي قدماً نحو مسيرة تطبيق الشريعة الإسلامية. وهو ماجعل الجيش ينزل بدباباته في شوارع “ سنجان “ التي شهدت الاحتفال بيوم القدس في اليوم التالي 4 فبراير 1997 م لإظهار عزم العسكر علي الحزم تجاه مواقفهم الرافضة للتعبيرات الإسلامية التي يقوم بها “ حزب الرفاه “ حتي لوكانت ذات طابع احتفالي.

وتتالت الإجراءات التي لم تتوقف من جانب العسكر منذ ذلك التاريخ لإخراج “ أربكان “ من السلطة بل وعقابه بحل حزبه ومنعه من ممارسة العمل السياسي، وصرح القائد الأعلى للقوات البحرية الأدميرال “ غوفين أركايا “ أن النشاطات الأصولية الدينية أصبحت المشكلة الرئيسية في تركيا وأضاف “ التهديد الذي يشكله حزب العمال الكردستاني أصبح الآن

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

في المرتبة الثانية وتقدمت عليه حركة التطرف الديني“.

- كان “الباشبكان” يحاول المزاجية بين الإغضاء لمطالب المؤسسة العسكرية وبين مطالب القواعد الجماهيرية لحزبه للاستمرار في السلطة، بيد إن التطورات السياسية في البلاد منذ 28 فبراير كانت تشير إلي مقدمات لا رجعة فيها من جانب المؤسسة العسكرية للانقلاب علي حزب الرفاه فإلي جانب ألـ 18 مطلباً التي تقدم بها مجلس الأمن القومي إلي “أربكان” لإقرارها، لم يتوان “مجلس الأمن القومي” أبداً عن عقد الاجتماعات المتكررة لمتابعة تنفيذه لها، وبدأ “مجلس الأمن القومي” يضع تدابير صارمة ضد المؤسسات المالية الإسلامية ودعا إلي مقاطعتها وعدم منحها أي دعم أو إشراكها في أي مناقصات أو عمليات اقتصادية من الدولة⁽¹⁾.

- وظهر للوجود ما عرف باسم “مجموعة العمل الغربية” BCG - والتي بدأت جمع المعلومات ضد الرفاه والوجود الإسلامي كله في تركيا بطريقة سرية⁽²⁾.

(1) عن اجراءات الجيش المتوالية ضد الرفاه راجع: جلال معوض، الأزمة السياسية التركية واحتمالات تطورها، السياسة الدولية، يناير 1998، ع 131، ص 115 حيث أشار إلي تهديدات قادة المؤسسة العسكرية بشأن الأصولية الإسلامية كتهديد رئيسي، وأشار إلي فرض قيود علي الدعم المالي الخارجي “للفاه” عبر الدياسبورا التركية في أوروبا، وإغلاق المدارس الدينية غير الرسمية وحظر توظيف المفصولين من الخدمة العسكرية لنشاطاتهم الإسلامية والالتزام الكامل بالمادة 174 من الدستور المتضمنة للمبادئ الأساسية للجمهورية العلمانية، ص 115.

(2) مجموعة العمل الغربية B.C.G سمع عنها الرأي العام التركي لأول مرة في سياق الصراع بين العسكر والإسلاميين ولم تتضح هويتها فهي مؤسسة غامضة ولا يعرف أهى نابعة من قيادة القوات البحرية أم هي نابعة من رئاسة الأركان العامة ووفقاً للتصريحات التي أدلي بها المسؤولون فإن مجموعة العمل الغربية هيئة مرتبطة برئاسة الأركان العامة استخرجت لها مهمة بعد انقلاب 28 فبراير 1997 م فوفقاً للمادة 35 من قانون الخدمة داخل القوات المسلحة التركية والتي تنص علي أن مهام القوات المسلحة التركية هي حماية الوطن والجمهورية التركية

وبدأت الصحافة العلمانية تشن هجماتها التي لا تتوقف علي " حزب الرفاه، وربما الإشارة إلي عناوين الصحافة التركية بعد اجتماع مجلس الأمن القومي في 28 فبراير تعطينا فكرة عن طابع الاستقطاب العنيف بين " الرفاه " من ناحية والمؤسسة العسكرية ومعها أحزاب اليمين واليسار في البرلمان وقوي رأس المال الصناعي والتجاري والمصرفي والإعلام وغيرها فعناوين الصحف تقول⁽¹⁾ " الجنرالات يرفعون البطاقة الصفراء في وجه أربكان "، و " الجيش التركي يستعرض عضلاته في أنقرة " و " رئاسة الأركان تؤكد أنها لن تنسجم مع العلمانية "، والشرطة تغلق 18 مركزا للتعليم الإسلامي " و " الجنرال " كنعان دينتير " يقول " تحطيم الأصولية الإسلامية في تركيا مسألة حياة أو موت بالنسبة لنا "، و " الجنرالات غير راضين عن الحكومة الإسلامية " و " مجلس الأمن القومي يتحدي " أربكان " بإصدار تقرير 70 صفحة عن خطر الرجعية في تركيا العلمانية " و " تركيا تواجه إمكان انقلاب عسكري لطرد الإسلاميين من الحكم " و " الجيش يصدر لائحة سوداء بأسماء 600 مؤسسة صناعية وتجارية ويدعو الحكومة والشعب لمقاطعتها " و

وتأمينها " فأسست هذه المجموعة التي حاولت أن تثبت أنها قانونية بينما الحكومة رأتها غير قانونية. وتهدف هذه المجموعة علي جعل الاستراتيجية القومية و العسكرية غربية و علمانية وهي معنية بتنفيذ ذلك، وفي سبيل سعيها لذلك صدرت وثيقة سرية متعلقة باحتياجات مجموعة العمل الغربية إلي معلومات والتي صدرت في 5 مايو سنة 1997 م وهي تعيد تقييم وتضع تقارير وتطلب معلومات وبيانات عن جميع الجمعيات والأوقاف والتشكيلات المهنية والمؤسسات التعليمية العليا والإسكان الطلابي " يوردات " والإداريون من ذوي الرتب والدرجات العليا وأعضاء مجالس البلديات والمجالس الإقليمية والتشكيلات المحلية والإقليمية للأحزاب السياسية وهيئاتها الإدارية والمؤسسات الإعلامية كالراديو والتلفزيون وكل هذه المعلومات سرية وراجع: صباح الدين أوتشار، أربكان والتيار الإسلامي، ترجمة الصفصافي أحمد القطوري، م. س. د، ص 345 - 348.

(1) راجع هذه العناوين في: www.daawa-info.net/bio.php?id=74، من أعلام الحركة الإسلامية، أربكان.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

الجيش يتهم حزب الرفاه علناً بدعم الأصولية والتحريض علي العلمانية “ و “ محكمة عسكرية تأمر بتوقيف ثلاثة من مرافقي “ أربكان “، و “ الجيش يهدد بالجوء إلي السلاح لإزالة الخطر الأصولي علي العلمانية “ و “ الإنذار الأخير من مجلس الأمن القومي لأربكان “ و “ تنامي قوة الرفاه تهديد للعلمانية “

- وبينما كان “ أربكان “ في السلطة ورئيساً للوزراء كان المدعي العام التركي “ ورال صواش “ يتقدم بمذكرة اتهام إلي المحكمة الدستورية تتكون من 18 صفحة في 21 مايو تقول: إن حزب الرفاه بلغ ذروة عدائه للعلمانية، وأنه يجز البلاد إلي حرب أهلية واتهم ضمناً سياسيين ينتمون إلي الحزب بالخيانة وشملت قائمة الانتهاكات ارتداء أزياء إسلامية في الجامعات والدفاع العتيد عن المدارس الدينية ورفض إغلاقها، وقال “ عبد الله غول “ ردا علي الاتهامات “ سنجعل رئيس الادعاء يمثل أمام القضاء، لقد قدم وثائق غير قانونية، وهذه هي المرة علي الإطلاق التي يقيم فيها مدعي عام دعوى من أجل إغلاق الحزب الذي يتولي السلطة وأكبر حزب في الجمهورية التركية.

وأمام محاولات الأحزاب العلمانية إحراج حكومة “ أربكان “ وسحب الثقة منها (10 مرات) وتحريض الجيش عليها بدأ أمر استقالة “ أربكان “ مسألة وقت وأنه لا يمكنه استمرار تحدي الجيش وبقية مؤسسات النظام، وكان استطلاع للرأي في ثلاث مدن تركية هي “ أنقره واسطنبول وأزمير “ نشرته صحيفة “ Turkish DailyNews أفاد بأن 27% من المشاركين يؤيدون إنهاء الائتلاف الحاكم وأكد 66% أن انتخابات مبكرة هي طريق الخروج من الأزمة، واعتبرت النسبة ذاتها أن المدنيين يمكنهم إدارة البلاد بصورة أفضل، ولم تحظ حكومة وحدة وطنية بدعم أكثر من 43% بينما

رفضها نحو 49% وقال 60% إنهم يعتبرون النزعات المادية للعلمانية أخطر من النزعات الانفصالية لحزب العمال الكردي⁽¹⁾.

وفي خضم هذا الاستقطاب الحاد والعنيف عقد طرفا الائتلاف في 12/6/1997 جلسة لمجلس الوزراء للتباحث حول شروط الطلاق الاختياري، وطلبت " طانسو تشيلير " من " أربكان " في هذا الاجتماع أن يتخلي لها عن رئاسة الوزراء لإنهاء النزاع المتفاقم بين الحكومة والمؤسسة العسكرية واحتواء التمرد داخل حزبها وحتى اجراء انتخابات عامة مبكرة في أكتوبر أو ديسمبر عام 1997 م.

ولكن " سليمان ديميريل " وبعد تلقيه استقالة " أربكان " في 18/6/1997 م لم يدع " طانسو تشيلير " - الذي عبر " أربكان " عن ثقته باستمرارها في الحكومة وتمسك طرفي الائتلاف بالبروتوكول بينهما لتمتعهما آنذاك بالأغلبية البرلمانية - لتسلم الحكومة كما كان متفقاً ولكنه قام بتكليف " مسعود يلماز " بتشكيل الحكومة الجديدة في 20/6/1997 م لتتم الإطاحة بحكومة " أربكان " بوسائل غير ديمقراطية تواطأت فيها جميع الأحزاب⁽¹⁾ والمؤسسات ضد استمرار حكم الإسلاميين في تركيا والذي لم يعمر سنة واحدة بسبب الضغوط التي مورست عليه والمراوغات التي واجهها وهو ماكشف عن ثلاثة أمور أساسية هي: الوضع السياسي النافذ للمؤسسة العسكرية في النظام السياسي التركي

(1) يوسف إبراهيم الجهماني، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، م. س. ذ، ص 131.

(1) عن هذه التفصيلات راجع: نفس المرجع، ص 147 - 151 وأيضاً جلال معوض، الأزمة السياسية التركية واحتمالات تطورها، م. س. ذ، ص 116. حيث أشار إلي تواطؤ الأحزاب اليسارية علي حكومة " أربكان " باستخدام أساليب غير ديمقراطية منحازة للعسكر وأساليب ديمقراطية شكلية، فقط حزب الوحدة ذي التوجهات الإسلامية هو الذي كان يدعم " أربكان ". ص 117، وأيضاً جلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م. س. ذ، ص 76 - 78، ص 72.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

وهشاشة الديمقراطية التركية واستمرار أزمة الهوية في المجتمع و الدولة في تركيا⁽²⁾.

- استمرت إجراءات دعوي إغلاق " حزب الرفاه " تجري في مساراتها القانونية رغم استقالة " أربكان " الذي قضى الصيف يعد مع الهيئة القانونية القانونية (50 شخصا) التي تولت أمر الدفاع عنه وعن الحزب حتي بدأت جلساتها في 16 ديسمبر 1997 م ومثل " أربكان " أمام المحكمة وأعد دفاعه عن التهم المنسوبة إليه في 415 صفحة، وطوال فترة المرافعة تم الرجوع إلي مايزيد عن 500 مرجعاً تركيا وتمشيط مايزيد عن خمسين مصدراً باللغة الألمانية والإنجليزية والفرنسية، وجابت مجموعة العمل القانونية كل دول أوروبا وأمريكا ووضعت كل ما جمعته من معلومات ووجهات نظر في سكرتارية الهيئة القانونية التي كانت تتابع المهمة.

وبعد أن أتم الادعاء اتهاماته في 11 ديسمبر 1997 م في المحكمة الدستورية العليا بدأ " أربكان " دفاعه في 18 ديسمبر وأتمه في العشرين من نفس الشهر وتحدث إحدي عشرة ساعة في مرافعاته الشفهية وبعد أن حلت شفرات المناقشات والتوضيحات الشفوية لكل من المدعي العام وأربكان وتم إبلاغها لكل الأطراف.. فإن " يوسف أوزتوك " أمين سر الجلسة منذ إقامة الدعوي قد وضع في الاعتبار كل ماقاله كل من " المدعي العام " و " أربكان " وأعد تقريره في أربعمئة وسبعين صفحة وأعلن المتحدث في تقريره عن الدعوي وجهة النظر المؤيدة لإغلاق حزب الرفاه.

(2) نفس المرجع، ص 78.

- وبعد شهر ونصف اتخذ قرار الإغلاق في المحكمة الدستورية العليا بأغلبية تسعة أصوات ضد صوتين برئاسة “أحمد نجدت سيزار” وذلك يوم 16 يناير 1998 م وأعلن رئيس المحكمة الدستورية العليا القرار في مؤتمر صحفي ومعه كل أعضاء المحكمة، وطبقا للقرار فإن عضوية “المجلس الوطني الكبير” ستسقط عن “أربكان” الرئيس العام للحزب و “الأعضاء” “شوكت قـازان” و “أحمد تكـدال” و “شوقي يلـماز” و “حسن حسين جيلان” و “إبراهيم خليل جليك” عقب نشر القرار في الجريدة الرسمية - بعد شهر - من إعلان الحكم - ويمنع هؤلاء الأعضاء لمدة خمس سنوات ومعهم “شكري قره تبه” رئيس البلدية الرئيسية في “قيصري” من ممارسة النشاط السياسي طوال خمس سنوات، كان قرار الإغلاق غير متوقع من جانب أعضاء “الرفاه” ولكنهم ظلوا متماسكين في مواجهته⁽¹⁾.

(1) هناك مراجع عدة تحدثت عن هذه التفصيلات لكننا أثّرنا هذا المرجع لترجمته عن التركية ولتضله في المتابعة والمعلومات وراجع: صباح الدين أوتشار، أربكان والتيار الإسلامي، ترجمة وتقديم الصفصافي أحمد، م. س. ذ. ص 351 - 361 وعن إضمار حل الحزب راجع: تصريحات “أحمد نجدت سيزار” بعد توليه رئاسة المحكمة الدستورية العليا حيث قال: إنه لا يعترض التنازل أو الأخذ بالحلول الوسط في مواجهة الأصولية وحزب الرفاه، وقال “ستواصل المحكمة العليا النهوض بواجباتها دون تقديم أي تنازلات بشأن المبادئ التي وضعها أتاتورك” للدولة الوطنية والديموقراطية والعلمانية. وانتخب “سيزار” رئيساً للمحكمة الدستورية العليا في جولة رابعة بأغلبية ستة أصوات فقط من مجموع 11 هم هيئة المحكمة دون رئيسها، وهو كان عضواً في المحكمة الدستورية منذ عام 1988 م، وهو جاء خلفاً للقاضي يكتا جونجور أوزدن “المعروف بصلاية تشييعه للكمالية وراجع الشرق الأوسط، الرئيس الجديد للمحكمة الدستورية التركية يزايد علي سلفه في الولاء للأتاتورية، 1998/1/7 وعن ردود الفعل علي قرار الحل راجع الحياة، 18/1/1998 بعنوان الحياة في اسطنبول مدينة هادئة ولا شئ فيها يذكر بالجزائر، أهل الرفاه يشعرون بالرضا لأن قرار المحكمة كان معتدلاً والشرق الأوسط،

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

- عقب نشر قرار المحكمة الدستورية العليا بإغلاق " حزب الرفاه " في الجريدة الرسمية التي صدرت بتاريخ 22 فبراير سنة 1998 م انتهى الوجود القانوني له وجاءت حيثيات إغلاق الحزب في 329 صفحة كاملة، بينما جاءت حيثيات عدم الإغلاق من العضوين اللذين عارضا الإغلاق ضعف حيثيات الحكم بالإغلاق وجاء نص قرار المحكمة الدستورية العليا كما يلي:

- نظراً لأعمال المخالفة لمبدأ العلمانية للجمهورية فقد تقرر إغلاق " حزب الرفاه " حسب المادة 68 و 69 من الدستور وحسب البند ب من المادة 101 والفقرة أ من المادة 103 من قانون الأحزاب السياسية بأكثرية الأصوات مع صوتين معارضين للإغلاق هما صوتي " هاشم قليج " وساجد آدالي " (1).

- ونظراً للتصريحات والنشاطات التي قام بها " نجم الدين أربكان " نائب محافظة " قونية " و " شوكت قازان " نائب محافظة " قوجه لي " و " أحمد تكداي " نائب محافظة " أنقرة " و " إبراهيم خليل تشليك " نائب محافظة " شانلي أورفه " والتي أدت إلي إغلاق الحزب بسبب مخالفتها لحكم الفقرة الأخيرة من المادة 84 من الدستور فقد تقرر بالإجماع إبطال عضويتهم في المجلس النيابي حال نشر هذا في الجريدة الرسمية.

- ونظراً للتصريحات والنشاطات التي قام بها أعضاء الحزب " نجم الدين أربكان " و " شوكت قازان " و " أحمد تكداي " و " شوقي يلماظ

1998/1/16 والحياة 1998/1/17 م إجراءات للجيش بعد حل الرفاه، والمسلمون

1998/1/24 تركيا بعد حل حزب الرفاه.

(1) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص 153

“ و “حسن حسين جيلان” و “إبراهيم خليل” و “شكري قره تبه” والتي أدت إلى إغلاق الحزب حسب الفقرة الثامنة من المادة التاسعة والستين من الدستور فقد تقرر بالإجماع حرمانهم من تأسيس أو عضوية أو إدارة أو رقابة أي حزب سياسي مدة خمس سنوات تبدأ من تاريخ نشر القرار في الجريدة الرسمية.

- **تقرر بالإجماع استمرار التدبير المتخذ بتاريخ 1998/1/12 م "إغلاق حزب سياسي" القاضي بعدم تسديد مبلغ 1 ترليون و 236 مليون ليرة (5 مليون دولار) إلى الحزب حتي نشر هذا القرار في الجريدة الرسمية⁽¹⁾.**

وعن الأسباب الموجبة لحظر النشاط السياسي لأعضاء الحزب المشار إليهم فمنها بالنسبة “لأربكان” استضافته لزعماء طرق دينية محظورة أساساً علي مائدة الإفطار والإدلاء بتصريحات تشير إلي احتمال استخدام العنف للوصول إلي السلطة حيث قال “سنصل إلي السلطة ولا نعرف ما إذا كان سيتم بشكل دموي أو غير دموي. وفيما يتصل “ بشوكت قازان “ نائب رئيس “ حزب الرفاه “ و وزير العدل سابقاً مطالبته في يوليو 1996 م بتدريس العلوم الدينية والأخلاق داخل السجن وبالنسبة “ لأحمد تكداال “ (زعيم حزب الرفاه منذ تأسيسه وحتى عام 1987م) اعتبره أن اسم الكادر السياسي الذي يريد تأسيسه “ نظام الحق “ في تركيا هو “ حزب الرفاه “ وبالنسبة “ لشوقي يلماظ “ إعلانه أنه سيحاسب كل من لا يأخذ صلاحياته من رسول الله “ صلي الله عليه وسلم “ وبالنسبة

(1) نفس المرجع، ص 163.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

“لحسن حسين جيلان” قوله عام 1992 م عندما كان في “هولندا”، “استولينا علي الجامعة وخدعنا” أجويد “وفتحنا مدارس الأئمة والخطباء ولو كانت خطتنا بشأن المدارس العسكرية تحققت لكانت الدنيا تغيرت”، وبالنسبة لإبراهيم خليل تشليك “قوله” إنه إذا أغلقت معاهد الأئمة والخطباء الدينية فسوف تراق الدماء وستكون تركيا أفضع من الجزائر”، وبالنسبة “لشكري قره تبه” قوله “إن هذا النظام يجب أن يتغير” (1).

خامسا: قرار إغلاق الرفاه وأزمة الديمقراطية التركية:

لعل الإشارة إلي حيثيات قرار المحكمة الدستورية بالإغلاق وحيثيات من رفض من أعضائها قرار الإغلاق تشير إلي عمق أزمة الديمقراطية في تركيا والتي تتمثل بشكل أساسي في تنصيب الدولة لنفسها بحسبانها “نصف إله” وأنها المجسدة للأيديولوجية “الأتاتورية” التي تعبر عن المصلحة القومية العليا للبلاد والعباد وفق دستور وضعه الجيش عام 1982 م ولكنه لا يعبر عن الشرعية أو الدستورية.

وكما عبر “جنكيز تشاندار” علي قرار إغلاق “الرفاه” وإنهاء وجوده السياسي قائلا “بداية كنت خططت لإلقاء نظرة علي قانون الأحزاب وعلي المواد 68 و 69 من الدستور ثم صرفت النظر عن ذلك لأن القانون في الواقع شكلي وكل ما جري كما يعلمه الجميع أو يستشفونه أمر “سياسي” وأكد مراراً رؤساء الهيئات القضائية أنفسهم أن التحكيم

(1) نفس المرجع، ص 136 - 138 ونص قرار الإغلاق أورده أورهان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س. ذ، ص 21 وسنورده بنصه كملحق في نهاية الرسالة. وبذلك يكون هذا هو الحزب الذي تم إغلاقه لحركة “الملي جوروش” والحزب الثالث والعشرين الذي يتم إغلاقه في تركيا منذ العام 1968 م. وعن الأسانيد الواهية التي تضمنتها أوراق الدعوي لغلق الحزب راجع: نفس المرجع، ص 18.

غير مستقل في تركيا، والتحكيم مثل التشريع تحت إشراف التنفيذ ومقصدنا من التنفيذ ليس الحكومة أو ما شابه ذلك.. فالحكومة هي كمبارس التنفيذ الموضوع علي المسرح لكي يقوم بدورها ويحل محلها في التنفيذ كالمنفذ بلغة الموضة اليومية هو " الدولة الخفية " (1).

- ففي حيثيات قرار الإغلاق قالت المحكمة الدستورية: " الرفاه " أغلق بسبب نشاطاته المعارضة للعلمانية، وأربكان " استمر في تصميمه علي أن يجعل استقلال الدولة معتمداً علي القوانين المنبثقة من الدين منذ تأسيسه حزب النظام عام 1970 " و " أربكان " وكل إداري الحزب بهدف جمع أصوات الناخبين كانوا في كل خطبهم يدعون أن الحجاب والنقاب وغطاء الرأس هي من الحقوق القانونية التي يجوز تلقي العلم والعمل بها وأن غطاء الرأس لا يعيق ذلك....

وأربكان " في إحدي خطبه قال: " نريد إزالة التحكم والسيطرة، يجب أن نعيش نظام تعدد الحقوق، ونحن عندما نأتي إلي الحكم سنجعل المسلم يمكنه أن يعقد قرانه عن طريق المفتي أو يعقده في الكنيسة إن كان مسيحياً.. وهذا يهدد التجانس القومي.... والشخص الذي يحمل صفة الرئيس العام للحزب الذي يتولي مقاليد السلطة يجب عليه أن يكون حريصاً في أقواله وأفعاله أكثر من غيره عندما يرد أي أقوال تتعارض مع العلمانية والشخص الذي يكون رئيساً للوزراء والمنوط به تحقيق مبدأ العلمانية الذي استقر في الوجدان منذ أن تأسست الجمهورية التركية عندما يقوم هذا الشخص بدعوة أناس يرتدون ملابساً تتعارض مع مبدأ العلمانية

(1) صباح الدين أوتشار، أربكان والتيار الإسلامي، م. س. د، ص 377.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

هذا وتطبيقاته علي وليمة إفطار في مبني ضيافة رئاسة الوزراء فإنه بذلك يكون قد امتهن مبدأ العلمانية ويكون هو وهم قد عبروا عن رفضهم لهذا المبدأ، ورئيس الوزراء بتصرفاته هذه يكون تصرف تصرفاً يتعارض تماماً مع العلمانية⁽²⁾.

- وعن حيثيات عدم الإغلاق من جانب عضو المحكمة الدستورية العليا “ هاشم قليج “ فقد قال “ حرية التعبير عن الفكر إحدى الركائز المهمة في المجتمع الديمقراطي حتي لو سببت إزعاجاً أو غضباً أو حتي صدمة للدولة وبدون أخذ حرية التعبير في الاعتبار لا يمكن التفكير في مجتمع ديموقراطي بأي شكل كان.

وعن الملابس وشكلها في المؤسسات التعليمية العليا قال “ إنها متروكة للقيم الاجتماعية والثقافية والرؤية الشخصية والنضج والأعراف والمعتقدات الإيمانية ذلك لأن الجامعات مؤسسات ذات طبيعة استقلالية وأنه أنيط بها حرية الفكر، والفكر الحر والبحث الحر واتخذ أساساً في بنائها تشكيل حرية التصرف ومن هذا المنطلق فإنه يمكن أن يكون فيها بعض الأشخاص الذين من الممكن أن يرتدوا ملابس وفقاً لمعتقداتهم ولا يمكن أن يأتي هذا أو يجري وفقاً لمفهوم “ انطلاقاً من الدين “... وأضاف “ الدولة الديموقراطية هي الدولة التي يمكن أن يعيش شعبها لفترة ما في سلام بالرغم من وجود تباين وفروق بين هذا الشعب لحدما.. ولا يمكن الحديث عن الديموقراطية في بلد يعتمد علي الفكر الأحادي “.

أما عضو المحكمة الدستورية العليا “ ساجد أدالي “ فقد قال “ إن

(2) نفس المرجع، ص 362 - 366.

النظام الذي يحكم علي الحزب الذي يحاول إثبات اتجاهاته بالغلق لا يمكن أن يكون مع الديمقراطية“ (1).

- إذن إغلاق “حزب الرفاه” أعاد السؤال حول مشروعية الجمهورية التركية وحول هويتها وطريقة تنظيمها من جديد حتي أضحت تعبيراً عن قلق مجتمعها الذي ضاق ذرعاً باستبدادها وصلافتها وطغيانها وتسلطها وتصلبها.

ومن هنا فإن إسلامي تركيا ممثلين في الرفاه “كانوا تعبيراً عن الرغبة في النهوض بتركيا نحو وضع يكون أكثر تعبيراً عن الديمقراطية والحدثة، بينما كانت النخب القديمة والتي كان يصفها “أربكان” بالتقليدية أكثر تعبيراً عن الاستبداد والعلمانية المتخلفة التي تعبر عن “أيديولوجية أصولية فاشية” ترفض الرأي الآخر وترفض حرية التعبير وترفض التداول علي السلطة وحق الناس في الاختيار.

كان “الرفاه” يناضل من أجل علمانية متسامحة لا تنكر علي الناس حقهم في التعبير وفي الاختيار وفي التنوع والتعدد بينما كانت النخب التقليدية أتباع “أتاتورك” تصر علي علمانية أحادية تجاوزها الزمن ترفض حق الناس في حريتهم الفكرية والاعتقادية وترفض حريتهم في اختيار ملابسهم وترفض حقهم في نوع التعليم الذي يريدونه إنها علمانية شاملة

تريد نزع القيم عن الحياة وليست حتي علمانية جزئية تقبل بفصل الدين عن الدولة⁽¹⁾. لقد كانت معركة إغلاق “حزب الرفاه” صراع علي الهيمنة

(1) نفس المرجع، ص 367 - 372.

(1) عن موقف الرفاه من العلمانية راجع: حوارنا مع “أربكان” في أنقرة أواخر عام 2003 م، حيث أشار إلي أن العلمانية الكمالية إكراهية وليست كالعلمانية الغربية محايدة، لذا فهو يرفض

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

السياسية اتخذ في المقام الأول شكل حرب ثقافية بين النخبة الإسلامية والكماليين حول استمرار نظرية الجمهورية العلمانية كما حددتها النخب القديمة.

العلمانية الكمالية يطالب بعلمانية تحترم الاعتقاد وكان يطالب بإضافة احترام حق الناس في الاعتقاد إلى المادة 24 من الدستور التركي، وهو يطالب بحق المسلمين في ممارسة عقائدهم والتعبير عنها واحترامها وتنظيمها في دولة علمانية لا تسمح بهذا، ورجائي قوطان مثلاً لا يري فصلاً بين الدين والدنيا أي يرفض العلمانية الشاملة ولكنه يقبل بالفصل بين الدين والدولة علي أن تسمح الدولة للناس بالتعبير عن معتقداتهم، حوارنا مع رجائي قوطان “ رئيس حزب السعادة اليوم وأيضاً محمد نور الدين قبعة وعمامة، م. س. ذ. ص 61 - 62، ويلاحظ أن الرفاه لا يرفض العلمانية مطلقاً ولكنها يرفضها في تطبيقها التركي الذي يحرم المسلمين هناك من حقهم في التعبير عما يعتقدون ولذا فهم يتحدثون عن تطبيقات غريبة للعلمانية تدع الناس وما يدينون. فالعلمانية التركية تمنع المرأة المسلمة من ارتداء الحجاب في الجامعات والمؤسسات الرسمية وقضية “ مروة قاوقجي “ نائبة حزب الفضيلة والتي هزت أركان العلمانية التركية عنوان لذلك، وتحدث المصادر عن امتداد منع الحجاب لخارج المؤسسات الرسمية في الشارع مثلاً فقد منع موظفون من التعيين في دوائر الحكومة بسبب ارتداء زوجاتهم للحجاب، هنا العلمانية بوجهها القومي والاستبدادي تتناقض مع الديمقراطية والرفاه يريد الوجه الديمقراطي للعلمانية الذي يدع الناس وما يؤمنون، وفي بعض أحاديث أهل الرفاه عن العلمانية اعتبروا أن الإسلام تعبيراً حقيقياً لها فهو أعطي مخالفه كافة حرياتهم الدينية والثقافية، وفي سياق تأمل الوضع العجيب في تركيا والذي جعل إسلامياً يتحدث عن علمانية تحترم الدين وهو ما جعل البعض يتحدث عن “ العلمانية المؤمنة “ أي التي تجمع بين فصل الدين عن الشأن العام ولكنها في نفس الوقت تحترم الدين وتقر بأهميته في تحقيق النهوض الاجتماعي، ويعد العدالة والتنمية تعبيراً عن ذلك، فالديموقراطية المحافظة التي تعبر عن أيديولوجية الحزب تقبل بالعلمانية بمعنى فصل الدين عن الشأن العام ولكنها في نفس الوقت تدعو إلي أهمية الدين والقيم الدينية وعن هذا المصطلح راجع مثلاً: صلاح الدين الجورشي، الرس

التركية: العلمانية المؤمنة مقابل الدولة الإسلامية، الحياة 2002/12/5 وعن مدي التباس مصطلح العلمانية وعلاقته بالدين راجع، إبراهيم إبراش، الأصولية والعلمانية www.sis.gov.ps/arabic/roya/archiv، وعن فشل العلمانية التركية واعتبار الإسلام أحد أهم القضايا التي ينبغي طرحها في قضية انضمام أوروبا للاتحاد الأوروبي راجع: جاكومو لوتشيانني، International Politik فبراير، 2003 ترجمة عارف حجاج. وعن أفول العلمانية راجع جون فول، الإسلام ونهاية العلمانية، الجزيرة نت، 2004/7/9، وعن تحولات العلمانية الفرنسية راجع حسن السرات، تجديد العلمانية الفرنسية بين الديني والسياسي، الجزيرة نت، 2005/8/8.

- لم يزعج أمر إغلاق " حزب الرفاه " زعيم الحركة الإسلامية ذات الوجه السياسي في تركيا فلم تكن هذه هي المرة الأولى التي يغلق فيها حزب لحركته الاجتماعية الممتدة " الملي جوروش "، فقد أغلق العسكريون " حزب النظام الوطني " بقرار من المحكمة الدستورية العليا في 20 مايو 1971 م بعد الانقلاب الأول الذي قاموا به في مارس 1970 م، بحجة معارضته لأسس النظام العلمانية، وكان هذا هو أقل الأحزاب التي أسسها " أربكان " عمرا، فقد أسسه في يناير عام 1970م.

ولكنه سرعان ما عاد من سويسرا إلى تركيا وأسس في 11 أكتوبر 1972 م حزب السلامة الوطني ليعبر عن رؤية أكثر صلابة وتجذرا في الواقع التركي الذي اقترب وتماس بقوة من الإسلام في فترة السبعينيات ودخل حزب السلامة الانتخابات مرتين كأول حزب إسلامي يعبر عن العودة إلى الإسلام ويطالب بأن يكون للإسلام دور في الحياة العامة وفي النظام السياسي وفي المرة الأولى حقق 11.8% من الأصوات في الانتخابات البرلمانية و 12.3% في انتخابات مجلس الشيوخ، وفي المرة الثانية في انتخابات 5 يونية المبكرة حصل علي 8.6%، وشارك حزب السلامة في 3 ائتلافات حكومية الأولى في 26 يناير 1974 م مع خصمه اللدود حزب الشعب حيث تولى " أربكان " نائب رئيس الوزراء في حكومة " بولنت أجاويد " وشارك بـ 6 حقائب وزارية، والثانية مع " حكومة الجبهة القومية الأولى " 31 مارس 1975 م وكان " أربكان " نائبا لرئيس الوزراء وكان لحزب السلامة 7 وزراء والثالثة مع " حكومة الجبهة القومية الثانية " في 21 يوليو 1977 وكان " أربكان " نائب رئيس الوزراء ولحزب السلامة الوطني 6 وزارات، وأغلق حزب السلامة بعد انقلاب 12 سبتمبر 1981 م بدعوي تهديد النظام العلماني ووقف

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

الأصولية الإسلامية.

وسرعان ما عادت حركة “الملي جوروش” لتعبر عن نفسها من خلال حزب الرفاه عام 1983 م⁽¹⁾.

إغلاق حزب يعبر عن الحركة الإسلامية التركية لا يعني توقف التعبير السياسي للإسلام عن الوجود أو انتهاء تمثيله في الحياة الحزبية ولذا قال **“أركان”** بعد إغلاق الرفاه: **“إن إغلاقه لا يعد في نهاية الأمر كونه نقطة بسيطة في مجري أحداث التاريخ وأنه لن يبطل عجلته”** وعقد مؤتمراً صحفياً قال فيه **“إنه يحترم قرار المحاكم حتى لو كانت قراراتها خاطئة ودعا أعضاء حزبه إلى التزام الهدوء والحذر واليقظة من محاولات شق الصفوف واختلاق الفتن، وقال: إن قضية وعقيدة الرفاه هي قضية الأمة بأسرها وأن الشعب التركي أثبت في كل مرة أنه يقف مع المظلوم، وأوضح أنه سيلجأ إلى المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان وأنه علي يقين من نقضها لحكم المحكمة الدستورية العليا التركية، وأضاف “إن إغلاق “الرفاه” لن يؤدي إلا إلى تسريع صعود الحزب الإسلامي المقبل إلى السلطة.**

وأعطى **“أركان”** تعليمات صريحة بعدم ردود الأفعال المتطرفة والمندفعة من جانب أنصاره⁽¹⁾ ووجه مصدر رفاهي بارز ما أسماه **“رسالة إلى أصدقاء الرفاه العرب”** قال فيها **“اطمئن إخواني العرب أن لا يقلقوا علي مستقبل “الرفاه” عندما يلاحظون عدم حصول رد فعل من**

(1) عن تحولات حركة “الملي جوروش” واتخاذها أشكالاً لتنظيمات سياسية متعددة راجع: محمد نور الدين، قبعة وعمامة، م. س. ذ، ص 83 - 88.

(1) المسلمون، تركيا بعد حل حزب الرفاه / 1998/1/42.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

وأصبح حزب الفضيلة هو الكتلة النيابية الأكبر في البرلمان التركي⁽¹⁾.

وتخلي “ إسماعيل ألبكتين “ عن رئاسة الحزب ليفسح المجال أمام “ رجائي قوطان “ الذي أصبح رئيساً لحزب الفضيلة في المؤتمر الطارئ للحزب والذي انعقد في 14/5/1998 م، ثم جدد الحزب انتخابه مرة أخرى في المؤتمر المنعقد في 14/5/2000 م في مواجهة “ عبد الله جول “ الذي كان يعبر عن جيل جديد داخل الحركة الإسلامية يرى أنه قد اكتمل عوده السياسي ليتولى هو مقاليد توجيه الأمور داخل الحركة الإسلامية التركية⁽²⁾.

- هذا في الواقع تعبير عن طموحات جيل الوسط داخل التيار الإسلامي في أن يصبحوا هم ربان السفينة التي يعتقدون أنها بحاجة إلى ملاح من طراز أكثر وعياً وخبرة بمشاكل الواقع من جيل الشيوخ. وهم يعتقدون أن حالة تركيا ذات وضع خاص تحتاج إلى نوع مختلف من الاجتهاد السياسي الجديد عن ذلك الذي قدمه جيل الشيوخ “ أربكان والذين

(1) بعد دخول حكم المحكمة الدستورية العليا حيز التنفيذ بعد نشر قرار حل “ الرفاه “ في الجريدة الرسمية بتاريخ 22 فبراير 1998م، انتقل أعضاء الرفاه الذين أصبحوا في حكم المستقلين إلى حزب الفضيلة الذي أصبح يملك أكبر كتلة برلمانية في البرلمان التركي (140 نائباً) وراجع الأهرام، الرفاه صار تاريخاً.. والفضيلة قادم مع التعديلات، 1998/3/3 م

(2) كان من الواضح لدينا أنه بعد حل الرفاه وجد تيار داخل حركة “ الملي جوروش “ من الشباب الذين يعرفون داخل الحركات الإسلامية بجيل الوسط تكون لديهم وعي مختلف بطبيعة المشاكل التي تواجهها تركيا وأن طرائق “ الرفاه “ التي تعتمد على المواجهة مع العسكر الذين يمثلون القوة الرئيسية في النظام السياسي لن تنجز للحركة الإسلامية أو لتركيا الآمال المعلقة على نهضتها، وظل هذا التيار المهم الذي اكتسب شعبية كبيرة لدى المواطنين الأتراك عبر ممارسته في البلديات التركية منذ عام 1994 م يحاول أن يخفي خلافاته مع الجيل القديم “ جيل الآباء “ بيد إن الانتخابات الداخلية لحزب الفضيلة عام 2000 والتي جاءت “ برجائي قوطان “ رئيساً للحزب عمقت القناعة لدى جيل الوسط بضرورة الانفصال عن “ الملي جوروش “ وتأسيس حزب جديد وجاء قرار المحكمة الدستورية العليا بإغلاق حزب الفضيلة ليجعل من ذلك أمراً محسوماً لا رجعة فيه ومن هنا كان ميلاد “ حزب العدالة والتنمية “ الذي يحكم تركيا اليوم.

معه“، وجاء إغلاق “ حزب الفضيلة “ في 2001/6/22 م ليؤكد اقتناع جيل الشباب الذين يطلق عليهم في تركيا “ المجددون المعاصرون “ بأن المسيرة التي قادها “ نجم الدين أربكان “ منذ عام 1970 م بحاجة إلي مراجعة وإعادة نظر في ظل السياق التركي المعقد والذي تعرف دولته العلمانية العنيدة “ بالدولة الخفية “ كما عبر “ جانكيزشانداز “.

تحتاج هذه الدولة إلي إعادة ترتيب قواعد اللعبة السياسية من جديد داخل الحالة الإسلامية السياسية ومن هنا كان تأسيس هذا الجيل الجديد لحزب جديد هو حزب “ العدالة والتنمية “ وهو الحزب الذي يحكم تركيا اليوم منذ عام 2002 م بأغلبية لم تعرفها تركيا - 363 مقعدا منذ الحزب الديموقراطي في الخمسينيات لتحظي لأول مرة منذ انقلاب عام 1960 بنظام حزبي مريح حيث يوجد حزب يمثل قلب اليمين التركي ومركزه بامتياز ومعارضة يعبر عنها حزب يساري.

ويعبر حزب اليمين “ العدالة والتنمية “ الذي يصف نفسه بأنه تعبير

عن

“ الديموقراطية المحافظة “ ومن ثم فهو يعبر عن الإسلاميين وجمهور الرفاه القديم كما يعبر عن القطاعات المؤيدة لأحزاب اليمين القديمة التي انهارت ولم يعد لها وجود مثل “ الوطن الأم “ والطريق المستقيم “.

إن حزب العدالة والتنمية استطاع أن يحقق ما كان “ الرفاه “ يسعى إليه وهو اختراق أحزاب اليمين التركي التي تضم داخلها دائما قطاعات متدينة ومحافظه ليصبح هو المعبر عنها. ويبدو لي أن جيل الوسط التركي ورث تفكير “ شيوخ الحركة “ واستوعبه ولكنه امتلك تكتيكات وإدراك للواقع ووعي به ومعرفة قيوده وحدوده التي لم يكن يمتلكها جيل الشيوخ في الحركة الإسلامية التركية.

الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

ويظل “الفكر الملي” الذي أرسى بذوره “أربكان” متجذراً بقوة في الواقع التركي ومرشح للعودة مرة أخرى ولكن ذلك مرهون بقدرة جيل الوسط الحاكم اليوم في تركيا علي الوفاء بمتطلبات المزاج التركي الحساس للفساد والإصلاحات الاقتصادية والسياسية والحرية والعدالة، فحزب السعادة الذي لم يحقق أي إنجاز يمكنه من دخول البرلمان أو الحصول علي نصيب من البلديات لا يزال مرشحاً لأن يكون خياراً للمواطن التركي في حالة عجز “العدالة والتنمية” أن يوفي بمطالب المواطن التركي. فالتصويت العقابي يصلح بامتياز تفسيراً لسلوك المواطن التركي في الانتخابات خاصة وأن هذا المواطن الذي عاش في ظل حكم علماني طويل لا يحبذ صيغة المواجهة والاستقطاب بين الجيش الذي لا يزال يحظى بثقة المواطن التركي وبين حزب الأغلبية في البرلمان.

الفصل الرابع
العدالة والتنمية ومستقبل
الإسلام السياسي في
تركيا

ويتضمن خمسة مباحث
المبحث الأول: تركيا في مفترق
طرق
المبحث الثاني: المعركة الدائرة
في تركيا
المبحث الثالث: الوثنية
السياسية - خبرة العلمانية
التركية
المبحث الرابع قراءة في مستقبل
تركيا بعد نتائج الانتخابات الأخيرة
المبحث الخامس: تركيا تستهل
عصر الجمهورية الثالثة
خاتمة: الإسلام المقاوم في تركيا

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام السياسي في تركيا

مثلت حركة “الملي جوروش” أي الفكر الوطني التي أسسها “نجم الدين أربكان” عام 1969 م تعبيراً عن تيار وطني يستند إلى منطلقات إسلامية، وهي تعبير عن “حركة اجتماعية جديدة” بمعنى أنها مرآة عكست وجود تغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية شهدتها تركيا طوال فترة الخمسينيات والستينيات و عبرت عن نفسها في ظهور هذه الحركة الاجتماعية الجديدة التي عبرت عن الوجه السياسي للإسلام في تركيا، وكان تأسيس هذه الحركة لأحزاب سياسية متعاقبة أولها النظام الوطني (26 يناير 1970م) ثم السلامة الوطني (11 أكتوبر 1972م) ثم حزب الرفاه (يوليو 1983م) ثم حزب الفضيلة (ديسمبر 1997م) هو تأكيد على أن هذه الحركة الاجتماعية التي تعبر عن الفكر الوطني من منطلق إسلامي لا يمكن القضاء عليها في تركيا وأن جذورها أعمق من قدرة أية قوة أن تتخلص منها أو تجهز عليها بل كلما أغلق لها حزب جاء آخر أقوى وأكبر كما كان يقول “أربكان” دائماً.

بيد أن حركة “الملي جوروش” تعرضت لأول مرة في تاريخها لانقسام عبر عن نفسه في مفارقة “الإسلاميين التجديديين” لمشايخهم وآبائهم القدامى - دعنا نطلق عليهم “الإسلاميون المحافظون” - وهو ما عبر عنه “آباء الحركة الإسلامية في تركيا” بأنها مؤامرة قصد منها

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

تفتتت الحركة من داخلها لإضعافها والقضاء عليها⁽¹⁾.

ولأن حزب العدالة والتنمية بوجه من الوجوه هو تعبير عن استمرارية من نوع جديد للحركة الإسلامية في تركيا فإن التعرض لفهمه وتفسيره هو جزء لا يتجزأ من خبرة “الملي جوروش” وخبرة “حزب الرفاه” أيضا التي هي محور اهتمامنا، وكما يقول “جان ماركو” فلم يكن وصول حزب العدالة والتنمية وزعيمه “رجب طيب أردوغان” إلى السلطة مجرد مغامرة حزبية انتخابية، وإنما يمكن اعتباره حدثاً يتجاوز بكثير الحياة السياسية في تركيا⁽¹⁾.

ونشير إلى “خبرة حزب العدالة والتنمية” في سياق النظام الحزبي التركي في الخلاصات التالية:

أولاً: النظام السياسي التركي قوامه في الواقع أمران هما: الجيش الذي مثل دائماً روح الدولة التركية فهو الذي استعاد لها استقلالها، ثم

(1) راجع في ذلك مثلاً باللغة الإنجليزية:

Mete Gundogan(and others), Strategic Target, Ankara:January, 2005, p. 42 - 43.

ويعتقد قادة “الملي جوروش” أن الصهاينة والأمريكان وراء شق الحركة الإسلامية في تركيا، وأن الانشقاق تم بناءً على إغواء للمجموعة التي يمثلها “أردوغان وعبد الله غول” بالسلطة، ويستدلون على ذلك بالعديد من المقالات التي كتبها “أردوغان” في الصحف الأمريكية منها على سبيل المثال:

RecepTayyipErdogan, A Shared StrategicVision, Washingtonpost, 12April, 2003

....., Turkey IsA Faithful Ally, And a Friend, Wall Street Journal/Europe, March31, 2003.

“وهناك حوار مع مستشار الخارجية الإسرائيلية “Alon Liel” حول ضرورة شق صفوف الحركة الإسلامية في تركيا يستند إليه قيادات “الملي جوروش” في دعم ما يقولونه.

(1) جان ماركو، الإسلام السياسي وم أبعد الإسلام السياسي في تركيا، في: عمرو الشوبكي، إسلاميون وديمقراطيون، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، 2004، ص 184.

النظام الحزبي الذي جعل من “حزب الشعب” تعبيراً عن الوجه السياسي للدولة القومية الجديدة.

بيد أن التحولات الاجتماعية والسياسية الداخلية التي عرفتتها تركيا بعد الحرب العالمية الثانية جعلتها تقبل بضرورة التحول ناحية التعدد الحزبي سنة 1946 م فبدون تعددية حزبية لا يمكن لتركيا أن تكون دولة علمانية حديثة تلاحق الغرب وتسير علي نهجه كما أراد “أتاتورك”.

ويشير كتاب أتراك لهم اعتبارهم إلي أن العامل الخارجي كان قويا لدفع النظام الحزبي التركي ناحية التعددية حيث يتحدثون عن استجابة “عصمت أينونو” زعيم “حزب الشعب الجمهوري” إلي نصائح الأمريكان والإنجليز بشأن “ضرورة توسيع الديمقراطية في تركيا⁽¹⁾.”

ولكن الديمقراطية التركية وكما يشير “متين هيبير” كانت تعبيراً عن القطاع الرأسي في الدولة ولم تتسع لتشمل القطاع الأفقي الذي يعبر عن المجتمع، فالنخبة البيروقراطية التي ورثت الكمالية ابتدعت ما أطلقت عليه “عقلنة الديمقراطية” واعتبرت أن الساسة الذين حاولوا ممارسة الديمقراطية فعلاً هددوا مصالح الدولة ومن ثم لا بد من استبدالهم بساسة يتمتعون بالمسؤولية والإحساس ومستعدين للاستجابة لديموقراطية معقلنة هي تعبير عن جدل النخبة لتحديد السياسة الأفضل وليس للتوفيق بين الرؤي والمصالح المختلفة.

وحين يتدخل الجيش لإعادة رسم حدود الديمقراطية التركية فإنه لا يري العيب أو الخطأ في النظام نفسه أو في الجماعات المجتمعية أو في

(2) راجع هذه الدراسة الفصل الرابع “الإسلام والأحزاب السياسية قبل ظهور الرفاه”، المبحث الثاني “الإسلام والأحزاب السياسية في فترة التعددية السياسية” المطلب الأول “الانتقال إلي التعددية الحزبية وظهور الحزب الديمقراطي”، ص 350

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

نفسه كجيش ولكن في السياسيين أولئك الذين لم يتحلوا بالمسئولية كما ددتها

“ البيروقراطية الكمالية “ وعلي رأسها الجيش، ومن ثم نحن أمام نظام سياسي يتنازع مركزان للقوي أولهما “ العسكر “ و “ بيروقراطية الدولة “ من ناحية، وثانيهما النخب السياسية والحزبية من ناحية أخرى⁽¹⁾.

ثانياً: المهندسون السياسيون للنظام السياسي في رسمهم للنظام الحزبي التركي هدفوا إلي جعله نظاماً ثنائياً يدور الصراع فيه بين حزبين كبيرين أحدهما يميني ليبرالي والثاني يساري اجتماعي بيد إن الأحزاب الصغيرة قد عرفت طريقها للتأثير في النظام الحزبي التركي الذي عرف استقطاباً حاداً بين اليمين واليسار في السبعينيات، وكان علي رأس هذه الأحزاب “ حزب السلامة الوطني “ MSP الذي كان تعبيراً عن تيار جديد في الساحة التركية وهو التيار الإسلامي⁽²⁾.

كان اليمين واليسار في النظام الحزبي التركي تعبيراً عن العلمانية بيد إن حزب السلامة كان يعبر عن تيار إسلامي وطني يختلف عن اليمين واليسار، وكما يقول “ فيلاديمير إيفانوفيتش دانيلوف “ بحق “ تسعى الطبقة الحاكمة لجعل النظام الذي اختارته بنفسها مناسباً لخلق هيمنتها السياسية عليه في الوقت الذي تسعى فيه لجعل هذا النظام متوازناً ومستقراً لكي يتمكن من تحقيق مصالح البرجوازية في الحياة وأثناء ذلك تقترح

(1) Metin Heber and Jacob M. Landau, Political Parties and Democracy in Turkey London:WBC Print Ltd, Bridgend, 1991 pp. 2 - 6.

(2) عن حزب السلامة وتأثيره في الحياة السياسية التركية راجع هذه الدراسة: الفصل الرابع بعنوان “ الإسلام والأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه “ المبحث الرابع بعنوان “ أحزاب الملي جورش والحياة السياسية في تركيا (1970 - 1980)، المطلب الرابع “ حزب السلامة يشكل الحكومة مع حزبي الشعب والعدالة “، ص 387 وما بعدها.

الأحزاب السياسية مؤيدة من المجموعات التي تتكئل معها من البرجوازية عدداً من الخيارات ابتداءً من النظم شديدة التسلط ووصولاً إلى النظام الاشتراكي وحتى الديموقراطي، إلا أن أياً من هذه الخيارات السابقة الذكر لم يتمكن من الاستحواذ علي مواقع وطيدة لتأمين الاستقرار السياسي، والذي يبدو معه النظام السياسي غير قادر علي ممارسة العمل بشكل طبيعي أو فعال⁽¹⁾.

وهكذا كان حال تركيا أيضاً في الثمانينيات والتسعينيات قبل أن يفوز حزب العدالة والتنمية في انتخابات 3 نوفمبر عام 2002 م وحصوله علي 363 مقعداً من مقاعد البرلمان ليكنس ركام من الفساد السياسي والتنازع الحزبي الذي شل النظام السياسي التركي فيما اعتبر " ثورة صامتة " من جانب الناخبين ضد عجز النخبة السياسية التقليدية عن حل مشاكل البلاد.

فقد أسفر انتصار حزب العدالة عن تصفية طبقة سياسية كاملة فيما يمكن أن نصفه بإعادة بناء النخبة السياسية التركية، ولن نكون مبالغين إذا قلنا أننا بإزاء " انقلاب مدني " في الحياة الحزبية فبعدما كان الجيش هو الذي يتدخل لإعادة هندسة الحياة الحزبية والسياسية فإن الجماهير واختياراتها هي التي أعادت بناء هذه الحياة من جديد وهو ما يشير إلي تعزيز الخيار الديموقراطي كأداة لتجديد الحياة السياسية وليس العسكر وانقلاباتهم.

ولو تابعنا حجم الضغوط الهائلة التي مارسها العسكر علي حزب العدالة والتنمية لمنع نجاحه في الانتخابات⁽²⁾ لقلنا إن نجاحه كان انتصاراً

(1) فلاديمير ايفانوفيتش دانييلوف، الصراع السياسي في تركيا، الأحزاب السياسية والجيش، ترجمة يوسف إبراهيم الجهماني، دمشق: دار حوران للطباعة والنشر، ط1، 1990، ص10.

(2) محمد نور الدين، تركيا: الإسلاميون في السلطة، شئون الأوسط، شتاء 2003، ص 194.

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

حاسماً علي دور العسكر في توجيه الحياة السياسية وفتح الباب أمام إمكانية استعادة النظام السياسي التركي لعافيته الديمقراطية عبر الآليات الطبيعية لها بعيداً عن “الديموقراطية المعقنة” التي يضع شروطها النخبة العسكرية والبيروقراطية وفق هندسة خاصة تعوق التطور الديموقراطي للبلاد.

ثالثاً: بتحليل نتائج التصويت لحزب العدالة والتنمية والذي حصل علي 34.3% نجد أن الحزب عبر عن شريحة واسعة جداً من الناخبين منهم إسلاميون ويمينيون ويسار وفئات ساخطة علي الفساد السياسي والحزبي في البلاد ومن ثم عاقبت النخبة التقليدية القديمة بإسقاطها ورموزها مرة واحدة بضربة قاضية لن تقوم لهم بعدها قائمة.

وهنا يبدو لنا حزب “العدالة والتنمية” تعبيراً عن تركيبة سياسية واجتماعية جديدة، لا هي علمانية بالمعني الذي يمثلها يمين الوسط التركي (الطريق المستقيم والوطن الأم) ولا هي كمالية بالمعني الذي يعبر عنه يسار الوسط التركي “حزب الشعب الجمهوري وحزب اليسار الديموقراطي)، ولا هي إسلامية بالمعني الذي عبر عنه حزب “الرفاه” وحركة “الملي الجوروش”، ولكنه تعبير عن الإسلامية واليسارية واليمينية في صيغة جديدة لا تميل للمواجهة أو الاستقطاب كما أنها لا تنزع إلي استخدام الدين كأداة في الصراع الاجتماعي والسياسي وفي نفس الوقت تحمل عنوان تغيير الطبيعة الأصولية للدولة الكمالية نحو الديموقراطية والتعددية والاعتراف بالآخر بدون إقصاء، وهذه الصيغة الجديدة التي حملها جيل الوسط من تلامذة “أربكان” رأوا من خلال خبرتهم الذاتية أنها هي القادرة علي الانتقال بمجتمعهم التركي إلي التقدم والنهضة وليس الاستقطاب والصراع الذي يعود بالحالة الإسلامية إلي

أدرجها دون الحفاظ علي منجزاتها⁽¹⁾.

رابعا: فوز “ حزب العدالة والتنمية “ المكتسح والذي لم يكن متوقعا بهذا الحجم - جاء عنواناً لفشل العسكر في الحملة التي دشنها ضد ما أطلقوا عليه استئصال “ الأصولية “ أو “ الرجعية “ في حرب طويلة قد تمتد لألف عام كما عبر بعض قياداتهم، فهم شنوا حربا لا هوادة فيها إبان الحملة الانتخابية للحزب علي “ رجب طيب أردوغان “ و المرشحين علي قوائم الحزب ومن ثم فإنه علي العسكر أن يدركوا أن تطرفهم في مواجهة التوجهات الإسلامية في تركيا لن يقضي عليها بل سيؤدي إلي زيادة تصويت الناخبين لهم.

و لا بد من صيغة توافقية تقوم علي فكرة الحل الوسط التاريخي الذي يحترم عقائد الإسلاميين وحقهم في التعبير واعتماد علمانية تقبل بقواعد

(1) حزب العدالة والتنمية: نهج الإسلاميين الجدد في تركيا في دليل الحركات الإسلامية في العالم، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، العدد الأول، 2005 حيث يشير الباحث إلي أن حزب العدالة ليس حزبا علمانيا ولكنه تعبير عن توليفة أيديولوجية تزواج بين الإسلام الروحي والعلمانية السياسية وهو يشبهه بالأحزاب الديمقراطية المسيحية في أوروبا، وعن الخلفية الإسلامية للحزب وتأثيرها علي النجاح الكبير له يقول “ يوكسال سويلماز “ الكاتب التركي “ الإجابة نعم ولا في نفس الوقت، فالإحساس بالإسلام جزء من الثقافة التركية والآثار مسلمون لكنهم مختلفون في درجات تدينهم وعلي الرغم من أن الكثيرين منهم يخافون الله لكن لا يمارسون شعائر الدين بشكل يومي حيث المسلمون المخلصون ليسوا أغلبية في تركيا، لكن الأحزاب السياسية وبدرجات مختلفة تحاول استغلال الحساسيات الإسلامية للأتراك وحزب العدالة ليس حزبا إسلاميا رسميا بل إن اسمه علماني غير أن سمعته كحزب إسلامي ذي جذور إسلامية اعتبرت ميزة في صورته العامة مما ساعده في انتصاره الانتخابي، ومن جانب آخر إذا كان عامل الإسلام حاكما في اتخاذ القرار الانتخابي فلماذا فشل حزب السعادة الإسلامي.. من المؤكد أن حزب العدالة طور شكلا أكثر تمعدنا واعتدالا من الإسلام، ص 73، ويذهب جان ماركو إلي وصف حزب العدالة والتنمية بما بعد الإسلام السياسي راجع: جان ماركو، الإسلام السياسي وما بعد الإسلام السياسي في تركيا، ص 198 - 201.

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

الديموقراطية والتعددية بما في ذلك الاعتراف بالتعددية الثقافية والاجتماعية للأكراد، وتغيير قواعد إدارة الدولة علي قاعدة العودة إلي المؤسسات السياسية التي أنتجها اختيار الناس وقواعد الديمقراطية لتكون هي الفاعلة في النظام السياسي ومن ثم لا بد للحكومة والبرلمان والأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع الأهلي من أن تستعيد مكانتها في النظام السياسي التركي بحيث لا يكون للجيش مكان في النظام السياسي كما يقرر ذلك الدستور.

فالنضال الحقيقي لحزب العدالة والتنمية يتمثل في كيف تتحول تركيا من “ الدولة العميقة “ إلي الدولة الشفافة “ التي يمكن معرفة كل شئ داخلها وفق قواعد واضحة ومحددة كما هو الحال في الديمقراطيات الأخرى في العالم، والانتقال بالديموقراطية التركية من لحظة النشأة والميلاد - وهي قديمة فعلا - إلي لحظات الانتشار بحيث تصبح جزءاً من الثقافة السياسية التركية.

وعن طريق مقرطة الدولة التركية تنتقل من هواجسها التي ورثتها عن حرب الاستقلال وتبدو أكثر ثقة في التعامل مع مشاكلها بعيداً عن الأيديولوجية القومية التي بناها أتاتورك والتي ألغت شخصية الأكراد وبعيداً عن العلمانية التي تريد إلغاء حق المخالفين للأتاتورية في التعبير عن أنفسهم وعلي رأسهم الإسلاميين⁽¹⁾.

(1) هناك هواجس سياسية مربعة لدي التيارات السياسية العلمانية والإسلامية معا حول وجود خطر داهم علي تركيا، فالعلمانيون يدركون كيف نشأت تركيا الجمهورية في سياق توازن دولي عبرت عنه معاهدة لوزان، والإسلاميون يدركون كيف صنعت الأيدي الخارجية الوجود المعاصر لتركيا وخاصة المنظمات الدولية والصهيونية والماسونية ويهود الدونمة ولايزال لهم الباع الأكبر في توجيه السياسة الداخلية والخارجية ومن ثم لاتزال تركيا لم تصل إلي الطور السياسي والاجتماعي الذي تشعر معه فيه أنها دولة طبيعية كبقية دول العالم تتخلص من إحساس الخطر

وكما يقول البروفسور التركي “ محمد ألتان “ : الجمهورية أعلنت لكن الباديشاهية مستمرة، الدولة في تركيا اليوم كما الباديشاه عند العثمانيين، ولقد خلفت الجمهورية الباديشاهية لكنها باديشاهية بدون باديشاه وبدلاً من الباديشاه جاءت البيروقراطية العسكرية والمدنية، الدولة في تركيا تعمل خارج القانون “ وهذا معني “ الدولة العميقة “ أما التزامها بالقانون والتحرر من سطوة البيروقراطية العسكرية والمدنية فمعناه أن تصبح دولة ديموقراطية طبيعية وليست دولة نصف إله أو إله. دولة تعبر عن مجتمعها وليست فوقه أو متعالية عليه⁽²⁾.

خامساً: قال لي بعض متابعي الشأن التركي أن “ أربكان “ كان يضع الإسلام أمامه وهو يقود الصراع مع العلمانية الاستئصالية Militant Secularism في تركيا بينما قرر “ أردوغان “ أن يضعه في قلبه، وبمتابعة عالم الأفكار في تركيا نلاحظ تحولاً كبيراً في الأفكار وتسارعها وانتقالها بشكل واضح وهذا راجع إلى الطبيعة العملية للثقافة التركية والاهتمام بالشأن العام، وإذا كان الرأي العام التركي تحول بهذه الحدة التي رأيناها منذ 1999 م وهي الانتخابات التي سبقت فوز العدالة والتنمية وتشكيله للحكومة الثامنة والخمسين في تاريخ الجمهورية فإن الجيل الذي مثله “ رجب طيب أردوغان “ قد فهم رغبة الشعب في التأسيس لسياسة جديدة وبطريقة مختلفة عن تلك التي عرفها منذ عام 1982 م.

ولذا أعلن أنه سيقود وجهة تركيا ناحية الانضمام للاتحاد الأوروبي، إنه

الذي يراود تياراتها السياسية دائماً، وهنا ربما تكون الديموقراطية هي الجسر الذي تنتقل فيه من دولة تشعر بالخطر إلى دولة لديها ثقة بنفسها وربما يكون حزب العدالة والتنمية هو المرشح للقيام بذلك.

(2) محمد نور الدين، حجاب وحراب، م. س. د، ص 318 - 319.

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

يعبر عن إدراك جديد لهذا الجيل الذي مارس العمل السياسي والخدمي وسط الجماهير والناس وكما قال لنا "علي بولاج": "إنهم تعبير عن "الإسلام المدني" وليس "الإسلام السياسي" أي أنهم يدركون ضرورة وضع اختلافات الآخرين في اعتبارهم وأنهم يقفون منها موقف المحاور المتفهم المتسامح من نفس النقطة والأرضية التي يقف عليها الآخرون بدون تمييز أو تصور استخدام أدوات لفرض ما يريدونه علي الآخرين. أن يعيش الناس أفقياً معاً، وليس عمودياً، أي لا يكون تعبيراً عن كمالية جديدة ترتدي ثوباً إسلامياً.

وفي الواقع هناك نقطة مهمة جداً يعبر عنها جيل "أردوغان" وهو أنهم تعبير عن تغليب فكرة "الجماعة" في النهضة أكثر من تغليبهم لفكرة "الشريعة" فنحن لدينا تعبيران ذكرناهما من قبل في عملية التجديد الأول التعبير الإحيائي (العقائدي) الذي يغلب فكرة "الشريعة" ومن ثم فلا بد من وجود سلطة أو دولة لتطبيقها علي الناس، فالدولة هنا أولاً ثم إيجاد الأمة التي تحكمها الدولة، والتعبير الإصلاحي (الواقعي) والذي يغلب فكرة "الجماعة" أي واقع الجماعة المسلمة واستصحابه في عملية النهضة والانطلاق منه، وأربكان "ينتمي بهذا المعني للتعبير الإحيائي بينما ينتمي "أردوغان" للتعبير الإصلاحي⁽¹⁾.

(1) عن رؤية الجيل الجديد للدخول في الاتحاد الأوروبي راجع علي الشبكة:

www.qantra.de/webcom/show-article.php/-c-340/-nr-14/-p-1/i.htm
لكيم أغاي، موروث أتاتورك اليوم، الإسلام والكمالية في تركيا. وعن مجادلات متنوعة حول الدخول التركي للاتحاد الأوروبي راجع علي الموقع ذاته ملفاً كاملاً حول تركيا والاتحاد الأوروبي وبشكل عام فإن التيار الذي يمثل أردوغان والعدالة والتنمية والذي يراهن علي إمكانية تغيير الطابع الكمالي القومي للدولة بالدخول للاتحاد الأوروبي يقف في وجهه التيار القومي وحزب الشعب الجمهوري المعارض والتيار العلماني المتحكم في الدولة عبر البيروقراطية الحكومية والعسكر. وراجع أيضاً محمد نور الدين، أربكان وأردوغان، الواقعي والأكثر واقعية، الشرق

سادسا: ولكي نفهم معني “ الديموقراطية المحافظة “ Muhafazakar Demokrasi فإننا نشير إلي مذكره “ رجب طيب أردوغان “ في American Enterprise institute عن مشروع حزب العدالة والتنمية حيث قال “ الديموقراطية المحافظة هي نظام سياسي واجتماعي توفيقى تنسجم فيه الحداثة والتراث من جانب والقيم الإنسانية والعقلانية من جانب ثان، فهي تقبل الجديد والوافد ولا ترفض القديم والمحلي وتحترم الآخر وتؤمن بخصوصية الذات، وترفض “ الديموقراطية المحافظة “ الخطاب السياسي والبناء التنظيمي القائم علي الثنائيات التي تفرض رؤية سياسية أو أيديولوجية أو عرقية أو دينية واحدة تلغي ماسواها.

وتؤكد علي أن الدولة يجب أن يتوقف دورها عند تسيير الأمور من خلال الحد من التناقض عبر التوفيق بين مختلف الاتجاهات بتحقيق التفاعل الإيجابي في المجتمع بما يساهم في إيجاد بيئة يتعايش فيها الجميع دون استقطاب أو استئثار.

وأشار “ أردوغان “ إلي أن تجربة حزب العدالة والتنمية أثبتت عدم التعارض بين الإسلام والديموقراطية وأن الاعتدال والوسطية والأخذ بمبادئ التعددية والديموقراطية هي التجربة التي أرساها صعود حزب العدالة وسعي لترسيخها.

وتتعدى أهداف ديموقراطية الحزب من الانتخابات ونزاهتها والبرلمانات وقديستها إلي تنشيط دور المجتمع المدني واحترام الحريات

الأوسط، 29 / 7 / 2005 فهو يشير إلي أهمية الجماعة في فكر أردوغان وأهمية الدولة عند أربكان.

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

وضمن الحق في الاختلاف والمشاركة السياسية وتوزيع واستقلال السلطات وهي المبادئ العامة للديموقراطية المحافظة والمأمول تحقيقها من قبل حزب العدالة والتنمية في تركيا.

ويهدف مشروع الحزب إلى تخفيف الهواجس التي يثيرها صعود الأحزاب الإسلامية في تركيا من خلال التأكيد على أن الحزب ليس قوة سياسية للتعبير عن هويات ثقافية مكبوتة تتعارض مع طبيعة النظام القائم في الدولة ولكنه يسعى للتوفيق بين طبيعة هذا النظام وتلك الطاقات دون تصادم بين الاتجاهين طالما تهيأت البنية الداخلية لذلك ورضي الفاعلون الأساسيون في هذا النظام عن نتائج النموذج الذي يمثله حزب العدالة⁽¹⁾.

وكان “فكرت بلا” مدير تحرير “مليت” التركية سأل عبد الله جول وعبد اللطيف شنر عن الجديد في حركتهم فقالوا: لن تتمحور حركتنا حول المشاعر والعقائد الدينية وإنما على الأسس الديموقراطية والشفافية والحوار والتعاون، وأن الحركة سوف تعتمد أسلوب العمل الجماعي وليس علاقة الطاعة والتبعية للزعيم وأن الحركة سوف تهتم بقضايا الناس اليومية مثل البطالة وعدالة توزيع الثروة وإصلاح نظام التعليم وتحسين الخدمات، والحركة سوف تركز على المشترك بين كل القوي السياسية والمجتمعية وليس على الاستقطاب وتعميق النزاعات، لن نهدد النظام القائم وسنتجنب الراديكالية في السياسات ومشكلة الحجاب سنحلها في سياق حق المرأة الإنساني في الاختيار ولن تعارض الحركة الكمالية ولكن ستسعى لتحقيق الجزء النهضوي فيها - أي النهوض الاقتصادي

(1) محمد عبد القادر، الديموقراطية المحافظة.. طرح الإسلاميين الأتراك علي موقع:

www.alwihda.com، نقلا عن إسلام أون لاين.

والتنموي⁽¹⁾. نحن إذن أمام نموذج جديد من الفكر السياسي والممارسة العملية التي تعبر عن خصوصية الحالة التركية المعقدة، وهذا النموذج الجديد يواجه مشكلات في غاية التعقيد ولكنه وفق البرنامج الذي يقدمه ربما يكون قادراً علي تحقيق تحول حقيقي نحو صيغة للتعايش بين الديمقراطية والإسلام والحداثة في ظل نظام علماني وهو في هذه الحالة سيتجاوز مجرد كونه خبرة في تركيا إلي غيرها من بلدان العالم العربي والإسلامي⁽²⁾.

سابعاً: حزب العدالة والتنمية يعبر في الواقع عن تطور جديد داخل حركة اجتماعية يتجه بها نحو التيار الرئيسي بعيداً عن الاستقطاب والمواجهة، لأن القواعد التي تمثل هذه الحركة الاجتماعية تميل نحو الاعتدال والبعد عن الأفكار الحدية والمتطرفة بسبب التحولات التي جرت لهذه القواعد.

فالتيار الإسلامي الذي يفترض أنه يمثل حوالي 15% ممن أعطوا للعدالة والتنمية حدث تحول كبير في توجهاتهم نحو الاندماج أكثر في المجتمع ومن ثم الاتجاه ناحية الاعتدال فهؤلاء دخلوا في عمليات اقتصادية وأصبحوا من البرجوازية الجديدة ورأس المال الأخضر في تركيا، كما أن قطاعات من الإسلاميين في تركيا تحولت لتصبح أكثر

(1) راجع في هذه التفصيلات: إبراهيم الداغوي، الإسلام التركي إحياء للمشروع النهضوي المؤجل في الشرق، النهار، 2002/11/29.

(2) جراهام أي فولر، والآن النموذج التركي، مجلة نيوزويك، 2004/10/12 وهي جزء من كتابه The Future OF Political Islam ويذكر فولر أن تركيا هي الدولة الوحيدة في العالم الإسلامي التي حلت الصراع بين الإسلاميين ونظمهم السياسية بإدماجهم في العملية السياسية وأنها هي الدولة الوحيدة التي يحكمها حزب إسلامي منتخب ديموقراطياً وناجح عملياً في العالم الإسلامي.

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

اندماجاً في النظام الاجتماعي والسياسي بعيداً عن الأيديولوجية بعد أن انتقلوا من مرحلة المراقبة السياسية إلى مرحلة النضج، ومن ثم أصبح جزءاً من مشروعاتهم الحفاظ على الاستقرار والبعد عن المواجهة والصراع مع النظام السياسي، والقطاعات الأخرى من غير الإسلاميين من اليسار أو القوميين أو يمين الوسط والذين أعطوا أصواتهم لحزب العدالة أصبحوا هم الآخرين أكثر وعياً بضرورة الانتقال من نظام علماني دولتي قومي لنظام يعترف بالتعددية والآخر ويرون أن التماسي مع أفكار العالم والدخول للاتحاد الأوروبي سوف يكون أكثر تلبية لرغباتهم ومطالبهم.

لم تعد الدولة القومية التي بناها “أتاتورك” ولا العلمانية التي أرساها تعبر عن التحولات التي حدثت لهذه الفئات والتي هي أكثر مدنية (نسبة إلى المدن) وأكثر تماساً مع العالم المعاصر خاصة أوروبا عبر الجوار الجغرافي والأثر في أوروبا، ومن ثم فنحن أمام طبقة وسطى جديدة تريد أن تتحرر من الحدود والقيود لتضع هي قواعدها وقيودها بنفسها.

وتشعر بالمشاركة في العملية السياسية التي يفترض أن تأخذ في اعتبارها صوت القاعدة إلى القمة، إذن الحراك المجتمعي في تركيا تجاوز الحركة المليية التي عبر عنها “أربكان” وتجاوز التيار القومي التقليدي والتيار الكمالي القابض على المؤسسات البيروقراطية والعسكرية، وجاء حزب العدالة والتنمية بأفكاره التجديدية ليكون تعبيراً عن هذه التحولات التي يمثلها التيار الرئيسي اليوم في المجتمع التركي اليوم والذي يري أن السياسة تمارس بطريقة مختلفة.

والمثير أن هناك علاقة طردية بين الحضور الإسلامي في المجتمع التركي وبين الاتجاه نحو الاعتدال والقبالية للاندماج في العملية

الديموقراطية وبالعكس تجد أن ذلك يأخذ شكلا عكسيا في حالة النخبة العلمانية حيث تزداد عزلتها عن مجتمعها ويزداد تشددتها وتبدو أكثر رفضا للاندماج في العملية الديموقراطية⁽¹⁾.

ثامناً: في اللحظة التي يتحول فيها إدراك المؤسسة العسكرية نحو ضرورة أن تصبح تركيا دولة صناعة القرار فيها تتم داخل المؤسسات السياسية بعيداً عن سطوة العسكر وتدخلهم في الحياة السياسية واعتبارهم قوامين بالمصلحة العليا للبلاد دون غيرهم، هنا نكون علي أبواب تحول حقيقي في النظام السياسي التركي، فكما حولت الدولة الإسلاميين في تركيا إلي فاعلين سياسيين أصبحوا في مقدمة المدافعين عن نظام ديموقراطي في تركيا بل وعن علمانية أكثر إنسانية وحادثة تحترم الإنسان والتعددية الاجتماعية والإثنية وتكون فضاءً يتسع كل مواطني تركيا بدون تمييز أو استثناء، هل يمكن أن تتغير طبيعة البيروقراطية العسكرية والبيروقراطية المؤسساتية العلمانية بخطوات أكثر جسارة ناحية المساهمة في أن تصبح تركيا دولة ديموقراطية تعددية حقيقية وليست دولة قومية علمانية؟.

وهذا في الواقع هو جوهر الصراع الذي يخوضه حزب العدالة والتنمية - الانتصار لصوت الجماهير والناس والمجتمع في مواجهة الدولة، وهذا هو محور الصراع الحقيقي الذي يخوضه حزب العدالة والتنمية والذي سيحدد في الواقع مستقبل الإسلام السياسي بل ومستقبل

(1) عن هذه الفكرة راجع علي الشبكة الموقع المهم:

<http://reflectioncafe.blogspot.com>, Secularism: The Turkish Experince

حيث أوردت الندوة آراء مهمة لمتخصصين أترك ذهاباً للفكرة التي طرحناها في المتن وهم “ فاروق بيرتاك وجيني هوايت وبيناز طوبراق وأحمد إيفن وفؤاد كيمان.

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

تركيا ذاتها.

كيف تتغير بنية الدولة التركية بفك القيود الحريية التي تقيد حركة المجتمع عبر دستور وضعته الانكشارية المعاصرة؟ هل نعود للتاريخ ونقول: نحن بحاجة إلي واقعة خيرية جديدة يرسى قواعدها صدر أعظم جديد لتخليص الدولة من إرث الكمالية والعلمانية الأصولية؟ العدالة والتنمية اليوم لديه أغلبية مطلقة تمكنه من تعديل الدستور، وتمكن أردوغان من الترشح لرئاسة الجمهورية في الانتخابات القادمة⁽¹⁾، ومن المعروف أن رئيس الجمهورية يتم اختياره من البرلمان، وهو الذي يمسك بمؤسسات مهمة مثل المحكمة الدستورية العليا ومجلس التعليم الأعلى ويدعو مجلس الأمن القومي للانعقاد و يتولي منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة⁽²⁾، وربما يكون الاستقطاب العلماني - الإسلامي⁽³⁾ في تركيا اليوم والخاص برفض رئيس الدولة تعيين ستة آلاف موظف في الدولة بحجة أنهم إسلاميين والخروج العلماني الكبير عقب مقتل القاضي “مصطفى يوسيل بيلجن” والذي قتله محام إسلامي بسبب منعه ارتداء الحجاب خارج المؤسسات الرسمية للمدرسات في المدارس الابتدائية⁽⁴⁾، هو جزء من المعركة الفاصلة الضارية القادمة حول منصب رئيس الجمهورية بين التيار الإسلامي والتيار العلماني.

ورغم أنه لا يمكن القطع بالنتائج لكنه يمكننا القول إن التيار الذي

(1) من المقرر اجراء الانتخابات الرئاسية التركية في 16 إبريل 2007

(2) عن مهام رئيس الجمهورية المتعددة راجع: جلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م. س. ذ، ص 18.

(3) Yusuf Kanali, Polarization Is Dangerous, Turkish daily news, 18May, 2006.

(4) Turkish Daily news, 18 May, 2006 And Zaman, 18May, 2006.

يمثله حزب العدالة والتنمية وهو الذي يحاول بناء رؤية سياسية جديدة ومختلفة هو التيار الذي سيمثل عامل الجذب والثقل في السياسة التركية والتي كانت تفتقد طوال السبعينيات والثمانينات لمركز ثقل يمكن أن يعطيها معناها.

لا تزال الأسئلة كثيرة ومفتوحة والأبواب علي مصراعيها والمسرح السياسي التركي حافل بالغرائب ومع أهمية الوضع الداخلي التركي فالعامل الخارجي له تأثير كبير في تشكيل السياسة التركية الداخلية.

والظاهرة التي يمثلها جيل حزب العدالة والتنمية في السياسة التركية تحتاج إلي تعمق ونحن فتحنا الباب للتصدي لهذا الظاهرة الزاخرة بالدلالات والتي يبقي السؤال حول مستقبلها سؤال مهم والجواب عليه سوف يجعل من هذه الظاهرة المحلية دلالات تتعداها إلي خارجها في العالم العربي والإسلامي.

* * *

المبحث الأول: تركيا في مفترق الطرق

تعيش تركيا أزمة منذ أكثر من عام في الواقع تحسباً لموعد الانتخابات الرئاسية التي من المفروض أن تحسم يوم 16 مايو الجاري، فالجميع في تركيا يعرف أن حزب العدالة والتنمية AKP - أو الحزب الأبيض - كما يطلق عليه الأتراك - والذي يحكم البلاد منذ نوفمبر 2002 سوف يكون له مرشح للرئاسة، والجميع يعرف أيضاً أن فرص مرشح الحزب تكاد تكون مضمونة في الوصول إلى قلب القلعة العلمانية، ومن هنا كان التوتر والخوف من مجئ رئيس ذي جذور إسلامية إلى نفس المكان الذي اعتلاه مؤسس تركيا الحديثة كمال أتاتورك وأرسي قواعد الحكم فيها من منطلق علماني يستبعد الدين كلية من الحياة الاجتماعية والسياسية والفضاء العام.

المشهد الذي نراه اليوم يعكس حساسية الدولة التركية المفرطة لأي تغيير حقيقي أو اجتراح لمسار جديد مختلف عن ذلك الذي أرساه “أبو الأتراك” أو الباش معلم “كما كان يطلق عليه - فالأتاتورية أو الكمالية تحولت لأيديولوجية صارمة لا يمكن التراجع عنها، ونصب الجيش نفسه ليكون هو حامي هذه الأيديولوجية، فالمادة 2 في الدستور التركي تقرر علمانية الدولة والمادة 14 تقرر حظر النشاطات المنافية للعلمانية وكلاهما لا يمكن تغييرهما أو حتي تقديم مقترح بذلك، والمشكلة هنا هي أن الدولة التركية الجديدة التي انسلخت من ماضيها وتراثها وتاريخها العثماني علي كل المستويات تجد مجتمعا يتوق إلي هذا الماضي وذلك التراث فيما أطلق عليه “العثمانية الجديدة” وهي الصيحة التي أطلقها “أوزال” تعبيراً عن التمدد التركي للقيام بدور إقليمي تجاه دول آسيا الوسطي التي تحررت

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

من الاتحاد السوفيتي الغابر، وعلمانية “أتاتورك” ألغت الدين من الحياة العامة ولكنها اختصرت الدولة في روح مؤسسها والحزب الذي أنشأه وهو حزب الشعب الجمهوري، الذي ظل حزبا واحدا متحكما في الحياة السياسية حتى عام 1945 م.

العلمانية بدون ديموقراطية أفلقت “أتاتورك” الذي ظل مقتنعا بأن اللحاق بالغرب لا يمكن تحقيقه بدون تعددية حزبية، وقبل أن يموت اصطنع حزبا باسم “الحزب الجمهوري الحر” كحزب معارض ولكنه لم يتحمله وتم إغلاقه فجميع معارضيه انضموا لذلك الحزب وهاجموه، وظلت البلاد بدون أحزاب معارضة حتى مجئ “عصمت إينونو” إلى السلطة والذي كان أشد تطرفا في التمسك بالعلمانية، لكنه قبل بوجود حزب جديد في الحياة السياسية هو الحزب الديمقراطي الذي أسسه منشقون عن حزب الشعب الجمهوري واستطاع هذه الحزب أن يحصل علي 64 مقعداً في انتخابات عام 1946 وكان شعاره الانتخابي “كفاية.. خلاص”، وما لبث أن اكتسح انتخابات عام 1950 حيث حصل علي 53.6% بينما لم يحصل حزب أتاتورك إلا علي 40% وتحول للمعارضة، وشهدت البلاد استقرارا سياسياً واقتصادياً غير مسبوق حتى عام 1960 الذي شهد أول انقلاب عسكري في تركيا مرسخاً بذلك لتقاليد تدخل العسكر في الحياة السياسية.

ومنذ ذلك الوقت والأحزاب العلمانية التي تتبني الأيديولوجية الكمالية لم تتمكن من الحكم بمفردها و تواجه تراجعاً لصالح ما يمكن أن نطلق عليه

“الأحزاب الديموقراطية المحافظة”، وحزب العدالة والتنمية هو استمرار لتقاليد هذه الأحزاب ويمتلك الأغلبية في البرلمان 357 مقعدا

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

وهو ما أعطي للسياسة التركية معناها وأبعدها عن دوامة الائتلافات الحزبية المتنافرة والحكومات المتعاقبة منذ صعوده للسلطة مع وضع اقتصادي مريح حقق نموا اقتصاديا بلغ 7% وكبح جماح التضخم وجذب قدرا كبيرا من الاستثمارات الأجنبية المباشرة بلغ 20 مليار دولار، وقاد قاطرة التفاوض مع الاتحاد الأوروبي لدخول تركيا إليه، وتري الأحزاب العلمانية أن تمكن العدالة والتنمية من خلق قاعدة توافق عام حول مشروعه (الديموقراطية المحافظة - محافظ كار ديموقراطي سي) يمكن أن تصل به إلى سدة الرئاسة ومن ثم تهديد مكتسبات هذه الأحزاب العلمانية، ومن هنا فإن الاستقطاب السياسي الحاد الذي تعيشه البلاد يعكس بعمق أزمة هوية تعيشها البلاد كما يعكس أزمة شرعية حيث إن البلاد يحكمها اليوم دستور عام 1982 م الذي وضع تحت إشراف قادة انقلاب عام 1980 م ومثل القوي الذي دعمته في ذلك الوقت وهي القوي الكمالية العلمانية التي يمثلها حزب الشعب، ولكنه اليوم أصبح غير كاف لمطالب مجتمع يسعى للتحويل من "الديموقراطية المعقلنة" إلى "الديموقراطية الحقيقية" التي تلتزم فيه مؤسسات الدولة جميعها بما في ذلك الجيش للقانون.

هندسة النظام السياسي التركي:

في عام 1937 تم تعديل المادة الثانية من الدستور التركي لتقرأ علي النحو التالي "الدولة التركية هي جمهورية قومية مركزية علمانية ومتطورة، وكما يقول "محمد ياشار" الأكاديمي التركي "من الممكن أن نتصور أنه عندما توفي "أتاتورك" عام 1938 كانت البلد كلها قد تحولت إلى كيان علماني بحت، وأن الإسلام اختفي من أجل الصالح العام إلا أن الوضع لم يكن كذلك فعلي الرغم من كون الجزء المسيطر من

الصفوة المتعلمة تحول تماماً إلي كيان غربي إلا أن العامة ظلت محافظة وقريبة بطبعها من الإسلام“، ويقوم النظام السياسي التركي علي قاعدتين هما الجيش والنظام الحزبي وتصميم النظام الحزبي قائم علي قبول الأحزاب التي تعبر عن يمين الوسط ويسار الوسط، أي الوسط في اليمين واليسار مع وجود حزبين كبيرين أحدهما في الحكم والثاني في المعارضة مع استبعاد الأحزاب الصغيرة، لكنه مع عجز الأحزاب الكبيرة وضعفها تسللت أحزاب صغيرة إلي الحياة الحزبية واستطاعت أن تحقق قدماً راسخة في الحياة السياسية علي حسابها، هذه الأحزاب كانت تعبيراً عن حركة “الملي جوروش” أو حركة الفكر الوطني وهي الحركة التي أسسها “أربكان” - الأب الروحي للإسلام السياسي في تركيا منذ عام 1969 وأصبحت لاعباً لا يمكن تجاهله، ودخلت هذه الحركة ممثلة في “حزب السلامة الوطني” منذ مطلع السبعينيات في عدد من الائتلافات كان أبرزها مع حزب الشعب الجمهوري العلماني الكمالي عام 1974 وهو الائتلاف الذي قاد عملية إنزال الجيش التركي في قبرص لحماية القبارصة الأتراك، ثم مع حزب العدالة الديموقراطي المحافظ عام 1975، وعام 1997، وهنا تقف تركيا لتعبر عن نموذج من التوافق المحير الذي تستدعيه المصلحة الوطنية بين العلمانية والتيارات الإسلامية، وحتى هذه اللحظة كانت العلمانية التركية تقبل بتواجد للتيار الإسلامي في الفضاء العام السياسي بشرط احترامه للجمهورية وللدستور العلماني، وبينما اقتنع التيار العلماني بأنه لا يمكن شطب التيار الإسلامي كقوة اجتماعية من الوجود السياسي، حاول التيار الإسلامي التكيف بقدر ما يمكنه مع قواعد اللعبة السياسية، فبقاء الجمهورية والدولة التركية هو غاية لا يمكن لأحد أن يضحي بها ومن ثم لا بد من تنحية الخلافات السياسية من أجل

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

استمرارها، ولكنه مع تقدم التيار الإسلامي واتساعه كانت المحكمة الدستورية العليا وهي أحد المؤسسات المعبرة عن سيادة الجمهورية وعلمايتها تصدر قراراتها المتتالية بإغلاق أحزابه لكونها أحزاب تهدد المبادئ الكمالية وعلي رأسها العلمانية، فهي من أصدرت قرار إغلاق حزب النظام الوطني في 20 مايو 1971 بعد الانقلاب العسكري الثاني للجيش التركي في مارس 1970، ثم هي من أصدرت قرار إغلاق حزب الرفاه في 16 يناير عام 1998 م، ثم قرار إغلاق حزب الفضيلة في 22 يونيو 2001.

هنا نقول هندسة النظام السياسي التركي أنه يمكن قبول الإسلاميين كقوة متواجدة في الحياة السياسية ولكنه لا يمكن قبولهم في قلب مؤسسات الدولة العلمانية داخل مؤسسة مجلس الوزراء ومن هنا كان الانقلاب الرابع الذي عرف باسم “انقلاب ما بعد الحداثة” أو الانقلاب اللطيف” فهو انقلاب مؤسسي لم يتم استخدام الدبابات والقوة العسكرية فيه ولكن تم توظيف “مجلس الأمن القومي” الذي يعبر عن رغبة العسكر والذي يعطي توصيات تتحول لأوامر لا يمكن عصيانها، فقد تقدم بمذكرة إلي رئيس الوزراء طالبه فيها بالاستجابة لمطالب الجيش التي بلغت 18 مطلباً لحماية تراث العلمانية الكمالية”، واضطر “أربكان” إلي الاستقالة في 18 يونيو 1997م ومغادرة مجلس الوزراء لغير رجعة واعتبر الجيش أن الخطر الأصولي الإسلامي هو الخطر الأول في البلاد بدرجة أكبر من النزعات الانفصالية والفوضوية.

العدالة والتنمية والتأسيس لجمهورية ثالثة:

يمثل “رجب طيب أردوغان” ورفيق كفاحه ودربه “عبد الله جول” ورئيس البرلمان التركي “بولنت أرينج” الجيل الثاني من الحركة

الإسلامية في تركيا بعد جيل الآباء الذي مثله “أربكان” ورجائي قوطان “الرئيس الحالي لحزب السعادة، وهذا الجيل هو الذي أثبت جدارته في إدارة البلديات بعد الانتصار الكاسح لحزب الرفاه في انتخاباتها عام 1994 م، أطل علي السلطة من منظور المسؤولية واقترب من مشاكل الناس وسعي لحلها، ودخل إلي قلب مؤسسات الدولة واقترب منها وعرف حدود التعامل معها، ولذا قرر هذا الجيل الذي يعرف في تركيا بجيل “المجددون المعاصرون” تجاوز حركة الأب الروحي لهم والتأسيس لحركة جديدة تكون علي وعي بالواقع المعقد للدولة التركية والتي أطلق عليها الكاتب التركي المعروف “جنكيز شندار” الدولة الخفية “أو الدولة العميقة”، ومن هنا تأسس “حزب العدالة والتنمية” والذي يعبر عن “الديموقراطية المحافظة” والتي يعرفها “طيب أردوغان” بأنها نظام سياسي واجتماعي توفيق تنسجم فيه الحداثة والتراث من جانب والقيم الإنسانية والعقلانية من جانب ثان فهي تقبل الوافد والجديد ولا ترفض القديم والمحلي وتحترم الآخر وتؤمن بخصوصية الذات وترفض الخطاب السياسي والبناء التنظيمي القائم علي الثنائيات التي تفرض رؤية سياسية أو أيديولوجية أو عرقية أو دينية واحدة تلغي ما سواها.

وتري “الديموقراطية المحافظة - محافظ كار ديموقراسي” أن الدولة يجب أن يتوقف دورها عند تسيير الأمور من خلال العد من التناقض عبر التوفيق بين مختلف الاتجاهات بتحقيق التفاعل الإيجابي في المجتمع بما يساهم في إيجاد بيئة يتعايش فيها الجميع دون استقطاب أو استئثار.

وتجربة حزب العدالة والتنمية في الحكم أثبتت عدم التعارض بين الإسلام والديموقراطية وأن الاعتدال والوسطية والأخذ بمبادئ التعددية

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

والديموقراطية هي ما أكدته صعود الحزب في الحياة السياسية التركية وعمل علي ترسيخه، فهو سعي لتخفيف الهواجس التي يثيرها صعود الأحزاب الإسلامية في تركيا من خلال التأكيد علي أنه ليس قوة سياسية للتعبير عن هويات ثقافية مكبوتة تتعارض مع طبيعة النظام القائم في الدولة ولكنه يسعى للتوفيق بين طبيعة هذا النظام وتلك الطاقات دون تصادم بين الاتجاهين طالما تهيأت البنية الداخلية لذلك ورضي الفاعلون الأساسيون عن نتائج النموذج الذي يمثلته الحزب.

وذكر “ عبد الله جول “ أن الحركة التي يمثلها “ حزب العدالة والتنمية “ لن تتمحور حول المشاعر والعقائد الدينية وإنما علي الأسس الديموقراطية والشفافية والحوار والتعاون والاهتمام بقضايا الناس اليومية مثل البطالة وعدالة توزيع الثروة وإصلاح نظام التعليم وتحسين الخدمات، ومشكلة الحجاب ستحل في سياق الحق الإنساني للمرأة، ولن تعارض الكمالية ولكن ستسعي لتحقيق الجزء النهضوي فيها - أي النهوض الاقتصادي والتنموي.

وإذا كان “ أتاتورك “ قد أسس الجمهورية الأولى التي جاءت للأتراك بالاستقلال والعلمانية، فإن “ توركوت أوزال “ هو مؤسس الجمهورية الثانية وهو أول من طرح العلمانية الكمالية علي بساط البحث ودعا لانتقاد “

أتاتورك “ وإظهار ما له وما عليه وهو أول رئيس جمهورية ثابر علنيا وبصورة منتظمة علي أداء الفروض الدينية وأدي فريضة الحج في أول توليه رئاسة الحكومة عام 1983 وانتعشت الحالة الإسلامية في عهده بشكل غير مسبوق، فالجمهورية الثانية تأخذ في اعتبارها الدين كمكون رئيسي للهوية التركية كما تسعى للتوافق مع المجتمع والتعبير عنه عبر

الاعتراف بالتنوع في إطار الوحدة.

أما الجمهورية الثالثة والتي تشهد تركيا ملامح تكونها منذ مجئ “العدالة والتنمية” للحكم فإنها تسعى لاكتمال ملامح دولة ديموقراطية تعددية تستعيد فيها مؤسسات الدولة المنتخبة هيبتها ويتراجع دور العسكر بعيداً عن التأثير في السياسة وتوجيهها ويتمتع المواطنون كافة بحقوقهم وواجباتهم، وإذا كان الجيش صرح في الأزمة الحالية بأنه المدافع العتيد عن العلمانية فإنه يدرك أن دوره يتراجع وأن المؤسسات المنتخبة (البرلمان، الحكومة، رئاسة الوزراء) ومؤسسات المجتمع المدني هي التي توجه السياسة، وهذا يكشف عنه تصريحات رئيس الوزراء التركي بأن الدفاع عن العلمانية مسؤولية الحكومة، فلم يعد “مجلس الأمن القومي” يملئ شروطه ويفرض توصياته، ويـرـاهـن “حزب العدالة والتنمية” على أن الانضمام للاتحاد الأوروبي والوفاء بشروط الانضمام هي أحد وسائله لاختراق القلعة العلمانية والتي تكون الدولة فيها تعبيراً عن مجتمعها وليست تعبيراً عن أيديولوجية فاشية صلبة لا يمكنها الاستجابة لمتطلبات العصر والحياة وهي الأيديولوجية الكمالية.

وهذا جزء من المشهد الذي نراه اليوم، فجيل العدالة والتنمية يسعى بالانتقال بتركيا إلى عالم الدول الديموقراطية التي تختفي فيها “الدولة العميقة والخفية” لصالح دولة شفافة وقرارات علنية ومؤسسات قوية ودستور حقيقي مختلف عن الدستور الحالي.

وإذا كان تاريخ تركيا منذ منتصف القرن التاسع عشر يعبر عنه تنازع القوي الإصلاحية التي تحاول اللحاق بالمدينة والحداثة الغربية، والقوي التقليدية التي تحاول الاحتفاظ بما هو قائم خوفاً على هويتها، وكانت القوي الإصلاحية دائماً علمانية، والقوي التقليدية دينية، فإننا اليوم أمام قوي

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

الإصلاح التي تحاول استلهاهم الحداثة وتكييفها لخصوصية مجتمعها وهويته الثقافية والإسلامية وهي قوي لها جذور إسلامية ووجه حديث وحدائي بينما القوي المقاومة للإصلاح هي الأحزاب العلمانية والجيش والتي لها وجه قديم ورجعي، لا يمكنه مغادرة أفكار “أتاتورك” ومبادئه التي لم تعد قادرة علي الحياة.

رئاسة الجمهورية في النظام التركي:

يظن كثيرون أن رئاسة الجمهورية التركية منصب شرفي، ولكنه مناصب واسع السلطات وبدون مسئوليات تقريبا، فرئيس الجمهورية يمثل وحدة الأمة وهو رمز الجمهورية ويضمن تنفيذ الدستور وانتظام العمل في أجهزة الدولة، ويجري انتخابه لفترة واحدة مدتها سبع سنوات عن طريق البرلمان
“المجلس الوطني الكبير”، ويكون من بين أعضائه، وقد ينتخب من بين المواطنين ممن يكونوا بلغوا سن الأربعين وأكملوا تعليمهم العالي بشرط اقتراح ما لا يقل عن خمسة أعضاء المجلس ترشيحه لرئاسة الدولة، ويتعين علي الرئيس المنتخب أن يستقيل من حزبه إن كان عضوا بحزب ومهامه وصلاحياته بموجب الدستور هي:

- دعوة المجلس الوطني (البرلمان) للانعقاد عند الضرورة.
- إلقاء خطاب افتتاح المجلس في بداية دورته التشريعية عند الضرورة.
- حق مطالبة المجلس بإعادة النظر في القوانين والمطالبة بإجراء استفتاء عام بشأن قوانين تعديل الدستور.
- دعوة المحكمة الدستورية لإلغاء القوانين أو القرارات الحكومية التي

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

لها قوة القانون علي أساس عدم دستوريّتها من الناحية الشكلية أو الموضوعية.

- تعيين رئيس الوزراء وقبول استقالته وتعيين الوزراء وإقالتهم بناء علي اقتراح من رئيس الوزراء.

- دعوة مجلس الوزراء للانعقاد برئاسته عند الضرورة.

- الموافقة علي تعيين ممثلي تركيا لدي الدول الأخرى، وقبول أوراق اعتماد ممثلي الأخيرة لدي تركيا.

- التصديق علي الاتفاقيات الدولية.

- تولي منصب القائد العام للقوات المسلحة التركية نيابة عن المجلس الوطني (البرلمان) واتخاذ القرارات المتعلقة باستخدام هذه القوات، وتعيين رئيس الأركان العامة.

- دعوة مجلس الأمن القومي للانعقاد ورئاسته.

- إعلان الأحكام العرفية أو حالة الطوارئ وإصدار قرارات لها قوة القانون بما يتفق وقرارات مجلس الوزراء المنعقد برئاسته والتوقيع علي القرارات.

- تعيين أعضاء المجلس الأعلى للتعليم ورؤساء الجامعات.

- تعيين أعضاء المحكمة الدستورية و25% من أعضاء مجلس الدولة والمدعي العام ونائبه في محكمة الاستئناف العليا وأعضاء محكمة الاستئناف العسكرية العليا وأعضاء المحكمة الإدارية العسكرية العليا وأعضاء المجلس الأعلى للقضاء ووكلاء النيابة العموميين.

فـرئيس الدولة له سلطة كبيرة أشبه ما تكون بسلطة “الباديشاه” أيام

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

الخلافة العثمانية، ومن ثم فإن معركة الصراع علي مؤسسة الرئاسة لها بعد رمزي حيث إن من يتولى هذا المنصب الرفيع هو المعبر عن روح الجمهورية وهو رمزها، ومن ثم فإن وصول مرشح العدالة والتنمية إلي هذا المنصب هو إعلان رمزي بنهاية الكمالية، والتحول إلي علمانية لها وجه ديموقراطي وإنساني يعترف بالتعددية والديموقراطية وحقوق الإنسان وتراعي هوية الأمة الدينية وتعزز تقاليد المواطنة والاعتراف بالآخرين والعمل علي حل مشاكلهم كالأكراد.

الأزمة إلي أين:

بعد قرار المحكمة الدستورية العليا بعدم قانونية انعقاد جلسة البرلمان التي أجرت الجولة الأولى من الاقتراع علي منصب الرئيس بسبب عدم اكتمال النصاب المطلوب لانعقادها وهو 367 صوتاً، فإنه لا مجال لإجراء جولات اقتراع جديدة علي المرشح لمنصب الرئيس “ عبد الله جول “، فأحكام المحكمة الدستورية نهائية وعلي الحكومة الآن أن تذهب للإعداد للانتخابات نيابية جديدة ومبكرة عدة أشهر عما كان مقرراً لها، وذلك من أجل البعد عن مظاهر العنف والاستقطاب والتوتر في الحياة السياسية والتي تؤثر علي الوضع الاقتصادي من ناحية وعلي صورة تركيا وتوجهات نظامها السياسي من ناحية أخرى، ومن المفترض أن تدعو الحكومة للانتخابات في فترة ما بين 45 - 90 يوماً، ومن ثم فإن نتائج الانتخابات البرلمانية الجديدة هي التي ستقرر من سيكون رئيس الجمهورية القادم.

ويبدو من خلال قراءة توجهات الرأي العام التركي أن ما حدث إلي اليوم من عدم مشاركة حزب الشعب الجمهوري في التصويت ولو بالرفض علي مرشح حزب العدالة والذهاب إلي المحكمة الدستورية في

سابقة هي الأولى من نوعها في التاريخ التركي وحكم المحكمة الدستورية بعدم اكتمال نصاب الجلسة الأولى التي عقدت، وخروج القوي العلمانية في أنقره ثم في اسطنبول في مظاهرات ضخمة وتصريحات الجيش بأنه “مدافع شرس عن العلمانية وأنه شريك في الجدل الدائر”، وأداء الحكومة المتزن الذي سعي لوضع الجيش في مكانه وأن رئيس الأركان مسئول أمام رئيس الوزراء، وأنه يتعين علي الجيش أن يبقى تحت سيطرة مدنية صارمة، وأنه لا يصح في دولة ديمقراطية ملتزمة بالقانون أن تصدر مثل هذه التصريحات عن هيئة خاضعة لأمر رئيس الوزراء”، كل ذلك يصب في انحياز الرأي العام التركي إلي ناحية الحكومة، فهو عادة ما يتجه للانتصاف لمن يراه محاصراً ضعيفاً في مواجهة القوي الذي يستعرض عضلاته ونفوذه.

ومن ثم فإن القوي العلمانية في تركيا أجلت فقط مجئ عبد الله جول مرشح حزب العدالة والتنمية إلي منصب الرئاسة وعليها أن تنتهي نفسها لقبول رئيس كانت له جذور إسلامية، كما قبلت من قبل رئيس وزراء له نفس الجذور.

* * *

المبحث الثاني: المعركة الدائرة في تركيا..

تركيا التي نراها اليوم مساحتها أقل من مليون كم، ولكنها تعبر عن الموجة الكبرى الثانية من الفتح الإسلامي الذي قاده العثمانيون استكمالاً لجهود السلاجقة الأتراك في بداية القرن الثالث عشر الميلادي، ومدينة اسطنبول الضخمة التي تتوزع بين قارتي آسيا وأوروبا، ويشرف عليها في الجانب الأوروبي المسجد السلیماني الضخم، كما يبدو في الأفق القصر الضخم الذي حكم العثمانيون منه العالم والمعروف “ بطوب قابو “، وبها مسجد محمد الفاتح ومسجد الصحابي الجليل “ أبو أيوب الأنصاري “ وقبره، والصور القديم الضخم للقسطنطينية (مركز العالم الأرثوذكسي الامبراطوري “ قبل أن تصبح “ إسلام بول “ أي مدينة الإسلام - ومسجد آيا صوفيا الذي كان كنيسة ولا يزال في غالبه متحفاً حتي اليوم بضغوط غربية، لم يستطع “ أتاتورك “ تحمل العبء الإسلامي القوي في المدينة، فهرب إلي أنقره التي يشعر زائرها بالضيق فليس بها سوى بعض التماثيل ومؤسسات الحكم العلمانية التي أقامها “ أتاتورك “.

تعبير ترك وأتراك وتركيا، لم يكن معروفا أيام الدولة العثمانية، حيث لم يكن هناك انتماء للقومية والعرق، وإنما الانتماء للدولة العثمانية باعتبارها جامعة لشعوب متعددة تحترم الإسلام ونظامه وتدين بالولاء للسلطان والخليفة والخلافة باعتبارها رمز الإسلام وعنوانه، فالتركي كان تعبيراً عن عدم التحضر في السلوك، ولم تصعد تعبيرات الترك هذه إلا مع انهيار حكم الدولة العثمانية وسقوط السلطان عبد الحميد سنة 1908 م، وهو العصر الذي بدأ بحكم الاتحاد والترقي وانتهى بقمة جبل الجليد

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

متمثلاً في كمال أتاتورك 1923 م وهو العام الذي تأسس فيه حزب الشعب الجمهوري الذي ظل يحكم تركيا منفرداً حتى عام 1946 م.

تعرضت تركيا للاحتلال الكامل من دول الحلفاء بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، واحتل اليونانيون الأعداء التقليديون للعثمانيين والإسلام وتركيا منطقة أزمير، ودخلوا عاصمة الخلافة الإسلامية في مشهد حزين أعاد للأذهان دخول التتار لعاصمة الخلافة العباسية بغداد في 1258 م، وكانت هناك حرب للتحرير هي التي بزغ فيها نجم "أتاتورك" الذي كان ياوران للسلطان والذي بدأ المقاومة بتحريض منه وبأموال دفعها له، ولكن هـ
تمرد عليه.

اتفاقية لوزان 1923 والتي منحت تركيا الاستقلال اليوم هي معاهدة دولية كان ضمن بنودها إسقاط الخلافة العثمانية وهي رغم ضعفها من بعد السلطان عبد الحميد ولكنها كانت رمزاً يسعى مشعلو حرب "المسألة الشرقية" إلى إنهاؤها بإعلان إسقاط الخلافة وقام أتاتورك بذلك وكوفئ بتتويجه وكيلاً للحضارة الغربية علي جسد تركيا التي كانت قلب دار الإسلام.

علمنة تركيا:

العلمنة تسللت إلى أفكار المثقفين في العالم الإسلامي من خلال التأثير بالثورة الفرنسية، والثقافة الفرنسية هي التي كانت سائدة في الدولة العثمانية وفي حواضر الإسلام الكبيرة كمصر، وظهر هذا الاتجاه بقوة داخل مؤسسة الخلافة ذاتها، معتقداً أن الهزيمة أمام الغرب حلها يكون باتباع قيمه والتزام حضارته واتباع سننه، وجاء "أتاتورك" ليعبر عن

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

هذا الاتجاه ليس كتيار فكري وإنما كحاكم يمسك بالسلطة والثروة وبارادة نافذة لا يمكن مقاومتها أو الاعتراض عليها، وهناك دراسات عديدة تتحدث عن الأمراض النفسية التي كان يعاني منها “أتاتورك” - وهذا ليس اسمه الحقيقي، فاسمه مصطفى كمال - ولكن جنونه دفعه لتغيير كل الأسماء القديمة واختيار أسماء جديدة للأتراك - ومعناه أبو الأتراك، فهو كان يعتقد أنه الباعث الحقيقي لنهضة تركيا وتقدمها، ومن سافر لتركيا يلاحظ أن جميع تماثيل أتاتورك تشير إلى الغرب، أي أن الغرب هو الوجهة التي علي تركيا أن تتجه إليها.

ظل نص “الدين الرسمي هو الدين الإسلامي لتركيا” حتي قبل وفاة “أتاتورك” بعام أي حتي عام 1937 م، وكان آخر تعديل في الدستور التركي الذي عرف حوالي 10 تعديلات، وأثبت في المادة الثانية من الدستور التركي أن “تركيا دولة علمانية” واعتبر نصا لا يمكن تغييره، وكل تعديلات الدستور التركي كانت في اتجاه حذف كل ما له صلة بالإسلام من آثار العثمانيين من أول ما تبقي من الشريعة - الأحوال الشخصية وحتى القيافة أي الأزياء - ما يرتديه الرجال والنساء، وصارت تركيا في كل أوضاعها المؤسسية والدستورية والقانونية علمانية لا مكان للدين الإسلامي فيها مطلقاً، ومثل ذلك كارثة كبيرة لكل العلماء والمثقفين والمدرسين والخطباء والوعاظ والقادة الذين اعتبروا الإسلام والخلافة جزءاً مهما من وجودهم وحياتهم، فضاقت بهم تركيا الجديدة وهاجروا منها في أفواج، تشير المعلومات إلي أن من هاجر إلي مصر وحدها بلغ أكثر من مائة من العلماء والوجهاء والمثقفين وأكابر القوم وكان علي رأسهم العلامة شمس الدين محمد عاكف أرصوي “الذي

ألف نشيد الاستقلال لتركيا والذي لا يزال جزءاً من ثوابتها إلي اليوم، وهو يمثل أحد رواد الحركة الإسلامية في تركيا.

في فترة حكم “أتاتورك” المرعبة التي تشابه حكم ستالين “ في الاتحاد السوفيتي الغابر، تعرض الكثير من العلماء للموت شنقاً، وأنا أسير مع أحد الأصدقاء حول مسجد الفاتح في حيه باسطنبول، أشار لي مرافقي إلي المواطن التي كانت تعلق فيها جثث العلماء المعارضين لهذا الطاغية، وظل حزب الشعب يحكم وحده ويرأسه “أتاتورك”، ولم يتحمل المعارضة الملكية حين جاء بصديق له اسمه “فتحي أوقيار” وجعله يؤسس حزبا اسمه “الحزب الجمهوري الحر” ودخله معارضو “أتاتورك” ومزقوا صورته وداسوها بالأقدام، ولم يتحمل فأغلقه، وجاء عصمت إينونو “ من بعده وكان أكثر وحشية وعلمانية، وأدرك أنه لم يعد ممكنا لتركيا أن تظل بدون تعددية حزبية، فقبل تأسيس مجموعة من المعارضين لحزب الشعب لحزب جديد سموه “الحزب الديمقراطي” ودخل الحزب الانتخابات البرلمانية علي عجل وحقق نتائج مبهرة (حصل علي 46 مقعدا)، وفي الدورة التالية عام 1950 اكتسح البرلمان وشكل الحكومة وتحول حزب الشعب إلي المعارضة، وبدأ الإحياء الإسلامي الأول في تركيا، فأعيد الأذان بالعربية وبدأ القرآن ييثر من الإذاعة وبدأت دورات تعليم الدين في الجيش، وافتتحت كلية الإلهيات ومدارس الأئمة والخطباء وهكذا بدأ استعادة الإسلام لمكانته ودوره في الحياة.

الإسلام المنتصر:

مهندس النظام التركي أقامه علي الجيش والنظام الحزبي، والنظام الحزبي يقبل بأحزاب الوسط في اليمين واليسار، والأحزاب الكبيرة هي المسيطرة والصغيرة لا مكان لها، ولم يكن للإسلاميين مكان في هذه

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

اللعبة، ولكن بعد عام 1960 والانقلاب الأول لم تعرف السياسة استقراراً وكان هناك أجنحة للإسلاميين في الأحزاب، ولكنه في نهاية عام 1969 تأسست أول لجنة في الحركة الإسلامية المعاصرة في تركيا، وتأسس لها حزب مستقل هو حزب النظام الوطني الذي سرعان ما أغلق مع انقلاب 1970 ثم جاء حزب السلامة الوطني الذي دخل في عدد من الائتلافات مع حزب الشعب وحزب العدالة، ولكنه أغلق مع انقلاب 1980 ثم تأسس الرفاه في عام 1983 م، واكتسح الانتخابات المحلية حيث أدي ممثلوه أداء متميزاً ونزيهاً وكان منهم “ طيب أردوغان “ الذي كان عمدة لاسطنبول، ثم اكتسح الانتخابات البرلمانية عام 1995 وشكل حكومة ائتلافية في عام 1996 تولي رئاستها “ أربكان “ أبو الإحياء الإسلامي المعاصر في تركيا، ولكنه لم يكمل العام وتم الانقلاب عليه من الجيش فيما عرف باسم “ انقلاب ما بعد الحداثة “ أو الانقلاب اللطيف “، وخرج من الحكومة ثم تأسس حزب الفضيلة وأغلق من المحكمة الدستورية التي كانت كل مرة تغلق هذه الأحزاب بدعوي تحديها للعلمانية وانتهاك مبادئها، ثم جاء للحكم حزب العدالة والتنمية للسلطة في نوفمبر عام 2002 م مكتسحاً الحياة السياسية وطرد منها الأحزاب الكبيرة التي تربعت علي عرش السياسة التركية منذ الثمانينيات، وأصبح له الأغلبية في البرلمان التركي (373) نائباً أصبحوا 357، وجاء “ طيب أردوغان “ أحد رموز الإسلاميين الأتراك في الثمانينيات، وتبني حزبه ما عرف باسم “ الديموقراطية المحافظة “، واستطاع أن يحقق نجاحات مهمة في الاقتصاد ويحقق الاستقرار للسياسة التركية التي فقدت معناها مع الأحزاب العلمانية اليمينية واليسارية معا.

هنا “ أردوغان “ و “ عبد الله غول “ وبولنت أرينج “ وغيرهم

زوجاتهم محجبات، والحجاب ممنوع بحكم القانون التركي، والديموقراطيون المحافظون، ذوي الجذور الإسلامية هم اليوم في قلب رئاسة الوزراء، وهم دعم لا شك فيه للعودة الكبيرة للإسلام في تركيا، فهناك قانون اجتماعي ثابت في تركيا وفي غيرها حين يكون هناك حكومة غير يسارية أو ديموقراطية محافظة فإن الصعود الإسلامي يمضي إلى وجهته، الإسلام والصحة الإسلامية تتعاظم في ظل الحكومات التي لا تقمع ولا تأخذ موقف أيديولوجي من الإسلام، هناك انتصار وصعود واطمئنان للإسلام في تركيا وهو ما يفسر خروج المظاهرات المليونية في أنقرة وتركيا من جانب العلمانيين، إنهم يقطعون الطريق علي الصعود الإسلامي الذي لا يمكن إيقافه.

تغيير قواعد اللعبة:

المشهد الذي نراه اليوم، وهو ترشيح " غول " لمنصب الرئيس هو استكمال للأدوات الدستورية التي يمكن من خلالها استعادة الدولة التركية من أيدي العلمانيين والقوميين الذين يستلهمون تقاليد أتاتورك "، وإذا كان " طرجوت أوزال " هو من أسس للجمهورية الثانية التي انتقدت العلمانية وطرحتها للنقاش العام، وهو من أعلن تمسكه بالصلاة علناً، وبالقيام بأداء فريضة الحج ورفض تصنيف " أتاتورك " فإن ما يجري اليوم من توتر وصراع هو محاولة استعادة " أردوغان " والذين معه للدولة التركية من الكمالية والعسكر، بحيث يتحول البرلمان إلى مؤسسة حقيقية تتخذ قراراتها دون تأثير من " مجلس الأمن القومي " ودون تأثير بتهديد رئاسة أركان الجيش، ومن يقول إن الرئيس منصبه شرفي في تركيا فإنه لا يعرف قدر ما يستحوذ عليه الرئيس من سلطات دون أية مسؤوليات، لو استطاع الإسلاميون الذي يخوضون المعركة في تركيا

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

اليوم أن ينجحوا في محاولاتهم تغيير قواعد اللعبة وتغيير الدستور العلماني وانتخاب الرئيس مباشرة من الشعب فإن هناك آفاقاً ضخمة لتحول حقيقي في المركب التركي العلماني الأتاتوركي الذي يمثل أكبر عقبة في حياة تركيا، وعندها سوف يحقق الإسلام والمسلمون تحولات اجتماعية وسياسية تستعيد لتركيا وجهها المشرق والمعبر عن الإسلام.

* * *

المبحث الثالث:

الوثنية السياسية.. خبرة العلمانية التركية

في تركيا الجديدة استطاع حزب العدالة والتنمية أن ينتزع نصراً كبيراً علي العلمانية المستبدة بإقرار البرلمان التركي لتعديل الدستور بما يعطي للطالبات المحجبات الحق في الدخول إلي الجامعات بالحجاب، وجاء هذا النصر بعد القراءة الأولى للتعديل الدستور الذي وافقت فيه الأغلبية بـ 401 صوتاً في مقابل 110، وفي القراءة الثانية تحققت الأغلبية بـ 403 صوتاً في مقابل 107 وهو ما يعني أن التعديل تمت الموافقة عليه بشكل نهائي، وكان حزب العدالة والتنمية عمل علي إدخال تعديلات في الدستور التركي أهمها علي الإطلاق حق الفتيات المحجبات في الالتحاق بالجامعة، والمعلوم أن الجامعات في تركيا أحد أهم معاقل العلمانية التركية، فهناك مؤسسات في النظام التركي هي عنوان العلمانية مثل الجيش والجامعات والإدارات البيروقراطية المدنية، والمحكمة الدستورية العليا، وفي شهر ديسمبر الماضي تم تعيين “يوسف ضيا أوزكان” رئيساً لما يطلق عليه “YAK” بالتركية أي “مجلس الجامعات التركية”، والذي يعين رئيس مجلس الجامعات التركية هو “رئيس الجمهورية”، والرئيس الجديد للجامعة يشجع حرية التعبير في الجامعة بما في ذلك حق الطالبات المتدينات اللواتي يرتدين الحجاب في دخول الجامعة، لأن حرمانهم لأسباب متصلة بسلوكهم الديني هو نوع من التمييز الذي يجب أن تترفع عنه الجامعات التركية التي يجب أن تكون ساحة لإعلان الأفكار وتداولها بما في ذلك حق الباحثين والأساتذة في التعبير، ومن خلال متابعتنا للصحف التركية فإن هناك حوالي “دستة” من عمداء الكليات

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

العلمانيين هم من انتفضوا ضد التعديل الدستوري الجديد الذي يدعمه “ حزب العدالة والتنمية “ والحركة القومية التركية “، وهو ما يضمن لهما ثلثي المقاعد التي تتيح لهما تعديل الدستور، وعلي الجانب الآخر من الصورة فإن أكثر من 300 من أساتذة الجامعة وعمدائها أصدروا بياناً أعلنوا فيه إدانتهم لمنع الفتيات المحجبات من الدخول إلى الجامعات، أي أن غالبية أساتذة الجامعات التركية هم مع حق المحجبات في إكمال تعليمهن.

ولكي نتخيل معاً “ وحشية الدولة التركية “ والتي أسسها “ أتاتورك “ فإن رئيس الأركان التركي دخل بنفسه علي الخط وأعلن أنه ضد التعديلات الدستورية التي لا تزال مشروعاً والتي تمنح بنات تركيا الحق في استمرار تعليمهن في الجامعة، ومن المعلوم أن حكماً للمحكمة الدستورية العليا وهي أحد قلاع العلمانية التركية هي التي أصدرت حكماً بمنع الفتيات المحجبات من دخول الجامعة، كان ذلك في الثمانينيات ومنذ ذلك الوقت والحجاب هو أحد العضلات الكبرى في تركيا حيث ترفض الطالبات الجامعيات أن يخلعن الحجاب من أجل دخول الجامعة، واضطر معظمهن إما إلى عدم إكمال التعليم الجامعي تمسكاً بالحجاب أو الذهاب إلى بلدان مجاورة لتركيا للتعليم فيها مثل ماليزيا وسوريا ومصر وغيرها من البلدان العربية والإسلامية.

ثم بدأ العلمانيون إعلاناً لمظاهرات في 17 مدينة تركية ضد مشروع التعديلات الدستورية بدعوي أن فتح الباب لدخول المحجبات الجامعة سوف يؤدي إلى المزيد من المطالب الأخرى والتي تقود في النهاية إلى تغيير الطابع العلماني للدولة التي أسسها “ أتاتورك “.

بالطبع يمكن للمؤيدين للحجاب وهم بالملايين - فتلثي نساء تركيا مع

حق الفتيات الجامعيات في ارتداء الحجاب، وما يقرب من نصف نساء تركيا محجبات - أن يخرجوا في مظاهرات مضادة تأييداً للحجاب وهو ما يعني جر البلاد لنوع من الاستقطاب السياسي الذي يهدد وحدة المجتمع التركي وأمنه، ومن ثم فالمشهد الذي نراه هو نوع فقط من إثبات الوجود العلماني وليس تعبيراً عن عافية حقيقية، إنها مرارة الروح العلمانية التي تشعر أن الرياح والعصر والقبلة والزمان ليس في صالحها، وأن زمان تركيا استدار كهينته يوم أن كانت مسلمة في ظل الخلافة العثمانية.

العلمانية والوثنية السياسية:

العلمانية التركية كما أرسى تقاليدها "أتاتورك" هي علمانية فاشية ضد الإنسان والتاريخ والثقافة والحضارة والطبيعة ذاتها، وهذه العلمانية تهاوت تحت مطارق التحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها البلاد والتي قادت في النهاية إلى هزيمتها أمام "الحزب الديمقراطي" الذي قاده "عدنان مندريس" بعد إعلان التعددية الحزبية في تركيا عام 1946 م، ثم جـمـعـهـا
 "طوجوت أوزال" في الثمانينيات ليعلن أن الجمهورية الأولى التي بناها

"أتاتورك" قد جاوزها الزمن وكان هو أول رئيس وزراء ثم رئيس جمهورية يجهر بأداء الصلاة ثم يذهب لبית الله الحرام ليحج، وهو من فتح الباب واسعاً أمام طبقة رجال الأعمال المسلمين في تركيا ليكونوا جزءاً من المجتمع وليزاحموا لتأكيد الوجود الاقتصادي الإسلامي في تركيا، كان "أوزال" هو من تجرأ على نقد "أتاتورك" وهو أول من تجرأ على "إقالة رئيس للأركان"، وكان يعتبر نفسه المؤسس الحقيقي لما أطلق عليه "الجمهورية الثانية".

أما التوحيد حيث توجد الحدود وتعرف الصفات والمسافات وتحدد فإن الألوهية تكون لله والإنسان هو عبد الله والكون والطبيعة هما مجال الفعل الإنساني، وهناك دائماً “الوحي” - القرآن والسنة الصحيحة - الذي يحدد للإنسان مصادر الإيمان، ومن ثم لا يمكن أن تتلاشي المسافات بين الله والإنسان ولا يمكن في الحالة التوحيدية أن يخرج إنسان ليقول “أنا الله، أو ما في الجبة إلا الله” كما يقول الحلوليون في الصوفية والذين كانوا بالضرورة علمانيين بمعنى أن المسافات والحدود بين الله والإنسان انهارت لديهم، ونظروا لأنفسهم بمنظار استكبار وغرور حتي لو كان في صيغة وجد وذوبان وعرفان صوفي كما يزعمون، كما لا يمكن أن يظهر في النسق الإسلامي ديكتاتور فرعون يقول: {ججج} [النازعات: ٢٤] أو يقول: {جججج} [القصص: ٣٨]، فهو هنا بالضرورة علماني أيضاً بمعنى انهيار الحدود والمسافات وسقوط ثنائية الله - الإنسان، وثنائية الإنسان - الطبيعة.

الوثنية السياسية هي تضخيم مكانة إنسان ميت في إدراك إنسان حي تجعله يعتقد أن بإمكانه أن يضر وينفع وأنه يلجؤ إليه في وقت الأزمات والمشكلات، وهكذا تلجأ الأيديولوجيات السياسية والشمولية لتجعل من هذا الميت الذي لا يضر ولا ينفع وثناً، لقد كان مشهد العلمانيين في تركيا وهم يلجأون إلي قبر “أتاتورك” تعبيراً عن العودة إلي حالة البدائية الوثنية وما قبل الحضارة التي يفنق الإنسان فيها الرشد ويتحرر من نزعات الغواية والضعف أمام الشيطان والأيديولوجيات والصيغ الوثنية التي تجعل من الإنسان عبداً لغير الله، والإسلام هو الحضارة فهو الذي أعطي للإنسان حريته وكرامته وبلغ معه رشدته وسواءه، والتوحيد هو تحرير الإنسان من العبودية إلا لربه عبر المسؤولية والفاعلية “إنا عرضنا الأمانة علي السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها

وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً“

مستقبل العلمانية التركية:

العلمانية التركية إلي زوال ومستقبلها إلي أفول، ذلك لأنها كما العلمانية الغربية لا مستقبل لها، لقد كان التصور الغربي يقول إن المزيد من العلمنة سوف يؤدي للمزيد من التحديث والتقدم والديموقراطية والإنسانية والعقلانية كما أنه سيؤدي إلي تراجع الدين، ولكن المزيد من العلمنة لم يؤد لذلك، فالعلمانية هي التي قادت للحروب التي راح ضحيتها الملايين

“الحرب العالمية الأولى والثانية“ وحروب “بوش“ الأخيرة وإن اتخذت غطاءً دينياً لكنها في روحها ذات طابع علماني يقول إنه يريد أن يصبغ العالم كله بصبغة أمريكية وغربية، والعقلانية هي التي قادت إلي الاستعمار وما قيل وقتها عن “عبء الرجل الأبيض“ وهي التي قادت لاحتلال العراق والحرب الدائرة هناك وهي التي قادت لاحتلال أفغانستان والحرب الدائرة هناك، فهي تري الإنسان مادة استعمالية يمكن فقط توظيفها من أجل المقاصد العلمانية والتي هي في الحقيقة مصالح للأقوياء في مواجهة المستضعفين وفق المنطق الدارويني الغربي.

ودعنا نسمع شهادة لأحد أبرز علماء الاجتماع الديني في الغرب وهو “رودني ستارك“ يقول “لا بد من إعلان نهاية إيمان علم الاجتماع بنظرية العلمنة والإقرار بأنها لم تكن سوى محصلة لأفكار وتوجهات محببة، فبعد ثلاثة قرون من إخفاق نبوءاته حري بمبدأ العلمنة أن يلقي في مقبرة النظريات الفاشلة“، تصور كثيرون في العالم الإسلامي أن التحديث يشترط استبعاد الدين والتمسك بالعلمنة بينما أثبتت التطورات خطأ هذه الرؤية فمن الممكن أن يكون الإنسان والنظم السياسية حديثة وفي

نفس الوقت تستند لأسس أخلاقية ودينية، والآن وبعد ما يزيد عن ثمانين عاماً من العلمانية في تركيا فإن نهضة البلاد والتحولات التي تعيشها يقع في القلب منها الإسلاميون وهم ينتقلون من الهامش إلى القلب ويمثلون قاعدة تتسع كل يوم حتي أصبحت تعبر عن التيار الرئيسي في المجتمع التركي، ومن ثم فإن عجلة التاريخ تدور باتجاه استعادة الإسلاميين للفضاء الذي سلبه منهم بالقوة وغشم السلطة “ الدولة الأتاتورية “.

وهذه هي المعركة الدائرة اليوم بين قوي تتراجع وهي القوي العلمانية وقوي تصعد في هدوء وهي القوي الإسلامية والحجاب هو أحد عناوين المعركة التي نشهد بداياتها، يشعر العلمانيون بالخوف والعصبية لأن العلمانية ليست مجرد أيديولوجية ولكنها تعبير عن مصالح وامتيازات، ومن ثم فالذين يخرجون للمظاهرات اليوم يخرجون من أجل مصالحهم وامتيازاتهم التي منحها العلمانية لهم، والإسلاميون يقولون نحن الآن في البرلمان ومن الواجب تعديل الدستور من أجل إعادة الحق للفتيات الجامعيات في استكمال تعليمهن، يقول المشروع المقترح أن الفتاة يجب أن تضع فوق رأسها فقط “ إيشارب “ صغير يربط من تحت عنقها، لكن لا يمكنها ارتداء حجاب كامل كما لا يمكنها تغطية وجهها، وهو ما جعل بعض الإسلاميين في تركيا يتحدثون عن ضرورة أن تكون الحكومة أكثر جرأة في المطالبة بحق هؤلاء الفتيات بحجاب كامل في الجامعات وخارجها في الإدارات المدنية والبيروقراطية.

ولم تنجح مظاهرات العلمانيين ولا تهديدات العسكر في التأثير علي البرلمان التركي الذي أقر للطالبات المحجبات الحق في دخول الجامعة بإضافة تعديلين للدستور ينص الأول علي معاملة مؤسسات الدولة للمواطنين الأتراك علي قدم المساواة والثاني علي المساواة في الحصول

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

علي حق التعليم وهو ما يعني من الناحية العملية إلغاء حظر الحجاب في الجامعات التركية، والحق في الحصول علي التعليم الجامعي، ومن المقرر أن يستكمل التعديل وضعه الدستوري بموافقة رئيس الجمهورية “ عبد الله غول “، ومن ثم تغيير القانون الذي ينظم عمل الجامعات ليقبل بحق الطالبات المسلمات المحجبات بدخول الجامعة، المشهد التركي العام أن العلمانية تتراجع وينكشف الوجه الاستبدادي لدعاتها بينما يتسع القبول العام للتوجه الإسلامي الذي يتقدم وينتقل من الهامش إلي الصدارة، ومسألة الحجاب في الواقع هي واحدة فقط من مظاهر التحول الاجتماعي والسياسي في تركيا والذي يؤكد أن مصير العلمانية إلي زوال بينما مستقبل تركيا هو في العودة إلي دينها وتراثها وحضارتها وثقافتها وتاريخها، إنها العودة التي تتبدي في الأفق إلي الإسلام لكي تعود الحقوق إلي أصحابها ويسترد المسلمون الأرض التي اغتصبها منها العلمانيون.

* * *

المبحث الرابع:

قراءة في مستقبل تركيا بعد نتائج الانتخابات الأخيرة

أظهرت نتائج الانتخابات النيابية الأخيرة في تركيا والتي جرت يوم 22 يوليو اكتساحاً لحزب العدالة والتنمية الحاكم، فقد حصل علي 47% من الأصوات محققاً بذلك تقدماً كبيراً عن نتائج الانتخابات الماضية والتي جرت في نوفمبر 2002 م وحصل فيها الحزب علي 34% من الأصوات، وهو الحزب الذي استطاع تحقيق تقدماً في الانتخابات الثانية له في تركيا علي مدي أكثر من خمسين عاماً.

ورغم أن الحزب حقق نسبة أعلي بفارق كبير عما كان عليه الأمر عام 2002 (363 مقعداً) لكنه حصل علي عدد أقل من المقاعد في البرلمان الحالي (340 مقعداً)، بسبب دخول حزب الحركة القومية إلي الحلبة السياسية وتجاوزه نسبة الـ 10% المطلوب الحصول عليها من أصوات الناخبين لتمثيل الحزب في البرلمان، فقد استطاع الحزب الأخير أن يحصل علي نسبة 14% ويكون له 71 مقعداً في البرلمان التركي، وذلك بسبب تأجج المشاعر القومية لدي المواطنين الأتراك وذلك للضغط التي يمارسها حزب العمال الكردي علي الدولة التركية بما في ذلك إحداث تفجيرات كبيرة في العاصمة أنقرة راح ضحيتها العشرات فضلاً عن الاشتباكات المتعددة علي الحدود مع العراق مع كواادر الحزب الذي يتمترسون في شمال العراق، وهناك تداع بين الأتراك جميعاً علي ضرورة القيام بعملية عسكرية ضخمة ضد قواعد الحزب وكوادره لكن أمريكا تقف ضد مثل هذه الخطط.

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

وتراجع نصيب حزب الشعب الجمهوري من المقاعد هو الآخر من 178 مقعداً إلى 110 مقعداً (حصل علي نسبة 21%) سيخسر منها عشرات المقاعد لحساب نواب حزب الوطن الأم ونواب حزب اليسار الديموقراطي الذين دخلوا الانتخابات النيابية تحت مظلة الحزب.

ويسمح الدستور التركي للمستقلين بدخول الانتخابات للمستقلين أيضاً، ولأنه غير مسموح بحزب كردي فإن الأكراد دخلوا الانتخابات مستقلين واستطاعوا أن يفوزوا بعدد كبير من المقاعد (27) مقعداً وهو ما قد يمكنهم في المستقبل من تكوين كتلة برلمانية تمكنهم من تكوين حزب لهم، ومن بين النواب المستقلين “محسن يازجى أوغلو” زعيم حزب الوحدة الكبرى ذو التوجهات الإسلامية، وأيضاً زعيم حزب الوطن الأم “مسعود يلماز”، ويعد حزب الشعب الجمهوري وريث الكمالية التركية والمدافع العتيد عن العلمانية وحليف الجيش في مواجهة أي توجه إسلامي لتركيا هو أكثر الحزب التي منيت بخسارة في هذه الانتخابات، ذلك أن المواطن التركي عاقب ذلك الحزب بسبب مواقفه المتصلبة من حزب العدالة والتنمية حين أراد أن يطور النظام السياسي التركي نحو اختيار الرئيس مباشرة من الشعب، فهو من أخرج المظاهرات المليونية ضد حزب العدالة والتنمية لإرهابه وهو من تحالف مع المحكمة الدستورية العليا ومع الجيش بالطبع لمنع أي تطوير في الحياة السياسية التركية للانعتاق من سيطرة العسكر والبيروقراطية المتصلبة خاصة في الجامعات والتي تمنع الطالبات المحجبات من دخول الجامعات كما أنها هي التي تمنع خريجي مدارس الأئمة والخطباء من الالتحاق بالكليات الجامعية وتحاصر هذه المدارس التي مثلت في يوم من الأيام قاعدة مهمة للتعرف علي الإسلام والتواصل مع الشريعة الإسلامية والتعرف علي العالم الإسلامي.

الدين والدولة في تركيا المعاصرة

ومن الواضح أن حزب السعادة التركي الذي يقوده “رجائي قوطان” وهو استمرار للأحزاب التي أسسها أبو الحركة الإسلامية المعاصرة في تركيا هو المهندس “نجم الدين أربكان” لم يستطع أن يحقق نسبة الـ 10% التي تمكنه من دخول البرلمان.

الإنجاز الرئيسي الذي شفع لحزب العدالة والتنمية لدى المواطن التركي هو الإنجاز الاقتصادي، فقد استطاع الحزب أن يقفز بمعدلات الدخل بشكل كبير في البلاد، كما استطاع جذب الاستثمارات الأجنبية للبلاد، وآخر تصريحات أردوغان بعد الفوز أنه لا يزال أمام مشوار للوصول بدخل المواطن التركي إلى عشرة آلاف دولار، كما أن البنك المركزي التركي أكد يوم (7/28) أنه لم يعد بحاجة إلى أية قروض من صندوق النقد الدولي، ماذا يمكننا أن نقول؟ نصر كبير أن يتحرر الاقتصاد التركي من هيمنة المؤسسات الأجنبية الامبريالية التي تمتص خيرات الاقتصاديات الإسلامية والعربية، وتفرض عليها أنماط محددة من التنمية الاقتصادية تضمن أن تظل فيها تابعة للاقتصاديات الغربية.

مستقبل تركيا بعد الانتخابات:

الوجهة الحضارية لتركيا وبوصلتها يبدو أنها تتحدد وتتبلور بشكل نهائي، هذه الوجهة الحضارية هي تغيير القبلة التركية من الغرب إلى مكة، فكل تماثيل “أتاتورك” الرجل الصنم - يشير فيها بأصبعه ناحية الغرب فهو القبلة التي يجب أن تصلي إليها تركيا، وهناك معلومات موثوقة أن “أتاتورك” في لحظة تاريخية معينة فكر أن يتحول بتركيا إلى المسيحية ولكنها استعصت عليه.

اليوم - بحمد الله - لدينا وزراء في حزب العدالة والتنمية أغلبهم حج

زاوية وجهة ومحلة ودار في عاصمة الخلافة ودار الإسلام.

لا تزال العلمانية تقاوم في تركيا لكنها مع الصراع الحضاري والتاريخي الدائر في تركيا بقوة اليوم، والذي نشاهده في التنارع بين حزب العدالة والتنمية والأحزاب العلمانية الجيش والبيروقراطية العلمانية والمؤسسات القانونية، مع هذا الصراع فإنها أيديولوجية بلا مستقبل، خاصة وأن العلمانية الكمالية لم تستطع التحرر من الوجه القمعي والاستبدادي لها والذي يحرم علي زوجة رئيس الحكومة أن تدخل أي مؤسسة حكومية تعبر عن الدولة لأنها ترتدي الحجاب، فهي عقيدة ضد الإنسان وضد التاريخ وضد السنن التاريخية.

بعد الجمهورية الثانية التي أسسها “طو رجوت أوزال”، اليوم يؤسس حزب العدالة والتنمية الجمهورية الثالثة، وهذه الجمهورية ربما تنجح في تغيير الدستور التركي الذي يمثل عائقاً للتطور السياسي والاجتماعي والإنساني، كما أن هناك خطط جعل مدة البرلمان 4 سنوات بدلاً من 5 سنوات، واختيار رئيس الجمهورية من الشعب مباشرة وليس من البرلمان كما هو حاصل الآن، وجعل مدة ولايته لمرتين كل منهما 4 سنوات بدلاً من مرة واحدة اليوم مدتها 7 سنوات والأهم من ذلك كله استعادة المؤسسات السياسية لدورها في النظام السياسي والذي يغتصبها منه الجيش عن طريق “مجلس الأمن القومي” وهو المجلس الذي يمثل إرادة العسكر ويملي الأجندة التي لا راد لها علي البرلمان وهو المجلس الذي أسس لما عرف باسم “انقلاب ما بعد الحداثة” حيث فرض علي أول رئيس وزراء إسلامي لتركيا “نجم الدين أربكان” الاستقالة لعدم قدرته علي الوفاء بشروط هذا المجلس، المعركة الكبيرة التي يقودها حزب العدالة والتنمية هي معركة استعادة النظام السياسي المختطف من الجيش

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

والقوي العلمانية لكي يتحرر من ضغوط العسكر وهيمنة البيروقراطية العلمانية.

وهذا الاستحقاق في تقديري هو الأهم والأكبر والأخطر، وقد يساعد هذا الاستحقاق علي أن يأتي لسدة الرئاسة في تركيا رئيس مسلم وعلي عكس ما هو شائع فإن الرئيس التركي له صلاحيات هائلة وكبيرة وواسعة لا يستهان بها أبدا ولكنه في المقابل لا يتحمل أية مسؤوليات، ومن ثم مجئ رئيس من العدالة والتنمية لتركيا سوف يغير في تقديرنا المشهد القائم لصالح استعادة هوية تركيا الحضارية والإسلامية.

منهج نظر الإسلاميين لتركيا:

كيف ينظر الإسلاميون للتحويلات التاريخية الكبيرة التي تحدث في تركيا اليوم؟ هذا سؤال مهم علينا أن نحمل عقلا كالعقل التركي حين نجيب عليه، أذكر أن أحد كوادر حزب الرفاه الكبار قال لي “ إن العقل التركي كما يعرفه الغرب عقل كبير، ومن ثم فكل الجهد الذي يبذلونه هو من أجل السيطرة علي هذا العقل وتخريبه، الحركة الإسلامية التركية ورثت تقاليد دولة امبراطورية كبيرة دخلت في حرب وفي تفاوض وفي ديبلوماسية عاتية مع العالم الغربي، ومن يقرأ التاريخ العثماني يعرف كيف استطاع أحد الساسة الكبار “ السلطان عبد الحميد 1876 - 1908 “ أن يؤخر سقوط الدولة التي كانت قد ضعفت وتكالب عليها الغرب كما تتكالب الأكلة علي القصعة، والتاريخ العثماني ملئ بالقدرة علي توظيف التناقضات بين الخصوم وتوظيف السياسة الغربية لصالح الدولة، الحركة الإسلامية ورثت هذه التقاليد ومن ثم هي لديها تصور نحو الانتقال بتركيا من المحنة التي وضعها فيها “ أتاتورك “ إلي وضع تكون أملك فيه لأربها وقرارها.

وهذا شأن تغيير مصير دولة هي أحد الدولة المركزية في المنطقة، وتغيير هذه المصير لا يتقرر بين يوم وليلة، كما أن أصحاب المصالح العلمانيين وأصحاب المصالح الدوليين من الصعب عليهم ترك تركيا لتقلت من خيوط العنكبوت التي لفت بأحكام حول روحها وكل خلجة فيها، ومن ثم فعلي الإسلاميين في عالمنا العربي بالذات النظر إلى تركيا من منظور السياسة الشرعية التي تقدر ربح التغيير الحضاري العام وتقدر اتجاهه وبوصلته، وإن أكبر ما يمكن أن ينجز في بلد كبير ومهم كتركيا هو تحررها من رجس العلمانية الكمالية، فإذا كان هذا هو الاتجاه وتلك هي الرياح فهي بإذن الله ربح طيبة وهو ما قرره علماء الأصول في ذلك وهو “ دفع المفسد العليا بتحمل الأدنى “، وإذا كنا نقول أن أمر تغيير الإنسان الفرد يحتاج إلى سياسة ومناهج وصبر وأناة فما بالك بتغيير دول كبيرة وضخمة كدولة مثل تركيا.

المعيار الذي نحكم به علي التحول الجاري في تركيا هو معيار وجهة التحول والتغيير وبوصلته وقبلته، ومعيار استعادة الوجه الإسلامي لمكانته، ومعيار استعادة الروح الحضارية والبعث الإسلامي.

حين ذهبت لأول مرة لتركيا عام 2002 لجمع مادة رسالتي للدكتوراه، كان همي الأول هو كيف سنصلي؟ وأين؟ وكان ذلك بين المغرب والعشاء وبينما أنا غارق في تساؤلاتي إذ بصوت المؤذن الرائع الجميل يهز اسطنبول ويكاد يرفعها، كانت المساجد كلها تصدر عن صوت واحد جميل وفي أول مسجد قابلني دخلت وصليت وتعرفت علي إمامه الذي كان يتكلم العربية فهو من خريجي مدارس الأئمة والخطباء وكان خير عون لي في رحلتي الطويلة التي استمرت شهرين.

كذا تركيا اليوم هي البلد المسلم الوحيد الكبير الذي يملك تقاليد

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

مؤسسية وسياسية واجتماعية واقتصادية تمكنه من أن يكون له دور رائد في منطقة تتعرض كل نظمها للضغوط والفوضى، إن تركيا اليوم بتوجهها ببوصلتها ناحية محيطها الشرقي يمكن أن تلعب دوراً قائداً وكبيراً ومحورياً يمكن أن توازن فيه كدولة سنية كبيرة مع إيران كما يمكن أن تكون لاعباً مهماً لدعم الحقوق السنية المهددة في ظل الاحتلال الأمريكي والحكومات الطائفية المرتبطة به.

النهوض الاقتصادي الكبير لتركيا سوف يهيئ لها استعادة مكانتها كلاعب إقليمي في المنطقة، ولا يجوز لنا أن ننسى أن البرلمان التركي صوت ضد استخدام الأراضي التركية لضرب العراق عام 2003 م، وكان ذلك في ظل حكومة العدالة والتنمية، ويمكن أن تكون تركيا مع العرب لاعباً مهماً للحفاظ علي وحدة العراق واستقرار المنطقة. فوز حزب العدالة والتنمية هو حدث داخلي له وجه إقليمي، فتركيا هي الدولة الوحيدة تقريباً التي تمتلك نظاماً ومؤسسات في دول تتراجع فيها المؤسسات ومن ثم فهي قادرة علي أن يكون له دور للحفاظ علي المنطقة من خطر الفوضى التي تحيق بها.

* * *

المبحث الخامس: تركيا تستهل عصر الجمهورية الثالثة

مجى عبد الله جول إلى قلب القلعة العلمانية ليحتل المكان الذي تبوأه من قبله “ كمال أتاتورك “ مؤسس الجمهورية الأولى يضرب لنا الأمثال، فالجمهورية الأولى كانت ضد مجتمعها تبنت العلمانية كعقيدة ثيوقراطية لا تعرف التعدد وترفض الدين الإسلامي وتوقن أن التقدم هو عند الغرب، ولذا فكل التماثيل المنصوبة لأتاتورك في العاصمة السياسية للبلاد “ أنقرة “ أو العاصمة الثقافية “ اسطنبول “ تشير ناحية الغرب، الجمهورية الأولى التي أسسها “ أتاتورك “ جاءت علي أسنة العنف والقسر استناداً إلى ثقافة دولتية لا تعرف الرحمة، وكانت نموذجاً لدولة من بنات أفكار مؤسسها ولم يكن لها وجود في أرض الواقع، إذ ظل المجتمع مغاضباً لها رافضاً لمنهجها وأسلوبها الفوقي الحاد الذي أسس لقطيعة روحية ومعرفية مع التراث السابق للجمهورية، فحتي موت مؤسس الجمهورية الأولى عام 1938م عرف الدستور الذي وضعه عام 1924م أكثر من عشر تعديلات دستورية كلها كانت تسعى لإلغاء أي تعبير عن الإسلام في البني القانونية أو السياسية أو الاجتماعية للدولة بما في ذلك طبعاً الإشارة إلى أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، ولم يوضع نص علمانية الدولة في الدستور إلا عام 1937م، ومثل “ عصمت إينونو “ خليفة “ الباش معلم “ كما كان يطلق علي “ أتاتورك “ استمراراً لتقاليد الجمهورية العلمانية التي أصبحت العلمانية فيها أيديولوجية فاشية متعصبة، جعلت من “ مصطفى كمال “ الرجل الصنم، وتحت الضغوط الاجتماعية والخارجية معاً اضطر “ إينونو “ إلى أن يقبل بالتعددية الحزبية وظهر “ الحزب الديمقراطي “

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

الذي قاده “ عدنان مندريس “ عام 1946 وبذلك انتقلت تركيا من نظام الحزب الواحد إلى نظام التعددية الحزبية، وفي انتخابات عام 1950 اكتسح الحزب الديمقراطي الانتخابات النيابية وتسيد المشهد السياسي حتي انقلاب عام 1960م، وهو الانقلاب الذي عمد التدخل العسكري في الحياة السياسية التركية.

وفي الواقع فإن الديمقراطية التركية كما أسس تقاليدها العسكر والبيروقراطية المدنية - وكما يقول “ ميتن هيبير وجاكوب لاندو “ في كتابهما المهم عن “ الأحزاب السياسية والديموقراطية في تركيا “ - كانت تعبيراً عن القطاع الرأسي في الدولة ولم تتسع لتشمل القطاع الأفقي الذي يعبر عن المجتمع، فالنخبة البيروقراطية التي ورثت الكمالية ابتدعت ما أطلقت عليه “ عقلنة الديمقراطية “ واعتبرت أن الساسة الذين حاولوا ممارسة الديمقراطية فعلاً هددوا مصالح الدولة ومن ثم لا بد من استبدالهم بساسة يتمتعون بالمسؤولية والإحساس ومستعدين للاستجابة لديموقراطية معقلنة هي تعبير عن جدل النخبة لتحديد السياسة الأفضل وليس للتوفيق بين الرؤي والمصالح المختلفة.

ومهندسو النظام السياسي التركي كما أرسته تقاليد الجمهورية الكمالية جعلوه يرتكز علي ركيزتين أولهما: الجيش الذي مثل دائماً روح الدولة التركية فهو الذي استعاد لها استقلالها، ثم النظام الحزبي الذي تأسس ليكون حزبين كبيرين أحدهما يمثل اليمين التقليدي والثاني يمثل اليسار التقليدي، ومع انقلاب عام 1971 وعام 1980 اكتسب الجيش والبيروقراطية الدولتية صلاحيات واسعة جعلت النظام الحزبي والمؤسسات المعبرة عن الجماهير والمجتمع رهينة لرضاها.

الجمهورية الثانية كما تعرف في الجدالات السياسية التركية تنتمي

لمن أرسى تقاليدها وهو “ طوجوت أوزال “ الذي أسس حزب “ الوطن الأم “ عام 1983 وحمل برنامجاً اقتصادياً متكاملًا حرر به الاقتصاد التركي من هيمنة الدولة والقطاع العام وهو ما فتح الباب واسعاً أمام تركيا لتصبح قوة اقتصادية إقليمية، لقد كانت رؤية “ أوزال “ الثاقبة لاستعادة الوجه المدني للدولة التركية لا تعتمد علي إجراءات سياسية فقط بل علي إدخال المجتمع في دورة حياة اقتصادية ليبرالية علي النمط الغربي بحيث يستحيل تلقائياً تدخل الجيش، وكان “ أوزال “ يعتبر نفسه المؤسس الثاني للدولة التركية، وهو أول مسئول رسمي تركي يدعو علانية إلي انتقاد الكمالية وطرح العلمانية علي بساط البحث ونقدها طالما أن قطاعاً من الشعب يرفضها، وكان أول رئيس جمهورية تركي يثابر علنا وبصورة منتظمة علي أداء الفروض الدينية وزيارة أضرحة الأولياء وأدي فريضة الحج وانتعشت في عهده موجة التدين وبروز الطرق الصوفية، وهو من وصف الدولة التركية بأنها علمانية وإسلامية وديموقراطية، وقال ماذا لو انتهكنا الدستور ولو لمرة واحدة؟ والعديد من الأفكار التي يحملها اليوم مؤسس الجمهورية ————— الثالثة

“ جول وأردوغان والذين معهم “ مثل ضرورة تغيير الدستور وانتخاب الرئيس مباشرة من الشعب هي من بنات أفكار “ أوزال “ الذي يحظي باحترام كبير بين النخب الاقتصادية التركية عامة والإسلامية منها خاصة فهو من فتح لهم الباب واسعاً لتأسيس أكبر الشركات التركية التي عرفت باسم “ رأس المال الأخضر “، وأوزال هو أول رئيس تركي يتحدي الجيش ويقلل رئيس الأركان واستخدم علي نطاق واسع علاقاته الدولية خاصة بالولايات المتحدة الأمريكية والغرب ليحجم سطوة الجيش وتدخله في الحياة العامة والسياسة.

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

أهم ما طرحته الجمهورية الثانية هو أن العلمانية الكمالية ليست مقدسة وأنها لم تعد صالحة للتعايش مع حقائق العصر الجديد وأن التطور الاجتماعي والثقافي في تركيا والعالم لم يعد يقبل بأيديولوجية جامدة متصلبة أصبحت في مقام العقيدة السياسية ومن ثم لا بد للبحث عن تأويل جديد للعلمانية يتجاوز التفسير الكمالي ويعطيها وجهاً إنسانياً يجعله تقبل بالتعددية والتسامح مع الآخرين المختلفين مع الكمالية خاصة الإسلاميين، ومن ثم لا بد من احترام اختيارهم وأخذ رغباتهم الدينية في الحسبان.

أما الجمهورية الثالثة التي تسجل بداية لعصر جديد في تركيا والتي يقودها حزب العدالة والتنمية (الآق بارتّي) “أو الحزب الأبيض - فإنها تمثل ثورة صامتة في البلاد حيث إننا أمام حزب يمثل قلب يمين الوسط التركي فهو يعبر عن تقاليد التعددية السياسية والاقتصادية والمسؤولية الاجتماعية تجاه الفقراء ولذا فإن التيار الاجتماعي الذي صوت لحزب العدالة والتنمية هو خليط من الإسلاميين والمحافظين في تقاليدهم وقيمهم والعلمانيين وأبناء الطبقة الوسطى والطلاب والشباب والمرأة وكذلك قطاع مهم من الفقراء، فقد حصل الحزب علي 47% من الأصوات في الانتخابات الأخيرة التي جرت يوم 22 يوليو محققاً بذلك تقدماً كبيراً مقارنة بنتائج الانتخابات الماضية التي جرت في نوفمبر 2002 م، ومثلت الإنجازات الاقتصادية التي حققتها فريق حزب العدالة والتنمية المحفز الرئيسي لتصويت المواطن التركي له.

والحدث الأهم هو أن يعتلي سدة رئاسة الدولة “عبد الله جول” رفيق كفاح رئيس الوزراء التركي “طيب أردوغان” لتتسجم مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع معاً من أجل إنجاز المهام الملقة علي عاتق مؤسسي

الجمهورية الثالثة ذوي الجذور الإسلامية والذين يسمون أنفسهم بأنهم “ديموقراطيون محافظون”، والديموقراطية المحافظة تعبر عن استحضار التقاليد العثمانية ذات الطابع المدني التي تغلب التوافق والوئام علي المواجهة والصراع، كما ترفض الاستقطاب والثنائيات التي تلغي الآخرين وتسعي لبناء حالة تنسجم فيها الحداثة والتراث والقيم الإنسانية والعقلانية.

والتحدي الأكبر الذي يواجهه مؤسسو الجمهورية الثالثة هو كيف تتحول الدولة التركية من “دولة عميقة” - أي دولة فيها جانب لا يمكن رؤيته أو معرفته يخترق النظام السياسي لصالح فئات معينة إلي “دولة طبيعية” يحكمها ويوجهها القانون وحده ولا شئ غيره، والدستور الذي يحكم البلاد والذي وضع عام 1982 هو محل سخط النخبة التركية لأن الجيش هو الذي وضعه متحالفاً مع حزب الشعب الكمالي، وقال عنه رئيس محكمة الاستئناف “سامي سلجوق” عام 1999 م “تركيا لا يمكن ويجب أن لا تدخل القرن الواحد والعشرين بدستور قاربت درجة شرعيته الصفر”، ومن ثم فإن مطلب تغيير الدستور هو علي سلم أولويات مؤسسي الجمهورية الثالثة، وهذا الدستور سيأخذ في حسبانته بالضرورة التوازن المدني - العسكري بما يسمح بتراجع تأثير العسكري علي المدني وهناك محاولات جرت في هذا السياق - لم تكتمل بعد - تمثلت في تغيير الدستور التركي بما جعل الغلبة في “مجلس الأمن القومي التركي” للمدنيين، كما سيأخذ في حسبانته المركب العلماني - الإسلامي، وكما يقول هاينتس كرامر في كتابه الهام “تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد:” ليس الخيار الحقيقي بالنسبة للأتراك في عملية تصميم دولة حديثة قادرة علي مواجهة تحديات القرن الواحد

الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام في تركيا

والعشرين خياراً بين كمالية علمانية من ناحية وإسلام سياسي أصولي من ناحية ثانية، فالخيار الحقيقي هو الخيار بين أسلوب قائم علي دولة أكثر تسلطاً في تنظيم مجتمع سريع التغير، يشكل فيه الإسلام عاملاً اجتماعياً يتعذر استئصاله من جهة وأسلوب قائم علي مجتمع مدني أكثر ديمقراطية في التعامل مع عملية التغير من جهة ثانية“.

فتركيا الجديدة هي تلك التي تعتمد أسلوباً للإدارة ذات طابع مدني ديمقراطي يأخذ في حسابه انتقال الإسلام من الهامش الذي وضعه فيه “أتاتورك” إلي القلب الذي فتح له طريقه “أوزال”، ولم تعد الكمالية ولا حزب الشعب الجمهوري أو اليسار الديمقراطي أصواتاً صالحة لعصر تجاوز الأيديولوجيات السياسية المغلقة.

فوز “عبد الله جول” برئاسة الجمهورية - “القلعة العلمانية” - وإلي جواره “رئيس الحكومة” طيب أردوغان “هو تعبير عما يمكن أن نصفه بالمصطلح العثماني “واقعة خيرية معاصرة” تجسر الفجوة التي أقامت الكمالية العلمانية بين الدولة والمجتمع التركي وتفتح الباب واسعاً أمام آمال راودت الغالبية العظمي للأتراك وهي كيف تستعيد الدولة التركية ومؤسساتها السياسية والقانونية وظائفها وفعاليتها أمام تغول البيروقراطية العسكرية التي تتذرع دوماً بحماية العلمانية وتعرضها للخطر وهي ذريعة كانت مقبولة وممكنة في ظل الجمهورية الأولى أما في ظل الجمهورية الثالثة ذات الوجه المستند إلي إرادة الشعب واختياره من ناحية وإلي تمثل العقل التركي الكبير الذي يعرف كيف يصل إلي أهدافه بدون مواجهة واستفزاز فإن هناك آمال تتعاضد باستعادة دولة الخلافة لهويتها وتماسكها في الداخل و تأثيرها الإقليمي والدولي في وقت تتعاضد الحاجة إليه في الخارج.

* * *

خاتمة

الإسلام المقاوم في تركيا

نقول الإسلام المقاوم أي الذي استطاع الصمود للهجمة العلمانية الشرسة التي شنّها “ كمال أتاتورك “ علي كل ما له صلة بالإسلام لمحاولة استئصاله من الوجود الفردي والجماعي معا في تركيا، وتشير بعض الدراسات الغربية الجادة أن “ أتاتورك “ فكر في لحظة (ما) من لحظات سطوته وسيطرته أن يحول تركيا للمسيحية ولكنه لم يستطع، ومن ثم سعي لتكون تركيا نسخة من الغرب المسيحي.

ظن “ أتاتورك “ أن استلهاهم القيم الغربية المسيحية سوف يأخذ بيد تركيا من التخلف إلي التقدم، وكانت أفكار العلمانية والتقدم والتحديث لها بريق وجاذبية لا يمكن مقاومتها، ومن هنا استبدت فكرة اللحاق بالغرب بمعظم دول العالم الإسلامي، وتصور العديد من الساسة والنخب المثقفة أن اللحاق بالغرب يكون بتقليده في قيمه ومفاهيمه وروحه، وكان “ أتاتورك “ هو الأكثر سعياً للالتحاق بهذه القيم، لذا يجد المسافر لتركيا أن تماثيل “ أتاتورك “ كلها المنتشرة في اسطنبول أو أنقره كلها تشير ناحية الغرب.

استند “ أتاتورك “ والنخبة العلمانية معه إلي ما يمكن أن نطلق عليه “ استعلاء الإنتلجنسيا “ علي الجماهير، فهم قرروا أن التغيير العلماني الذي يقصي الدين بشكل كامل عن الحياة العامة والفردية هو لصالح الشعب ورغما عنه في نفس الوقت، لأن الشعب لا يعرف أين مصلحته ومن ثم يتم استخدام القوة والعنف في فرض ما تقرره النخبة.

غير “أتاتورك” طوال فترة حكمه كرئيس للجمهورية ولحزب الشعب الجمهوري الحاكم والوحيد الدستور التركي أكثر من عشر مرات كانت كلها تهدف إلي استبعاد أي إشارة ولو رمزية للإسلام، وفي عام 1937 أي قبل أن يموت بعام واحد أقر في متن دستور الجمهورية أن العلمانية هي عقيدة الدولة وأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال استخدام الدين في الفضاء العام وأن هذه المادة في الدستور لا يمكن تغييرها، وهنا وكما يقول محمد يشار الكاتب التركي في كتابه المهم عن “الإسلام والتعددية الحزبية في تركيا”، فإن معرفة دور الدين في الحياة العامة أو الخاصة كان أمراً أشبه بمغامرة لأنه لا يجوز استخدامه أصلاً.

ألغى أتاتورك الطرق الصوفية واللغة العربية والعثمانية القديمة وفرض الكتابة اللاتينية علي الناس، وألغى الحجاب للمرأة وفرض التبرج عليها، وألغى الإجازة يوم الجمعة، وأغلق المساجد وألغى تميز رجال الدين وعلمائهم بلباس الجبة والعمامة، ونشر قوات الأمن لمهاجمة علماء الدين الذين يرتدون العمامة، وألغى التعليم الديني وأغلق مدارسهم، وألغى الأذان باللغة العربية وفرض الصلاة لمن يصلي باللغة التركية، وسعي لحذف أي إشارة للغة العربية في اللغة التركية اللاتينية الجديدة التي كانت نوعاً من التلفيق الساذج المثير للسخرية والإشفاق معاً.

توفي “أتاتورك” عام 1938 م ولم يعد هناك أي أثر للعالم القديم عالم الإسلام وعالم العثمانيين وعالم الحضارة الإسلامية التي أرسيت بقوة منذ السلاجقة، وألغى التاريخ الإسلامي ومعاركه، وقبل كل ذلك قضى علي الخلافة العثمانية التي كانت عنواناً علي وحدة الأمة.

لكن ماذا حدث؟ هل استطاعت “الكمالية” والأتاتورية “المستندة إلى قوة القوانين العلمانية التي استوردها من بلجيكا وفرنسا والغرب، والمستندة أيضا إلى بطش الدولة الرهيب الذي لا يعرف الرحمة، هل استطاعت أن تستأصل الإسلام كما كان يريد “أتاتورك” والذين معه؟

لا، استطاع الإسلام الصمود والمقاومة، وفي حياة “أتاتورك” حين أراد أن يصطنع حزباً معارضا يترأسه أحد أصدقائه “فتحي أوقيار” ليكون ديموقراطياً، انضم الناس إلى الحزب وصبوا لعناتهم علي “أتاتورك” ومزقوا صورته، ولم يستطع تحمل الحزب فأغلقه، قاومت الطريقة النقشبندية ممثلة في الشيخ “سعيد الكردي” والطريقة التيجانية التي تحدثت الكمالية وسعت لتحطيم تماثيل “أتاتورك”، وحين اضطر خليفته “عصمت إينونو” ليعلن التعددية الحزبية عام 1946 استعاد الإسلام مكانته بسرعة ففي عصر الحزب الديموقراطي الذي ترأسه “عدنان مندريس” وحكم البلاد باختيار شعبي مطبق منذ عام 1950 - 1960 عاد الأذان يرفع باللغة العربية وعادت إذاعة القرآن تتلو القرآن وعادت المساجد لتفتح أمام المصلين، وظهر الشباب الإسلامي المتعطش للإسلام في الجامعات، وظهرت الترجمات المتعددة لما يكتبه المفكرون الكبار في العالم الإسلامي خاصة العربي، وبدأ مفكرون أتراك يعلنون عن هويتهم الإسلامية مثل “نجيب فاضل” و “أشرف أديب” “وسزائي قراقوج”، وظهرت “الجماعة النورية” التي تدعو للإسلام وتدعو لمقاومة العلمانية والتمسك بالعقيدة الإسلامية، وأعيد الاعتبار للإسلام مرة أخرى وهذا ما نصفه بأنه “الإحياء الإسلامي الأول” في تركيا.

ورغم الانقلاب العسكري عام 1960 لكن ظل الإسلام أقوى من أن يهزمه بشر مهما كان أو تهزمه دولة أو عقيدة بشرية، بدأ الإدراك التركي يكتشف أن الإسلام هو صمام الأمان للشباب التركي في مواجهة العقائد الشيوعية والإلحادية والعدمية، ومن هنا استمر الحضور الإسلامي بقوة بين الشباب في الجامعات وبدأت تترجم علي نطاق واسع كتب المفكرين الإسلاميين من مصر وباكستان، وظهرت الأجنحة الإسلامية في الأحزاب العلمانية المختلفة وبدأ الوجود الإسلامي يتعمق في المؤسسات الاقتصادية، وبدأت العلمانية المستعلية بالقوة تتراجع وتدخل في أزمة، ذلك لأن المنظومة التي كانت تقوم عليها تعرضت للاهتزاز، فهي تقول أن المزيد من التحديث والعلمنة يعني تراجعاً للدين ومع توسع عملية العلمنة هذه أكثر فأكثر سوف يختفي الوجود الديني وينقطع الناس عن تاريخهم ودينهم وحضارتهم وثقافتهم وولاءاتهم القديمة ليصبحوا خلقاً حديثاً جديداً.

بيد أن ما حدث كان أنه مع محاولة العلمنة المتزايدة بالقوة والعنف من جانب الدولة والنخبة فإن الجماهير كانت تذهب بقوة إلي دينها وحضارتها وتاريخها وخاصة الفئات المتعلمة والتي أخذت بأكثر قدر من معطيات التحديث والحداثة.

وهنا ظهرت أطروحة تركية بديلة وهي “أسلمة الحداثة” وليس “تحديث الإسلام” كما كان يريد “أتاتورك” والعلمانيون، ومع نهاية الستينيات وبداية السبعينيات ظهر في تركيا لأول مرة مؤسسات مستقلة للإسلاميين، فظهر

“حزب النظام الوطني” الذي أسسه أبو الإحياء الإسلامي المعاصر في تركيا

“نجم الدين أربكان”، ولكن الحزب أغلق بعد انقلاب عام 1971، وعاد

الإسلاميون مرة أخرى إلى الحياة بقوة مع “ حزب السلامة الوطني “ الذي تحالف مع حزب الشعب العلماني وبدأ يؤسس لما يطلق عليه حملة العودة للأخلاق، وعادت مدارس الأئمة والخطباء للوجود بقوة وسافر الطلاب لمصر للتعلم في الأزهر، وذهب بعضهم لباكستان وبعضهم للسعودية، وبدأت روح الشرق والعودة للأمة تهب نساءً معها بقوة علي شباب تركيا، وبدأت المرأة تعود للحجاب في المدن الكبرى “ أنقرة “ واسطنبول “ والمساجد بدأت تمتلئ عن آخرها من الشباب والفتيات الصغار مشيرة إلى أن المستقبل لهذا الدين العظيم الإسلام.

وفي الثمانينيات كان عصر “ الإحياء الإسلامي الثاني حيث جاء إلى الحكم رجل السياسة والاقتصاد الكبير “ طوجوت أوزال “ الذي أسس لعالم الاقتصاد الإسلامي قواعده، فظهرت المؤسسات الاقتصادية الإسلامية الكبيرة في كافة مجالات الحياة وارتبطت بقوة باقتصاد العالم العربي خاصة منطقة الخليج، وبدأت تحيزات الناس للإسلام في اختياراتهم الاقتصادية وتأسس في البلاد الجمعيات الأهلية باسم الأوقاف لحد أن أصبح هناك عشرات الآلاف من الجمعيات الأهلية الإسلامية في كافة مناحي الحياة، وكان “ أوزال “ هو رئيس وزراء ثم جمهورية يطرح العلمانية والأتاتورية علي نطاق البحث والنقد العام، فهو أول من انتقد “ أتاتورك “ وهو من أسس الجمهورية الثانية التي تقول إن علمانية “ أتاتورك “ غير قادرة علي الحياة، وأن الإسلام هو هوية الدولة وثقافتها ولا يمكن لنا أن نعيش بدون، وفي منتصف التسعينيات ظهر “ حزب الرفاه “ واكتسح الانتخابات المحلية والعامية وحكم “ أربكان “ لأول مرة كرئيس وزراء مسلم لدولة علمانية، ولكن الجيش انقلب عليه ولما يميز في الحكم أقل من عام وعرف هذا الانقلاب “ بانقلاب ما بعد الحادثة “

لأنه لم يستخدم القوة لمباشرة.

ومع عام 2001 تأسس حزب “العدالة والتنمية” الذي يعرف بالحزب الأبيض - آق بارتى “أسسه “عبد الله جول” وطيب أردوغان “وبولنت أرينج “، ومعهم صفوة العقول المفكرة في تركيا مثل “أحمد داوود أوغلو “صاحب كتاب “العمق الاستراتيجي “ المهم والخطير معا، واكتسح الحزب الإسلامي الأحزاب العلمانية القديمة فيما يشبه “الثورة الصامتة “ عام 2002 ثم عاد فاكتسح الانتخابات في إبريل عام 2007، ثم استطاع “عبد الله جول “ أن يصل إلى قلب العلمانية ويحتل مركز رئيس الدولة، وهاهو الإسلام وأبنائه يستعيدون مكانتهم مرة أخرى، ويعيدون البلاد لهويتها في صمت ودون جلبة، واليوم تجد الإسلام يكتسح كل المجالات فقد انتقل من الهامش إلى المركز والقلب، وهو الذي يحرك قلب تركيا نحو التقدم، فممثلو البلديات الإسلاميين يحققون نجاحات هائلة في مواجهة الفساد، ومن أجل ما يطلق عليه “ثقافة المعاش “ أي تحسين أحوال الناس المعيشية.

الحجاب والمساجد والصلوات والأوقاف والعمل الأهلي والمتقنون الإسلاميون والطلاب ورجال الأعمال الكبار والساسة، كلهم يؤكدون أن كلمة الإسلام أقوى من أية نزوة جنونية لحاكم مهما كانت سطوته، الإسلام المقاوم في تركيا يقدم نموذجاً حقيقياً للمزاوجة بين الإسلام والعصر، وبين الإسلام والحداثة وبين الإسلام والغرب وبين الإسلام والقدرة علي الإنجاز وبين الإسلام والحياة المعاشة.

تركيا التي كان يراد لها أن تكون نموذجاً لانتصار العلمانية والحداثة علي الإسلام إذا بها تستدير إلي قبلتها الحقيقية ومرفأها السرمدي الأول لتقول إن الإسلام أقوى وأبقي، وأن تركيا ستكون هي النموذج لانتصار

* * *

الفهرس

تمهيد.....	7
مقدمة.....	14
الفصل الأول الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا.....	24
الفصل الأول الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا.....	25
المبحث الأول الطرق الصوفية ومقاومة العلمانية الكمالية.....	29
المبحث الثاني: السليمانيون وتحدي الحفاظ علي العلوم الإسلامية.....	49
المبحث الثالث: النورسيون وتحدي إنقاذ الإيمان ونصرة الإسلام.....	65
المبحث الرابع: المثقفون الإسلاميون من الاغتراب إلي الاختراق.....	96
الفصل الثاني: الأحزاب السياسية في تركيا قبل ظهور الرفاه.....	140
المبحث الأول: الإسلام وحزب الشعب الجمهوري (1922 - 1946م).....	147
المبحث الثاني: الإسلام والأحزاب السياسية في فترة التعددية السياسية (1946 - 1960م)	172
المبحث الثالث: الإسلام والأحزاب السياسية في تركيا (1960 - 1970م).....	190
المبحث الرابع: أحزاب " الملي جوروش " والحياة السياسية في تركيا (1970 -	211
1980 م).....	211
الفصل الثالث: الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م).....	245
المبحث الأول: حزب الرفاه... من التأسيس إلي السلطة (1983 - 1996م).....	256
المبحث الثاني: أيديولوجية حزب الرفاه وبرنامجه السياسي.....	281
المبحث الثالث: التنظيم والممارسة السياسية لحزب الرفاه.....	317
الفصل الرابع: حزب العدالة والتنمية ومستقبل الإسلام السياسي في تركيا.....	382
المبحث الأول: تركيا في مفترق الطرق.....	399
المبحث الثاني: المعركة الدائرة في تركيا..	411
المبحث الثالث: الوثنية السياسية.. خبرة العلمانية التركية.....	418
المبحث الرابع: قراءة في مستقبل تركيا بعد نتائج الانتخابات الأخيرة.....	426
المبحث الخامس: تركيا تستهل عصر الجمهورية الثالثة.....	434
خاتمة.....	441
الفهرس.....	448

* * *

